شفاء القلوب من داء الكروب

تأليف الشيخ العلامة

خميس بن راشد بن سعيد العبري

رحمه الله تعالى

الجزء الثاني

الطبعة الثانية

١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣م

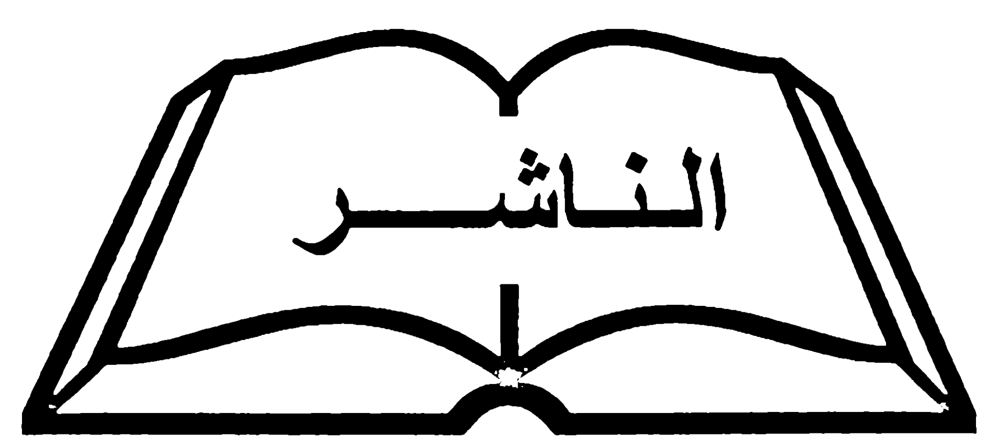
شِفَاءُ الْقُلُوبِ

مِنْ دَاءِ الْكُرُوبِ

تأليف الشيخ العلامة
خميس بن راشد بن سعيد العبري
رحمه الله تعالى

الجزء الثاني

الطبعة الثانية
١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣م



مكتب المُستشار الخاص لجلالة السُلطان
للشؤون الدينية و التاريخية

بسم الله الرحمن الرحيم

الذكر السابع والعشرون :
في ابتداء خلق الإنسان ، وما له من الأحكام والميراث ، وفيه ذكر الأرزاق والبركات في الحيوانات والجمادات

ابتداء خلق الإنسان :

قال ذو الغبراء : سألت صاحبي عن ابتداء خلق الإنسان إلى هرمه ، ما السبب في ذلك ؟ قال : اعلم أن الإنسان أوله من نطفة ، والنطفة لها رائحة كالنبات ، ويجتمع في تلك النطفة جميع أعضائه من عصب ، وعروق وعظام ، ودم ولحم وشعر ، فاعتبر في بيضة الطير الذي أعلاها طير الذكر ، فأول ما يوجد في البيضة ماء ، ثم ينتقل إلى دم ، ثم على عروق ثم على عظام ولحم وريش ، وغذاؤه من المحة ، ثم يخرج من البيضة كامل الأخلاق والصورة كأبيه وأمه ، وأما نطفة الرجل فماء أبيض غليظ ، وماء المرأة ماء أصفر رقيق يخرج من ترائبها ، فإن تقدم ماء المرأة من جسمها إلى قرارها المكين ، فإنها تحمل بأنثى .

ونطفة الرجل في البيضة اليسرى ، وقيل من صلبه ، فإن تقدم ماء الرجل قبل المرأة جاء الولد ذكراً ، والشبيهة على من كان ماؤه أكثر من الزوجين ، واشتهى قبل صاحبه ، والواجب على المرأة أن تدخل أصبعها في قِبلها لغسل الجنابة والحيض والنفاس ، وتثبت النطفة أربعين يوماً ، طبعها البرودة اليابسة الثقيلة ، وفي هذا الشهر التدبير لله تعالى ، ولكن يجعله في الطبع كطبع زحل ، فإن كان زحل قوياً مسعوداً ، فالولد يكون

على قدر قوته وطبعه، وفي هذا الشهر ينقطع من المرأة دم الحيض؛ لأنه يسقي الماءان في القرار المكين ثم ينتقلان على علقة فيمتزجان بالحرارة الرطبة على طبع المشتري، فيعفنا الماءان ويمتزجان، ويطلع الغشيان والبخورات الذي توحم به المرأة وهذا بعدما يمضي أربعون يوماً، ثم ينتقل إلى مضغة دم.

وفي الشهر الثالث كطبع المريخ في الحرارة اليابسة ويدل على القوة والشجاعة والبطش، وإن سقطت المضغة من المرأة، فعدتها متى رأت الطهر صلّت وصامت، وأما زوجها فيمتنع عن جماعها أربعين يوماً على أكثر قول المسلمين، ثم ينتقل في الشهر الرابع بالحرارة اليابسة المحرقة كطبع الشمس فينتقل إلى العظام فإذا تمت الأربعة الأشهر نزلت فيه الروح، وانتقل في الشهر الخامس كطبع الزهرة، فينبت فيه الشعر والعصب والأخلاق الحسنة إذا كانت الزهرة مسعودة، فإن جاء المرأة دم في حملها فليس هو بحيض وذلك من ضعف في جسدها، فلا تترك الصلاة ولا الصيام، وجائز للرجل جماعها، ولكنها تغتسل قبل الجماع كالمستحاضة، ثم ينتقل إلى الشهر السادس فيكتسي باللحم ويتحرك اللسان، وأن لو سقط لعرف أنه ذكر أو أنثى، ويكون طبعه كطبع عطارد، حيث حل في البروج والقوة والضعف والسعد والنحس، لأنه ممازج يساير الذكور والإناث.

صفة معرفة الحمل أنه ذكر أو أنثى :

فأما الذكر فيكون لبن المرأة غليظاً، ويصلب لحمها، ويحسن لونها، وتجلو عينها، وتصح شهوتها، وتحس بالثقل في الجانب الأيمن،

ويعظم ثدي الأيمن، وتحمر حلمته، وإذا مشت حركت الرِّجل اليمنى أولاً، وإذا قامت، اعتمدت على اليد اليمنى، وتكون عينها اليمنى أخف وأسرع حركة، والذكر يتحرك بعد ثلاثة أشهر، والأنثى بعد أربعة أشهر.

فإذا نهضت الحامل وقدّمت رجْلها اليمنى في المشي فهو ذكر، وإن قدمت رجلها اليسرى فالحمل أنثى، وقيل إذا حلبت المرأة من ثديها في الماء وسكع، أو حلبت فوق نملة فماتت، أو كانت عروق كفيها حمراء فالحمل ذكر، وأما إذا كانت عروق الكف خضراء، أو الحليب فوق الماء، والقملة لم تمت فالحمل أنثى، والعين الباهته في الحامل تدل على الأنثى، والعين الغائصة فيها الحامل تدل على الذكر .

علامات الحمل :

وعلامات الحمل؛ ضيق الرحم، ويحصل وجع ما بين السرة والفرج، وتكره الجماع خاصة الحامل بالذكر، ويعرض لها عند الجماع غشي، وينقطع الحيض أو يتأخر، ويعرض الكرب والكسل، ونحول البدن، ووجع الرأس، وظلمة العين، وخفقان، وشهوة فاسدة بعد شهر أو شهرين، فإذا عظم الجنين زالت هذه الأعراض [١] .

أحكام الحمل :

ومع تمام الشهر السادس تدخل في الحمل أحكام الشرع، فمثلاً إذا كان للمرأة زوج من قبل، وجاءت بولد لأقل من ستة أشهر مذ دخل بها الزوج الثاني، فالولد للزوج الأول، وتخرج عن الثاني بلا طلاق، وليس لها صداق، وقد يلحقها الأول في الحكم إلى سنتين، وإن لم يكن معها زوج

(١) قمت بتقديم وتأخير بعض العبارات لينسجم الحديث مع بعضه .

من قبل، فالولد وأرحامه عصبة أمه في الميراث، وإن كانت هذه المرأة مطلقة طلاقاً رجعياً ، ومات مطلّقها الرجل الأول عند ولادتها، وخرج الولد كله إلا قدمه ، فإنها ترثه المطلّق إذا لم يكن خلعاً ولا لعاناً .

وأما الولد فملحوق به على كل حال من الطلاق إذا جاءت به لأقل من ستة أشهر قبل أن تغرب قرون الشمس، وأما إن جاءت به بعدما غربت الشمس لتمام ستة أشهر فهو لزوجها الثاني، رضي به أم لم يرضَ، وإن وضعت بولدين واحد لأقل من ستة أشهر فهو للأول، والثاني آخر تمام ستة الأشهر، فالولد الأخير للزوج الثاني على القول المعمول به، وتركتُ الاختلاف، وأما إن سبى المرأة العدو ودخل عليها وكان بها حمل من العدو، فالزوج ليس له فيه سبيل، لكنه إن قدر على زوجته وأخذها واستبرأت رحمها فلا يضارها في ولدها، وهذا الولد من حرام وليس له أب، ولا هو مثل النكاح الفاسد؛ لأن النكاح الفاسد يلحق الولد بأبيه ويرثه.

ومن الأثر: عن محمد بن محبوب؛ وعن الرجل إذا وقع رجل على زوجته فوطئها وهي كارهة لذلك فحملت، فهل يسع الزوج أن يطأ امرأته وهي حامل من غيره، والجواب لا يحل له وطئها حتى تضع حملها، وإن وطئها قبل أن تضع حملها أتفسد عليه؟ قال: الله أعلم، قال أبو سعيد: فيما أحسب، فقال مَنْ قال لا تفسد عليه ، والله أعلم .

رجعٌ على كلام ذي الغبراء : والرجل إذا طلق زوجته طلاقاً رجعياً، وكان في بطنها حمل فعليه النفقة لها إذا كانت في بيته أو غير بيته، وأما إذا اختارت الخروج من بيته ولم يكن بها حمل فلا نفقة عليه لها، وكل

حامل لها النفقة من الرجل الذي خرجت عنه، وفي رأي الشيخ ناصر: إذا خرجت من بيته بغير رضاه فلا نفقة لها ما دامت حاملاً، وإن كان برضاه فلها النفقة كما جاء في الذكر الحكيم.

قال: والنفقة فيما جاء عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أصلها نصف صاع من البُرّ لكل يوم، وإن لم يكن بُراً فقيمته من بقية الحبوب، ولها من التمر لكل يوم مما يأكل أهلها أو تأكل هي قبل التزويج، وإن كان التمر أقلّ من ذلك فبقيمته من السائر، والحل كمقدار ما يحتاج إليه مثلها، والسمن والحلاء كما يستعمله أهلها أو تستعمله هي قبل التزويج على نظر الأعدل في ذلك، وكان لا يعجبه على تحديد ما في الكتب، ولا يخطّئ من قال به.

وأما إن طلقها وأتت بولد لأقل من سنتين مذ طلقها وأقرت أن الحمل ليس من مطلّقها، فهنا لا يقبل قولها؛ لإبطال الميراث والنسب، وخلوصها منه بعد ما يخرج ولدها، ولو لم يخرج على سنتين، فإنه يلحقها بالرد وكذلك يرثها وترثه إن مات أحدهما، وأما إن طلقها وعادتها الحيض ولم تحض ثلاث حيض متوالية، ومكثت مدة من السنين، ومات الرجل، فإنها ترثه ومصدقة في العدة، وكذلك إن ماتت المرأة، وقال الرجل: إنها لم تخلص منه، فعلى أوليائها البينة، فإن عجزوا عن الشهادة، فإنه يرثها، والمدة في هذا على أكثر قول المسلمين يكون سنها ستين سنة، ثم تعتد ثلاثة أشهر، وقول خمس وخمسين سنة، وقول خمسين سنة، وفيه قول سنتين ثم تعتد ثلاثة أشهر، وقيل سنة وتعتد ثلاثة أشهر، وأما الذي لا يأتيها الدم أبداً، فعدتها تسعة أشهر؛ لريبة الحمل وثلاثة أشهر للعدة، فتكون سنة كاملة، وأما إن جاءها الحيض ثلاث

مرات، ولم تغتسل من الثالثة، ورأت طهراً، أو توانت عن الغسل، وفات وقت الصلاة، فإنه لا يدركها مطّلقها ولا بينهما ميراث، وأما إذا لم تتوانَ عن الغسل، إلا أنها همت فإنه يدركها ما لم تفت الصلاة ولم تغتسل، فبينهما الميراث، قال عامر بن علي: غسلت أو لم تغتسل، قال الشيخ ناصر: متى انقطع الدم ورأت الطهر انقضت العدة.

عودة إلى قول ذي الغبراء: قال: وأما إذا أتت بولد ليس من ستة أشهر ولم يكن لها زوج من قبل، ولم تقر به أنه من زنا، وأتت بحجج من العذر مثل مغصوبة أو نائمة، هجم عليها أحد ولم تعرفه، أو كانت نطفة سايحة في النهر ودخلت في فرجها، أو أشباه ذلك، فلها العذر، ولا تسمى زانية، وأما إذا لم تأتِ بحجة؛ فإنها تحبس وترضع ولدها سنتين، ولا يجوز للزوجين أن يخبر أحدهما بالزنا صاحبه، قال الشيخ ناصر: يقبل قولهما لبعضهما، وبينهما الميراث إن صح الطلاق، وأما في بينهما وبين الله فكما ذكر.

وعودة إلى قول ذي الغبراء: وإن مات أحدٌ ولم يكن له ولد، ولا ولد ولدن ولا أب، ولا جد، وعنده أم، ومعها زوج، وكان بها حمل، فموقوف ماله، فإن ولدت به لأقل من ستة أشهر مذ مات ولدها، فإنه يرث المولود من أخيه، وإن ولدته لأكثر من ستة أشهر، فلا ميراث له على أكثر القول.

مسألة أخرى : إذا مات رجل وترك أمه، ولها زوج آخر وهو حي، وفي ملكه، فإن وضعت لأقل من ستة أشهر مذ يوم مات، دخل المولود في الميراث، فإن كان الزوج ميتاً أو مطلقاً للمرأة أو بائناً عنها، فإن وضعت

حملها لسنتين مذ يوم مات الزوج أو طلق، دخل المولود في الميراث، ولو جاءت به لأكثر من ستة أشهر، والفرق بيّن في ذلك؛ لأنه إذا كان معها زوجها، ولعله أن تكون حملت من بعد أن مات ولدها الموروث، فافهم الفرق في هذا، وقد قيل: أنه لو كان أبو الحمل حياً وأشهد على ترك وطئها مذ مات الصبي، فإن ولدته لأقل من سنتين مذ مات أخوه دخل في الميراث، والله أعلم بعدل هذا القول، والقابلة غير مصدقة إن قالت أنه ذكر أو أنثى إلا بالشهادة التامة، وأما في استهلاله في البكاء مقبول قولها، وإن استهل ومات يغسل ويصلى عليه، وإن لم يستهل غسل ولا يصلى عليه، وإن مات رجل، وكان حمل ممن يرثه، أو كان مشاركاً في الإرث من الأرحام أو العصبات أو ذوي سهم، فمنتظر إلى ولادته.

عودة: وأما الشهر السابع؛ فالمولود فيه يعيش؛ لأن تدبيره للقمر إذا كان مسعوداً، أوله سماء الدنيا، ومدار الأرض بدوران فلك القمر في النحس والسعد.

وعن امرأة زنت بأبي زوجها أو ابنه أو جدّه، لا يحل لها المقام مع زوجها ولتهرب من، ولتفتدي بكل شيء تقدر عليه، وليس عليها أن تعلن ما ستره الله عليها، وتعلمه فيما بينها وبينه، وما وقعت فيه من البلاء، فإن لم يقبل فلتهرب منه حيث لا يراها، قال الشيخ ناصر: لا يقبل قولهما لبعضهما، إن صح الطلاق وأما في ما بينهما وبين الله فكما ذكر، قال ذو الغبراء: وهذه المسألة وجدتها في الجزء الثامن والأربعين في الباب السابع والثلاثين في المسألة الثالثة والعشرين من كتاب بيان الشرع.

وأما الشهر الثامن، فيرجع الحمل طبعه طبع زحل، فإن ولد مولود

فيه فالأكثر يموتون.

كيف تحسب للمولود فلكياً ؟

وأما الشهر التاسع، فطبع الحمل فيه طبع الهواء، فيجعل رأسه إلى فرج أمه لرائحة الهواء، فتسوقه الملائكة الكرام إلى خروجه في هذه الدنيا، وفي تلك الساعة التي يخرج فيها المولود، فمنها الدلالة في صورته، فإن كانت الساعة سعد ليس منحوسة بشيء، فعلى شكلها وإن كانت الساعة نحسة، فالدلالة عليها، وأما البرج الطالع فلجسمه المولود، والبرج الثاني لماله وأعوانه، والبرج الثالث لإخوته وحركاته القريبة، والرابع لآبائه وعاقبة أموره، والخامس لأولاده ونعمته، والسادس لأمراضه وعبيده وذهيبته، والسابع لنسائه وشركائه وخصمائه، والثامن لمال نسائه وخصمائه وموته، والتاسع لأسفاره وأحلامه وعلمه، والعاشر بيت عزه وسلطانه ومعاشه، والحادي عشر بيت أصدقائه ورجائه، والبرج الثاني عشر من الطالع بيت أعدائه وسجنه.

فحيث رأيت السعود في البروج فاحكم له بالصلاح من تلك البيوت، وحيث رأيت النحوس في البروج فاحكم له بالنحس من تلك الكواكب التي حلت في البيوت، فإذا ولد مولود فالتدبير للقمر فيه، وطبعه البرودة الرطبة إلى أربع سنين، ثم ينتقل إلى طبع الممازجة كطبع عطارد إلى أربع عشرة سنة، ثم ينتقل إلى طبع الزهرة وجريان ماء الشبيبة إلى اثنتين وعشرين سنة، ففي أول هذا الطبع تلزمه الفروض ويكتب عليه ما يعمله من الحسنات والسيئات، ثم ينتقل إلى سن الشباب متوسط وطبعه كطبع الشمس إلى إحدى وأربعين سنة، ثم ينتقل طبعه كطبع المريخ إلى

ست وخمسين سنة، ثم ينتقل إلى الكهولة وطبع المشتري إلى ثمانٍ وستين سنة، ثم ينتقل إلى طبع زحل في الشيخوخة إلى ثمان وتسعين سنة، ثم يرجع إلى الضعف والصغر وقلة العقل كتدبير القمر، وهذا حسابنا على سنينهن الصغرى الكواكب.

أمثلة على الرزق والبركة في الحيوانات والجمادات :

اعلم أن الناس أجناس، فمنهم من يسلك طريق الرشد ويعتصم بالعروة الوثقى وتكون له ديناً وله آخرة كما قال الشاعر:

إذا أعطي المرء في الدنيا أربعا ... فقد حاز منها بالجزيل من القسم
فأولها تقوى الإله وبعده ... فصحةُ جسمٍ ثمَّ حظاً من العِلمِ
ورابعها ما قد كفى بمعيشةٍ ... فخذها كالدر زانت لذي النظم

ومنهم من له دنيا وليس له آخرة، ومنهم من ليس له دنيا وله آخرة، ومنهم من ليس له دنيا ولا آخرة، فانظر أيها الإنسان بعقلك في شبابك، فالذي تراه أرفق وأحسن لنفسك من الحرث لمعاشك، والأرزاق واسعة ومبسوطة، ولا يدخلك الطمع بجمع الذهب والجوهر والزمرد والألماس، ولا يغرّك النواب بجمع المال، فاختر لنفسك من الأرض الواسعة عملاً، تستعين به على إصلاح دينك، واسمتع لقول الشاعر :

فلا تتركِ الحِرَفات خوفَ مذمةٍ ... وما العارُ إلا للذي كان عاصيا
فموسى رعى من قبلُ قد قالَ ذو العلا ... وأخبرَ عنهُ أنه كان راعيا
كذا زكريا كانَ نجار قبل ذا ... وإدريس خياطاً وطالوت ساقيا

وكان يبيعَ الماءَ ما ضرَّ دينهم وأعراضهم هذا ونالوا المعاليا
وداودُ حداداً وآدمُ قبلَهم فقد كان زرّاعاً وعيسى لآسيا

ثم قال : اجتهد في طلب الرزق، فمن الناس من يطلب العلم، والرزق يكون بسببه، ومنهم من يطلب العز والرفعة فيجد منه النعمة، ومنهم من يطلب الحرث والزرع، ومنهم من يطلب الصنائع، ومنهم من يطلب التجارة والأسفار، ومنهم من يطلب المواشي، ومنهم من يطلب النكاح فمنه يجد الصلاح، ومنهم من يطلب اللهو واللعب والحرام، والمؤمن لا يدخل إلا في الحلال ، والعاصي يدخل في الحلال والحرام ، فمن تزود الشر فهو شرّ له ، ومن تزود الخير فهو خير يسره ، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [1] ، واجعل نفسك كأنها ساعتك التي أنت فيها، واحرث في دنياك كأنك مخلد فيها، والأرزاق واسعة لجميع خلق الله، بالذي يأكل من الحيوانات في البر والبحر، ولا نقدر أن نحصي الأرزاق المباحة التي هي حلال للغني والفقير، والحبة تنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، وسيدة الشجر السدرة تقيت خلقاً كثيراً، فنظرت سدرة في طوي بنات قاسم من كدم فدورانها جاءت خمسين باعاً بالباع الصحيح، ومن ثمرتها يأكل من سكن حولها، والمارون عليها والمواشي التي عرضت تحتها، وكأنهم لم يأكلوا من نبقها إلا قليلا، وجوزة في بلد المناخر ثمرتها خمس وثلاثون ألفا، وسمعت عن شجرة بوت بسيبة غول في عين السعد جنى من ثمرتها اثنا عشر رجلاً في اثني عشر قفيراً، لأوان دراكها في يوم واحد، ونخلة سيلي من بلد المسفاة من ناحية كدم

(١) سورة الشورى : ٢٠ .

جاءت ثمرتها اثنا عشر قفيراً، كل قفير وزنه خمسون منّاً، وعدد قرون عذق موز خمسمائة وخمسة وأربعون قرناً زمن الإمام بلعرب بن سلطان الذي بنى حصن يبرين، ونخلة خصاب خُرِّفت من أول دراكها إلى جدادها أربعة أشهر.

وسمعت الشيخ ناصر يقول: في بلد العليا شجرة أنبا تسمى بُهْلا صح لها من الثمن في بندر مسكد مائة وخمسون قرشاً، وفرصادة ببلد العين من جبل بني ريام، حموها أهلها عن الخرّاب، فإذا احتكم نضاجها أطلقوها، وجنى منها أهل البلدان الجبل كلهم، وتثبت في ثمرتها شهوراً وأياما، و بيذامة بدار سيت تطنى بخمس وعشرين قرشاً.

وسمعت سرور بن جمعة الخصيبي يقول: استطنى نخلتي خصاب من فلج ساح الحرمل بثمانية وعشرين قرشاً، استفاد منهما بعدما أكل منهما ما أكل، وقورة رمان في بلد الناخر بيع رمانها بعشرين قرشاً، ومشمشة مثلها على ما سمعت.

فلا يجوز قطع الشجر المباح المقيتة للخلق، وأما الأشجار المملوكة فكل أولى بماله.

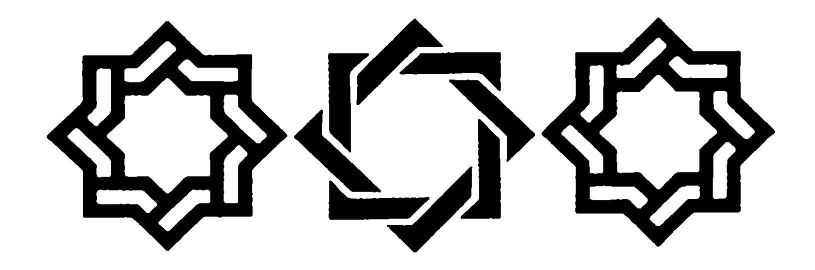
وحدثني الوالد خلفان بن سعيد الهطالي التاجر أن امرأةً أعطته قرشاً لما أراد سفر البحر، فاشترى به خمس عشرة سمكة، وباع كل سمكة بقرش فضة إفرنسي في بندر مريس، ثم اشترى بالقروش رأسي عبيدين من السواحل، وباعهما ببندر مسكد بسبعين قرشاً صافي من جميع الخسائر، وأعطاها المرأة .

وقد حكى لي : عن رجل معه سبع محمديات من نظافة (١) ، فشرى

(١) أي : ختانة .

بها عِجْلَة [1] ، فنتجت لـه عشرين بطنـاً، فنتجت تلك البقر ونمـت، فبـاع منها ما لا يحصى، واشترى منهن الأموال الجزيلة ، وعاش من أيسر أهل زمانه ، فينبغي لكل إنسان مهما رأى رزقه اتسع من شيء ، أن لا يتركه وقد خص به دون غيره .

وحدثني واحداً بعد واحد : أن أميراً للعجم معه أربعمائـة سرية ، ثم مات وترك ثمانين ابناً ومائة وعشرين ابنـة ، فأخذ ملكـه من بعده ابن أخيـه ، وأولاده لـم تـنفعهم كثرتهم ، وقلـع عيونـهم اليمنـى ، فـاعتبروا يـا أولي الأبصار ، والصلاة والسلام على النبي المختار ، وعلـى آلـه وصحبه الأبرار .



---

(١) أي : بقرة بكـر .

الذكر الثامن والعشرون :

فيه ذكر الزلزلة ، وزيارة المريض ، والصلاة على الميت ، ومعرفة الأوقات لأول الصلوات ، وذكر الفضائل لها ، وعلامة القدم

توثيق لزلزال وقع في شهر صفر ١٢٥٢هـ :

قال ذو الغبراء : سرت يوماً إلى زيارة الصاحب، فرأيته حزيناً كئيباً من الزلزلة التي رجفت الأرض منها، في ساعة القمر من ليلة الأربعاء في ليلة النصف من شهر صفر من شهور سنة اثنتين وخمسين سنة ومائتي سنة وألف، الميزان والقمر في برج القوس، قال: فيدل على أن النصارى تظهر على برّ العرب، ثم تلتها رجفة أخرى، وقت صلاة الظهر من يوم الأحد نهار تسع عشرة من شهر صفر، وعقبت بعد ذلك ريح وسيل شديد ، في ليلة السبت خمس وعشرين من صفر ، وصباح السبت ، ذهبت الأموال والأنفس والخيام في البر ، وفي البحر تكسرت السفن .

قلت له: أخبرني عن الرجفة متى تدل على السعود، قال: أما إذا سمعت الرجفة فكله يدل في إقباله على النحوس، إلا نصف النهار الأول من يوم الأربعاء ونصف النهار الآخر من يوم الخميس، فإنها تدل على إقبال الخير، والليل كله يدل على الخير والسرور، إلا ليلة الأربعاء والنصف الأول من ليلة الخميس والنصف الآخر من ليلة السبت، فهذه تدل على إقبال الهموم، ولكن الرجفة محددة في الأشهر بالتي يقع ويصح

في الأرض، فاطلبه من الأثر، وهذا كتابنا مختصر.

من آداب زيارة المريض :

ثم وصل مع صاحبي رجل وأعلمه بأن أحد إخوانه مريض، فقام من مجلسه، وصحبته فوجدنا المريض في سكرات الموت، فأمرنا الصاحب أن نقرأ سورة يس والقرآن الحكيم إلى آخرها، فخفف الله عنه المرض، وسأله صاحبي عن شدة مرضه فقال يكفيك منظري عن مخبري، فمات من ساعته وقت الزوال، فغسله وحنطه، وصلى عليه وفي رجليه نعليه من شدة الحر.

أحكام الصلاة :

قلت له: والصلاة على الميت فيها كراهية في شيء من الساعات؟، قال: لا تجوز الصلاة إذا طلع قرن من الشمس حتى تستكمل، وكذلك إذا غرب قرن منها حتى تغرب كلها، وفي الحر إذا كانت الشمس في كبد السماء، فهذه الأوقات التي لا تجوز الصلاة فيها، وأما دفن الميت فجائز في كل الأوقات.

قلت له: وما حدود الصلوات الخمس؟، قال: أما صلاة الظهر فأول وقتها مهما انفرك قرص الشمس عن كبد السماء فذلك أول وقتها، وآخره وقتها إذا كان القرص في الجبين ما بين العينين، إذا كنت مستقبلا إلى الغرب في زمن الحر، وفي الشتاء إذا شاع قرص الشمس على العين اليسرى، فقد انقضى وقت الظهر ودخل أول وقت صلاة العصر، وآخر وقتها إلى أن يغرب قرن من الشمس، وصلاة المغرب فأول وقتها مذ

تزول الحمرة من محاجير السماء ويسود كبد السماء، وآخر وقتها غروب الشفق من المغرب، فحينئذ يدخل وقت صلاة عشاء الآخرة، وآخر وقتها إلى نصف الليل، وقيل: إلى ثلث الليل للمسافر، وصلاة الفجر فأول وقتها طلوع خيط الأبيض المعترض في المشرق لا كالمرتفع، وآخر وقتها حتى يطلع قرن من الشمس، فإذا طلع قرن وأنت في الصلاة قف حتى يتكامل في الطلوع قرص الشمس، فأتم صلاتك.

قلت له: وما أجر صلاة الجماعة ؟ قال: إذا كان اثنان وصليا جماعة فصلاتهما عن أربعين صلاة، وإذا كانوا ثلاثة فعن ثمانين صلاة، وإذا كانوا أربعة فعن مائة وستين صلاة، وإذا كانوا خمسة فعن ثلاثمائة وعشرين صلاة، وإذا كانوا ستة فعن ستمائة وأربعين صلاة، وإذا كانوا سبعة فعن ثمانين ومائتين وألف صلاة، وإذا كانوا ثمانية فعن ستين وخمسمائة وألفين صلاة، وإذا كانوا تسعة فعن عشرين ومائة وخمسمائة ألف صلاة، وإذا كانوا عشرة فعن أربعين ومائتين وعشرة آلاف صلاة، فكلما زاد أحد في الجماعة، زاد ضعف الأجر للصلاة، وأما إمام الجماعة فأجره كأجر جميع من صلى خلفه، ولكن ينبغي للذي يتقدم على الجماعة أن يكون أعلمهم وأفصحهم لساناً، وأورعهم وأصحهم جسماً، وأبعدهم للخلاء، وأفضلهم لباساً، وأن لا يكون عجولاً ولا متمهلاً، ولا في القراءة مطولاً ويننتظر أصحابه إلى ثلث الوقت، إلا من اتخذ منهم ذلك عادة، والجماعة ينتظرون الإمام إلى ثلثي الوقت.

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : من صلى صلاة الصبح جماعة خير أن يقيم الليل ولم يحضر لصلاة الجماعة، وأما إذا بدت حاجة

للجماعة وشق عليهم الوقوف فيقدموا أحداً للصلاة ويتأخر عن المحراب للصلاة، فإذا جاء الإمام صلى بالذي حضر على المحراب، وجائز للإمام أن يصلي وحده جماعة إذا كان قائما في المسجد للصلوات الخمس، ويجهر بالذي يجهر به الإمام فإن جاء أحد من الجماعة فليكن على يمينه، ويصف قدميه بأطراف قدم الإمام ويكون سجوده محاذياً منكب الإمام، ويقول في نيته: أصلي ما أدركت بصلاة الإمام وأؤدي ما فاتني، وأما إذا كان الإمام واقفا للجماعة، والذين حضروا معه قد شغلهم شاغل فليُصل بمن حضر معه.

والوقوف في المسجد لانتظار الصلاة مهر الحور العين؛ لأن الصلاة فضلها عظيم، وفرض الله لهم في كل يوم وليلة خمس صلوات، ثم ألحق لهم صلاة الوتر، وقيل: إنها فرض، وأكثر القول: إنها سُنَّة، وسنّ رسول الله السنن، لصلاة الظهر ركعتين، ولصلاة المغرب ركعتين، ولصلاة العشاء الآخرة ركعتين، وقبل صلاة الفجر ركعتين، وسن صلاة الميت، وصلاة العيدين، وصلاة خسوف القمر، وكسوف الشمس، وزاد الصحابة والتابعون لهم صلاة الضحى، والطاعات، والنوافل، وقيام شهر رمضان، اجتهاداً منهم لمرضاة ربهم، ثم حرصوا على الجماعة في الحضر والسفر، وفي قيام شهر رمضان، وصلاة الضحى، وصلاة الميت، والأعياد، والوتر في رمضان، وخسوف القمر، وصلاة الاستسقاء، فلا ينبغي للإنسان أن يخالف الذين سبقوه بالفضل والإحسان ، والله (عز وجل) يقول : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [1] ، وعلى الإنسان

(١) سورة المائدة : ٢ .

الاجتهاد في أعمال البر، وجعلها لله لا للرياء والإعجاب، ولا يكون كالرجل الذي يرائي بعمله ويتمنى على الله الثواب، فنودي: عمل كالسراب، وقلب من التوفيق خراب، وذنوب بعدد الرمل والتراب، وتطمع في الكواعب الأتراب، هيهات هيهات يا كذّاب، أنت سكران بغير شراب، وأنت في المحراب، وسمعك في الباب، وتظن أنك من جملة الأحباب، لا لا يا كذّاب، لا تطمع في المقاصير مع التواني والتقصير، فما أنت في الأمور ببصير.

وينبغي للإنسان إذا سمع الأذان فلا يشتغل بشيء، ويقصد المسجد، ويصغّر الخطا، فله بكل خطوة حسنة، ثم يقصد في إراقة البول والغائط، خوف أن يشغله الاحتقان في صلاته فإذا قضى حاجته من النجو يقصد إلى الطهارة والله يحب المتطهرين، وليأخذ حذره لئلا تلحق ثيابه النجاسة أو يلحقه رش الماء مع الطهارة في ثيابه، خاصة إذا كان من بلولة[1] حوض فينبغي له أن يدير الحوض مع التطهر، ويكون دبره مقابلاً للبلولة، فإذا تطهر يغسل فخذيه ورجليه إذا كان من حوض، ثم يجتهد لتأدية الفرض مع وضوئه؛ لقول ربنا : ﴿ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ ... ﴾[2]... ألخ الآية .

فإذا دخلت المسجد ادخل رجلك اليمنى أولاً، وسلّم على من حضر، وأما إن رأيتهم يصلون فلا تسلم على المصلي وسلّم على نفسك، وقل بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى أولياء الله، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، والحمد لله رب العالمين، وكذلك

---

(١) أي : مايخرج منه الماء من ماسورة أو نحوها .
(٢) سورة المائدة : ٦ .

إذا دخلت بيتك ، فسلّم على نفسك ؛ لقولـه تعالى : ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [1] والأفضل في صلاة الجماعة الصف الأول، والجانب الأيمن منه أفضل، ثم الصف الثاني، وإذا شغله شاغل الإنسان، وجاء إلى المسجد ورأى الناس يصلون الجماعة فليصل ما أدرك، ولو أدرك الركوع الآخر فقد أدرك الجماعة، وليؤدِّ ما فاته ولا يقف عن ذلك؛ لئلا يفوته الأجر، وهو حاضر.

وينبغي للإمام والمأمومين أن يتعلموا حدود الصلاة، حتى يعرفوا فروضها من سننها، وكذلك ما ينقض الوضوء وما لا ينقضه، وما ينقض الصلاة، ولا يكون الإنسان كالبهيمة، وينبغي أن يكف نظره عن جميع المحارم بالذي لا يجوز له النظر، وأما الذي يجوز له النظر من العورات فلا ينقض عليه ما لم يمسه بيده، وأما النساء الأجنبيات فلا يجوز له النظر إلا إلى الوجه والكفين ما لم يكن لشهوة.

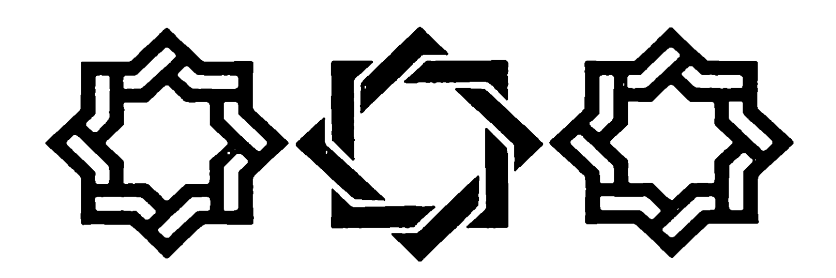
الدلالة ومعرفة الشخص من قدَمه :

وأما القدم ففيه علم خفي في ظاهره؛ فإذا رأيت القدم فيه حمرة فإن الإنسان فيه حمرة، وإن لم يكن فيه فلا يكون للإنسان، وإن رأيت الحفوة عريضة مليّة فإن الإنسان له صدر، وإن رأيت القدم عريضاً ملياً من اللحم فإنه يدل على العجز ملياً، وإن رأيت الأصابع طوالاً، فإنه يدل على طول القامة، وإن رأيت الأظفار طوالاً حسنة فإنه يدل على طول الوجه، وعرض الظفر لعرض الوجه، وإن رأيت الخط أبيض فإنه يدل على بياض الإنسان، والخضرة للخضرة، والصفرة للصفرة، والحمرة

---

(١) سورة النور : ٦١ .

للحمرة، والسواد للسواد، وإن رأيت القدم طويلاً فإنه يدل على طول قامة الإنسان، وإن كان القدم قصيراً فيدل على أن الإنسان قصير، والنظرة تزرع الشهوة في القلب، وإبليس يقول: النظرة سهمي الذي لا أخطئ به، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: تركنا سبعين باباً من الحلال خوفاً عن الشبهة والحرام، وقيل (دع ما [1] يريبك إلى ما لا يريبك)، وكفى المؤمنين قدوة لمن طلب السلامة، والصلاة والسلام على رسول الأمة، وعلى الصحابة والتابعين لهم إلى يوم القيامة .



(١) في الأصل : بالذي .

الذكر التاسع والعشرون :

في البصور والحروز وما يجوز وما لا يجوز ، ومما ينبغي للكاتب ، وفيه قصتان من رؤيا رجلين من أهل الاستقامة في الدين

قال ذو الغبراء : لاح في قلبي أن أسأل صاحبي عن أجرة كتابة الحروز ، أهي حلال أم لا ؟ حتى أقبل علينا في مجلسنا رجل وعليه لباس الفقراء ، فسأل عن البصور ، وأجرة كتابة الحروز والمحو .

فأجابه صاحبي فقال له : أما جواب مسائلك فبعض منها فيه الجواز، فمثلاً إن جاءك إنسان وقال لك أريد كتابة حرز كذا وكذا وقاطعته بالأجرة على كتابته فهذا جائز في قول المسلمين، وإن قال لك: اكتب لي حرز البركة والرزق أو لألفة أو لفرقة أو لإقبال أو لإدبار وأمثال هذا فينبغي أن يكون الكاتب عارفاً بالذي يفيد الطالب لما طلبه منه من العلم مما أمكن فجاز.

ومن ذلك إذا صار مثل الذي وجدنا له معرفة في هذا الفن ومعرفة شروطه وسألناه عن بعض طروقه النافعة وشروطها، قال: فالأول أن يكون الكاتب طاهر الثوب والبدن حاضر القلب معتزلا في الخلوة والبخورات الطيبة كالعود والعنبر في حال الكتابة، وللخير يكتب للذكر الطالب في ساعة سعيدة ويوم سعيد والطالع ورب الطالع مسعودان والقمر في المنازل السعيدة ومتصلاً بالسعود ويكون سالم من نظر النحوس والاحتراق والهبوط والوبال وفي النصف الأول من الشهر وفي

النصف الأول من النهار وفي ساعة ذكر والمداد طاهر والحروف لا ناقصة ولا زائدة ولا متشابهة ولا متلاحقة ولا دامغة، ويكتب اليوم وربها وما لها،ويكتب من آي القرآن وأسماء الله، ويستعين بملكها العلوي على السفلي ويسأل السفلي أن يسخر له خادماً من أصحابه يكون مساعداً له في أمره، وليمازج بين الاسمين ويعرف حروف الجاذبة والمجذوبة ثم يجعلهما بعد جمعه لها وفقاً ثلاثياً أو رباعياً ويخرج ميزانهما ويعرف ما بقي في يده من الكسر ويجعله في بيوت الكسر ويعزم عليه ثم يجعل المكتوب إن كان صاحبه برجه نارياً ففي قرب النار، وإن كان برجه ترابياً فيدفن المكتوب في الأرض، وإن كان برجه رياحياً فيعلقه في الهواء تضربه الريح وهذا أبلغ للطالب، وإن كان برجه مائياً فيجعله في الماء، ثم يكتب في نحس المطلوب كما كتب للطالب، وإن كان للفرقة أو للعداوة فيكتب الكاتب في ساعة نحسه وفي يوم نحسه وبرج المطلوب منحوس والقمر متصل بالنحوس في محاقه وفي آخر الشهر وآخر النهار والبخورات المكروهة كالخيل والمقل والمر والحنظل وللذكر في ساعة ذكر وللأنثى في ساعة أنثى.

فمن وقف على هذه الشروط وأخذ أجرة على كتابة الحرز أو غيره فحلال له ، ولو أعطي ألف حرف لكان الرابح الذي كُتب له، والله يقول : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) ، وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " شفاءُ أمتي في ثلاثٍ لعقةٍ من عسلٍ أو شَرْطةِ محجمٍ أوآيةٍ من كتابِ اللهِ " ، والمسلمون عظّموا كتاب الله؛ فلا يقرأهُ جنب ولا حائض ولا نفساء ولا يحملوه، فكيف تكتبه الفسَقة فلا يصح عملهم أبدا؛ لأن المؤمن ممنوع إذا كان نجساً، وهذه الشروط التي

---

(١) سورة الإسراء : ٨٢ .

ذكرناها لا تصح أعمالها في كل الأوقات، وإن بانت براهين لإنسان فليس هي من الكتابة؛ لأن كثيراً من الأمور يبلغ فيها الإرادة الطالب من غير كتابة، كما حكي لنا عن امرأة سارت مع رجل عارف تريد منه أن يكتب لها حتى يخضع لها بعلها، فقال الرجل معجزة للمرأة: آتني بشعر من ضبع تكون حية لا بها علة فقصدت المرأة إلى تدبير الضبع وجعلت تجلبها بالروائح في النار وتجعل لها طعاماً فاقبلت الضبع بالمرأة ثم أخذت جازاً وقصت به من شعرها وجاءت مسرعة للرجل وأعطته الشعر، وقالت له: أريد المطلوب، فقال الرجل: أيها المرأة قدرت على مؤالفة الضبع مالك لا تصنعي المعروف لزوجك وأنت وإياه بالليل والنهار في مقام واحد، فقالت له: إن قلب الإنسان أشد قسوة من الحجارة، قال لها: صحيح لكن هذا في غير ما أردتيه والرجال تغالب النساء، فخذيه باللطف والإحسان فامتثلت الأمر وطاوعها بعلها في النهي والأمر .

رجع : قال لذي الغبراء : وإن لم يتفق للعامل مثال ليس له سر غيره؟، قال ذو الغبراء: له سر ولكنه مكتوم عن عامة الخلق، فمن قرأ البرهتية الصحيحة الذي هي أربع وعشرون كلمة بعدما يكتب الوفق ويتلوها بالليل بعدما تنام الأعين كل ليلة خمس وأربعين شرفاً وسأل مولاه حاجته فإنها تقضى إن شاء الله، قال الله : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ (١) وقال : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٢) وقال : ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (٣) ، ولكنها لا تصح الأعمال إلا بكتمان السر، وهذه البرهتية برهتيةٍ كريةٍ تفليةٍ طورانٍ مزحلٍ بزحلٍ ترقبٍ يرهشٍ

(١) سورة الأعراف : ١٨٠ .
(٢) سورة غافر : ٦٠ .
(٣) سورة البقرة : ١٨٦ .

غلمشٍ خوطيرٍ فلتهودٍ برشانٍ نموشلخ يرهيولا كخطير شكليخ فزمز انفلٍ ليطٍ قيراطٍ كيد هولاءٍ شمخاهير شمهاهير ....

وأما الذي يبصر بغير معرفة ويكتب حروزاً من غير نظر أهل العلم والبصر، مراده أكل أموال الناس فجميع ما أخذه حرام وعليه رده إلى أصحابه، ولو قال لهم لا أعرف إلا أني أبصر فهذا كلامه مثل الذي رمى حباً للطير في الطريق وجعل فيه سماً فجاءت دواب المسلمين فأكلت الحب وماتت فعليه ثمنها لازم؛ لأنه معروف أن السم مهلك، وأما المحو فجوازه أقرب إن أخذ أجرة في عناه، ولكن من شروطه أن يكون الكاتب طاهر الثوب والبدن والمداد والإناء يكون من الإزورد الصيني الأبيض النقي من النقوشات والصبوغات والفصود، ويكتب الحروف نثراً لا دمغة فيها ولا زيادة ولا ناقصة ولا متشابهة، كل حرف بوزنه، ولا يقرأه أحد بعد ما كتب إلا أن يعطى ولا يمحوه بيده بل إنه يمحوه بعود القصب أو بعرق المتك، وللأنثى يمحوه بخوصه الفحل الذي لم يثمر، وأما الذي كتب المحو للرجال فيمحى بخوصة مزناج أو أزاد الذي لم يثمر بعدهما، وإذا أراد شربه فليقرأ شيء من أسماء الله العظيمة، وعليك بحسن النية ولا يدخل في قلبك وهم كالرجل الذي نزل الألم وسأل أحداً من أهل العلم وكتب له حرزاً وجعله في كمته فبرئ من دائه، فكشف الحرز فنظر مكتوباً بسم الله الرحمن الرحيم، فقال في نفسه أنا أعرف أكتب هذا فخازه ثم راجعه الألم في رأسه وكتب لنفسه فلم ينفعه، فقصد مع صاحبه الأول فأخبره أن الحرز الذي تفضلت علي به ذهب فرجع الألم كما كان فكتب له وبرئ فكشفه فإذا هو كالأول، فدمره وعاوده الوجع ورجع إلى صاحبه، وقال له: سرقت علي الكمة ورجع الألم فالساعة لا أفيق من الوجع، فقال الكاتب

لعلك كشفت الحرز لتنظر ما فيه؟، قال: نعم كشفته وقرأته، قال: فأكتب لك حرزاً ولا تراجعني بعد هذا أبدا فكتب لـه فـأبرأه الله ومكث زمانـاً صحيحاً، فكشفه فإذا به مثل الأول ورمى به في الأرض، ثم طاح في فراشـه ومـات من علته فحل به عذاب الأدنى دون العذاب الأكبر الله أكبر.

وعند بادية الجنبة خادم يسمى ياقوت حسن الصورة معتدل القامـة إباضـي حسـن السيرة ومولاه وعشيرة مولاه من مذهب أهل السنة ولـم يستطيعوا أن يدخلوه فـي مذهبهم، وجاء معهم عـالم فاضل سني وأرادوا منه أن يذهب إلى الخـادم وهو قد لـزم البادية فذهب إليـه، ولـم يزل يعظـه يريد أن يدخلـه فـي مذهب السـني ولـيس للخـادم علم يجيبـه بـه حتى جُنَّ عليهما الليل ورقد فرأى نفسه مستلقياً على ظهره في نومه، فيجول نظره إلى السماء والقمر بكبد السماء تام النور وانشق القمر ونزل منه ملك بين يديه فسلّم عليه، فقال له: اقعد وهات يمينك فمد إليـه يمينـه وقـال لـه: هذا كتاب لك من ربك وأعطاه إياه بيمينه في يمينـه ثم ذهب إلـى العـالم السني ووكزه برجلـه فـي رأسـه، وقـال لـه: قـم فصـاح بـالغم وقـال لـه: هذا جزاء أعداء الله تريد أن تخرج الرجل من نـور الله إلـى ظلماتك الفاسدة ثم أخذ شماله وكفها إلى ورائه وقال له هذا كتاب لك من ربك فـي شـمالك وعرج الملك إلى السماء واستيقظ ، وفي سنة جرى عليه مثل هذا من عالم زاهد سني أرسلوه إليه مواليه في البادية، ولـم يـزل يعظـه كذلك حتى نـام فـرأى القمر كأنه انشق ونزلت منه حورية بين يديه، وقالت له: قم نسلي قلوبنـا بعضنا ببعض والعالم نـائم وخرجت قطعة نـار وفـي الصورة كأنـهـا عقرب مثل الكبش ولدغت ذلك العالم في أم رأسه .

.... [1] وعبد مملوك أمي بدوي علموه مواليه الصلاة والصيام واجتهد ليقلب مذهبه فرموه مواليه بالعداوة حتى خاف على نفسه وأيقظ العبد من نومه فسلم عليه فأعطاه في يده اليمنى طيراً مشوياً ولم ير العبد في الطير تذكية فردت إلى الطير روحه وأفلته الخادم من يده فطار ثم نظر الخادم الرجل الذي نزل من السماء قصد إلى الرجل النائم الذي هو مخالف لمذهب الخادم فركله برجله ونهض من نومه ووقف وراء ظهره فأعطاه في يده اليسرى شيئاً ثم صعد إلى السماء ودخل من الباب وقفله فنهض الخادم من نومه وفكر في رؤيته فقال : الحمد لله الذي هداني وبيَّن لي مذهبي في نومي فأخلص لله نيته .

وقال : ولو أن أهل الأرض خالفوا مذهبي لما اهتديت بهم ، وكان رجل من الشيعة في زماننا يسمى حاج موسى .... [2] ، عمر والإمام ناصر بن مرشد وأبو نبهان جاعد بن خميس، قال : إن مثل هؤلاء من الذين حكى الله عنهم : إن من عبادي من يمشون بنوره فلا يزالون يتقربون إليّ بالنوافل حتى أكون سمعهم الذي يسمعون به وبصرهم الذي يبصرون به، ولسانهم التي ينطقون بها، ويدهم التي يبطشون بها، قيل له: ما سبب ولايتك لأبي بكر وعمر؟، قال: إني قرأت استخارة أن يريني الله ما يحبه لي من اعتقادي في أبي بكر وعمر في منامي وإني لا أخالفه تعالى، فرأيت كأني واقف بباب مسجد رسول الله استأذنه الدخول برسول كان عند الباب فسمعته يقول للرسول: لا يدخل علينا فهذا هو الذي يؤذيني في صاحبي فرجع الرسول بهذا الكلام، فقلت : أنا جئت أناظره معتقداً طاعته ، فقال (صلى الله عليه وسلم): على صحة هذا الشرط يدخل علينا ؛

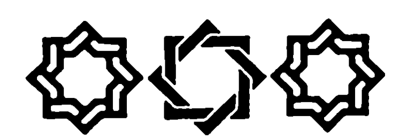
---

(١) نقص في بداية صفحة رقم : ٢٨٥ .

(٢) نقص في الأصل ، واحتمال أن يكون النقص حسب السياق : (يتولى أبو بكر و) .

فدخلت ، فرأيت أبابكر عن يمينه وعمر بن الخطاب عن يساره وعلي بن أبي طالب قبالة وجهه وسعد بين علي بن أبي طالب وأبي بكر معتزلاً عنهما قريباً إلى أبي بكر في الجهة والصف؛ فقال (صلى الله عليه وسلم):أنت الذي تؤذيني في صاحباي هذين؟ فقلت: أنا جئت أناظرك معتقدا طاعتك، فقال: هذان أبو بكر وعمر صاحبي ويكفيك ما نظرت وسمعت مني، ثم انتبهت واعتقدت ولايتهما لأن رؤية الرسول حق باتفاق جميع الأمة لا يدخلها خلل .

وهذه الرؤيا صحيحة لأن إبليس اللعين عالم، واليهود والنصارى والمجوس وأهل الخلاف علماء، ولكن العقيدة هي الحجة، والدجالون ضلوا وأضلوا كثيراً من في الأرض فأطاعوهم الفرسان والشجعان ونشروا في الأرض جيوشهم فسفكوا الدماء وظلموا الإسلام فاستدانت لهم الناس بالتقية وقيل: لولا الاستغفار والتوبة والتقية وإلا هلكت البرية، ثم طغوا في الأرض وحق عليهم القول من قوم ضعفاء هجموا عليهم بسيوف راجلين، وأهل الظلم راكبون فولوا مدبرين ومقتولين قد خسروا الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين وذهب من الدنيا الدجال، ثم أدار الله الفلك واستقوى زحل فانتشا دجال آخر وأحيا البدع فاقتفى بأسلافه، ووصل الدار الموصولة سابقاً فأعز الله الفئة القليلة وأهلك الظلَمَة وذهب الفسَقَة ، فأراح الله المسلمين ، والحمد لله رب العالمين .



الذكر الثلاثون :

فيه أدلة من الفلك للبراهين المنيرة لإمام الأمة، وفي حدود مكة، وفيه دلائل لعقيدة الأئمة، وفي من رزق السمعة للدنيا والآخرة

قال ذو الغبراء: سألت صاحبي عن عدم وجود الأئمة وقلة الجهاد في الأمة وتملك العباد من الظلمة، وقد آيس أهل الاستقامة، قال: اسمع وع أما تفكر في الأمم والأنبياء والرسل الذين تقدموا فمضت عليهم الأيام والسنون وهم في فترة حتى أدار الله الفلك بالسعد للمطيعين فجعل منهم الأنبياء والمرسلين والأحبار والرهبان ومن بهداهم الأئمة في الدين والعلماء والمتقين، لأن كل دولة لها وقت فيه تبتدي، وغاية إليها ترتقي، وحد إليها ينتهي، فإذا نالت إلى أقصى غاياتها...... [1] .

وجعل يوم تقوى هذه الدولة تضعف الدولة الأخرى، فانظر إلى جريان الزمان بالليل والنهار وفصل الشتاء والربيع والصيف والخريف، وجعل لكل واحد من الطبائع الأربعة واحد، ثم انظر في خلق[2] بني آدم وغيرهم فأصلهم من عدم فصاروا إلى وجود، فأولهم في الرحم في ظلمات ثلاث، ثم جعلهم أطفالاً وكهولاً وشيوخاً وهم لا يدرون بتقلب أحوالهم، وكذلك الدول[3] وتقلب حالاتها فتارة لأهل الخير وتارة لأهل الشر، وقد نراها تناهت دولة أهل الشر وظهرت قوتهم وأفعالهم في جميع الأمصار

(١) نقص في الأصل .
(٢) في الأصل : أخلاق .
(٣) في الأصل : الدولات .

التي مصرها أمير المؤمنين عُمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وليس بعد التناهي إلا النقصان ، وقد رأينا الكواكب السيارة ومناظراتها لبعضها من الأماكن السعيدة وكذلك النجوم ومهاواتها لها دلائل لإصلاح المسلمين في المقبلات من السنين .

واعلم أن دولة أهل الخير تبدأ من قوم عُلماء فضلاء حُكماء ، فيجتمعون على رأي واحد ، ودين ومذهب واحد ، ويكون بينهم عهد وميثاق ، أن لا يتجادلوا ولا يتقاعدوا عن نصر بعضهم ، ويكون تدبيرهم كرجل واحد ، ويختاروا رجلاً لأمر المُسلمين ، ومما نراه أن يبدأ الصلاح والعدل في عُمان ، لأنه قيل : من أعيته المكاسب فليأتِ عُمان ، عُمان بلاد الأمان ، لا ظلم فيها ولا جور ، ويُوشك في آخر الزمان ، أن ينتقل الناس إليها ، لأمان أهلها فيها ؛ ومن أحب أن يسكن عُمان فليسكن ، فإن فيها القنوع والرضا باليسير ؛ وسُمِع عبد الله بن سلمة[1] يُودع رجلاً فقال له : أين تريد ؟ قال : عُمان ؛ قال : فالحق فيها يا ابن أخي ، فإن بها أمان الليل وأمان النهار ، ويُوشك أن ينتقل الناس إليها في آخر الزمان من جور السُلطان ، وأعوان الظلمة ، وأحطاط النبط ؛ وعن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، أنه قال : يُوشك أن تكفر أمتي ، ويلي عليهم أعوان الظلمة في البلدان ، فيلتجئ الناس إلى عُمان ، وإن عُمان في ذلك الزمان ...... وعند اقتراب الساعة يُعمر خرابها ، ويكثر سُكانها ، وتضيق بها أمتي ، حتى يُباع مربض الشاة ، ومقعد الرجل بعشرة دنانير أو عشرين ديناراً ، فلا يقدر على ذلك ، لما يكثر فيها من الناس ، وكذا فيها الأرزاق ، ويأمنُ فيها الناس بأوسع الأمان ، آمن ليلهم ، طيب نهارهم ، ينصح باحته ، تأتيهم أرزاقهم من بحرهم .

---

(١) في الأصل : عبد الله بن سلمة ، سمعه يُودع رجلاً .

وسألت الشيخ ناصر بن جاعد عن السلطان الذي يجب طاعته على المسلمين ما صفته؟ قال: إذا عدل في ملكه وجعل في حصونه وحكمه الثقات والأمناء وجعل نفسه للمسلمين كواحد منهم، وجبت طاعته فإن عصبوه أو نصبوه إماماً ليدفع عنهم أعداءهم فجائز لهم ذلك، وإن قصّر عن هذه الخصال، فلا يجاب في أمره إلا إذا هجم عليهم من أظلم منه للناس، وأشد قوة فجائز لهم إعانته على خصمه الذي هو أكثر فسادا، قلت له: وإن عدل السلطان في ملكه ودعا بأناس من أهل الورع في غير ملكه وفي دارهم الفساد والسلطان الذي تولاهم جائر عليهم أتلزمهم طاعته ؟ قال: إذا خافوا على أنفسهم وأموالهم من سلطانهم، فلا يلزمهم. قلت له: أيلزمه هو؟ قال: إذا كانت له قدرة بالمال والرجال أعانهم وإن لم يكن له قدرة إلا بذهاب الأموال والأنفس فلا يلزمه ذلك، قلت له: وإن عدل السلطان وجعل الأمناء في جميع ملكه وأراد أن يولي رجلاً أميناً في شيء من حصونه فامتنع عن ذلك أيجبره على ذلك ....(١)

قال ذو الغبراء: ينبغي للإمام أن يكون عالماً لما يسع جهله وما لا يسع جهله، ويكون ورعاً شجاعاً نبيهاً خاضعاً للمسلمين، هموماً غيوراً في أمره وأمر المسلمين، كارهاً للباطل وأهله، يحب أن يكون الأمر في أيدي الثقات لا عند أقاربه، وان يكون كريماً شريفاً سالماً من الدنس والتجهم والتعسف، لا يعطي النفس هواها، يحب لنفسه ما يراه المسلمون له صلاحاً، قلت له : ....(٢)

وقول المسلمين: اتبع الحق ممن جاءك به ولو كانت أمَةً، قال: لا نخالف قول ربنا ولكن في هذا المعنى بينه لنا قال: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ

---

(١) نقص في الأصل .

(٢) نقص في الأصل .

عَلَى بَعْضٍ ﴾[1] ، أما تنظر في الأشهر شهر رمضان، وفي الأيام الجمعة، وفي الكواكب الشمس، وفي المساجد الكعبة، وفي الملائكة جبريل، وفي الأنبياء والرسل محمد، وجعله من العرب ومن سادات مكة، ومن البقعة المباركة التي هي سيدة الأرض، وحرّم فيها قتل الصيد وقلع الشجر الأخضر، ومن دخلها كان لآمنا، فقد جمع الله فيه الخصال المحمودة، وكذلك الذين تقدموا من الأنبياء والرسل ليس فيهم تدنيس. والذين من بعده من الصحابة وتابعيهم وتابعي تابعيهم ما اجتمعوا على إمام إلا وهو من أشرافهم وهكذا خلف عن سلف إلى يومنا هذا فنحن بهم نقتدي وبهم نهتدي.

قلت له: صف لي حدود هذه البقعة المباركة، قال : فحد الحرم فيه إشارة عن قومنا وهم أعلم به؛ لأنه من قربهم ، وقال الشاعر :

وللحرم التحديدُ من أرض طيبةٍ	ثلاثةُ أميال إذا رمتَ إتقانَهْ
وستةُ أميال عراقُ وطائفٌ	وجدةُ عشرٌ ثمَ تسعٌ جعرانَهْ
ومن يمنٍ سبعٌ بتقديمِ سيتِها	فقد كملتْ، واشكر لربكَ إحسانَهْ

قال غيره تفسيراً للأبيات في ذكر الميل :

إن البريدَ من الفراسخ أربعٌ	والفرسخُ فثلاث أميال ضعوا
والميل ألف أي من الباعاتِ قلْ	والباعُ أربعُ أذرع تتبعُ
ثمَّ الذرَاع من الأصابع أربعٌ	من بعدِها عشرينَ ثمَّ الأصبعُ
كالستِ من حبِّ الشعير، وحبةٍ	كالستٌ من شعر البراذين فعوا

---

(١) سورة النحل : ٧١ .

قال : ومما ينبغي للعلماء أن يعتبروا أولاد الملوك فإن أعجبهم منهم أحد فيعلموه في أدب الملوك ويرغبوه في منازل الأئمة، ويسلكوه على طريق رشده في حال صغره، فإنه يسهل عليهم الأمر وكل شيء من خلق الله فيما عود اعتاد، فانظر إلى البهائم أمام كل ما أدب في حال ما يطيق الأدب والحمل أسهل إلى المؤدب واستطاع له، وكذلك هذا نراه أطوع فإذا بلغ الحلم عقدوا له بالإمامة العلماء وحاذاه أهل الورع عن يمينه وشماله فإذا ثبت على التطبع في الأمر والنهي فنعم المطلوب منه، وإن غيّر فعلى نفسه وليس على المحسنين من سبيل، قال: وينبغي إن وجد مع عقدة[1] الإمام رجل فلكي كان أحسن؛ لأن في رأيه وعلمه دلالة وراحة.

وهاك بياناً : اجتمع العلماء ومن معهم من المسلمين على بيعة إمام لهم وبمحضرهم رجل فلكي فنهاهم عن تلك الساعة فلم يلتفتوا إلى قوله ثم بعد أيام جاء عالم الشريعة مع الفلكي فقال له: لِمَ قلت بالوقوف عن عقد الإمامة؟ فقال له: أنت أعلم مما يصلح من الدنيا والآخرة والفلك فيه بيان لإصلاح الدنيا وسلامة الأنفس، وهذا إمامكم يثبت في إمامته سبعة أشهر ثم يقتله هو وأصحابه الجبابرة المتمردون ويأخذوا أموالهم ويسبون نساءهم .

فمشى عنه وأرخ قول الفلكي فصح قوله فأعجبهم رأيه، وسألوه في عقدة إمام آخر فقال لهم: ثلاث سنين وقوفكم عن عقدة الإمام وهو يحسب في أمره فوفق الأيام والمنازل والساعة والبروج وأربابها في

---

(١) في الأصل : عقيدة .

الثوابت جعلها للإمام والبروج المتقلبات وأربابها في السواقط المتقلبات جعلها للخصيم وأمرهم بالاجتماع في ليل مظلم قد مضى منه ثمان ساعات فعقدوا على إمامهم، وعلم العدو بذلك فأقبل عليهم بجيشه فوصل المسلمون مع الإمام الذين بعدت بلدانهم عن مواطنه، وقربت إلى مواطن العدو وهم يريدون النصر من الإمام والفلكي حاضر في مجلسهم، فأمرهم بالتقية للعدو في تلك الأيام فأقبل العدو إلى قرب بلد الإمام وكتب للإمام إن كنت تريد السلامة منا فاخرج نفسك وأصحابك عن حصننا.

فأشار الفلكي على الإمام أن يجيب العدو بتأجيل ثلاثة أيام لأنها للإمام نحسات، ثم جمع الإمام أصحابه بعد انقضاء الأجل فكتب للعدو وما بيني وبينكم إلا القتال حتى تطيعوا الله ورسوله وإمام المسلمين، ثم ثور هو وأصحابه مدبرين عن القوم ومراده سلامة أصحابه الذين في صحبة الجبابرة بالتقية وجعل أمره حيلة فيه لهلاك عدوه بارتفاعهم عن ديارهم ثم أحال الإمام قومه إلى بلدان الجبابرة فقتل رجالهم وهدم بيوتهم وخشى أموالهم وهم لا يشعرون به حتى سمعوا بعد ذلك فثاروا ولم يلتفتوا لبعضهم فلاقاهم الإمام متشتتاً شملهم بالحديد حتى أخذلهم الله، وأطاعوا له وظهر الإسلام والعدل وأمات الله الباطل وأهله، وكل هذا سبب من الله وثم بتدبير الفلكي، فمثل هذا الفلكي جائزة له العطية والهدية والفريضة لمن أراد من عنده بصر لحوائج الدنيا ولا تخرج القريحة إلا بتفريح القلب، فإذا وجد الإنسان نشاطاً في قلبه فخذ من علمه ما أردت، وكذلك الطبيب الحاذق مثله لا فرق بينهما، فهاك بياناً من إمام المسلمين وعالم المحقين :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من إمام المسلمين سيف بن سلطان بن

سيف اليعربي، للشيخ المحب الصفي الثقة الرضي سعيد بن بشير بن محمد الصبحي، سلمه الله تعالى، ونحن بخير من كرم الله عز وجل وأنت إن شاء الله بخير وكتابك الشريف وصل وفهمناه وسرّنا حال سلامتكم لا زلتم سالمين، إن شاء الله تعالى، وفيما ذكرت من قبل ولاية الشيخ سالم ابن راشد بنزوى فهو كفؤ لذلك وأهل، ولكن لنا نظر صالح في غير ذلك، ومن قبل محمد بن سليمان فلا نقول إلا خيرا لكن الإخوان الكتاب الذين بنزوى الآن فيهم كفاية وهو ذخر لما يبدو إن شاء الله تعالى، وأما ولاية الشيخ عامر بن محمد بن شامس فقد تحرينا الصواب في ولايته ووكالته وتمسكنا بذلك في حد الحاضر ما وسعنا وجاز لنا حتى يبين لنا وجه يحسن لنا الانتقال إليه، وكذلك ولد القاضي وأمر وكالته مسجد جامع نزوى وإن كان صح عندكم أنه مضيع أو خائن، عرّفونا لنكون على ما يجوز، وفهمنا ما عرفتنا من عدالة سعيد بن سالم صاحب منح نسأل الله أن يزيدنا علماً في جميع ما جهلناه، واعتبرنا أمر فلج المضيبي فأعجبنا الآن المضيبي على ما هو عليه الآن حتى يقضي الله لنا بنظر غيره وفيما ذكرت من أمر الفريضة التي لنا فنحن قد عرفنا الشيخ سالم بن راشد ليعرفك ويعجبنا الجواب بيده ودم سالماً إن شاء الله تعالى ومهما بدت عازة [1] تقضى إن شاء الله تعالى.

تاريخه ٢٨ شعبان سنة ١١٤٣ وكتبه الإمام سيف بيده.

بسم الله الرحمن الرحيم ، قال العبد الفقير الضعيف الحقير سعيد بن بشير بن محمد الصبحي أن سألني الرضي الوالي الموالي سالم بن رشاد

---

(١) حاجة .

ابن سالم البهلوي الذي هو للإمام عز وله ذخر وكنز بأن جعل لسيدنا إمام المسلمين سيف بن سلطان، أعزه الله، مثل ما جعل للشيخ محمد بن ناصر فقلت لا بل فريضة آبائه وذلك أن العاقدين الإمامة لجده الإمام ناصر بن مرشد، رحمه الله، لم يألوا جهداً ولم يتركوا اجتهاداً ولو جاز لهم ووسعهم فوق الألف الذي جعلوه لما بخلوا عليه من الزيادة ولو لكل يوم ألف ولو جاز لهم ذلك لجاز للإمام قبوله منهم إذ لا غرم عليهم في أموالهم ولا دخل على الإمام في قبوله منهم إذ صار العطاء المعروض في بيت مال الله ولو جاز لهم ما اختاروه لجاز للإمام ما فرضوه وأرجو أنهم أخذوا ما فعلوا تأويلاً من قول الله : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (١) ، والقوام : هو العدل بين الأمرين فخذها سيدنا فريضة هنية ، وهبة برية ، لا وبية خارجة على حُكم التقية ، ولا أعلم أن جدك الإمام سلطان بن سيف ولا جدك سيف ولا عمك بلعرب ولا أباك سلطان طلبوا ولا أخذ منهم زيادة على ما مضى عليه إمامهم ناصر بن مرشد وتلك فريضة كافية ومات عليها الأسلاف، ولا أريد لك خلاف ما عليه السلف فهذا اختياري والجهدة مني ولا خفت في أمرك لومة لائم، بل اخترت لك ما اختاره الله لمثلك من الأئمة واختار المسلمون لهم ذلك نظراً ومعونة وموافقة لكتاب ربهم، وقال لي الشيخ سالم: كيف جعلت فريضة الشيخ محمد بن ناصر أكثر من هذا؟ فقلت له: أخاف أن يكون وقوعها من باب التقية والمخافة الخفية والحلال أولى في حكم الله وحكم البرية ، ودم وابق سالماً متعلماً مستقيماً ، وأنتم خير كثير ، وأمر الدنيا قليل حقير ، والسلام عليكم ورحمة الله ، ومهما سنح من إرب ، فخادمكم منتظر .

---

(١) سورة الفرقان : ٦٧ .

من الخادم الفقير سعيد بن بشير الصبحي تاريخه نهار ٢١ شعبان سنة ١١٤٣.

من إمام المسلمين سيف بن سلطان بن سيف اليعربي إلى الشيخ الرضي الثقة المحب العدل الولي الوالد الصفي سعيد بن بشير بن محمد الصبحي سلمه الله ووقاه وجعل بعد العمر الطويل الجنة مأواك ونحن بخير من كرم الله (عز وجل) ، وأنت إن شاء الله بخير، أما بعد شيخنا ما تقول في قوم كان لهم بنيان حجرة مشهورة وعليها أبواب وقد مضى على ذلك كثير من أئمة المسلمين ولم يعرضوا لهدمها ثم قام إمام وهدم بنيانهم وبقي مهدوماً ثم مات الإمام الذي هدم بنيانهم وقام إمام من أئمة المسلمين بعده ولم ير من هؤلاء القوم أهل هذه الحجرة عصياناً بل يجد منهم الانقياد التام فوصلوا إليه يشكون الضرر من قلة البنيان وتبين له أن عليهم مضرة كثيرة من هدم البناء من قبل الأمطار وغيرها أيجوز له أن يأمرهم ببنيان تلك الحجرة المذكورة على ما كانت عليه في زمن أئمة المسلمين السالفين قبل الإمام الذي هدم بنيانهم وهذه الحجرة هي أملاكهم أم لا يجوز؟ وإن جاز له وعرض لهم من عرض من جيرانهم فقالوا هذه الحجرة بنيانها علينا فيه مضرة وربما عرضوا لهم على وجه الحسد أيجوز له عقوبة من اعترض لهم على غير الحق ؟ أفتنا رحمك الله .

الجواب والله الموفق للصواب : أرجو سيدنا أن لا يخفى عليك أمور أحكام بلادكم وأقول على سبيل امتثال الأمر واتباعاً للرأي والطلب إن كان هذا الآمر بهدم هذه البلد إمام عدل من أئمة المسلمين أهل الاستقامة في الدين قد وقع منه هذا الهدم منه والخراب على سبيل الحكم

وطلب الصواب ورأي أولي الألباب لا على سبيل الغفلة والوهم واتباع الهوى والمغالبة فقد مضى حكمه على العدل وكل حاكم صح منه الحكم في شيء يجوز فيه الحكم، فحكم به على وجه طلب الصواب وموافقة السنة والكتاب، فحكمه ماض ثابت جاز على حكم الشرع ليس لأحد بعده نقضه ولا التكلم في رده إذا كان إماماً عدلاً ولياً من أهل العلم والفضل وهذه من كتاب المصنف في صفة الإمام العدل، والإمام لا تجوز له الإمامة إلا أن يكون عدلاً قوياً على أمر المسلمين .

وأيضاً منه : (معي أنه لا يكون الإمام إلا ورعاً بصيراً بما يأتي وبما يتقي، عدلاً معروفاً بالفضل مشاوراً لأهل الرأي والعدل ملتمساً عند الناس آثار المسلمين عفيفاً عن الطمع محتملاً للأمة حليماً عن الخصوم فهذه من صفة الإمام العدل) وصفاته كثيرة لا تخفى عليكم، وأيضاً من المصنف (وقيل في الإمام إذا كان فيه قساوة وجفاء وخشونة على المسلمين وهو قليل المبالاة بهم ولا يقبل منهم إلا ما يريده قليل العلم والبصيرة وجسور على الأمور بغير علم، قال: يوجد أن موسى ابن أبي جابر ما عزل عزان بن أبي عفان إلا بهذه الخصال ، وعن النبي (صلى الله عليه وسلم) : " من حقر مسلماً فعليه لعنة الله " ؛ وأقول أنا إن هذه الصفة صفة أهل الجور لا صفة أهل العدل وليس لأهل الجور يد على سبيل أهل العدل والله يقول في كتابه : ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ (١) ، وصفات أهل العدل مشهورة، سيدنا، لا يخفى عليكم وحكمهم ماض وعدلهم مقبول وصفة أهل الجور كثيرة لا تخفى عليكم ، وحكمهم مردود وأمرهم مبعود ، ولا يثبت حكم غير أهل العدل من

---

(١) سورة النساء : ١٤١ .

إمام ولا حاكم على ضعيف ولا شريف ولو على مجوسي أو عابد وثن ، وإن الحكم من أهل العدل بالعدل فماضٍ على الصغير والكبير ولا يرد أبدا والله أعلم.

ومن كلامه أو رأيه أو مطلبه في غيره على سبيل الوهن والغل والحسد والحقد بالباطل فلا حجة له على غيره ومن مال عن الحق رد إليه صاغراً ولا تهنوا ولا تحزنوا في القيام بالحق من ذلك وميلوا مع الحق حيث مال ودوروا معه حيث دار ولا تدعوا التعليم في حال من الأحوال ولا تلوا على رعاياكم إلا ولياً مرضياً يستن بسنن أهل الإسلام ومن ذلك لا تدعوا المشورة على كل حال، وقد قيل أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يشاور حتى المرأة، وقال الله في صفة المؤمنين: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [1] ، واعلموا أن للمشورة أهلاً وأهلها أهل العلم والعدل، ولا تتعجلوا في شيء قد أمكنكم الله من فعله حتى يظهر لكم عدله وصوابه، ومن كتاب المصنف: إن أفضل ما أنعم الله على العباد واختص به ليوم المعاد نعمتان إحداهما الرسول الهادي الذي لا يصاب علم الدين إلا من قبله والأخرى الإمام العدل الذي لا يصلح الدين إلا على يده فهذا والسلام .

وقال العبد سعيد بن بشير الصبحي : إن الكاتبين في هذه القرطاسة الذين سألتهم الكتابة هم الحجة ما استقاموا عليها، وأقول لا يعجبني تعجيل هذا الأمر في بناء ولا هدم إلا بمشورة عن ذوي العلم في موضع مخصوص إذ المواضع تختلف وأهلها يختلفون والأحكام واردة على طريق النظر والمشورة لأهل العلم والبصر، والأئمة تدخل عليهم الرغبة بآراء مختلفة وأهواء متفاوتة فلا يعطى الكل سؤاله إلا بجواز حكم الله

---

(١) سورة الشورى : ٣٨ .

ورسوله والمحقين من عباد الله الذين لم يقتتلوا على الدين .

وأيضا - سيدنا - : إن براءة السر لا تجوز في موضع الجهر أحببت ترك ظهور هذا المعنى ولا أعلم أن أحداً أعلم بهذا الشخص منك، فنحن ذقنا وأنت أطعمت وأقول إن كان هذا الهدم وقع من أمر الشيخ محمد بن ناصر فلا أقدر أن أقول بحجر تجديده إذا لم يكن إلا هكذا، وفي الأصل إباحة البناء لمن أراد البناء في ملكه حتى يكون في ذلك ما يحجره والعمار أولى من الخراب والله أعلم إلا أن يكون موضع يسكنه أهل البغي فجائز هدمه ولا يجوز تجديده في ذلك الحين على ما قال أبو المؤثر في أهل البغي ويكون هناك منازل قد تعود أهل المعاصي فيها انتهاك المعاصي ولا سبيل على امتناعهم إلا بهدمها فهذا جائز على ما قال أبو الحواري في منازل بني الجلندى وهدمها الإمام غسان عند ذلك والله أعلم إلا أن يكون ثم مخافة على أهل الإسلام والدين ورأي الإمام في رأي العلماء الصالحين الإمساك عن شيء يوجبه نظر هؤلاء فحينئذ حصل العذر وجاز النظر والله أعلم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

من العبد الفقير سعيد بن بشير الصبحي بتاريخ الثلاثاء ١٢ شهر شعبان سنة ١١٤٣ هجرية .

ومن كلام (١) الشيخ سعيد : اللهم اقبضني على الحق والصدق غير مضيع ولا ملوم، وارحمني قبل الموت وعند الموت وبعد الموت يا أرحم الراحمين آمين ؛ يا معشر المسلمين استعظموا أمر الآخرة وتقربوا على الله بالأعمال الصالحة وإني قد استودعتكم الله وأوصيكم ما أوصى له

---

(١) في الأصل : كلامه .

رسول الله أمته والصالحون ذريتهم وأهله ومن قبل وأنا أستغفر الله تعالى وتائب إليه من جميع ما عصيته به، ودائن له بجميع ما يلزمني في دينه وأنا للمؤمنين تبع وللأئمة والحكام منقاد مستسلم لا أبغي عنهم حولا ولا أطلب غيرهم بدلا وهذا منكم ومن المسلمين مذاكرة وتشريف وفضل لا أنا بالعلم والفهم أحق بل أنا أضعف وأقصر وأذل، والوداع إذا قرب أجلي وضعف أملي ووهن عملي .

قال صاحب ذى الغبراء : سمعت عن هذا الإمام المقدم ذكره أنه بدّل سيرته وأتى بالعجم إلى عمان وقتلوا أصحابها ودمروها فكتب العلماء أمواله للفقراء لما استغرقت وسير المسلمين موجودة فيه تجدها في الأثر.

سألت ذا الغبراء عن المرء الذي يفوز بالجاه في الدنيا وله في الآخرة الثواب ما هذه؟ قال ذو الغبراء: الذي ذكرته ثلاث خصال إذا اجتمع (١) في الإنسان العلم والعمل والشجاعة والكرم فمن اجتمعت فيه فقد فاز في الدنيا والآخرة، وأما من طلب به الدنيا فإن الله يعطيه وماله في الآخرة من نصيب.

قلت له: فما صفة الكرم الذي يكون به سالم عند الله؟ قال: الكريم يعطي الناس دون سؤال، وأما الكرامة بالطعام فلها ثلاثة أوجه: فمنهم من ينوي به قربة لله، والوجه الثاني لمكافأة أو تقية، وأن يكوم من ماله ويستخدم في الضيف خدمه ولا يرائي بعمله لا مراده المدحة ولا السمعة لأن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا.

ومما ينبغي للضيف أن لا يبتديه بالسؤال بعد المصافحة بل يأتي

---

(٢) في الأصل : اجمتع .

إليه مما حضر من الطعام في الحال، وحق الضيف ثلاثة أيام وإن أراد المسير فيزوده زاداً مما يبلغه إلى داره، ويجوز له أن يطعم ضيفه من زكاته بعد الثلاثة الأيام، وإن فضل من الضيف يعطيه الفقراء وإن أعطاهم من زكاته ووكلوه فيها ليطعمهم منها، فذلك حسن. وإن أراد الضيف المسير يشيعه ما أمكن له، وأما الذي تصله العطية أو الهدية ولا يراد بها مكافأة ولا سؤال، فنعم بها والأجر بها وقابضها، وأما الحالة الأخرى تصله العطية أو الهدية لشيء أراده العاطي من المعطى إليه فبئس بتلك الهدية، أعطى القليل حتى يعطى الكثير، أو يكون مشتغل بأمر أراده العاطي لمصلحة نفسه ونقصاً للمشتغل بذلك أو استضافه وأراد أن يعوضه وثبت خادماً له، ومنهم من يستخدم بفريضة معلومة فهذا أولى نفسه إنساناً مثله فصار لا يملك لنفسه أمرا.

وأما المنزلة الثالثة الخسيسة الضعيفة للضيف والمضيف مثلاً يصل مع الإنسان قوم ليأكلوه ولا عوض له في ذلك وإن لم يجتهد وقصّر أصابه منهم الغرم والنكال فكل من مشى إلى هذا المضيف وأكل من عنده في صحبتهم فأخاف عليه الضمان لأن هذا من التقية وخوفي أن يكون من السحت، فقد نزلوا على رجل لا قدرة له على ذلك إلا بالجبر والمبتلى بذلك فإن طلب المحمدة وألزم نفسه فلا يقدر عليه لطلب الوسيلة وتارك الفريضة اللازمة عليه ثم اشتغل بضيفه والجبر على أهله لقيام ضيفه أو كان قد أذهب ماله ومال أهله وأقاربه وأخوته ووالده أو جبر الناس لطعام الضيف والدواب وهم له كارهون لا يقدروا أن يمنعوه فعمدوا بالدعاء عليه، فينبغي للعاقل [أن] يدبر نفسه ولا يحرق جسمه بالنار خوف العار فأعوذ بالله من مطاوعة النفس على الهوى لذهاب الدين والدنيا ولا فائدة

له إلا التعب قد خسر الدنيا والآخرة، فاحذر أن تنزل على قوم في منازلهم بيوتهم عليك عورة وأكثرهم في قلة، وقلوب أصحاب البيت متشتتة وأكثرهم لا يحبون خدمة الضيف إلا بالكره، ودخولك عليهم يزيدهم تباغضاً من نقصان العيش والطعام والحطب والدثار والماء البارد يؤخذ عليهم ويعطى غيرهم، أما أدخلت عليهم الضرر أو كان صاحب البيت في حرفة أو في نسخ علم ونزلت عليه فضيعت عليه عمله وليس هو عليه بلازم.

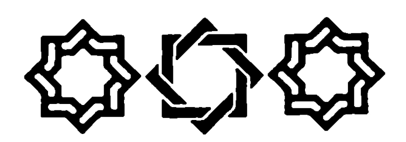
وأما اللازم مثل الملهوف أو السيل أو السباع أو كان عليه الإنسان شيء من الخوف والهلاك، فلك أن تعينه بمالك وحالك، وينبغي للإنسان أن ينزل في السفر في مكان لا يدخل على أهل البلد خجل منه وإن كان له غرض مع أحد فيصل إليه بعدما يستقر في مكانه ويسأل صاحبه إن كان سؤله في دينه أو غرضه ثم يرجع إلى مكانه فإن أراد يطعمه إنسان من غير تكلف ووصل عنده فلا يرده فيأكل من عنده خوف الجفاء للإخوان، وإذا رأيت رجلاً مسافراً فلا تؤمنه أمانة ولا تقل له أريد كذا وكذا إلا أن تقول له كم تريد من الأجرة لتحمل هذه الأمانة حتى تبلغها صاحبها، أو كم تريد لتشتري لنا كذا وكذا وتحمله إلينا، فإن رغب فأعطه[١] ما اتفقتم عليه وإن لم يرغب فقد تبين لك أمره، وإن لم تقل له ودخل في قلبه الحياء من قبلك، وتأنى في سفره لأجلك وأصابه أمراً أما يلومك وربما لم يعرف لحفظ الأمانة المؤتمن وتذهب عليه في حياته أو بعد وفاته وذهبت الأمانة فألزمته ما لا يعرف له سبيل بقلة علمه مما يجب عليه في الأمانة وحفظها ومكانها والوصية الإشهاد بها لأصحابها وهذا كثير من الناس لم

---

(١) في الأصل : فأعطيه .

تظهر لهم هذه الأمور الذي ذكرناها .

وإياك ثم إياك أن تقول لرجل مثلك اصحبني إلى بلد أو مكان معلوم لأنك لا تعرفه في صحبته لك تقية أو رغبة أو كأن تلحق بأهله مضرة ولكن قل له كم تريد لكل يوم من الأجرة لتصحبني لشيء من الأماكن فإن اتفقتم على شيء معلوم فذلك المطلوب؛ لأنه قيل التمس الرفيق قبل الطريق فإن وجدت أحداً قاصداً وصحت بينكما صحبة، فكن له معيناً لا تتأخر عنه ساعة لأن السفر تحدث فيه العوائق فإن أصابكما مصاباً في تأخيرك فيدخل في قلبه عليك حرج ولكن أنت خيّره بين الوقوف معك وبين [أن] يرجع إلى وطنه فمهما اختار فلا عليك لوم فيه مع أصحابه إن أصابه شيء، والذي ذكرته لك في الكرم والشجاعة والعلم ورأيت أحداً حمله فقد حمل الدقيق والجليل والحلال والحرام فلا تشتمه بشيء مما يدخل في قلبه العداوة لك؛ لأنه احتمل حملاً ثقيلاً قد تصدر للناس بذلك بنفسه، وعلى المرء أولاً أن يصلح نفسه وأهله وما ملكت يمينه ويعتقد أن لو يقدر أن يملأ الأرض عدلاً فنية المؤمن خير من عمله وهي النيات المهلكات والمنجيات وسينظر الإنسان في كتابه الذي يأخذه بيمينه ما يعمله من إخلاص نيته لربه والله أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين والصلاة والسلام على محمد المصطفى الأمين .



الذكر الحادي والثلاثون :

في المسافر ، وحسن السياسة ، فيه لاحتمال الجار والأرحام ، وصفة انتقال الناس من المواطن والبلدان

قال سألت ذا الغبراء : عن المسافر إذا عارضه الظلمَة في طريقه وأرادوا سلبه وماله فما أولى له في تلك الساعة وما نيته في تلك الحضرة؟ قال ذو الغبراء: أما قطاع الطريق فهم على وجهين فمنهم من [إذا] أعطيته ما في يدك سلمك، وإن امتنعت عن عطانه قتلك ففي هذا الوجه الإنسان مخير إن شاء قاتل دون ماله وله الأجر وإن شاء سلّم الذي في يده لسلامة نفسه وهذا القول في هذه الحالة أخف لأني اعتبرت قصة فكان رجل من المسلمين صاحب قوة جسم وشجاعة قلب فأقبل عليه في طريقه سبعة أنفس الذين ينهبون الناس وعلم في نفسه أنه قادر عليهم ونيته لطلب السمعة في قتالهم فقتل منهم خمسة رجال وهرب عنه اثنان فلما وصلا إلى أوطانهما أخبرا أصحابهما بما صح عليهما من الرجل في القتل فثوروا أصحابهم وغاروا على أصحاب القاتل فقتلوا من سكان البلد ثلاثين رجلاً قبل وصول صاحبهم بالفعل الواقع منه ثم علموا البداة عن أناس من سكان البلد مسافرين إلى البندر فمشوا إليهم وقتلوا منهم عشرين رجلاً فاجتمعوا خمسين قتيلاً ليس عندهم علم بشيء إلا أن رأوا ضرب السيوف في وجوههم ولا أخذوا في قتلهم أحداً فصح اللوم للرجل من أصحابه وفي السابق ليس بينهم دم إلا أخذهم الأموال التي معهم، وأما الأخرى التي أولى فيها القتال فمثلاً: رأى المسافر في الطريق قوماً من

عادتهم قتل الناس قبل الأموال طلباً السمعة وليس لهم دم على المسافرين المارين، فعلى هذه الصفة أولى للإنسان أن يقاتل عن نفسه ولو رأى سبعين رجلاً فلا يبرح نفسه إليهم وقد حكي لي عن رجلين يقطعان في طريق المسلمين يريدان السمعة فمتى لقيا أحداً أعطياه الأمان فأخذاه وقتلاه بعد أمانهما، فمثل هؤلاء الذين يعرض لهم أولى أن يقاتلهما حتى يفنيا من الدنيا، وكذلك الخصيم المخلف بالعداوة في الحرب، فلا يغرك أمانه وقتاله أولى.

وينوي في قتاله لله ويحمي عن نفسه لا ينوي للسمعة فمع اقتراب الآجال يحضر الشيطان ليفسد الأعمال، وأما الجار والأرحام إن بدا منهم تعدٍ من سرقة أو خراب أموال أو سفك دماء في فتنة لم تكن على سبيل الحرب وكان في زمانهم سلطان عادل ينصف بين الفريقين بحكم إن بدا اعتداء منهم ليردعهم عن بغيهم، فالمبتلى أولى له أن يصل إلى السلطان ويأخذ حقه من خصمه، وإن لم يجد في زمانه سلطاناً عادلاً وظن في نفسه بالقدرة على خصمه فأولى له الحمالة، والسلامة أسلم من إحياء الفتن عن مثل القوم الذين طغوا على أصحابهم بالخراب والضر فتناظروا فخيذة[1] منهم لما رأوا التجهم منهم في أموالهم والتعسف على نسائهم أن يسجنوا المتمردين فسلطهم الله عليهم وسجنوهم وغرموا ما أخذوه عليهم فطابت نفوسهم عليهم فبعد ذلك وجد المسجونون من الأمراء والقبائل عصبة لهم بالألسن وساعدوهم في الرأي على ظلم أصحابهم فذهبت الأموال والنفس من تلك الفخيذة المطيعين لله لما بهم يتلففون على الناس فهذه عبرة للمعتبرين ، وحدياً للآخرين ، فكمثل هذا أولى للمسلمين ، أن

(١) في الأصل : فخيضة .

يصبروا في دنياهم؛ لأنها سجن لهم ويتزودوا منها لأخراهم والعاقل ينظر بعقله لا بعينه ويعتبر أهل زمانه، فإن قال له أحد من الأمراء أنا أنصرك على عدوك فليس هذه محبة ولكن مراده أن ينصره حتى يصل إليه خصمه بالخضوع إليه فإن لم يخضع لم يحب ذهابه ويساعده الأمير عليه وإن خضع ووجد منه مطلوبه وصار عوناً له وقرينه سلطه على المسلمين فصار الخصم من المقربين الباغين والمطيعون مبعدين فلا تغترر بقول الأمراء، ولا يسرك قولهم، وخذ حذرك منهم فهم أعدى[1] من الغول[2] .

وذكرت في انتقال الناس والمداخلة بينهم في البلدان فهذا الانتقال على وجوه كثيرة، والأكثر انتقال الفقراء يلتمسون الأرزاق الواسعة فالذي اتسع رزقه في بلد اتخذها وطناً له، وأما الأغنياء فلا ينتقلون عن أوطانهم إلا إذا خافوا على نفوسهم ودينهم لأن المؤمن لازم عليه إن خاف على دينه أن يهرب من شاهق إلى شاهق .

وهذه الأبيات عن بعض الصالحين شعراً :

واشددْ يديكَ بحبلِ اللهِ معتصماً ... فإنَّه الركنُ إنْ خانتك أركانُ
من يتقِ اللهَ يحمدْ في عواقبهِ ... ويكْفِهِ شرَّ من عزوا ومن هانوا [3]
من استعان بغير اللهِ في طلبٍ ... فإنَّ ناصَرُه عجزٌ وخذلانُ
من كانَ للخير منّاعاً فليسَ لهُ ... على الحقيقةِ إخوانُ وأخدانُ
من جادَ بالمالِ مال الناسُ قاطبةً ... إليهِ، والمالُ للإنسانِ فتّانُ

قلت له : وإن عزم عازم على الانتقال فما ترى أحسن له أن يكون يقرب من بلده أو البعد أولى ؟ وإن انتقل فما أحسن له البلدان الذي يراها

---

(١) أي : أشد عداوة .
(٢) الثعبان .
(٣) في الأصل : من عز ومن هان .

أصلح لجسمه ومعاشه أم لا؟ قال ذو الغبراء: أما الانتقال فأولى في البلدان النازحة عن وطنه السابق ولا ينظر الإنسان إلى البلدان الزاهرة ولا العمارات والحصون الواثقة ولكن العاقل ينظر الدار التي[1] هي أرفق لأهله فإن حضروا في مجالس الناس، فرحوا لهم وتكلموا على هوى نفوسهم، وإن غابوا حضروا عن غيبتهم وهذا فيما قلت ليس في قلبي شف ولا حرج.

ولكن سمعت عن رجل من الزهاد التمس البلدان فوجد بلداً زاهرة قريبة من بلده وفيها العلماء والأطباء والكرماء والأمراء والبيع والشراء فنزل فيها وتعلم العلم وتكاثر الرزق له فشرى الأموال والبيوت منها والدار خصم أصلها لأهله فوقع الشر والقتال فرماه أهل البلد بالعداوة والبغضاء فلا قبلوا منه كلاماً لا لهم رغبة في قربه، إن حضر سكتوا وإن غاب شتموه وكذلك أولادهم لأولاده ونساؤهم لنسائه حقراء في تلك الدار فصاح صائح للقتال وخرج في صحبتهم فقتلوه فعلم العلماء بقتله فأنكروا بقلوبهم على القاتلين لسلامة نفوسهم في الدين فبقوا عياله وأولاده لا يكلمهم أحد بالسلام فخرجوا من البلد في الليل والناس نيام ورجعوا إلى بلد أصحابهم وذهبت أموالهم وبيوتهم كانوا من الأغنياء وأصبحوا من الفقراء ولكن على نفوسهم آمنون وفي بيوت أصحابهم راقدون مطمئنون، وفي الحضرة بالحديث جاسرون لا متروعون فقالوا الحمد لله رب العالمين .

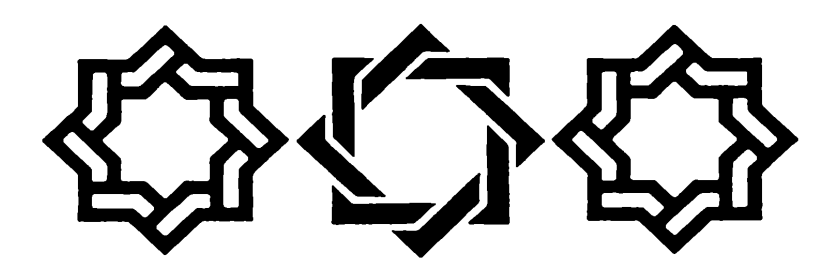
ثم قال: عليك بالأدب إن سكنت أو حضرت مع قوم ليس يوافقهم رأيك فكفّ لسانك ما استطعت، ولا تجسر عليهم بنصيحة الكلام فهم عليك

---

(١) في الأصل : الذي .

ألد الخصام انظر في الحديث والنصيحة إن تكلم بها أحدهم الذي من أصحابهم وقربائهم أعجبهم، وأما إن دعاك خصمك والحاضرون لأمر أرادوه منك فامتثل لقولهم فإن تقاصرت عنهم رموك بالعداوة والبغضاء، وأما إن دعوا من أصحابهم رجلاً ولم يجبهم فلا يدخل حرج عليه، انظر واعتبر الفرق في هذين الأمرين واصبر في نفسك ولا تحملها الدين مع الخصمين، وتضرّع لمولاك كالمتضرع بين[1] العلمين، واعلم أن الناس أجناس واستمع لقول الشاعر :

لا تستشِرْ غير ندبٍ ماجدٍ يقظٍ قد استوى فيه إسرارٌ وإعلانُ
فالتدابير فرسان إذا ركضوا فيما أبروا كما للحرب فرسانُ



(١) في الأصل : مع .

الذكر الثاني والثلاثون :

في الملوك الذين لا مروءة لهم ، وفيه أخبار الشجعان وطبائعهم ، وخبر المبتلى بالملوك ، وآخره أخبار عن الملوك الحسان

سألت ذا الغبراء ، عن تفسير : لا مروءة للملوك ؟ قال : لأنهم لا يذكرون السابق من الإحسان، ولا يبالون بعواقب الأمور، ينظرون بالذي في ساعتهم وما كان في وجوههم كالأطفال يكفيهم كلمة أو لقمة من خصمهم، كما حكي لي عن ملك سأل فلكياً عن شيء من الأمصار أنه سيملكها أم لا، فبصر له وقال له: إنك تبلغها وتملك سكانها، فهم الملك من ساعته وجهز جيشاً لها ووجه قومه إليها حتى وصلوا الدار التي أرادوها فامتنع أهلها وحاربوه فانكسر جيش السلطان وقتلوا من قومه بقدر سبعة آلاف نفر وذهب عليهم من الأموال بثمن سبعين ألفاً من الذهب الأحمر، ثم جهّز الملك جيشاً آخر وزاد فيه عن الأول أضعافاً مضاعفة فبلغوا الدار وصح بينهم الطعن والضرب فانكسر جيش الملك وقتِل منْ أصحابه بقدر عشرين ألفاً وذهب من الأموال بقدر مائة وثلاثين ألفاً فبلغ الملك ما أصاب أصحابه فغضب على الفلكي غضباً شديداً وقال إن لم يأتني بعذر وإلا عزلت رأسه ثم أمر بسجنه وأغلاله فعلم الفلكي بغضب الملك وأرسل زوجته إلى زوجة الملك لتنفعه مع الملك حتى يسكن غضبه ولاذ هو عن رسول الملك إليه فلما دجن عليه الليل وأراد الملك القرب من زوجته بدته بالسؤال عن الفلكي فقال: أريد منه المواجهة حتى أعرف عذره، ونام الملك فلما أصبح الصباح دعا الملك بالفلكي فجاء إليه مسرعاً فسلّم ورد

عليه الصباح وقبضه من يده فقال له: بصرك أذهب أموالنا ورجالنا وزعمت أن الدار تكون في ملكنا فما عذرك وجوابك إلينا، فأجابه قائلا: عذري بيّن كالشمس المضيئة لكن أنتم الملوك أهل عجلة كما قال ربنا في كتابه : ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً ﴾ [١١] وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ [١] .

وأنت أيها الملك ، ما تمهلت حتى تصحح الحساب وفي أي يوم بلوغك الدار، وعلى أي رجل من المسلمين النصر فالساعة سأخبرك بذلك وأنا معي لك حجة واحدة ولكن أريد منك عهداً لا تسألني بعد هذا السؤال وأنا أبلغك المصر وأرجع إليك أموالك التي ذهبت عليك، قال الملك: مالك لا تريدني أن أسألك ثانية؟ فقال: أخاف منك العاقبة كما سبق منك في الأولى وسلمني ربي بسبب زوجتك وفي الأخرى لا أدري أنك تزل رأسي أم لا، قال: فعاهده أن لا يسأله مرة أخرى هذا السؤال، فقال له: خذ ما تريد من الأموال والرجال لحرب الأنذال فأخذ عشرة آلاف حرف وألف رجل لأمان الطريق فخرج من الوطن والبرج الطالع منقلب وربه في برج منقلب والقمر في برج منقلب وفي منزلة سعيدة للسفر ومتصل بسعد ورب التاسع مسعود ورب السابع منحوس وبيت العاقبة مسعود، وخرج في ساعة القمر مراده السعد وسرعة الرجوع فحفظه الله تعالى حتى وصل المصر ودبر لأميرها رجلاً (وصلنا دارك ومرادنا ألفتك للخير والصلاح) فَسُرَّ الأمير بذلك ودبر إلى مقامه بالخيل والعساكر فجاءوا به ودخل الحصن هو ومن معه فكرمه وحشمه ثلاثة أيام، ثم قال الأمير للفلكي: ما

---

(١) سورة الإسراء : ١١ – ١٢ .

حاجتك عندنا؟ قال: رأيت الملك به غضب شديد عليكم حين قتلتم رجاله وأخذتم أمواله أما سمعتم في كتاب الله : ﴿ إِنَّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ (١) ، وأنا جئتكم من طرفه ناصحاً ومترحماً لكم فإن امتثلتم نصحي ورجعتم الأموال فإنكم من الآمنين.

فقال أمير المصر: نحن في الطاعة لا هوانا الذي سبق ولكن الملك هجم علينا ولا دعانا بدعوة الإسلام لنقف عن الطعن والحطام والآن الأمر إلى الله ثم إليك، فأخذ الفلكي المصر ومن حولها وجعل من أصحابه العساكر فيها وأخذ في صحبته أميرها وسبعين نفساً من كبرائها ورجع مسروراً فلما وصل دار الملك دبر أحداً من أصحابه لتبليغ الملك فسُرَّ الملك وأمر بضرب المدافع ونادى مناديه لتبشير المسلمين وجعل وليمة لكافة أهل بلده ثم أقبل إليهم بأحسن هيئة وعاهدوه بالاستسلام في الطاعة والزكاة والدولة وسألوه العفو فقبل الملك منهم وعفا عنهم وأخذ الأموال التي أخذت عليه من عندهم وسألوه الرجوع إلى وطنهم فطابت نفسه عليهم وزودهم وشيعهم حتى وادعوه ثم قال الملك في قلبه: إن الفلكي ليس لنا معه سؤال وأخاف أن يسأله غيري ويمنّيه بملكي، فأمر بقتله فذهب الفلكي، فهذا أمر الملوك والسالم عن بلائهم من قطع نفسه وبعد عن قربهم ويدبر أمره على ما يريد .

وفي قصة أخرى : عن ملك عظيم جمع جيشاً وسرى به إلى هلاك قوم فسمع القوم بالملك وجيشه مقبل إليهم فجمعهم أميرهم واستشارهم لما هاله الأمر عن ذهابهم فقام رجل من عقلائهم وأقبل إلى الأمير، وقال: ما تقول أيها الأمير الذي يكفيك شر هذا الملك وجيشه .

---

(١) سورة النمل : ٣٤ .

فقال الأمير: عندي له الجائزة الكبرى، فأخذ الكاهن دواة وقرطاساً وكتب خطوطا [١] لأكابر أصحاب الملك الذين صاحبوه (أما بعد أيها الشيخ المكرم إنه وصل تعريفك إلينا وذكرت أنه لا مرادك الوصول إلينا إلا بالكره وإنك لتكون على يمين الملك فإن كان كما ذكرت) وكتب على هذا الكتاب لكل كبير من أصحاب الملك ودبر بالخطوط رجلاً فقيراً أغمشاً أعرجاً فحين وصل بقرب الجيش التقوه أطرافهم وقبضوه ومشوا به إلى الملك فوجدوا عنده خطوطاً فقرأها الملك وأمر بارتفاع الجيش راجعاً إلى أماكنه مخافة من خيانة قومه عليه ولا أظهر لهم ما فيها فقتل أكابر قومه وذهبت قوته، وعادته رعيته بسبب عجلته فلا نفعته قوته مع حيل الكاهن فاستراح الكاهن وأميره ومن معه فمضت عليهم الأزمنة، وأراد الكاهن أن يتزوج امرأة جميلة فاستشار فيها رجلاً عاقلاً فنهاه عنها، ثم قصد إلى الملك فأخبره بها وساعده[٢] على أخذها فتزوجها ودخل عليها فبعد مدة رآها هي والملك على فاحشة ضعيفة فهاله الأمر فاستشار أحداً من أصحابه وقت الضحى في داخل بيته فأجابه: لا تأخذ نفسك بعجلة خصوصاً في هذه الحالة فإن علم الأمير بهذا لا يبالي بك وأخاف عليك منه ووزيره ضعيف طبعه لأنه كان له أب وأراد أن يتزوج امرأة واستشار فيها فلكياً فنهاه عنها فخالفه وتزوجها ودخل على قلبه حبها ومنع الداخلين عليهم وهي امرأة في حسن الشباب وبجسمها المزار وحسن الجمال فلم تجد أحداً يصادقها فقربت نفسها مع ابن زوجها وتصادقا حتى كثرت أفعالهما فرآهما الزوج على الفعل القبيح فنهض الولد عنها وقتل أبيه ولا صح له جزاءً عند الأمير فالساعة هو وزيره الأكبر، وتمهل في

---

(١) أي : رسائل .

(٢) في الأصل : وسعده .

أمرك من قبل المرأة .

قال: لا يمكن وقوفها في بيتي قد حرمت عليّ وأنا أرجعها إلى بلد أهلها فكما أحزنني الملك كذلك هو لا يجدها في بلد أهلها والأمير يسمع كلامهما في بيت جارهما بحذاهما، والجار سيئ الأخلاق هو وزوجته، فالأمير قتل الكاهن ولا ذكر الإحسان السابق منه برجوع الجيش عن هلاك الدار فصنع به على ما تهوى نفسه، وكذلك وزراؤه تابعوه على فسقه فأهلكهم الله كما قال ربنا في الذكر : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ [١] ، قلت له: ما تقول في الشجعان أراهم مختلفة أحوالهم وكذلك أسلحتهم؟ وما الأحسن من السلاح؟ قال ذو الغبراء: أما الشجعان فاختلافهم على قدر طبائعهم فمن كانت طبيعته الحرارة اليابسة المحترقة ما تلقاه إلا عدواً لأهله دائماً، والثانية طبيعته محترقة خفيفة كنار الليف لا تثبت، والثالثة الطبيعة الغليظة الثقيلة فهذا تراه سريع الغضب بعيد الرضى فهذا دأب الشجاع على القريب والبعيد، وأما الطبيعة الرطبة الحارة فهي على وجوه كثيرة في الشجعان ولكن نأتي لك طرفاً منها فمنها الثقيلة فما تلقاه الرجل إلا رازحاً بعيد الغضب بعيد الرضا فهذا ألين جانب للصديق وسائر الخلق في بدو أمره فإن اشتد الخصم فلا يفتر عنه حتى يذل ويدين بالطاعة له، ومنهم في طبيعته بعيد الغضب سريع الرضا فهذا الشجاع الموافق للمسلمين، ومنهم سريع الغضب سريع الرضا.

وأما السلاح فخيره ما حضر كما حكي لنا عن رجل عنده سبعة أولاد ذكورا، أحدهم أمَة وحدها وسمي مسكيناً ومنزلته عند أخوته كالخدم

---

(١) سورة الإسراء : ١٦ .

للشغل والأمارة فهلك والدهم وآل نظرهم أن لا يعطوه ميراثاً من أبيه فقال لهم: أريد منكم كما كنت سابقاً في الخدمة والأمارة فرضوا بقوله وهم لبسوا الثياب الفاخرة والأسلحة المصبوغة وما تلقاهم إلا مثل البدور إن حضروا في مجالس الأكابر، تراهم مثل الأمراء تسير بهم الأوصاف بالأخلاق الحسان ولكنهم للحرب جبان وأخوهم له كسوة قديمة يسخر منه كل من يراه ويستحقره[1] كل من لاقاه، وإخوته ليس لهم حاجة به يظن الناس فيهم حمالة ولا يدرون بقلوبهم جبن، وأما مسكين فإن رآه أصحابه في البلد قالوا فيه خنوثة أو أنوثة وإن رأوه في الهيجاء مع الازدحام والحطام قالوا هذا الأسد الضرغام فعلم الملك بشجاعته وقوته فأراد أن يقربه ويؤازره فأبى وبعد عنه فقال له: اخلف لباسك وسيرتك ولا تكن كالتهماء في البلد، ورد عن نفسك الوهنة فالحر لا يرضى بالذلة وأنا مقبل معك ولاحت لك الأمور فكن على نفسك غيوراً.

فقال مسكين : اسمع أيها الملك أنا جعلت لقتال الأعداء وأغض الطرف عن الأصحاب رحمةً لهم وإهانةً لعدوهم، فقال له الملك: بارك الله فيك اصنع ما شئت، فولى عنه ولا تَبدّل عن سيرته الأولى، ثم وصل إلى الملك أناس زوار من أهل بأس ورفعة، فسرّه وصولهم وقربهم وكرمهم أحسن ما كان وجعل لهم برزة وزورة ليضربوها فحضر معهم من اختصه لهم وأمرهم بضرب الزورة لطلب الزهوة فضربوها الخاطر والماهل من الصباح إلى الرواح وأخطأ الكل ولم يصبها أحد منهم، فنظر الملك مسكيناً مستطرقاً إلى الفلاة لإراقة البول وفي يده إبريقاً فيه ماء للطهارة وليس عليه سلاح ولا في حقويه حزاق فدعا به الملك فجاء عنده وحيّاه بتحية

(١) في الأصل : ويستحضره .

الملوك.

فقال له: ما الدعوة ؟ قال الملك : أريد منك ضرب الزورة، قال: بأي تفق؟ قال: يعطيك تفقاً هؤلاء إخواننا الزائرون عندنا، فقال لهم مسكين: أعطوني تفقا، فأعطوه فضربها ومشها، فقال مسكين للملك: هل من حاجة غير هذه؟ قال: نعم أسألك أي السلاح أحسن عندك؟ قال: مهما حضر في أيدي الرجال هو الأحسن والذي غاب حسنه لا ينفع، ومشى عنهم إلى حاجته ليقضي بوله وعذرته لأنها هي أبدى عن حاجة الملوك وعن تأدية [1] الفرائض، والمحتقن لا تقبل منه صلاة، ثم قال الزائرون للملك: ألبستنا العار بسبب هذا الرجل المار الذي ليس عليه إزار، يا ليت أحد من أصحابك الذين حضروا عندنا ضربوها. فدخل الغضب في قلب الملك ولم يخبرهم بأمر مسكين خوف قلة التصديق، وعمل لهم رأياً فأمّر على أحد من خدمه المقربين وقال له: الحق مسكيناً وآتني به أسيراً ذليلاً، وإن لم يستطع لك أمرتك بقتله بلا مراجعة ولا عقوبة عليك .. فامتثل الخادم لأمر مولاه ووصل مع مسكين بالفلاة فقال له: يا مسكين جئتك لرجوعك على مولاي في هذه الساعة أسيراً ذليلاً.

فقال مسكين : امهلني قليلاً حتى أتطهر بالماء الذي في يدي، فقال له: وحق معبودي وروح مولاي إن لم تمش مسرعاً مكفوتاً وإلا عزلت رأسك في هذه البرية، فقال له: إن تمهلت فأعطيك سبعين درهماً، فقال الخادم: دراهمك لأخوتك يقسمونها بعد موتك، فجذب سيفه ورفع به على مسكين فلاذ عنها، ثم علا سيفه ثانية فارتفع عنها كالباز في الهواء

(١) في الأصل : تادي .

وضرب الخادم بإبلولة الإبريق على لبة فؤاده فطاح ميتاً ورأوه من الحصن فوثبوا على الخادم فوجدوه ميتاً فحملوه إلى المقبرة ورجعوا بخبره إلى الملك وخطاره، فقال الزائرون للملك: كيف صنعت؟ قال: هذا تكريم لكم لتنظروا فعل مسكين وقوته بأنفسكم وأوهمتم إلي بالتقصير وأنا أنضرتكم التوفير.

وفي قصة أخرى لمسكين جاء رجل إلى الملك يريد قتله وطمِع بأموال جزيلة فقال الرجل للملك: إن لي بك حاجة أريد أن أسرّك بها في الخلوة عن الخلق، فقال الملك والرجل إلى مكان آخر فتبين في جسم الرجل نفضة واهتزاز فبخّن الملك أمره وقال له: بالليل الحديث أستر لنا ولك في جسمك، فرجعا إلى الحصن ودعا الملك بمسكين فجاء عنده مسرعاً وأخبره بالرجل وأمره بقتله فقال مسكين للرجل الغريب: نخرج أنا وإياك من الحصن في غرض فخرجا وقال له: هل ترى في يدي سلاحاً؟ قال الغريب: ليس معك، قال له: الملك أمرني بقتلك فكن أنت مع سلاحك وخذني عن نفسك ولا راجع عنك، فجذب الغريب سيفه ورفع به على رأس مسكين فلاذ عنه فغضب مسكين وقبض الغريب وغلاه في الهواء ثم التقاه وغلاه بأيديه على ضلوعه وأكباده مرة بعد مرة يمشي به وهو في الهواء يغليه بأيديه حتى أوصله المقبرة ودفنه ورجع إلى بيته، فهذه سيرة الشجعان الذين يصلحون البلدان، وأما الذين يقتلون الأطفال والنسوان فبئس بأفعالهم وعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

قلت له: هل حفظت شيئاً من أخبار الملوك الحسنة التي يبلغ بها إلى الجنة؟ قال ذو الغبراء: عندي خبر مما يسر القلب عن قصة ملك من

ملوك العرب الذي يوحدون الرب قد سأل رجلاً من بلده أن يدله على الرأي الحسن الذي يغيظ به عبّادة الوثن ويريد منه النفع له ولأهل مملكته لإطفاء الفتن أراده لحياته ومن بعد مواراته بالكفن، فأشار عليه صاحبه ليتزوج امرأة مع أحد من العبّاد فإن رزقك الله منها ولداً فإنه يسرك في حياتك وبعد مماتك لأن هذا يكون له قلب رحيم للناس ويستغفر لك من ذنبك، وهاك بياناً قد حكي عن رجل معه ابنة فاستشار رجلاً في تزويجها فقال له: أما في زمن الجاهلية فالملوك يزوجون الفارس المشهور بالشجاعة، وفي زمن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يزوجون الطائع، وفي زمانك يزوجون أصحاب الرفاهية والأموال، وحكي لي عن رجل خلقت له ابنة حسينة اللون فقال له فلكي: لا تزوج ابنتك أحباءك لأنها تلد أولاداً مخانيث فلما ظهر علامات البلوغ في ابنته جاء أحد من الملوك أبوها فزوج الملك بابنته فنسلت المرأة للملك سبعة أولاد مخانيث فذهب الملك من أيديهم، ثم قال له: لا تغرك الصورة والكسوة في الناس واستمع لقول الرجل حيث يقول لابنته :

وأعجبَها الطاووسُ من حُسْنِ ريشِهِ ألم تدر أنَّ العزَّ في منكبِ الصقر

ثم قال صاحب الملك للملك : أنت سألتني عن الصلاح لك ولرعيتك فأجبتك بما عندي وقسته بعقلي، قال: فعمد الملك عند أحد من الزهاد وتزوج من عنده فدخل عليها بالليل في الساعة الخامسة من ليلة الجمعة ورب الساعة الشمس وهي في برج الحمل هو شرفها وتتصل بالمشتري من تثليث في بيته القوس والقمر بالزبرة في برج الشمس تنظر غليه من تثليث بالمودة ونعم لقول الشاعر :

وإذا دخلتَ بزبرةٍ نلتَ المنى وظفرتَ بالسعد الشريف المنعم
فيها النساءُ مباركاتٌ للفتى والصرفةُ الشوماءُ نحسٌ ترتمي

قال: فاستفتح أولاً بفاتحة الكتاب ونوى بلسانه أنكح زوجتي لأكسر مايها وشهوتي طالباً للولد اللهم اجعلها ذرية طيبة إن أخرجت من جسمي نطفة، فقبضها من يدها وقال لها: لا تخافي الجماع فقد سبق على من كان قبلك فقبلها ومص وجنتيها وشفتيها وشم أنفها وعلى صدره ضمها وبإحليله طعنها في فرجها ويديه في عجزيها وتارة في ثدييها فلما رآها انحنت أعضاءها هم في نكاحها ودار في علوها وقبضها من خصرتها وهو مجتهد في نكاحها فلما أحس بخروج النطفة في قرارها مال يمينها ورفعها على شمالها مراده الولد الذكر فبارك الله لهما في تلك الساعة وحملت ثم ولدته ذكراً وربته أحسن التربية ودللته بالآداب والإحسان لأصحابه في الزمان، ثم قالت له: يا ولدي أنت عبد من عبيد الله فلست بأحسن منهم ولكن خصك الله وفضلك عنهم وانظر إلى السابقين الفاعلين الخير بأيديهم وألسنتهم واعف عن سيئاتهم وأظهر إليهم حسناتهم وازرع زرعاً جميلاً لك ولذريتك من بعدك وأصلح دينك ودنياك فعلى هذا تدرجه وتذكره كل يوم حتى بلغ الحلم ومات والده وانتهى الأمر إليه فحسن السيرة في الرعية أكثر من أبيه لأنه عود في الذكر في صغره وشبيبته فنفعه لقيام دينه وقال ربنا : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ {٥٥} وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ {٥٦} مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ {٥٧} إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (١) ، وعدل يوم خير من عبادة سبعين سنة للنوافل .

---

(١) سورة الذاريات : ٥٥ – ٥٨ .

فثبت الملك في زمانه مشغول بأمره ونهيه، ثم عزم أن يسافر لحج بيت الله الحرام ولزيارة قبر نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) فجهر زاده وودع أهله وأصحابه وولى على الناس العلماء والثقات وصلى في منزله ركعتين وقال: اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الرعية والأهل والمال والولد، ثم أقبل إليه رجل من أصحابه المشفقين عليه وقال له: لو تعلمت أو شاورت ممن له بالعلم فأبصر والحساب لكان خيراً لك، قال الملك: أنا متبع لقول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١) ، فتحصل في السفينة وهي تجري بهم في الليل والنهار ففي بعض الأيام ظلت عليهم غمامة وتراكم السحاب وهطلت منه الأمطار واضطربت الأمواج وهبت الرياح حتى صادمت بالجواري فتكسرت في الليل المظلم فذهبت الأموال والأنفس فقبض الملك بحطبة ومكث ثلاثة أيام وساقه الماء إلى البر فلا وجد فيه حسيس ولا أنيس فحمد الله تعالى، ووقف على ساحل البحر ليس معه قدرة على المشي من الجوع والعطش والشمس وفي ذلك المكان الحر الشديد فمكث ثلاثة أيام بلياليها ويتضرع إلى الله ويقول في دعائه: اللهم أنت خلقتني وأنت هديتني وأنت تطعمني وأنت تسقيني وأنت تميتني وأنت تحييني وليس لي ملجأ ولا منجى منك إلا إليك .

فاستجاب الله دعاءه وأقبلت إليه امرأة من البداة ترعى غنماً فرأته مغشياً تترادف عليه سكرات الموت طالعاً عليه الربو فأخذت جلبابها وسترت به عورته ثم حلبت له من غنمها وأقبلت إلى فمه تقطر له الحليب قطرة بعد قطرة فارتدت إليه روحه وتحركت جوارحه ثم سقته من الحليب شربة أخرى فنهض قاعداً، ثم سقته شربة أخرى والغنم ترعى فخافت

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٩ .

على غنمها من الذئب ثم فلتت منزرها وقسمته نصفين ولفت به رجليه فنهض قياماً وهي تقوده فلم يقدر على المشي وطاح، فساقت الأغنام قدامها وحملته على أكتافها فساعة تريحه وتارة تحمله حتى ضوى إلى خيمتها ومعها ولدان صغيران يتيمان تخدم عليهما مذ مات أبوهما فذبحت لهم رأساً من الغنم وحلبت في الكرم ثم أتت بالحطب وشوت فيه اللحم فأكلوا وشربوا وصلوا وناموا فمكث الملك معها عشرة أيام، وردت عليه قوة جسمه كما كان أولاً فسألها عن الطريق وبعد الدار فأخبرته وزودته ثم قال لها: أنا اسمي فلان بن فلان الفلاني من أرض كذا ومتى بدت إليكم حاجة في الزمان فاقصدوا إلى تلك البلد واسألوا عن اسمي فإن لكم من النفع مالا تقدروا على حمله، فودعهم ومشى في طريقه درويشا يسأل من مال الله مع المسلمين فحج وزار ورجع إلى وطنه وملكه فبعد بضع سنين حل بأماكن المرأة وأولادها القحط وماتت الأغنام فذكرت في قلبها الرجل الذي رغبهم بالوصول إليه فقالت لأولادها لعلنا نصل إلى زيارته حتى نعرف صدقه من كذبه والآن ألجأتنا الحاجة إليه .

فقال أولادها: الأمر إليك، فمشوا على بركة الله تعالى يأكلون من ورق الأشجار ويسألون من الديار ويسألون مولاهم البلوغ فلما وصلوا أطراف بلدته ونظروا رجلاً يطنف إبل الملك أقبلوا إليه فعرفهم أنهم بداة ينطقون بلسان العرب فسألوه عن الرجل فقال لهم: هذا الذي ذكرتموه هو الملك المكرم والسيد المعظم والأسد الغشمشم والرؤوف الرحيم، فقالوا له: ما الرأي إلى بلوغنا عنده ؟

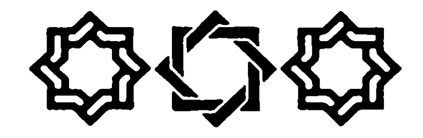
قال الطانف : أما أنا فلا أبلغ إلى مجلسه ولكن أصنع لكم رأياً وحيلة وأريد أعرف أسماءكم وأنسابكم وأوطانكم فأخبروه فأعطاهم ناقة

الملك الذي هي مركوبته وأعطاهم ما حضر عنده من الطعام والماء وضوى بالإبل إلى الحصن سوى الناقة، فسأله الخدم والمقربون عنها فأخبرهم أن امرأة قبضتها ومعها رجلان فغلبا علي وقالوا إنهم ليخالصوا فيها مع الملك وقت الصباح فقصد الخدم مع الملك وأخبروه بالقصة فنظر في أمره ساعة يفكر في قلبه ولم يبن له الأمر مما اشتغل قلبه بأمور الخلق، فلما هدن عليه الليل لم تنم عيناه فلاح في قلبه ذكر المرأة التي فعلت فيه الإحسان فنهض من نومه وأمّر على الخدم والحراس أن يجعلوا السرج والبلالير وكل شيء له نور ويضيء ليجعلوه في الحصن فلظت فيه الأنوار ونشلت الرايات فصار الحصن كأنه الشمس المضيئة فيه ينظر الناس من كل الجهات فنهضت الخلق تفكر في أمر الملك وأمرهم أن يجعلوا فيه الزينة والبخورات الطيبة ففاحت على الناس رائحة الملك والعنبر والعود المزعفر ففاحت يميناً وشمالاً ونعشاً وسهيلاً حتى أصبح الصباح وأذّن المؤذن بالفلاح نادى منادي الملك لا سفر ولا خروج ولا عمل ولا وقوف ولا أكل ولا شرب إلا مع الملك المستبشر بالفرح والسرور فعقر من الإبل والبقر والغنم ونصبت القدور وأخرجت الفرش والعيوش إلى الجبّان المرتفع عن البلد ونصبت الخيام وأمّر على سراريه وخدمه ليحملوا خيمتين وعليهما من كل زينة وكسوة وأطعمة وأسلحة للرجلين ودبر للمرأة وأولادها ليصلوا إلى الجبّان ويكونوا في الخيمتين.

فخرج الملك والناس من حوله ولم يبقَ في البلد أحد فحيث وصلوا الصحراء وسيق إليهم الموائد والشرابات والبخورات وللنساء والصبيان الأدهان والعطورات فأكلوا ما رزقهم الله فدعا الملك بالرجلين من الخيمتين فوصلا معه وحياه بتحية الملوك وأمرهما بالقعود أحدهما عن يمينه والثاني عن شماله، فأقبل إليهما بالحديث وقال لهما: أتحبان أن

تكون منزلتكما معي كما أقعدتكما عندي؟ فقالا: نعم، فقال: سيرا أنتما والقاضي عند أمكما فإن كانت تريد أن أتزوجها فعندي منزلتها على ما سبق من إحسانها لتطعمنا وتسقينا وتدير أمورنا كما حملتنا على أكتافها وأحيت جسمنا فإن سرها كلامنا فهذه إرادتنا وكونوا من الشاهدين، فقصدوا معها وأخبروها بقول الملك إليها فقالت: إن الأمر مع الولدين فإن أعجبهما ورضيا بذلك، فنعم المطلوب وإن جبنوا فلا أدخل عليهما جفاء ولو أعطيت الأرض وما فيها، فرجعا إلى الملك وأمرا القاضي ليزوج الملك فتزوج بها محضر المسلمين، ثم أمر الملك بضرب المدافع والبنادق والعزاوي وارتفعوا إلى الحصن يمشون في الزوالي وغلائل الحرير ، ثم أمر قاضيه ليكتب لأولاد المرأة لكل واحد والياً في حصن ....

.... [1] بارك الله فيهما ، وأقام الملك في حصنه تدبر زوجته الأمور على ما تشاء وتريد فهكذا جزاء المحسنين والله يقول : ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ [2] ، وهذه المرأة أحيت الملك من الموت فأحيا الله الإسلام على يديه فرفعها مولاها في الدنيا، وفي الآخرة مولانا أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين.



---

(١) نقص في بداية صفحة رقم : ٣٠٥ .

(٢) سورة المائدة : ٣٢ .

الذكر الثالث والثلاثون :

فيه حسن الظن ، وتدبير الأشرار والأخيار ، وفيه ذكر العزاء ، وما جرى بين الملك وصاحبه من المكاتبة والمسائل والأخبار

سألت ذا الغبراء عن حسن الظن في الناس المطيعين لله أهو لازم أم لا؟ قال ذو الغبراء: المحبة لهم لازمة، وأما حسن الظن فأحسب أنه غير لازم في كل حالة لأن الناس طبانعهم مختلفة، فمنهم الفطن ومنهم به بلاهة ولكن لا يخلو الإنسان من الأخلاق الحسنة الذي يحسن الظن به، وفي بعض الأمور أولى الاحتراز وأسلم للعارف المميز الوازن عقول خلق الله ، قال الشاعر :

وأعزمُ الناسِ عقلاً من إذا نظرتْ عيناه أمراً غدا بالغير معتبرا
وأحزمُ الناسِ أن لو ماتَ من ظمأٍ لا يقربُ الوردَ حتى يعرف الصدرا

قال غيره:

لاتتركِ الحزمَ في شيءٍ تحاذره فإن سلمت فما في الحزمِ من باسِ
العجزُ ذلٌ وما في الحزمِ من ضررٍ وأحزمُ الناس سوءُ الظنِ بالناسِ

كما حكي لنا عن أحد من العلماء الزاهدين أنه تزوج امرأة من غير بلده وكلما أرادت زيارة أرحامها كارى عليها فلا صحبها بنفسه ولا أحد من أرحامها معها في سفرها فمثل(١) هذا العالم لا يزوجون أصحاب

(١) في الأصل : ففي مثل .

العقول الرازحة وكثير من أهل الجهل لا يرضون لنسائهم أن تسافر من غير محرم عندها فإن زوّج المحترز من أهل الجهل فلعله أسلم للمرأة.

والمسألة الثانية : إن سمعت أحداً من أصحاب العقل يقول أيها الناس تزوجوا من إخوانكم في الله لأنهم يعطون الحق من نفوسهم، فقل له قد نطق بالحق صاحبك ولكن كثيراً من الأخوان تزوجوا على ما تهوى نفوسهم حتى يكسروا شهواتهم عن الحرام، ولا ينظرون إلى العيوب والعرق الدساس وعملوا بالجائز وتركوا الاحتراز وكثير من العصاة لا يرضون بمثل ما ذكرنا، وأولى للعاقل أن يتزوج عند الجاهل المحترز. والحالة الثالثة في حفظ الأمانة ليس كل من أطاع الله له معرفة ولا نداهة[1] وكذلك أمانة الأولاد في الحضر والسفر والبيع والشراء والعوايز[2] في الأسفار ومقاسمة الأموال اليتامى والأغياب ليس كل مطيع له دراية لمثل هذا وكثير من الفسقة يرجى منهم الصلاح وفي قلوبهم رأفة ورحمة وهمة وفطنة عالية لحوائج المسلمين من الأسواق ولا يخونون أماناتهم يتخذون بذلك فخراً لهم .

والحالة الرابعة؛ كثير من المؤمنين تسمع منهم الكلام الحسن ويظهروا بالتشجيع والتشمير وهم بخلاف ما فاهوا به وليس في قلوبهم جبن ولا خور، ولا يجوز الطعن فيهم ومعهم في ذلك حجة مما تبهر العقل، ولا يمكن شرح المسائل هنا وفي هذه الحالة يسرّك فيها الأشرار لأنهم يتقون عنك النار والعار، وقد حكي لنا عن صبي أمسى في بعض القرى فوجده قوم من المتمردين وقهروه وفجروا به كرهاً والصبي من غير

---

(١) أي : فطنة ونباهة .

(٢) أي : الحاجات .

عشيرتهم فأخبر بفعلهم سكان البلدة فأخذهم الغضب وساروا إلى الفاجرين بولدهم فقتلوهم واخذوا أموالهم وما ظالم إلا سيبلى بظالم فعلم السلطان بالفعل في رعيته فجَيش على القاتلين، فصح بينهم القتال فقُتل السلطان وانكسر الجيش وكثر فيهم القتل وهم مدبرون فانظر فعل الأشرار .

والحالة الخامسة إن سألك إنسان عن أمر دينه ولم تجبه من قلة حضور عقلك في تلك الساعة فيرميك بالعدواة وليس في قلبه تمييز في هذه الحالة وبعض من الجهلاء إن جبنت عن جوابه عذرك وله قلب واسع ولكن الذي يحسن به الظن الرجل العاقل المتورع السائل عن أمر دينه وصلاح دنياه فلا يجوز لك أن تخوض مع الخائضين في الكلام لهذا الرجل المذكور، وقد حكي لنا عن رجل قليل العلم ومعه أمانات للمسلمين فرماه أهل الجهل بالحسد وأخبروا المطيعين بأمور لا تليق بالزور والبهتان فخاصموه كلهم مع حاكم البلد فلزموه في الأمانات ولم يمتثل لقولهم وكتب الحاكم إلى الوالي بأدبه فأدبه الوالي كما أمره الحاكم فمشى أهل الأمانات إلى عالم البلد وقصوا عليه ما جرى من الوالي والحاكم فأحضر العالم الوالي والحاكم وأهل البلد وأمرهم بالاحتجاج لصاحب الأمانات في محضره صاحب الأمانات فحجهم وظفر بهم .

فقال العالم للوالي والحاكم وأهل البلد: فأنا اتبع الحق ممن جاء به ولو كانت أمَة وحيث دار الحق فأدور ولو كانوا أهل البلد على كلمة واحدة على الباطل ما سمعت لقولهم وكنت أحسن الظن بكم في السابق، والآن أراه سوء الظن في الناس من حسن الخلق . فحين رأوا العالم غضب عليهم راجعوا نفوسهم واستغفروا ربهم فافهم الفرق بين الناس واوزن الناس بعقلك وأعط كل إنسان ميزانه .

قلت لذي الغبراء : روى لنا أشياخنا، رحمهم الله، عن ملك عنده زوجة جميلة صالحة طيبة تقية نقية مباركة غنية سالمة ولها خدم يوالون أمرها ولها تدبير وتمييز في الملك ويتصل بها الناس ولا يخرج الإنسان من عندها إلا وقد تعلم حكمة ثم نزل بالمرأة السقم فجاء إليها الأطباء وأهل البصائر فلم يفعل دواؤهم لدائها وتقول المرأة للناس الوداع الوداع من هذه الدار، فليس لنا فيها قرار، فهذا كلامها إلى أن خرجت روحها فدخل في قلب الملك الهم والحزن والناس تصل إليه للتعزية ستة أشهر فكلما وصله رجل وخرج إلى وطنه وأهله مكرماً وشاكراً من كثر العطاء الذي أخذه من الملك، وكان للملك صديق لم يصله مثل الذين وصلوا لعيادة[1] امرأته في السقم، ولا بعد مماتها للتعزية فدخل في قلب الملك الغضب على صديقه بقلة وصوله إليه وكتب له بسم الله الرحمن الرحيم من الفقير الحقير أمير المؤمنين إلى المحب الصديق الشفيق فلان بن فلان الفلاني وعليك السلام ورحمة الله وبركاته أما بعد فلا وصلت عنك أعلام لا بالأقدام ولا بالأقلام ولعل كفاك بما في يدك عنا والسلام .

وقال عبدالله بن حميد الغافري شعراً :

عن الوصلِ للأحبابِ لا شيءَ مانـعٌ	ولو قطعتكَ الماضيـاتُ القواطـعُ
لقولِ رســولِ اللهِ لا تهجرنْ أخـاً	صفا لك ودّاً ما بـدا الفجرُ طـالـعُ

فالجواب هذا : بسم الله الرحمن الرحيم ، وصل تعريفك أيها الأمير ويكفيك عن وصولي بما ابتلاك الله من الهم والحزن والذين وصلوا إليك هم أحرقوا بقلبك وهم مسرورون بضيفك به ومن قبل التأخير في التيسير

(١) في الأصل : لإعادة .

والسلام عليك من صديقك فلان بن فلان .

وقال الشيخ علي بن ناصر بيتين :

فما كل ذي وصلٍ محبٌ ونافعٌ فكمْ واصَلَ الأعدا عدوٌ مخادعُ
ولا كلّ ذي قطع عن الوصل مبغضٌ فما منعَ القربى عن الوصل مانعُ

فلما وصل إلى الملك الجواب وقرأه رأى مكتوباً فيه الحق والصواب فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ثم فزع قلبه وقال لجلسائه ما أظن أن أحداً من أصحابي يكشف ما في قلبي ويسد عورتي وخللي، فاليوم ظهر بأن صديقي فلان هو المتكلم بما في قلبي فأتوني به فلما وصل عنده حيّاه بتحية الملوك وقبضه من يده فقال له أيها المحب أبحت لك في أمري فكن مني وعني واحكم في رعيتي على ما تشاء وتريد، فقال الصديق: قبلت منك الأمر وأطلب به الأجر، ونادى منادياً من ساعته أيها الناس لا عزاء بعد اليوم، فعملت الرعية بتوقيف العزاء وتناظر أهل البلدان حيث أهالهم الأمر وجعلوا رأيهم مع رجل واحد من علمائهم المتشجعين في الكلام، فأقبل الرجل مع الملك وسلّم عليه وحياه بتحية الملوك واستأذنه في الكلام ليكون عليه الأمان، فقال الملك: لا تخف ممن أطاع الله ورسوله والمسلمين، فقال الرجل: أرسلني إليك قومك وقد سمعوا مناديك بقطع السّنة الجارية، وقد عمل بها آباؤك وأجدادك، والأمم التي سبقتك فيعجبني لك الاّ تبدل عنهم تبديلا ولا تحويلا وكفى بهم قدوة لهذه الأمة فامتثل نصيحتي وانْهَ نفسك عن متابعة الهوى، فإن الجنة هي المأوى، ثم قال له الملك: وإن حجَّك في أمرك محاجج وظهر لك الحق أترجع أنت وأصحابك عن الباطل؟ قال : نعم ؛ فقال الملك

لصديقه: أقبل بالحديث لهذا الرجل فجاءه بقربه وقال: ما تقول أيها الرجل إن رأيت الملك في قلبه الهم والحزن أما أولى بجلسانه وأهل مملكته؟

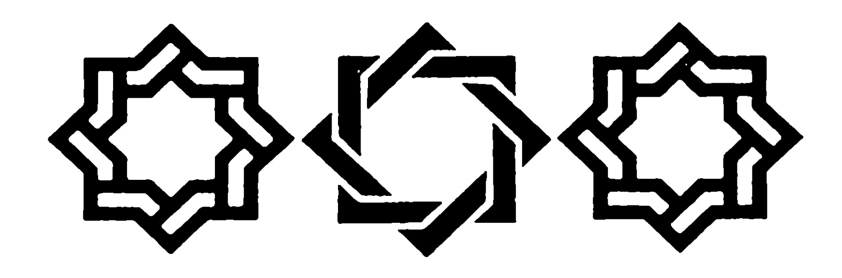
قال: يجب عليهم أن يسلوا قلبه بالكلام الحسن، والهدايا إليه، قال له: أتشهد بهذا؟ قال: نعم، فقال له: كيف صنعتم به حين أصابته المصائب أما جئتم معه للتعزية باللباس والزينة وأطعمكم المعيشة الطيبة وساق لكم من الذهب والفضة والكسوة الحسنة وأظهر لكم الفرح والسرور خوفه من ذم الجسور فأعطاكم من النعم وفي قلبه لهيب كالسم، وأنتم تنظرون إليه فلا التمستم لدانه دواءً أهذه سيرة العقلاء أم سيرة الجهلاء؟ فقال الرجل للملك: قد حجني صاحبك بالكلام، ثم قال الصديق للرجل: أسألك عن العزاء الذي عمله الناس ألخذوه من كتاب الله أم من سنة رسول الله أم عن المهاجرين والأنصار الذين سبقوا بالفضل والإحسان؟ فقال الرجل: وجدناه في الكتب مؤثراً في وصايا المسلمين، فقال له: أهذه الوصية من الضمان المتعلق على صاحبها؟ قال الرجل: هذه الوصية التي تخرج من الثلث، فقال الصديق: أهذا العزاء محدد أم مجهول؟ قال: بل هو مجهول، قال له: إن مات الرجل أما تقدمون العزاء قبل الديون والضمانات؟ قال: يحضر الأكابر ويحسب ما على الهالك من الضمانات ثم تحسب الوصايا والعزاء بعد فاقة الناس، قال له: وإن لم يكفِ ما خلفه الميت لحق نسائه وضماناته وديونه أترجعون ما أكله الناس والدواب من بطونهم؟ فقال: ما أكله المسلمون هو رحمة للمؤمنين .

فأجابه: كل صديق مخسّر فهو عدو مبين، وهذا تبذير والمبذرون هم إخوان الشياطين، فأين عنكم كلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين مات أحد من صحابته أما قال (أطعموا آل فلان)، أليس هذا خلاف

لقول رسولكم وأكلتم أموال اليتامى ظلماً كالذين يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا، ثم أنزلتم نفوسكم مثل السمك يأكل بعضه بعضاً فتفرحون بالمصائب كالناظر للحرب ولبستم الثياب الفاخرة وأكلتم المعيشة الطيبة بلا ثمن فهذا هو العيد الأكبر، ولكن أقسمت عليك بمعبودك أخبرني عن الوارثين ، إذا أقبلوا إليهم الواصلون ، يفرحون أم يحزنون ؟ قال : بل هم متكلفون، ومن فقد ميتهم يبكون ، وعلى أموالهم يتحسرون ، فقال : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ ، فالأخرى هي المصيبة العظمى ومحاسبون عليها في العقبى .

ثم قال الصديق للرجل : أتحب أن تسمع شيئاً من القصص؟ قال: نعم، قال: فقد حكي لنا عن فريقين صحت بينهما عداوة واختلاف فكلما نزلت بلية أو مصيبة بإحدى الفرقتينَ فرحت بها الفرقة الأخرى فسلط الله عليهم قوماً بالظلم إليهم جميعاً وهم اشد منهم كفراً ونفاقاً، فكلما وقع منهم النهب في فرقة عقرت العقائر ونحرت النحائر ونصبت القدور وجمعت الأكابر والنساء والرجال الفرقة الأخرى وعلى هذا دأبهم وكثرت بينهما العدواة حتى كاد يقع بينهما القتال ومع كل فرقة أحد من الرهبان، وكلما أراد الراهب شيئاً امتثلوا له فاجتمع رهبانية الفريقين في غرفة وآل نظرهم على أن تكون العقائر والنحائر على المظلوم من الفرقة وإن كفى ما عنده وإلا فأهله المساعدون إليه وليجتمع الفريقان لأكل الطعام فعمل الفريقان بقول الراهبين إلى أن ظهر الإسلام وماتت البدع السالفة أما تحكم على نفسك بالعزاء هي أختها وأقبح منها، لأنه قد أطعم صاحبكم تسما واجتمع عليه الصديق والخصيم ليأكلوا أمواله يذوب جسمه فهم يضحكون ويأكلون ويشربون وينامون لا خوف عليهم ولاهم يحزنون .

ثم رجع الرجل إلى القوم وأخبرهم بما سمعه من الملك وصاحبه فقالوا له: ما تقول أنت؟ قال: ما رأيت إلا صلاحاً لنا ولكم، وحقيق علينا أن لا نقول على الله إلا الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (١) .



(١) سورة النساء : ٥٩ .

الذكر الرابع والثلاثون :

فيه لسلامة الأنفس ، وفيه من الأدب والشرع

قال صاحب ذي الغبراء: سألت عن المرء الذي يكون في زمانه سالماً؟ قال: رفع لي عن أبيه عن جده أنه كان تاجر سار مسافرا إلى بعض البلدان فوجد في سفره داراً مخضرة بالأشجار وتجري في بيوتها الأنهار، وبها المساجد وفيها العباد، فإذا هو برجل كشف كتاباً والناس من حوله يستمعون، قال: فسمعته يذكر في سيرة حسنة للأولين والآخرين وقال شعراً :

إذا لمْ يكنْ علماً يزينُ بهِ الفتـى إلّا فمالٌ ساترٌ لمعايبِهْ
وإنْ لمْ يكـنْ مـالٌ فعقلٌ وعفـةٌ يزينُ بهِ في الناس مَعْ مَنْ يصاحبُهْ

ثم قال: اعلموا أيها المسلمين أن الله خلق الدنيا والآخرة، وجعل فيها الذكر والأنثى، فمنهم الدنئ ومنهم الشريف، ومنهم من الأشرار ومنهم الأبرار، ومنهم موسر ومنهم صاحب إعسار لأن الدنيا فيها الإقبال وفيها الإدبار، فالذي تراه أدبرت عنه الدنيا فلا تصحبه أبداً لأن الله ينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء، فإذا رأيت الملك في ضعف وظهر عليه أحد فكنْ مع الذي ظهر وحجتك تقوى مع قوته لأنه لابد للمرء من شباب له في دنياه، وأما إذا صحبت الملك الذي نزعه الله عنه فلم تزل في الكسيرة والعداوة والغرامة والنكال والهم والحزن وكذلك إن بدا لك غرض في الشركة والتجارة والزراعة فلا تشارك إلا بالذي رأيت مقبلة إليه الدنيا فإنك تربح من رباحته والذي أدبرت به الدنيا

فتخسر من خسارته، وإن لم تكن له هايشة [1] ولا سفينة فلا تكاري إلا صاحب الهايشة الواثقة الصحيحة والسفينة الحديثة المانعة، لأن في هذا لا ترى عضالاً والهايشة الضعيفة والسفينة القديمة أكثر سفرك فيه تعويق.

وأما البيع والشراء فلا تبايع الذي أقبلت له الدنيا ولكنك اشتر مع الذي أدبرت به الدنيا، وأما إن أردت أن تتزوج وتقنع فخذ من الذي أدبرت عنه الدنيا، وإن كانت لك قوة في المال والمهور فتزوج من الذي أقبلت له الدنيا ولكن لا تأخذ المرأة الكبيرة ولا صغيرة السن بل خذ المرأة الشابة المقبلة إلى بعلها وبيتها، والحذرَ الحذرَ عن صحبة الجبان، وقربة الشحوح الغشوم والأحمق والتهيم ومن تعلقت عليه التبعات والدموم، وصاحب الأجواد والكرام والشجعان والصابرين في البأساء والضراء كما قال الشاعر :

ومنْ رابعَ الأجوادَ، جادتْ به العُلا   ومَنْ رابعَ الأنذالَ كَثُرت مصايبُهْ

ثم قال : وعليك بالصبر والاحتمال للناس ولا تعاتب الناس بزلاتهم ولا بطبائعهم؛ لأن من أراد صاحبه دون عيب فاته الدهر دون صاحب، ولا تقصد إلى الأمراء والملوك إلا لحاجة دعوك إليها، لأنك إن أجبتهم لحاجة دعتك نظروك بعين الحقارة ومثلهم المتشاجرون والمتخاصمون، إلا أن يرضوا بكلامك، واجعل نفسك عزيزة إلا مع إخوانك أو كان أقل منك منزلة، وزر إخوانك وأرحامك ولكنك زرهم غباً تزدد حباً، ولا تطل القيام معهم، ولا تكثر من الناس في صحبتك إن قدرت بنفسك لا هايشة معك

---

(١) أي : الدابة .

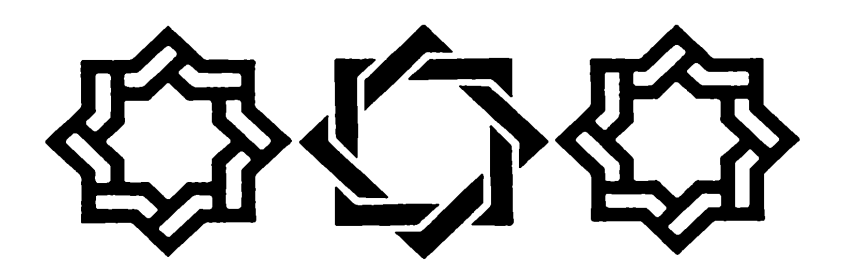
فذلك أحب في قلوبهم، وإن صحبت أناساً في طريق فلا تتقدم ولا تتأخر بل كن في أوساطهم ، لأن المتقدم له قوة والمتأخر ضعيف ، وهم متضادون ، واخدم في السفر أصحابك وقدم زادك، وإن أكلت فلا تنظر إلى الناس مع الأكل وصغر اللقمة وأطل المضغة ومص الماء مصا ولا تغبه غبا، واكتحل فردا، وادهن غبا، واجعل لجسمك ما خفي من الرواء، وإن نزل عندك ضيف فلا تقعد معه للأكل، وإن قعدت وأكلت فكل في أول ابتدائك قليلا واجتهد في آخر أكل الطعام، وأما إن كنت أنت الخاطر[1] وأكل معك صاحب البيت فاجتهد في الأكل مع ابتداء الطعام، وقلل منه آخرا، وكذلك إن أكلت أنت والناس فعلى هذا، وإن حضرت مع أناس فلا تجلس في المكان العالي مثل المنابر والكراسي والمحاريب والدكاكين المرتفعة إلا إذا دعوك إلى هناك.

وإن أنزلك أحد من الأمراء أو الملوك أو الحكام في المنازل الرفيعة وأباحك في أمره في ثلاثين خصلة فاقتصر عنها إلا إن دعتك حاجة في واحدة فخذها؛ لأن كثيراً من الناس من وجد خصلة أخذ مائة ومن هكذا لا يثبت لهم أمرا، وإن سكنت أو نزلت مع أناس فاخضع نفسك للغني والفقير والكبير والصغير، وازرع الجميل لوالديك تحصده مع أولادك، واتخذ أخاً لتكشف سرك معه، وإن رأيت مع أناس أموالاً ونساءً حساناً فاحرز نفسك عن تهوي بك في الطمع شيء أو يدخلك الحسد، وإن رأيت فقيراً أو مريضاً به علة فاسأل مولاك له الرحمة وقل رب ارحمني من هذا البلاء، وإن خصك الله بعلم أو مال أو أولاد أو زوجات صالحات فاشكر مولاك ولا تجعله من حرثك واجتهادك؛ لأن كثيراً من خلق الله

---

(١) أي : الضيف .

خصهم الله فتاهوا فنزعه الله عنهم في حياتهم فأذلهم الله وسلط عليهم الأسقام ومن لا يرحمهم ، وقال ربنا (جل وعلا) في كِتابه العزيز : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُس وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) ، قال : رأيته ختم كتابه وقام للصلاة.



(١) سورة البقرة : ١٥٥.

الذكر الخامس والثلاثون :

فيه من حيل شيطان الإنس على تفريق الزوجين ، وفيه قصة نصيح الإنس ، وفيما جرى على يديه من اتفاق الزوجين

قال صاحب ذي الغبراء : جلست يوماً في الخلوة في فرأيت شاباً ماراً في البرية فناديته أن يقف لي ساعة فقال: ما الحاجة؟ قلت له: هل عندك خبر أو علم عن ذي الغبراء؟ قال: رأيته بنظري وسمعته بأذني يذكر للمسلمين الفرق بين الأبالسة والشياطين، قال: فالأبالسة هم أولاد إبليس اللعين والشياطين مجموعين من الإنس والجن والشياطين، ولا تطلق أن يقال للإنسي إبليس ولكن يقال له شيطان كما قال ربنا في كتابه العزيز : ﴿ شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً ﴾ [١] ، وشياطين الإنس أقوى عن الباقين وقد هلك بنو آدم من اتباع شياطينهم وأمرائهم، كما حكي لنا عن أحد من الإنس جلس يوماً مع أجناسه المتمردين فقال لهم: أنا سيد المردة، أنا مفرق شمل الجماعة، أنا مفرق بين الحمار وطعامه وبين المرء وزوجه ألا فاحذروا من مكري وخدائعي، وإني أوشك[٢] من السم الذي يسري في الجلد.

قلت لذي الغبراء: فسّر لي عمل السم، قال: خذ دفلى وهو الحبن يغلى بالماء ثم ببول الحمار ويوضع عليه نورة ودم شخر كل مكوك ثلاث قياسات نورة بيضاء وتكون الدفلى معمورة ونصف .

---

(١) سورة الأنعام : ١١٢.
(٢) أي : أسرع .

قال : فأجابه أحد من أصحابه وقال له: لا تفتخر بما تطيق عليه ولا بينت منك براهين؟ فقال شيطان الإنس: ستجدون اليوم المقبلة ما لا يعمله عامل من قبلي ولا يقدر كعملي أحد من بعدي وإني أجعلها لكم قصة تفتخرون بها وأهل العقول يخافون أن تحدث عليهم بزمانهم أختها فابتدأوني بالسؤال حتى أعطيكم الجواب .

فقالوا له : ما مثل الزاهد محمد بن سعيد وزوجته حبيبة بنت عبدالله قد بانت للخلق فضائلهما وحسن أخلاقهما وكرامتهما، ولا سمعنا أحداً منهما يشكو من صاحبه من جمع الله بينهما إلى يومنا هذا وأنت أيها المتمرد تدخل لمن هو مثلك أو أضعف منك منزلة، فقال لهم: إن لم أفرق بينهما بكرة، وإلا فمالي لكم هبة، قال: فشهدوا عليه بما قسم على نفسه، فأقبل عليه الليل فلم تنمْ عيناه حتى أذن المؤذن لصلاة الصبح فخرج من بيته ورفع الماء إلى وجهه ووقف على باب المسجد فنظر محمد بن سعيد أقل إلى الخروج من المسجد فسلم عليه وأيقظه للحديث معتزلاً عن الخلق، فقال شيطان الإنس: اسمع يا شيخ إني رأيت في النوم رؤيا وجئت مسرعاً أقصها عليك قبل أن تذهب من قلبي وهذه الرؤيا هي لك يا شيخنا لأني رأيت الملائكة المقربين في مكان عال مرتفع وحولهم الملائكة وذكروا بني آدم وما أعطاهم الله من نعمه فقال ميكائيل ما خص الله أحداً مثل محمد بن سعيد أعطاه الله مالاً وعقلاً وجسماً صحيحاً وزوجة صالحة مباركة طيبة فطوبى لهما وحسن أخلاقهما، فقال جبرائيل: صحيح ما قلته ولكن لو أنها عنده رمانة خادمة سعيد بن علي لكان انتهى الغاية في زمانه، قال ومن حسن خصائل زمانه عندها الكحل إن كحلت به عينيها نظرت كنوز الأرض، ومعها اسم إن تلته بلسانها مضت إلى مشارق

الأرض ومغاربها في ساعة واحدة .

قال : وليتها تكون عند محمد بن سعيد لتجتمع له الخصال المحمودة فهذا ما رأيته وسمعته من قول الملائكة ففكر أيها الشيخ في هذه الرؤيا، فقال محمد بن سعيد: ما الرأي في طلوع هذه الخادمة من عند سعيد بن علي؟ فقال له: أنا صاحبك إليه وربك المسهل لقلبه، فقال محمد: اقصد بنا إلى بيت سعيد بن علي، فتصاحبا حتى وصلا مع البيت ودخل الشيطان مع سعيد بن علي وأخبره بوصول محمد بن سعيد وما إرادته ونهاه عن البيع وأمره أن يزوجه إياها ويأخذ أموالاً جزيلة، وقال له: لا تصبر عليه لمحة فيها، فلما تم باطن سرهما هبطا من البيت إلى محمد بن سعيد وتصافحا وأدخلهما البيت وأتى إليهما بالطعام.

فقال محمد: ليست حاجتنا في الطعام وقد جئنا لشراء الخادمة رمانة من عندك، قال: الكلام بعد الأكل فأكلا ما طاب لهما، ثم قال: ثمّن علينا بلا مجادلة، فقال سعيد: أما البيع فلا يكون ولا يجوز لي بيعها ولو بذلت لي أموالك كلها فالخادمة عندي خير من البلد وما فيها، فقال محمد لصاحبه: ما الحيلة؟ قال: الحيلة لنأخذها من عنده بالنكاح وتقضي الغرض منها ولتعطيه المهر بما يريد، فقال محمد: يا سعيد سألناك بالشراء ولم يحصل والآن نسألك أن تزوجني إياها وأنا ضيفك ولا يجوز عليك أن تجفينا، فقال سعيد: مثلكم لا يجافى ولكن على مراجعة، قال: لا يجوز علينا وعليك المطالبة، فقال له: التسليم ألف محمدية أتقبل على هذا الشرط ؟ قال : نعم ، زوجني إياها، فجاءوا بالشهود وزوجه إياها، فقال سعيد بن علي لمحمد : انقل على الألف ، قال : لا يمكن أما إنك سلم أو إنك طلق، فقال شيطان الإنس: أنا أصلح بينكما أنت يا محمد والشهود

قفوا في بيت سعيد وأكتب أنت بالألف وأنا آتيها إليك فكتب لزوجته حبيبة بتخليص الألف وقصد الشيطان يرفل إلى البيت فحرك حلقة الباب وشرفت إليه فقالت له: ما الحاجة؟

قال: أرسلني إليك زوجك ببروة فأسرعت إليه وقرأت ما فيها وأتت إليه بالألف وقبضها فقالت له: كيف شرى محمد؟ فقال لها: غيري سيخبرك بعلم الشر، فقالت له: إن محمداً حاشاه عن الشر، فقال: أخاف أن يدخل في قلبك حرج عليه، فقالت: حاشا وكلا ما حدث في السابق ولا يكون في القابل، فقال لها: اعلمي أن زوجك محمد ابن سعيد جاء عندي وقال لي أريد منك أن تسعدني لشراء رمانة خادمة سعيد بن علي فصحبته فأبى سعيد عن البيع وزوجه إياها بألف وأنا نصحته قلت له كيف تريد رمانة وأنت وزوجتك متفقان؟ قال لي: ما تدري بما في قلبي ولولا حقد في القلب ما حملت نفسي هذا الأمر وكل أخبر بما في قلبه فلا تلومني، ومن هذا إلا أردت أن أخبرك وأردت غيري يعلمك بخبره فإذا كان على هذا الإحسان الواقع منك إليه فكيف إذا استقبلت رمانة إليه واختارها عليك ما الحيلة إليك أن تكون خادمة أرفع منك منزلة فقيسي بعقلك واختاري بالخروج منه من قبل أن يدخل عليك، وغيّري منه مع القاضي في هذه الساعة فإن لك الغيَر ومشى عنها حاملاً الدراهم حتى وصل مع محمد وقبضه الدراهم فعدها لسعيد، وأما حبيبة لما سمعت قول المتمرد مشت إلى القاضي وغيّرت من زوجها أنه أخذ فوقها خادمة مملوكة فدبر القاضي إلى محمد فوجدوه يعد الدراهم لسعيد بن علي فأعطوه مدة مع القاضي فمشى هو وصاحبه الشيطان مع القاضي، فلما وصلا قال له القاضي: هذه حبيبة وصلت عندي وغيّرت منك بأخذك فوقها خادمة، فقال

محمد: اليوم بلغت، فقال القاضي: لما علمت غيّرت فهل دخلت عليها بعد العلم؟ قال محمد: كيف أدخل عليها وأنا في هذه الساعة امتلكت بالخادمة، فقال له القاضي: اعلم أنها فاتتك زوجتك ولا تحتاج إلى طلاق وكل ما صح بين الزوجين من حرمة أو بانت منه بالإيلاء أو الظهار فلا يحتاج إلى طلاق ولا ميراث بينهما، فقال محمد للقاضي: من أين هذا الحكم؟ قال له: من قول المسلمين وهو من قول أعلم العلماء وأفصح الشعراء الشيخ أحمد بن النظر شعراً :

وتخرج عنه بالخيار لأخذه   على حرة مملوكة تتمدح
وتختار إن شاءت خروجاً ومالها   عليه اختيار واجب حين تنكح

فقال شيطان الإنس: اتبع نصحي، خذ بالذي يريدك واترك بالذي لا ينظر لك صلاحاً ولا يريد لك زيادة، ولو أن امرأتك صالحة لما أظهرت لك الأمر حتى تستخبرك وتعرف مرادك، ولكن، اصبر فإن الله يعوضك وستجد مرادك على ما تهوى نفسك، وإنك ستنظر النساء الحسان والخزائن في كل ساعة فأزلف هذه المرأة عن نفسك ولا تلتفت إليها وأقبل على الخادمة بما تريد، فخرجت عنه المرأة بمالها في ذلك اليوم، وأقبل إلى الخادمة، وأمرها شيطان الإنس بالإحسان إليه وسرها بكلام إن سألها، فلما دخل عليها خضع لها لبلوغ الإرادة وسألها عن نظر كنوز الأرض وكفت الأرض أعندك هذا؟ قالت له: عندي ولكن هذه السنة دخلت بالثلاثاء تدل على الدموم والشرور والفجائع في الأمور ولا يدخل فيها داخل على الروحانية إلا هلك فلا فائدة فيها بذهاب الأنفس، ولكني سأخبرك أنه في السنة المقبلة تدخل بالسبت فيها قوة للعبيد وتصطلح

فيها الزروع والكلاب التي [1] تحرس الإنس، وإن تدبيرها لرجل هو أثقل الكواكب وأعلاها في السماء السابع ويرخص فيها الرصاص الأسود والأثمد فتمهل إلى دخولها إن أبقى الله في عمرنا، ومراد الشيطان تخلص منه المرأة وتتزوج رجلاً غيره.

وأما محمد فأحسن السيرة في الخادمة وولاها ماله وحاله كأنها هي السيدة عليه حتى دخلت السنة بالسبت، فسألها فقالت له: كيف عقلك يامحمد أنت مجنون أم أنت سكران قد دخل على عقلك شيطان الإنس حتى أخرج عنك زوجتك وبقيت أنا من بعدها عندك، وهذا الذي أردته مني هل سمعت به من عالم أو ولي من هذه الأمّة، فغضب عليها وضربها حتى تكسرت أضلاعها فقالت له: بئس ما صنعت بي ولو أن فيك مروءة لقتلت صاحبك الداهي عليك، وقد لزمك لضربي إرش، ثم أخذ سيفه وجذبه ومشى إلى صاحبه فوجده في ملأ الناس، فقبضوه ومشوا به إلى الأمير فقيَّده، وتغير عقله وصار مثله كمثل الكلب الذي يلهث حتى مات.

فاحذروا أيها المسلمون من مردة الإنس وخصَّ النساء بهذا لأن مكائدهن عظيمة.

واما قصة حبيبة بنت عبد الله لما رجعت إلى بيتها ومالها وعلم بها الناس والأكابر بما وقع عليها من زوجها، وبما فاهوا به الأمراء في تزويجها بعد خلوصها، فآل نظره أن يصل معها لينصحها وأخذ في صحبته رجلين ثقتين ليخرج عن الشبهة والريب مع الخلق لأن لا مراده إلا كلمة الحق فلما وصلوا إلى بيتها استأذنوها بالدخول فأذنت لهم ودخلوا عليها فقال لها النصيح: علمنا بما وقع عليك سابقاً وفي قلوبنا لا نظن

---

(١) في الأصل : الذي .

فيكما إلا بالخير حتى دخل على قلوبكما شيطان الإنس ففرق شملكما. والآن علمت عن الناس أنهم راغبون فيك وقد جئنا إليك عانيين بالنصيحة أن لا تتزوجي أحداً من الرجال إلا بنظر مني حتى أخبرك بعيوب الناس، قال فأعطته عهداً وميثاقاً فلما رأتهم أرادوا الخروج سألت النصيح عن رؤيا رأتها قالت رأيت طيراً واقفاً أعلى مني وأهدى إليّ لباسا فكساني من رأسي إلى قدمي، فقال لها النصيح: فهذه رؤياك تدل على أن تتزوجي برجل أعلى منك حسباً واللباس يدل على التزويج كما قال ربنا : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ (١).

فسرّها قول النصيح وفي ظنها أن يأخذها أحد الملوك، فخرج النصيح من بيتها هو وصاحباه فمكث أياماً فوصل مع النصيح أحد من البداة فقال: أتعرف أيها النصيح تفسير الأحلام؟ قال له: وما رأيت أيها البادي؟ قال: رأيت ذكري طال بقدر باع وأزيد وظهر على الناس وخفت منه على نفسي الشتم والفضيحة حتى أقبلت طيرة وظلت على بريشها ثم كستني قميصاً من الصوف ووجه فيه من القطن وأعطتني جلداً والبسني القميص طير الهدهد ومن حواليه ثلاثة طيور، فقال له النصيح: لك الخير مقبل يا خلفان، ثم في يوم آخر دخل النصيح السوق ولاقاه البادي خلفان وقال: أسألك يا نصيح الأمة قد ابتلاني خالج بالبيضة اليسرى من ثلاثة أيام، فقال النصيح: أبشر يا خلفان بالرزق والولد، فأضمر النصيح في قلبه أن هذا زوج حبيبة بنت عبدالله وسأل الله أن يؤلف بينهما ويجمع شملهما، وأما الناس فمنتظرون إلى خلوص المرأة كهلال العيد.

فلما انقضت أيامها وطهرت من حيضها دبرت إلى النصيح أن

---

(١) سورة البقرة : ١٨٧.

يصل إليها هو وصاحباه، فوصل النصيح وقال لها: من رغبتك من الرجال؟ قالت: رغبتي في الملوك لطلب العز والسمعة والحشمة في الدنيا، فقال النصيح: ونعم بذلك ولكني سأخبرك بعللهم، اصنعي طعاماً لمن أرادك واصغي إلى قولهم مع أكل الطعام واجعلي نفسك الطعام وأكله البعل، فإن أعجبه وشكر ربه فذلك الزوج الخالص فخذيه بعلاً لزمانك، واحكمي لهم بذلك ولا تردي أحداً أبدا، والجواب بالإحسان واجعلي عذرك لمن لا تريدينه بعلة في جسمك حتى يعرف أنه لا يطيقك إلى مضاجعة، فهذا ما عندي من البيان وحسن النصيحة فولى عنها هو وصاحباه، فأول من أرسل إليها الملك فأجابته بالإرادة والوصول إليها فلما وصله الجواب ثوّر من حصنه هو وعسكره حتى وصل إلى دار المرأة فهيأت له من الطعام من كل مائدة ومن الشرابات من أحسنها ومن الروائح من أغلاها ودعتهم للأكل وهي تنظر إليهم وتسمع كلامهم، فما مد الملك يده إلى الطعام وأمر أصحابه بالأكل فأكلوا وشربوا، وأخذوا الروائح وجعلوها في لباسهم وجنوبهم، ثم قال الوزير للملك: مالك أيها الملك لا أكلت ولا شربت ولا جعلت رائحة لجسمك؟ فقال: نحن الملوك لا نأكل من طعام الناس نخاف من السموم فيه ويهلكنا ، وأنا أكلت من بيتي ، ولم أشتهِ الطعام حتى رجوعي .

قال : فلما سمعت حبيبة كلام الملك آيست منه وصدت قلبها عنه لأنها إن أخذها خافت أن لا يدخل عليها وإن دخل مرة واحدة فلا يعود عليها ومعه من النساء الحسان والجواري والأبكار مما لا عيب يكون في إحداهما واتخذها لنفسه دون غيرها فدبر الملك للمرأة مرادي انقطاع الكلام فأجابته أن يصل وحده إليها فوصل الملك وقال لها: جئت عندك يا حبيبة راغب في قربك وأخذك ، فقالت له : ونعم ممن تكون أنت ضجيعه

وقرينه وأنا مشتهى قلبي يا سيدي كما ذكرت لي، ولكن سأضرك بعيبي قد بلاني ربي بريح الفتق وأحب أن أخبرك فإن قبلتني الأمر إليك فقال الملك: هذه علة لا يرجى لها دواء، ثم قال لها: هل من حاجة؟ قالت له: لا عدمناك، وأمر بالجواد وولى، ثم بعد ذلك أرسل إليها الوالي وأجابته بالإرادة والوصول وصنعت له كما صنعت للملك إلا أنه أكل من بعض الأطعمة وذمه فعملت له من الحيلة كما عملت للملك فمشى عنها، ثم أرسل إليها الشيخ فلما وصل إليها أكل من طعامها ما طاب له وقال لأصحابه: إذا اجتمع مالي ومالها فتكون لي قوة وحشمة مع الملك، فلما دخل معها ليكلمها بما في قلبه رغبت فيه وقالت له: إن كنت راغباً في المال فلا يحصل لك منه فتيلا وإن كان رغبتك في المرأة فأنا في يديك على ما تحب نفسك، قال: رغبتي في الحالين، فقالت له: لا يحصل لك المال، فقال: لا فائدة أن أتزوج امرأة بذهاب مالي ونهض عنها، فدعت بالنصيح وأخبرته بما وقع لها من الخاطبين معها فقال النصيح: أسألك هل قاصر عليك في المال والبيت مما تدخره النساء لحوائجهن؟ فقالت: كله موجود، فقال: ما أرى لك غير الزوج قاصر ولكن تزوجي البعل الذي يكون محتاجاً وخاضعاً وله حسب وشرف للفخر وله حاجة حتى تخضع نفسه لك ولأوليائك .

فقالت: الأمر إليك أيها النصيح، فقال: عسى الله يوفق الأمر على ما تحب الأنفس فنظر إلى البادي خلفان قد مر عليهم فخرج معه النصيح وقال له: قف قليلاً حتى أرجع إليك ثم دخل النصيح إلى المرأة وقال لها حضر خلفان خليفة محمد فهل عليك شيء من زكاة النقود؟ فقالت: عليّ بقدر ثلاثمائة محمدية، ثم قال لها : وهل أوصيت للفقراء من بعد موتك؟

فقالت : أوصيت بسبعمائة محمدية، فقال لها: أهن حاضرات؟ قالت: في بيتي، قال لها: أخرجيها وادفعيها إلى البادي خلفان حتى تبرأي فيما بينك وبين ربك في حياتك وبعد وفاتك بريئة منها ويتسع بها البادي لحقك فأسرعت وخرج النصيح هو وأصحابه مع البادي فقالوا له: قم يا خلفان قد دعتك صاحبة هذا البيت في حاجة لها، قال: أما البداة فلا يدخلون بيوت النساء، فقالوا: ونحن في صحبتك، فصاحبهم ودخلوا في البيت وأمرته بأكل الطعام والشراب وجعلت تأخذ له مما تنفض العزفان من الأرز والخبز واللحم والتمر وفركته بعضه في بعض فأكل البادي من ذلك الطعام وحمد الله وصلى على محمد عليه السلام وشرب من الوعاء الذي تقطر فيه الأوعية التي تشرب منها الطيور والدواب وشرب ثلاثة أنفس في كل نفس يحمد مولاه، ويسأل الراحة والنعمة لصاحبة البيت، فهم بالخروج فقبضه النصيح فقال البادي: لا وقوف بعد الأكل كما قال ربنا : ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ (1) .

فقال له: صاحبة البيت لها حاجة تريد تكرمك فأقبلت المرأة بالألف المحمدية فقال النصيح: يا خلفان هذا تفسير رؤياك فأقبلت إليه المرأة وأعطته الألف من مال الله وأخذها البادي وهم بالرواح، فقبضه النصيح فقال له: تمهل وإن هذه المرأة تريدك أن تتزوجها، فقال خلفان: ليتكم أخبرتموني قبل الأكل والآن لا يجوز لكم تستهزؤون بي وطعامكم في بطني، فقالت له المرأة: وربك المعبود ياخلفان لصادقة وراغبة في أخذك ولا يدخل في قلبك مشقة ويدل علينا بالمودة والرأفة والرحمة فامتثل لقولها، ودبرت لأوليائها فلما وصل عندها أخواها أمرتهم أن يزوجوها

---

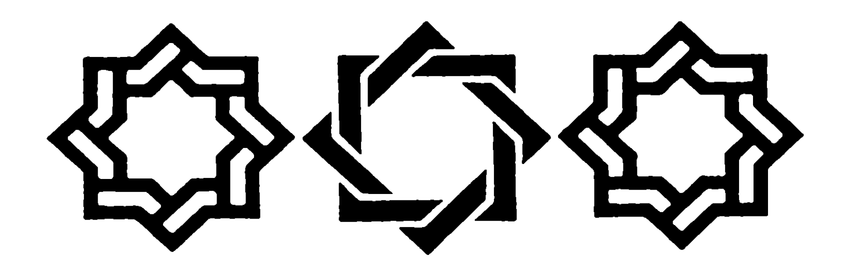
(1) سورة الأحزاب : ٥٣ .

بالبـادي، فقـالا: كيـف يـا جبيبـة نـزوّج رجـلاً فقيـراً وأنـتِ أرادك الملـوك والأمراء فما تبقى مع الخلق ألا يشتمونا ويستهزؤون بنا ؟

فقالت لهمـا: نحب أن لا يولينـا أحد وتستريح نفوسنا مـن التعب وكل نفس تريد أن تولي ولا تولى وهذا البادي أنا وإياكم لا يخالفنا وتطول أيدينا عليه فإن حسن فينا فذلك المرتجى، فإن قصر فينـا فيخـاف أن تـذهب نعمته من عندنا، فقالا لها: لا يمكن أن نوليك رجلاً بلا مهر، فقال البـادي: المهر هو حاضر بين أيديكم فقبضوا من عنده الألف وأمرا النصيح بالملكة فزوجه بحضرة الشهود في الساعة الثامنة من يوم الجمعة، وعملا الطعام وامتثلوا إلى أداء الصلوات وحضر الليل وأكلوا العشـاء وصلوا العتمـة فعمـدت حبيبـة إلـى لـبس الثيـاب الفـاخرة والبخـورات الطيبـة والأدهـان المزعفرة والحلولات والمـاوات من كـل غـالٍ، فهـو حاضر بـين أيـديهما وهموا بالعرس في الليل كما تصنع النـاس ولـم يبيتوا فـي ليلهم ومضيئة عليهم سرجهم حتى أذن المؤذن للصلاة فاغتسلا وصليا واستفتحا بمـا حضر ثم أمّرت على الخدم والبيادير ليدلوه بالأموال والزروع حتى يعرفهـا وأعطته من أحسن السلاح وأحسن اللباس فقدموا بـه كأنـه السيد عليهم، ثم أقبل عندهما النصيح ودعا لهما ببركة الأعمار وأثنوا عليـه، وقـال لهـا: هل وجدت النصيحة طيبة يا حبيبة ؟ .

قالـت : ونعـم النصـيح ونعـم البعـل الصـحيح، فأجابهمـا النصـيح اصنعي لطعامه الطيور المغلاية بالأبازير وأكلها بالحنطـة النقيـة أو بـالأرز المفلفلـة، واجعلـي لأدهـان إحليلـه الزيـت والكبريـت والـزرنيخ المضـروب على النـار فإنكما ستجدان من هذا لذة عظيمـة، فولى النصيح وأقـام خلفـان هو وزوجته على ما تشتهي نفوسهما وتلذ أعينهمـا حتى دخل فـي قلبهمـا

حرج مع شدة ضمهما وملاطفتهما، وسألا النصيح عن مص الشفتين وتجرع بماء النهدين والبصاق ومص الأعجاز وما هو محرم من الجماع؟ فقال النصيح: كله هذا جائز إلا الدم والبول والمذي والودي والمني والغائط في أكله حرام لا يجوز، وإدخال الذكر في الحيض والنفاس والدبر فهذا هو الحرام وما سواه حلال، قال البادي للنصيح: كيف الرأي أن آكل من عندي لا من عند زوجتي وأنفق على عيالي حتى أكون سالماً من تخريس الألسن؟ قال النصيح لحبيبة: لا تمنحيه مالك ولكن أعطيه زكاتك وينفقها على نفسه وعلى من لزمه فرض النفقة، فأعطته زكاتها على كل حول واكتفى بها، فنسلا ما شاء الله من الأولاد وداموا لهما في أمن وأمان ما طال زمانهما عليهما والسلام على من اتبع النصيحة والهدى .



الذكر السادس والثلاثون :

في ذكر بلد بُهْلا، وما فيها من الخصال المحمودة، ولسكانها ولسقّارها، وذكر أخلاقهم، وحرصهم على الأموال، وبما وقع على المسافرين، والحكم فيما معهم ونسائهم، وذكر سورها وماله من بهلا وغيرها

بهلا وعُلماؤها وصفات أهلها :

قال ذو الغبراء: لاح في قلبي الفكر في الزمان، وبعد ساعة أقبل عندي صاحبي وصافحني بتحية الإخوان، وسألته عن المسافي والقرى والبلدان، التي علت بالحسن وأصحابها بالإحسان، فقال: أما الناس فكل منهم معتز بما أمكنه مولاه من الأوطان، وكل مدينة لها خصال طيبة من كل الأمصار وعمان، وإن كان ضميرك في بهلا التي تبهللت بالدار والمدار، فبهذه الخصال فاقت على الديار، لأن الساكنين والخاطرين فيها آمنون على أنفسهم وأموالهم في الليل والنهار، إن كانوا من صنو اليمن أو من صنو النزار، وحصنها رُكّب في جبلٍ عالٍ وكأنه في البراري، أحاطت به القصور والبلد، وسورها المدرار يضرب به المثل، وفيه البروج المشيدة وعليه الأبواب المقفلة، وفي البلد الآبار والأنهار والأشجار، وفيها الأبّ لمواشيها مثل الفيافي والقفار، وبها رست الجبال والأحجار، وطعام ساكنيها اللبن والبر والتمر والسكر، وحلاؤهم السمن وصيد البر والبحر، وأما فاكهتهم من أشجارها، ويجلب إليها من الجبل الأخضر من كل نوع من الشجر، وكسوتهم ثياب القطن والصوف،

وفرشهم الشعر والوبر، وصنعتهم أوعية الخزف والمنسول وزرع النيل، وأنهارها تجري على مساجدها، ولستر عوراتهم عند غانطهم أكاتيف بقربها، وسكانها لهم لهجة في تلاوة القرآن، وفيها الزهاد والأتقياء، والعالمة الفقيهة بنت خصيب من النساء، وقد تولّاها الأئمة والعلماء والأصفياء، فأخبرني هل مثلها نسوة أفتت بالرأي ؟.

وعلماء بهلا الشيخ أبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي، وأبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر، والشيخ أبو مالك معلم أبي محمد، وأبو محمد عبدالله بن محمد بن بركة السليمي، ومحمد بن خالد، وسعيد بن زمام بن أبي العرب، ومحمد بن أبي غسان بن أحمد، وقيس بن محمد بن قيس، وعمر بن محمد ابن مهلب، ومحمد بن خنبش بن صقر، وأبو القاسم بن الصقر من الضرح، وجابر ابن أحمد، والشاعر عاد بن يزيد، والشيخ العالم أحمد بن مفرج بن أحمد بن محمد ابن عمر بن ورد، وسليمان وورد ابني أحمد بن مفرج، والإمام أحمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج ، ومحمد بن عبد الله بن أحمد بن مفرج ، وأحمد بن صالح بن عمر بن أحمد بن مفرج ونسولهم كلهم بيت علم، وورد بن أبي غسان، وزياد بن أحمد ، وسعيد بن زياد بن أحمد بن راشد ، وعمر بن زياد ، وعبد الله بن عمر بن زياد الشقصي ، وعبد الله بن مبارك الربخي ، وعُمر بن سعيد المعدي.

ومن جانبها السهيلي البسيويون عبد الله بن القاسم ، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي ، وأبو عبيدة الصغير، ومسلمة بن خالد السلوتي ، ومن ناحية الجاه عنها الكدميون الشيخ العالم أبو سعيد محمد بن سعيد ،

وعبد الله بن محمد بن زنباع ، ومحمد بن مدّاد ، وخلف بن طالب ، ويوسف بن طالب ، ومحمد بن يوسف ، وسالم بن خميس ، الذي ألّف كِتاب : " فواكه البُستان " .

ومعرفة قسمة مال المسمى المفرش الذي كحرم مكة الشريفة الذي بقرية بهلا بالغبرة الثلث للح وهو الزيت للسرج يسرج به في الحرم والثلث لمن يشرب منه في الحرم والثلث لفطرة شهر رمضان يفطر به في الحرم لأهل عمان خاصة من حد الصير جاي هكذا وجدته مؤثراً عن الشيخ محمد بن عبدالله بن مداد والشيخ سعيد بن زياد بن أحمد رحمهم الله والله كتبه عبدالله بن عمر بن زياد بن أحمد بيده، فهذا دأب أصحابها مرادهم طلب الثواب ونفع الناس لحجاج عمان فهذه من إحدى خصالهم فأخبرني عن أهل عمان هل أحد منهم صنع كمثل هذا ؟!

وقرن كدم أعلى من بهلا وقربه الجبل الأخضر قيل لي بخبر أنه دفن فيه نبي يسمى رضوى، وقبر بني يعرب طريق وادي مستل وهذا الجبل فيه الكروم والأشجار والفواكه، وتفرح الناس بنزول الأمطار فيه ومسايله كما قال ابن قطاف:

إذا ما رِياحُ الجودِ هبَّت وأقبلتْ قبولاً ولاقتها جنوبٌ وشَمْألُ
أقلّت سحاباً في سما آل عبرَةٍ على كلّ حيٍّ بالعوارفِ تهطلُ

وسيل هذا الجبل يخصب عمان لأن مسيله على المطلع والمغرب والجاه وسهيل متصل إلى البحر.

ثم قال: اعتبرت ساكني بهلا يحاسبون أنفسهم ومن يعاملهم على

الكثير والقليل، ويحترزون من النقير والفتيل، ومن طبعهم الحرص في عدم إضاعة المال حتى قيل لنا أنهم يشوون اللحم في الصنج والدهن الذي يخرج من اللحم يجعلون له إناءً ويسرجون به في بيوتهم ......

ولهم قوة على ملوكهم أين الملوك الذين ملكوهم وتجبروا عليهم فذهبت نفوسهم وأموالهم، وربهم أعلم بما يسرهم ويضرهم.

وخصّوا بالقوة والشجاعة والظفر لكل من اعتدى عليهم حتى عاينت في زماني قصتين جرت على رجلين ضعيفين من ساكنيها أحدهما قليل الصحة يُسمى عميرة ابتلاه الله بعلة في بطنة منتفخ كالزق، وهو من الفقراء لا يقدر على حرفة فنفعه أصحاب صنعة الأوعية يدفعون إليه مع كل حرقة يعطونه من الأوعية الضعيفة ثم يحملها على رأسه ويطوف يبيعها في البلدان، فعارضه في طريقه رجل من شجعان بني حاتم فقال له: أعطني الدراهم التي حملتها في ثوبك؟ فقال عمير: كيف أراك تطمع فيما عندي وأنت من أحبائي ومثلك من يزيدني فخلِّ سبيلي انتفعْ بدراهمي لأحيي بها جسدي واستر بها عورتي، فلما سمع كلامه قبض الدراهم فدخل عمير من الرجل وقبضه قبضة ثم طرحه في الأرض وأخذ حبلاً وعصّا به على يديه وأخذه أسيراً وحمل سلاحه وساقه أمامه حتى وصل إلى قرية بني صبح وأطلقه من كفاته بمحضر الناس وأعطاه سلاحه.

والقصة الثانية عن رجل يسمى جندب ولد الكشة هو بله ودله نحيف الجسم دقيق العظم قليل النظر سار إلى سمد نزوى ونظر أناس صرة في ثوبه فلحقوه بقرب العبلية وأخذوا ما عنده وأرادوا ذبحه فأخذه رجل منهم يقوده من يده حتى أنزله في مكان متوارٍ عن الناس وجندب

يستجير به فلم يجره ثم أنزله في الأرض وقبضه من لحيته ومد المدية على نحره وهو راكب فوقه فنظر جندب سكين كسف في حقوي رشيد المسمى الظبي وأخذها بيده وطعنه بها في سرته فمات رشيد الظبي وهو من الشجعان المشهورين عند بني ريام، ومن دلاهة جندب قصد كَمَة وأخبرهم بقصته فلم يصدقوه، وغرّب إلى تنوف وحدثهم بخبره ولم يرض فيه شيخهم وأمّنه ، يسحر الناس والظلم لهم ....[1] .

ومنهم من خصّ بالكرم كأبي محمد أقام للمتعلمين في الأثر من ماله في زمانه، ومثل محميد يخرج من بيته وفي يده الدراهم يفرقها على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل، ومثل سليم بن سعيد عمل صنعته للأوعية بقرب طريق سكة كدم عند حارة بن صلت والذي يمر عليه من الناس أطعمه الطعام وأسقاه الماء وصار شاكراً عليه.

وبعضهم يضرب به المثل في القبض، ومثل الرجل الذي أرسله صاحبه في حاجة يأتيها إليه فطلب أن يعطى مثلها ومنعوه عن العطاء فترك حاجة صاحبه، والذي تعرى من ثيابه في رقاده طول زمانه فنهض يوماً ولده من نومه يمشي في السطح وهو ينظر إليه فطاح من الصحن الولد وتكسر ثم أيقظ له أمه لتحمله فتباً لمن كان هذا دأبه، وساكنوها ينطقون حرف الكاف بالقاف.

ولهم همة في البيع والشراء يطوفون ولا يضجرون في الأسفار، وفي طبعهم التلطف للرفيق في الطريق، فجاهلهم تقول إنه هو العالم، وزاهدهم لا يعرفه الظالم، وفقيرهم صابر شاكر راضٍ على إهانته نفسه

(١) نقص في الأصل .

في خدمته الآبار والأنهار وفي خدمة الطين وحمل الحطب من أشجار القفار، يموت كأنه غني ليس عليه للناس تبعة، وغنيهم قانع بما خوّله الله من نعمه لا يطمع بما في أيدي المسلمين له عند الناس ليس عليه حق لأهل السعة ويسرّ ماله ورثته بعد موته .

وهاك بياناً في حسن أخلاقهم في أسفارهم ودليلاً لآدابهم وقناعتهم ونجعلها قصة لأهل الأخبار ومسائلاً للمتعلمين الأبرار، وشفاءً من الطب والفلك الدوار، وعزيمة الصرع كاشفة الأسرار، فأخبرني صاحبي عن بيعهم وشرائهم في سلعهم قال: فالأكثر منها تباع بنظر العين لا بالوزن والكيل مغتنية عن التغيير بالجهالة .

قصة فيها عبرة :

بيان في أول القصة مما آل فيه النظر عن ثلاثة نفر اجتمع رأيهم أن يسافروا إلى البندر، فشروا الأوعية والمناسيل ومخالي الشعر، فأقبلوا عندهم أصحابهم وجيرانهم في جمع المقيل وسألوهم أن يشروا لهم من البنادر إرادتهم من القليل والجزيل، فقالوا لهم: إن بذلتم إلينا عشراً من الدراهم فنأتي إليكم بما تريدونه؛ القليل بقلته والكثير بكثرته وهذا من الصفاوة بيننا وبينكم، فأعجبهم قولهم وشهدوا عليهم بما قبضوه وكتبوا لكل أحدٍ اسمه في دراهمه، وحفظوا الدراهم في صرة معلومة ووزنوها لمعرفة كراء الجماميل مما ينوبها، ثم قصدوا مع الجماميل وتقاطعوا على الكرى بمحضر القاضي والشهود وصح بينهم الشرط لحملهم والمناسيل والأوعية ولكل يوم من الماء قرب معدودة، وأن لا يكون عليهم زاد للجماميل، فلما صح بينهم الاتفاق كاتب بينهم القاضي وكل قبض مكتوب

لربط الكلام، وخرجوا من الوطن في ساعة زحل من أول ساعة من يوم السبت ويوم ثمان وعشرين من شهر صفر عند طلوع الشمس والقمر وقد حل بمنزلة الذراع وبيت السفر برج الدلو حل فيه المريخ وزحل في وتد الأرض يتصل بالشمس من تربيع ومدار الأرض على القمر وهو في محاقه واحتراقه، فالنحوس اجتمعت على المسافرين والمقادير جارية على الخلق أجمعين، والسلامة في الآخرة للصابرين .

قال: فلما وصلوا بندر مسقط اتفق لهم بيع الأوعية وسلموا الكراء لجماميلهم ولم يعجبهم ثمن المنسول وكتبوا لأهل بلدهم: أردنا أن نسافر إلى بنادر اليمن وأخذنا بثمن الأوعية تمراً لطلب الزيادة إن وفق الله لنا فيه فائدة، ثم قصدوا عند أصحاب الخشب وسألوهم عن تحصيلهم ونولهم فاختاروا أن يحملوا في أضعف سفينة بأقل نول، وتحصلوا فيها فكلما نزلوا في بندر كاروا إلى بندر آخر، فحسبوا نولهم عن باقي الخشب أقل بالنصف، ثم قال رجل من أهل السفينة: أيها الناس إذا نزلتم في البنادر وقصدتم المدائن والقرى اشروا من كل بلدة من بصلها وكلوه وتبخروا بالروائح الطيبة في الليل إذا يغشى، وفي النهار إذا تجلّى.

وصفة عمل البخور يؤخذ مثاله خمس كيسات عود طيب الرائحة، ومن المسك مثقال ومن العنبر مثقال ومن ماء الورد ثلاث كيسات، ومن السكر ثلاث كيسات، ويسحق المسك والعنبر ويصب ماء الورد على السكر ويطرح عليه العود في النار ويوقد عليه بنار لينة وأنت مع ذلك تحركه إلى أن ينعقد ثم ألق المسك والعنبر والسكر وحركه بعود حتى يختلط بعضه ببعض، ثم خذ ثلاث كياسات عفصاً مسحوقاً منخولاً وتفرشه

في طبق أو صحن ثم حرك الدواء في النار الهادئة ثم لفه على العفص واعجنه به عجناً جيداً واتركه في الظل يوماً أو يومين ثم اتركه في حق في قرطاس وتبخر به.

وأما خصال البصل فإن وجدت من البصل الأبيض المستطيل فهو أجوده والأحمر المستدير هو أرداه، والبصل حار يابس في الثالثة وحرارته في الرابعة فيه رطوبة وفضيلة تقطع الأخلاط اللزجة وتفتح السدود وتقوي الشهوة، خصوصاً المطبوخ مع اللحم ويذهب اليرقان والطحال ويدر البول والحيض ويفتت الحصى وماؤه ينقي الدماغ سعوطاً ويقطع الدمعة والحكة والجرب جيداً خصوصاً مع التوتياء ومع ماء العسل، وشهد الزنابير يبرأ البرص والكلف والثآليل والقروح الشهدية مع الملح والماء ورد والعسل والشذاب قيل مجرب لعضة الكلب الكلب مع شعر الآدمي وللسموم مع التين وكذلك أكله لتغلظ الخلط والوباء والطاعون وفساد الهواء والماء ولتغير الشهوة إذا انقطعت مع الخل، ويحمل لنزف الدم ويفتح البواسير إذا شوي ودرس بشحم الخنزير أو بالسمن أو بسنام الجمل، ويبرأ أورام المقعدة ويذهب الشقاق والباسور والزحير قيل أنه مجرَّب، وإذا دلك به البدن حسّن اللون جداً وحمّره وأذهب أوساخه، وعصارته تنقي الأذن والسمع وهو يسخن ويلطف الخلط الغليظ ويصلح الأظافر لطوخاً والشجج وأكله في الصيف يصدع ويضعف المحرورين مطلقاً والإكثار منه مسبب للقيء وإن سلبه بالشم مسدد ويورث النسيان والرياح الغليظة، ومن أكل بصلاً نياً أورثه الشقيقة وأكلم بصره ولكنه يقطع البلغم من المعدة وأكله مشوياً يرطب الأرحام ويزلق

الأمعاء ويصلح غسله بالماء والملح ونقعه في خل فيملح الحية الباقلاء والجزر والحبر المخرق وقد تواتر أن الأبيض منه إذا علق على الفخذ قوّى الجماع، وحد ما يؤخذ منه خمسة عشر درهماً والبري منه اشد نفعاً في العين والأذن وكلما عتق كان أجود خصوصاً لداء الثعلب فإن دلك به مع النطرون (هو الهردج) يذهب به وينبت الشعر.

وإن أخذت البصل وخلطته بالخل وطليت به الوجه أذهب الكلف والنمش، وإن دققت البصلة وعجنتها بعسل ووضعته على لدغة العقرب نفعه ولكن لو وضعته على موضع صحيح صار قرحاً.

وإن طرحت البصل عند قلعه في ماء ساخن ثم جففته في الشمس فإذا جف تضعه في تبن الشعير مبسوطاً لم يعفن، ومن طلى بماء البصل مع العسل على موضع من جسده ليس فيه شعر نبت عليه الشعر . والبصل في اللحم مع الأبازير يزيد في الباه ويقوي الكليتين، ومن اكتحل من ماء البصل نفعه من العشى، وماء البصل المسخن ينفع من البواسير، ومن أخذ من ماء البصل مع مثله عسل النحل وغلاهما على النار حتى ينشف ماء البصل ويبقى العسل ثم يرفعه في إناء ويأكل منه سبعة أيام كل يوم مثقالاً منه فإنه يجامع ما شاء، ومن أخذ أوقيتين من ماء البصل المدقوق المعصور المصفى ويخلط بمثله من الحليب واللبن ويخل فيه نصف أوقية من فانيد سكري ويطبخ الجميع بنار لينة حتى يغلظ ويشرب منه أوقية على الريق ثلاثة أيام متوالية ترى من كثرة الجماع والمني أمراً عجيباً، ومن جعل ماء البصل على صفرة البيض على عمل الطاحن قواه على الجماع، ومن دق البصل وجعله في قدر وجعل فيه الأبازير

المدقوقة وغلاها بالسمن البقري وصفرة البيض وجعل ذلك أدمه أياماً قوّاه على الجماع قوة شديدة .

قال: ولم يتم لهم الكلام فنزلوا من السفينة وشروا من البصل وأكلوه ولم يشركوا زادهم بل متى اشتهوا طعاماً أتى كل واحد منهم جزءً بالكيل أو بالوزن وجمعوه لعمل الطعام ثم أكلوه مجتمعين وأحيوا بذلك سنة النبي (صلى الله عليه وسلم) لأن شركة الزاد في السفر سُنَّة، فهذا دأبهم لأن الشركة إذا مات أحدهم أو كان على قلبه حقد عليهم فيتولد فيه الابتلاء والضمان مع الفرقة والعتاب وهذا قلما يخلو منه أحد في السفر، لأن السفر فيه مرض الدين وتضيق القلوب في السفر والمرض والصوم .

قال: ووجدوا ربحاً كثيراً في المناسيل وشروا بثمنها الزباد والبن وثوب المصنف، وحملوها إلى مسقط بيد صاحب السفينة وكتبوا لدلالاهم تعريفاً بما أرسلوا له وذكروا فيه سبب تأخيرنا أننا لم نجد للتمر ثمناً وأردنا أن نصل في بيعه إلى جدة، قال: فلما وصلوا بندر الحرمين باعوا تمرهم بثمن فيه ربح كثير، ولكنهم لم يجدوا أحداً من أصحاب الخشب للرجوع في الموقف، وأصحاب الخشب قصدوا الحج وسفرهم من بعد حجهم وزيارتهم، وهؤلاء الثلاثة فيهم رجل زاهد مجتهد في دينه لرضاء ربه، فأشار لصاحبيه وقال: لعلنا نقصد ونؤدي الفرض وننظر المشعر والحرم والبيت وزمزم والصفا والمروة ومنى وعرفة والناس يأتون من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات وفي تلك البقاع الحاجون والمسافرون والتجار ولنشري ما نريد عند رجوعهم مع اجتماعهم فأعجبهما رأيه، ومضوا إلى الغسل والوضوء وأحرموا في

ثوبين جديدين وصلوا ركعتين وعجوا بالتلبية للعمرة.

ثم قال لهما: إن كان عندكم لحماً من الصيد فلا تأكلا منه في إحرامكما، واحذرا من المس والشم للروائح الطيبة فإنها لا تجوز لنا في إحرامنا، ولا يجوز قتل الصيد في الحرم، ولا قتل الجعل وقلع الشجر من الحرم وله علائم في معرفة الحل من الحرم على طرق مكة، ولا يؤخذ من تراب الحرم إلى الحل، ومن مات في الحل دفن في الحل، ومن مات في الحرم دفن في الحرم، وأما الحية والأفعى والعقرب فقتلهن جائز وفيه أجر، ولا يجوز التكلم بالرفث ولا بالفسوق ولا جدال في الحج، واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون لأن كثيراً مما يلزم المحرم الدموم والأحكام بالشاهدين العدلين فيه، ثم قصدوا عند الجماميل وتساووا على الكراء وقصدوا في طريقهم مشرقين إلى مكة الشريفة ويذكرون الله بالتلبية حتى دخلوا مكة ونزلوا واستقعدوا بيتاً وحصدوا فيه قماشهم وقفلوا عليه الأبواب من كثرة اللصوص في تلك البقعة، وعمدوا إلى الطهارة والوضوء وقصدوا البيت، ودخلوا من باب السلام ونظروا بيت الله فعظموه، وهللوا وكبروا وقصدوا الحجر الأسود وشموا رائحته الطيبة ثم ابتدأوا لطواف البيت من الحجر على يد اليمنى بحذاء باب الكعبة فطافوا سبعة أشواط لا يتم فيها بزيادة ولا بنقصان عن السبعة ثم صلوا في مقام إبراهيم ركعتي الطواف وقصدوا إلى زمزم وشربوا من مائها ونضحوا من الماء على رؤوسهم وجنوبهم وقصدوا عند الملتزم مع الناس حين لجّوا بالتضرع والبكاء ويسألون مولاهم العفو مع اللقاء، ثم مشوا ما بين الاسطوانتين المذهبتين اللتين عند مقام الحنبلي وخرجوا من مسجد الحرم من باب الصفا لأن الأبواب عددها تسعة وثلاثون باباً، ثم سعوا ما بين

الصفا والمروة وهرولوا ما بين العلمين حتى تمت لهم سبعة أشواط ثم حلقوا رؤوسهم وحلّوا من إحرامهم فحينئذٍ جاز لهم ما كان جائزاً لهم من قبل إلا قتل الصيد وقلع الشجر فهذه لا تجوز في الحرم وكل منهم ذبح ما لزمه من الدم وفرّقه كله لأنّه لا يجوز له أن يأكل منه شيئاً وهو يأكل من دموم أصحابه.

ثم تاب إلى الله رجل منهم في ذلك اليوم وأقر مع صاحبيه بذنبه وفعله وبما جرى عليه من المعاصي في أول زمانه ثم سألهما عن المرأة التي في بيته وهي أم أولاده أنه قد زنى بأمها وأنها منعت زوجها عن جماعها ثم قالت له: حملت منك بهذه الابنة يقيناً عندي، قال: فلما بلغت الابنة تزوجت بها ونسلت منها الأولاد ما الرأي الذي أسلم به عند الله؟ فأجابه صاحبه الذي اتقى الله: هذه منك دعوى عليها لإبطال حجج ودعاوى بينكما، وإن كنت أنت عند نفسك صادقاً فيما بينك وبين ربك فالمرأة هي سالمة مما ابتليتها به أنت وأمها، ولكن هذه المرأة حرام عليك وطلقها بالثلاث بمحضرنا حتى نشهد على الطلاق، ولا ميراث منها قال فطلقها بالثلاث، وأرّخ الطلاق في الساعة واليوم والشهر والسنة وكتبوا الشهود عليه.

قال: فمشوا إلى حلقة الذكر عند المسجد وأحدهم فيه جرب فرآه رجل من الحلقة وقال له: أيها المبتلى بالجرب اشرب كل يوم على الريق ثلاث كيسات سمن بقر أو غنم واقعد في الماء .... (١)

.... القبول والعفو والعافية في الدينا والآخرة حتى غربت الشمس وحضرت صلاة المغرب ورجعوا إلى مشعر الحرم وصلوا في

---

(١) نقص في الأصل .

المشعر فريضة المغرب وعشاء الآخرة في وقت عشاء الآخر جمعاً اقتداءً برسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ثم رقطوا من حصى المشعر كل واحد منهم سبعين حصاة وغسلوه وصفة الحصى كالخذف وحملوها لرمي الجمار، ثم اجتهدوا في ليلتهم بالدعاء إلى الله لأن فضل تلك الليلة عظيم وناموا في المشعر وصلوا فيه صلاة الصبح وسألوا مولاهم القبول، ثم غربوا في طريقهم وجاوزوا وادي محسر قبل أن تطلع الشمس، ثم نزلوا في منى وصلوا العيد في مسجد الخليل واستمعوا قول الخطيب، ورموا جمرة العقبة من مسيل الوادي بسبع حصيات ثم رجعوا إلى مناخهم فحلقوا رؤوسهم ، وأحلوا إحرامهم ، وأدّوا ما عليهم من الدموم ، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : " عليكم بالعج والثج "(١)، ثم ذبحوا ضحيتهم وأكلوا ما طاب لهم وأطعموا من أرادوا من الفقراء ثم قصدوا إلى مكة وطافوا طواف الزيارة للفريضة وصلوا ركعتي الطواف وشربوا من ماء زمزم وسعوا بين الصفا والمروة سبعة أشواط ورجعوا إلى منى وباتوا فيها وأقاموا فيها ثلاثة أيام التشريق ورموا الجمار في كل يوم بعد زوال الشمس كل جمرة بسبع حصيات وبدأوا بالجمرة الشرقية ثم بالجمرة الوسطى وآخر رميهم في جمرة العقبة، وهذا الرمي سُنّة، ثم قصدوا في اليوم الثالث إلى مكة وطافوا ما شاءوا، وشروا عند التجار مثل الزعفران القايني المغربي وحل الزيت والعود الجاوي ولاصف الأصفهاني وسكر نبات مصر والسيوف الإفرنجيات والبرات والمواسات والقرطاس وثوب الكتان وحل البيلسان والعنبر وأخذوا من ماء زمزم وجعلوه في الزمايم وكل منهم ربط الذي شراه وكتب فيه وزنه وثمنه واسمه لعلامته وحمله الجماميل ، وأدخلوه البيت وطافوا به طواف الوادع

---

(١) رواه ابن ماجه ٢٩٢٤ / ٢ ، والدارمي ١٧٩٧ / ٢ ، وغيرهم .

وصلوا ركعتي الطواف، ولصقوا بجنوبهم عند باب الكعبة على الملتزم وتضرعوا إلى الله بالدعاء وسألوه العفو والعافية للدنيا والآخرة وذكروا أسماءهم ودارهم وأن يمن عليهم بالأمن والأمان وبالغيث والرحمة لجميع الحيوان ، ثم خرجوا من باب الوادع الذي هو على مغرب الشمس ، ونزلوا في جدة ، ونووا زيارة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، لأنه قال : " من زارني ميتاً كمن زارني حياً ، ومن لم يزرني فقد جفاني ، إن لم يكن له عذر " [1] ، والزيارة سُنّة مؤكة .

ثم اختاروا من أدون الإبل لأقل الكراء وتشارطوا هم والجَمّال أن يكون الجمل لأربعة أنفس، وشبرية يركب اثنان ويمشي اثنان وأن يحمل زادهم وقربتان للماء وأن لا يكون عليهم زاد للجمّال لأنِ الزاد مجهول في قلته وكثرته وغلائه ورخصه، وأحضروا بينهم الناس على شروطهم وكاتبوا بينهم ثم استقبلوا الجاه في طريقهم للمدينة وجدّوا في سيرهم بالليل ولمقيلهم في النهار واللصوص تحوط بهم وهم في أشد حذر منهم حتى وصلوا يمشون في السكة ويقرأون : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ... ﴾ [2] إلى تمامها ، فدخلوا مسجد الرسول من باب السلام وقصدوا قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) وسلموا عليه وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) وسألوه الشفاعة لذنبهم وصلوا في الروضة عند الاسطوانة المحلقة على يمين المحراب، والمدينة قبلتها الكعبة من جهة سهيل، وفي اليوم الثاني صلوا بحذاء المنبر ثم قصدوا إلى البقيع يزورون قبور آل النبي وأصحابه وولده إبراهيم، وفي اليوم الثالث قصدوا إلى مسجد قباء الذي فيه محرابان للقبلتين وتوضأوا من بئر ميمون التي تمر أنهار المدينة داخلها وعقدوا للزيارة ورجعوا إلى مسجد رسول الله (صلى

(١) الحديث موضوع ذكره ابن الجوزي في الموضوعات.
(٢) سورة التوبة : ١٢٠.

الله عليه وسلم) .

ثم تاب الرجل الثالث في ذلك اليوم وأقر بذنبه وفعله مع أصحابه وذكر المرأة التي في أخرجها عن بعلها وجامعها قبل أن يتزوج بها فأمره صاحبه الزاهد أن يطلقها بالثلاث؛ لأنها لا تحل له مع إقراره ولا يرثها إن ماتت قبله، فطلقها وأشهد على ذلك وأرخ في الدفاتر في اليوم والساعة وأوصى بما عليه من الضمانات، وحسبوا زكاة النقد والتجارة فأخذوا منها ربع عشرها وفرقوها للفقراء والمساكين، ثم قصدوا إلى نهري المدينة أحدهما مر فاغتسلوا منه والآخر حلو فشربوا منه لعلم الاسم الرزتا، وأقاموا بالمدينة سبعة أيام، ثم وادعوا قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) ورجعوا إلى جدة، ثم تحصلوا في الفلك فهبت عليهم ريح طيبة وأخبرهم عالم البحر في سيرهم وقياسه بالشيشة والزيج ويعتبره بالدقايق والدرجات والساعات، والزام والديرة يستدل بها في السير وتعرف منها القبلة للصلاة ولا تدور بدوار الفلك وعلى الفلك ركبت ويعرف منها المطلع والمغرب وسهيل والجاه وصلاة الجماعة في السفينة إذا لم يقدروا على الصف كلهم فكل في مجلسه يصلي ويعقد صلاته بصلاة الإمام إن كان نائماً مضطجعاً أو قاعداً أو قائماً وإن أحرموا على القبلة ودارت السفينة من بعد فصلاتهم تامة والذي تصيبه دوخة في البحر ولم يقدر على وضوئه بالماء ولا وجد تراباً يتيمم به فيومئ بكفيه في الهواء ودين الله يسر .

وسئل عن دم الدماميل وتسمى الحبون هو نجس أم لا ؟ قال: هو مستبين حكمه طاهر.

ودواء الدماميل : يؤخذ مثقالات غير مستعمل ومثقالا جوزبوة ومثقالا سكر مصلول، ويسحق الجميع سحقاً ناعماً ويشرب منه كل يوم

مثقالان بالماء قدر جرعة ماء أو جرعتين ثلاثة أيام يفعل ذلك والدماميل التي ظهرت في الجنب فيؤخذ البربهوا ويجعل في الخل ساعة ثم يجعلهما على الحبون، وإن كانت الدماميل تخشن فيجعل عليه دقيق البر أو دقيق الحلبة يعجنه بالحل (السليط) ثم يجعله في الدماميل، فإذا ونضج يجعل عليه بنت الذهب والخل فيكشفه وكل أخبر بفن علمه.

قال: فلما نزلوا بندر مسقط وجدوا الجماميل مقبلين إليهم وسألوهم عن أوطانهم وأصحابهم وأولادهم فأجابوهم بأخبارهم وتقاطعوا على الكراء وثوروا يجدون في السير بالفرح والاستبشار بالوطن وسلامة الأنفس.

وبعد مرحلتين فتحت النفس للشيطان بابها فدخل عليها، ووسوس في قلب الرجلين التائبين وكل أحد منهما تذكر في قلبه أولاده والنسوة في بيته بتبشيره لهم بالتوبة حتى يصح لهم الافتراق مع الأفراح فأحال الشيطان في قلوبهما وصنع كل واحد منهما سماً لصاحبيه في شيء من الطعام، وهم لا علم لهم بما يصنعه الآخر، وظن أنه يفوز وتموت أخبارهم التي صنعوها في سفرهم وعند الغداء قربوا الطعام فأكلوه وماتوا من ساعتهم، فمنهم مات شقياً رهيناً بمعصية ومنهم مات سعيداً، وعسى أن يكون مقبولاً عمله وأصحاب القافلة رجعوا من الفلاة رادين الجمال فنظروا إلى أصحابهم موتى فتربوهم وصلوا عليهم ودفنوهم وأخبروا أصحابهم بموتهم لما وصلوا بُهْلا.

فأهل الأموات رابهم الأمر فوصلوا عند أميرهم وأخبروه بقول القافلة فأرسل الأمير رجلاً من أصحابه إلى أكابر القافلة أن يصلوا معه فلما أخبرهم الرسول أقبلوا مع الأمير وسألهم عن أصحابه المسافرين

فقصوا ما نظروه فظن الأمير أنهم قتلوهم بالطمع الذي حملوه فأمربهم إلى السجن، وعمل أصحابهم بتحصيلهم وأقبلوا من فرقانهم فتشاجروا هم والأمير حتى وقع التنازع والشقاق، فنادى الأمير في أصحابه حتى يحضروا في مجلسه لقوة عزّه، فلما حضروا عنده قص عليهم بما سمعه من القافلة فأجابه رجل كاهن من أصحابه وقال: أيها الأمير لا تتعجل في الأمور فإن الحوادث لها طرق شتى فأرسل رجلاً من أصحابك يصل عند فلان الفقير يأتيه إليك فإنه يكشف لك الباطن الخفي في هذه الساعة، قال: فدبر إليه وأتى به فقال الكاهن للفقير أظهر لنا ما عندك من العلم والمعرفة قبل وقوع الفتنة فلما سمع كلامه بمحضر الناس أبى ونفى العلم الذي عنده فقال له: إن لم تجبنا وإلا أدخلناك السجن، قال: فأجابه بالطاعة فصرع رجلاً، وكتب في كفه اليمين : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ (١) ، وفي أظفاره : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ (٢) ، وقرأ عليه سورة يس إلى قوله محضرون ثم ذكر الملك الموكل باليوم والملك السفلي وسأله أن يسخر له أحد من خدمه وقرأ : ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ (٣) ، وإلى هذا المجلس الجالس بين يدي صارعون، وعلى لسانه ناطقون، ولمطلوبي مبينون، فكرر القراءة ثلاثة أشراف وانصرع الرجل فسلم عليهم فأجابه الصارع حاجتنا لتخبرنا عن أصحابنا الثلاثة المسافرين وبالذي جرى عليهم في سفرهم.

فقال له: هذا الأمر ثقيل وفي الحكم لا يصح قولي معكم فإن كان أميركم يعاهدني ليصنع ما أقوله، فلما سمع الأمير كلامه ناظر أصحابه

---

(١) سورة ق : ١ .
(٢) سورة الصافات : ٢٤ .
(٣) سورة يس : ٥٣ .

فجوابهم لا يجوز لك تدخله في الحكم على المسلمين فأراد الانصراف الجني.

فقال له الذي صرعه: إن لم تخبرني بالقصة وإلا فأحرقتك بشواظ من نار ونحاس، فقال الجني: أنت فقير تقدر أن تعمل في هذه الأخبار، ولكن أميرك أنا أبين له القصة ولكم الصلاح في إظهار سرها ويعاهدني، قال فعاهده الأمير ثم أمره أن تصل عنده شمجة المسافر فلما وصلت إليه أمر بصلبها وجلدها وحد ذلك إلا أن تقر بفعلها الخفي عن الناس فصنع فيها بما قال، ونادت على كيف هذه الأحوال أستجير بالله وبالمسلمين، فقال المصروع: يوم القيامة لا ينفع مال ولا بنون والساعة لا نجيرك حتى تقري بما فعلتيه في أول شبابك، فقالت: اعلم أن المسافر فلان الذي زوجته ابنتي جامعني ومنعت زوجي وحملت منه بهذ الابنة التي زوجته إياها فلما سمعها أمر بتفليتها.

ثم قال للأمير: أريد تصل عندي زوجة فلان المسافر فحين وصلت أمر بها بصلبها للصلاب والجلد فاستجارت واستغاثت وبما سألها فيه أقرت أن زوجها المسافر جامعها وهي مع زوجها وأخرجها منه ثم تزوج بها وولدت منه هذه الأولاد فلما أقرت أطلقها، ورجعن عن إقرارهن ودرأ عنهن الحد بعد إنكارهن وإن كان في علم الباطن فعلن ذلك، فقد جاء في الأثر عن أهل العلم لا عليهن حد بعد رجوعهن عن إقرارهن في التعزير، وأما الرجل الذي أقر أنه زنا بشمجة امرأته وفارق امرأته بالثلاث وهي لم تعلم بالطلاق حتى مات، فعليها إن تعتد منه عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام ولها الصداق والميراث، وإقرار أمها وزوجها

ليس هو حجة عليها بذهاب صداقها وإرثها، أرأيت لو أنها أتت له بأولاد وهو في سفره وكان ميتاً أو حياً وهي لا علم لها بموته أما يحكم بالأولاد أنهم له، وإن كان فيه قول لأول ولد له فأكثر القول أنهم كلهم له والولد للفراش وللعاهر الحجر، وأما الذي أقر أنه زنى بالمرأة ثم بعد ذلك تزوج بها ونسل الأولاد منها فهذه المرأة لا يحل لها الصداق ولا الميراث فيما بينها وبين خالقها، وأما في حكم الظاهر حيث بلغها خبرموته فعليها العدة ولها الصداق والميراث وإقرارها في الصلاب ليس هو حجة عليها ولا بالدفاتر ولا قول المصروع، ومولانا تعبدنا بالحكم الظاهر، والباطن لله أمره، والأولاد في هاتين المسألتين يرثون آباءهم وأمهاتهم وعصباتهم وأرحامهم، وخذ من قولنا ما وافق الحق وأعرض عن الباطل، فقال المصروع للناس هل سمعتم قول المرء بين ....[1]

.... في سفرهم فبين لهم قصتهم من أول سفرهم إلى موتهم والقافلة سالمة وانظروا دفاتر أصحابكم ستجدون فيها أخبارهم كلها ومورخ قولهم وأماناتهم مكتوب فيها مال فلان وثمنه كذا وكذا وكل ربطة بها علامة، وكل وزاده وجميع الذي حملته القافلة ليس فيه قسمة بمكيال ولا بميزان، وأطفأ الله الفتنة وجعل سبباً أسراره الخفية ، وقد عمل بهذا أشياخنا أهل العلم بغير حكم وبعض منهم وقف .

انظروا أيها الناس في سكان بهلا بما أنعم الله عليهم في فطنتهم واحترازهم لأموالهم وأماناتهم، فهذا جاهلهم الذي أخبرناكم به لا يقدر على عمله عالم من غيرهم ولا زاهد ولا عابد، أما تنظروا إلى الناس بعد

---

(١) نقص في الأصل .

موتهم لا بد من حكم في الأموال والحقوق بالذي لهم أو عليهم.

وأهل بلد بهلا جاهلهم وزاهدهم وفقيرهم وغنيهم احترزوا عن مسألة الناس في حياتهم ومماتهم، وإن قال قائل إن هذا منك محبة وعصبة لهم في إظهار حسناتهم وكتمان سيئاتهم، فجوابه تشهد به الناس دوننا وأمرهم ظاهر بيّن مثل الشمس المضيئة فبيوتهم مستّرة، وأموالهم وبلادهم مسورة، ونساؤهم مخدرة، وسوقهم عند البساتين وفيه النخيل معضدة، وفي الجدب مغنية عن الآبار والأنهار وفيها طلع نضيد رزقاً للعباد.

وصف سور بهلا وكيفية تمويله عند بنائه :

والسور المحيط بالماء والبلاد ، وبهلا في زماننا كأنها إرم ذات العماد .

فإن قلتم بخلاف ما قلناه فقلنا لكم لا نفتري بالكذب، وإنا نتبع ولا نبتدع؛ فهذا الجواب من الأثر عن صاحب مؤلف كتاب منهاج العدل قال: مكتوب في أربع نسخ ونقلته من جواب الفقيه القاضي عبدالله بن عمر بن زياد وهو هذا في معرفة السنة الإسلامية المدروكة في بناء سور بهلا الخارج المحيط بالبلد إذا نقصت غلة أمواله عن بنائه.

اعلم أنه من حد باب البلد الأسفل المسمى باب بادي وهو الغرفة التي على الباب كلها من حد جدار المسمى السحمة، فمن هنالك مشرق إلى الشرجة التي فيها المثاعيب، وهي شرجة السوق فذلك بناؤه على فلج مقين، الأسفل كل على قدر مائه منه، وحده الشرقي هو الشرجة كلها، ومن حد الشرجة من جانبها الشرقي هابط هو على فلج ميثا كل على قدر

مانه من الفلج، إلى أن يدور في الجانب الشرقي من البلد صاعداً إلى نقب حرموت الذي سهيلي ولجة المشايخ، فذلك كله على فلج ميثا، ومن ولجة المشايخ طالع هو بناؤه على فلج المحدث، كل على قدر مانه منه إلى أن ينتهي إلى طوي العقبة الداخلة، فهنالك الجامود في القطعة الشرقية النعشية من طوي العقبة شرقي مثاعيب الشرجة من قبل حارة الغاف فذلك على فلج المحدث كله، ومن ذلك الجامود صاعداً، فبناؤه على فلج الضبوب، والأطوي الداخلة في السور إلى حد باب الشرع على الأطوي، وغرفة باب الشرع منه على الأطوي الثلث وعلى فلج الضبوب الثلثان، وكل مال من هذه الأموال والأطوي المطابقة للسور أو المواجهة له، ولو قطع بينها وبينه طريق أو بيت أو جبل فطين السور وطفاله عليها لبناه على ما أدركناه في السنة الإسلامية، ومن باب الشرع وهي الغرفة التي على الباب صاعداً ومغرباً إلى برج حشاش الذي عند المفرش المقابل للوادي فبناء جميع ذلك على أموال الحُرُص، وهي الأموال التي خلف وادي الشرع مع الأموال المسميات السحابيات حده السور الأصلي الذي عند طرف حارة الخطوة، ومن برج حشاش المقدم ذكره وهو الجانب الغربي من البلد المقابل للوادي إلى باب بادي، وهو آخر المال المسمى السحمة فبناء جميع ذلك من السور على جميع الأموال الداخلة التي تليه المطابقة له، وطينه وطفاله عليها، إذ ليس له مال متقدم لبنانه، وذلك لا ينكره منكر ولا يغيره مغير إلى يوم القيامة إن شاء الله، إلا المال الخارج خلف السور نعشي نقب الصبيحة، فإن عليه بناء شيء من السور المقابلة له من جانبه السهيلي الشرقي؛ لأنه من داخل السور مقابل للمال المذكور هنالك شرجة وطريق قاطع عن المال الشرقي وهو معروف بينهم إلى أن

ينتهي المال الداخل نعشي نقب الصبيخة المطابق للسور، والله أعلم.

ومنه فصل وجدته ونقلته من خط القاضي عبدالله بن عمر بن زياد مكتوب أنه وجده بخط الفقيه ورد بن يمان بن محمد قسمة الأطوي لسور بهلا سور الضبوب قسمة النفايس ستة آلاف، المسنور العليا ألفان، المسنور السفلى ألفان، المرمادة خمسمائة، قسمة طوي يمان ألف، طوي زياد ألف وخمسمائة، طوي العقبة ألف وخمسمائة، طوي الجمة ألفان، طوي اللثبة ألف وخمسمائة، طوي أم غيلان العليا ألف وخمسمائة، طوي أم غيلان السفلى ألف وخمسمائة، قسمة طوي بني حمد ألفان، طوي الصفار ألفان، المنزف العليا ألفان، المنزف السفلى ألفان، طوي المتبة ألفان وخمسمائة وحالها من منزفة بن عبدالله بن علي مائتين، قسمة طوي فهيدن الخطط ألفان، خطط ابن عطاف ألفان، طوي المروان ألفان، طوي الحارة ألفان، طوي الحارة السفلى ألفان، وحالها من قسمة طوي يمان سبعمائة قسمة الصبخة صبخة الخميسي ألفان وخمسمائة، سبخ الحميدي ألفان وخمسمائة، المنيفة منجورين كل منجور ألف وخمسمائة، كثيبة أحمد بن سعيد ألفين وأزالها من طوي يمان مائة، ومن المزنجي ثلاثمائة، ومن منزف بن حبيب مائتان وثلاثة وثلاثون وثلث، ومن منزفة ابن عبدالله بن علي ثلاثة وثلاثون، ومن منزفة بن حمد ثلاثون وثلث، المزنجي ألفان، وحضير ابن هلال ألف، وكثيبة بن راشد بن ورد ألفان، والبقيعة بن حمسعيد ألف، والبقيعة المبدوة ألف وخمسمائة، وحضر ابن أحمد بن مفرج ألفان وخمسمائة، ومنزفة بن عبدالله بن علي مائتان وثلاثة وثلاثون وثلث، منزفة بن حمد أحمد مائتان وثلاثة وثلاثون، منزفة ابن حبيب مائتان وثلاثة وثلاثون وثلث الجملة اثنان وستون ألف

وثلاثمائة عليهن ثلث الجدار الذي من طوي العقبة سهيلي شرجة الغاف والجامود على رأس الضفر الذي على الشرجة إلى باب الشرع جملة الأطوي أربعين .

معرفة قسمة أموال السور من بهلا على ما سمعناه في الشهرة بستان حارة الجبل العليا نصفه لسور السفالة والنصف الآخر سور المحدث وهو سدس جملة المال بقي ثلث المال يقسم من تسعة عشر سهماً منها خمسة عشر سهماً لسور الضبوب من الحد الذي في طوي العقبة إلى باب الشرع الذي على الأطوي ومنها أربعة أسهم لسور الحُرُص هذا ما سمعته من الإمام العدل بركات بن محمد مما سمعه من الفقيه ورد بن يمان في قسمة هذا المال المسمى الحصر لسور المحدث خاصة المال المسمى حاجر الشريعي نصفه لسور المحدث ونصفه لفلج المحدث لصلاح الفلج الشيبانية نصفه لسور السفالة ونصفه لمساجد العباد المال المسمى جفار اللحمة والمسمى قطعة رويّة لسور الحرص.

حفرة حارة صالح لسور السفالة، جفرة الرحى نصفها لسور السفالة ونصفها لمسجد الجامع، بستان المر بالسور السفالة قويض به المال المسمى الحايط، حفرة المنتج لسور السفالة، بستان الرعلة مع البيت الذي عنده نصفهما لسور السفالة ونصفهما للمسجدين المسجد الجامع ومسجد معد بينهما نصفان لكل مسجد ربع أجيل جلبة عبيدة لسور السفالة، الجلاليب نصفه لسور السفالة ونصفه لمسجد معد، الفشقين لسور السفالة هبة لسور السفالة، جيل مباركة لسور السفالة، قطع الحبط كلها للسور وهن أربع قطعات هن لسور السفالة ، قطعة جلبة أبي عمر التي من وصية مهرة بنت مغول بن مكرم لسور السفالة ، جلبة

الحارة لسور السفالة، السبخة السفلى نصفه لسور السفالة ونصفه لسور العقر، السبخة العليا التي من وصية محمد بن سعيد بن خليل العبري أوصى بها لسور بهلا المحيط بالدار والمدار بالعقر من العلاية والسفالة سوى الحصن فقد جعله لعمار ما سمينا أصلاً مؤبداً زيادة على مال السور ومن تبعات لزمته لله تعالى هذا اللفظ نقلته من وصية بخط الفقيه محمد ابن أحمد بن أبي غسان المال المسمى جفرة باب المراغة لسور العقر خاصة ، المال المسمى الحدقة لسور الحرص قويض به المال المسمى خندق طوي منبه الذي شرقي طوي الثورية ، المال المسمى اللثيبات ثلثاه لسور المنيفة وهو سور الضبوب الشرقي وثلثه لسور الحرص .

حفرة الويوي لسور الحرص، رسة شرمة الخطوة لسور الحرص، المال المسمى الحرص ثلثاه للفقراء وسدسه لسور السفالة وسدسه للمسجد الجامع، جفرة العبيد لسور الحرص ونصف طوي شعثم التي بمغيوة السهيلية الشرقية لسور السفالة وطوي جماح سهيلي خبة القرن صار بديلها بالقياض من المال المسمى السبخة لسور السفالة وهي المحدوث فيها البيران، جفرة الدردور لسور المحدث، وأرض العوينة عند الغرفة لسور الضبوب، معرفة النخل النثور التي لسور السفالة نغال عند بيت الصارخي على ساقية السفالة نعشي جبل فريحوه سهيلي القنطرة، نغال عاضد القدر عند مسجد السوقمة، سيدي عاضد القدر، عاضد الهليليات على الساقية الكبيرة نعشي مسجد ورد المسمى، عاضد مصلى الهرموزي ، عاضد الصارة طرف الداخلة من الجانب الغربي ، ونخلة في العاضد الغربي مقابل لهذا العاضد في وجين الساقية الغربي شرقي لتيزبات، عاضد السبيخة، نغالتين عند الغزيلي وموضع نخلتين المغازي مخلف خلف بن عبدالله بن خلف الدباغ وهما فرضان، وموضع مفسل

نخلة، وبرشي في البحازج مخلف أحمد بن قاسم بن عمر الخفيري صدر المال شرقي الساقية الجايز الكبيرة نصفه لسور العقر ونصفه لسور السفالة، وفرض في السهيلة في مال مخلف عمر بن راشد صدر المال على فلج ميثا، وفرض في السمدية من وصية كاملة بنت عمر بن راشد صدر مالها على فلج ميثا، وبرشي عند حاجر بن مادود الخارج خلف السور عند مطراح الماء لم نعرفه لأي موضع من السور لا نعلم أنه لسور السفالة ولا العلاية، والله أعلم، ونخلة في الضحياينة مخلف شعثم عن قول جمعة ابن عمر بن ربيعة في هذه النخلة وجيل حارة الجبل مما أوصى به راشد بن رمضان الضوياني مما اشتراه من حرمل بن أبي راشد والوصية بخطي كتبه عمر بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن عمر بن أحمد بن أبي علي بن معد بن عمر بن أحمد بن معد بن أحمد بن زياد بن موسى.

قال ذو الغبرا : سألت صاحبي عن فلج الجزيين لم يذكر في هذه النسخة؟ فجوابه خدم بعد تأثيرهم، قال: سألت عن الأفلاج الميتة وفيها أثر العمارة كالظاهرة وودي القِرِي والباطنة وليست لأحد أيجوز لأحد أن يخرجها ويزرعها ويفسل فيها فسلاً من غني أو فقير أم يجوز للفقير من دون الغني ؟

فالجواب : أن الفقير جائز له أن يخرجها ويزرعها، وجائز للغني أن يأخذ مما في يدي الفقير ويداينه ويستوفي دينه من زرعها، فهذا القول الذي عليه العمل.

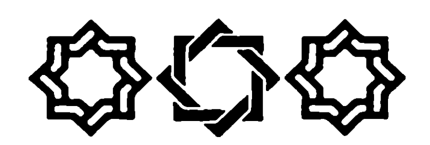
وقول آخر : أن الفلج لقطة هو لمن لقطه ولا يخرج من يده، وقد عمل الشيخ أحمد ابن مفرج وهو شيخ الإسلام في فلج الجزيين من بهلا أخرجه بنو راشد بن ورد وجعلوه زيادة على فلج ضبوب وخلطوه عليه،

وهو قائم بعينه إلى الآن، ولم ينكره الشيخ رحمة الله عليه.

ومن جواب الشيخ أحمد بن محمد بن علي بن عبد الباقي (رحمه الله) وكان من علماء زمانه والقدوة في أوانه وقد سأله محمد بن عبدالله ابن أبي يمان عن فلج وجدوه بقرية بهلا من علو البلد وهو المسمى الآن فلج الجزيين وكان قد عارضهم من ينسب إلى الفقه وشككه عليهم فأجابهم بإجازته وبإخراجه وتمليكه لمن أخرجه دون غيره ، قال : وجدت مسألة إن لم تكف أمواله السور ، فبناؤه على الأفلاج كل فلج بناء ما يليه من السور على قدر الماء القليل بقلته والكثير بكثرته إلا الغربي من باب بادي إلى المفرش أن بناه على الأموال التي تليه كل عليه أن يبني مما يلي ماله .

وعدد أبوابه الجوامع سبعة، والصغار ستة، وعدد غرف أبوابه ومحارصه وبروجه مائة برج واثنين وثلاثين برجاً .

وأخبرني الثقة سليمان بن عامر العبري في جملة خطى السور، أربعة عشر ألف خطوة وأربعمائة خطوة وسبعون خطوة، وعمد اثنان أحدهما معلياً قصد من باب مسجد ميثا والثاني قصد مسفلاً والتقيا على حارة الضرح المهدومة، وأخذ من الوقت من طلوع الشمس إلى الظل خمسة أقدام في فصل الخريف مع انتصاف الليل والنهار، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .



الذكر السابع والثلاثون :

فيه صفات أبناء الدنيا وأبناء الآخرة، وفيه ذكر الرجل الذي طلب المرأة الحسناء فبلغه الله إياها

قال ذو الغبراء: سمعت صاحبي يقول أيها الناس اتقوا الله فإنكم أموات، ومحاسبون عما كنتم تعملون وعليكم ملائكة الله شهداء، وتشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم فحينئذ لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وعليكم بأعمال الحسنات وترك السيئات، والاجتهاد في اللوازم في كل ساعة لأن اللسان والسمع والبصر والشم والقبض والمشي والأكل والشرب والنكاح والأمر والنهي والحرث والجهاد والبيع والشراء والسعي والصلاة والصوم والزكاة والصدقة وصلة الأرحام وصحبة الأخيار والتعليم والعلم وكل شيء يعمله الإنسان في دنياه إذا لم يرد به عمله لله فقد أشرك بالله وأحبط الله عمله، وإنه ليعمل الإنسان في دنياه عمل أهل النار حتى يكون بينه وبينها ذراعاً فيخلص نيته لله وتاب مخلصاً فمات من ساعته فإنه يصير من أهل الجنة، وإن اجتهد الإنسان في دنياه في عمل أهل الجنة حتى يكون بينه وبينها ذراعاً فغير في شيء مما يهلكه فلينزله الله في جهنم ثم قال: اعلموا أن الناس على ثلاثة أصناف فمن الناس من يخرب الدنيا والآخرة، ومنهم من يصلح الدنيا ويخرب الآخرة فهؤلاء أبناء الدنيا، ومنهم من يتزود من الدنيا لصلاح الآخرة، فأما الذين يخربون الدنيا والآخرة هم الذين يدكمون الأفلاج ويهدمون العمارات ويقتلون الناس ويظلمون المسلمين، وأما أبناء الدنيا فهم الذين

يصلحونها بالأمان والبنيان وحفر الآبار والنهار وغرس النخيل والأشجار وإصلاح المتخاصمين وبناء المساجد والحصون العالية الفاخرة وإصلاح الطرق والماء لها للمارين بالبرك والآبار وإحسان الصنائع واللباس الحسن والكرم للضيف وابن السبيل وحب المدح والشعر والنساء بالنكاح الحلال ونسل الأولاد واجتهدوا في قول الله تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١) .

وأما أبناء الآخرة فاجتهادهم في الدين والتعليم وحرثهم في الدنيا بقدر ما يسد خلتهم ويستروا عورتهم في لباسهم وبيوتهم ومأكلهم وشربهم ونكاحهم بقدر لا فيه فخر، وعلماؤهم يتلون القرآن ومطالعة الآثار، وليس لهم همة إلا في التصنيف والتأليف، فانظر أيها الواقف فيما قلناه فالحالة الأولى هي الموجودة في أكثر الزمان والأعمال بالتقية، وإن وجدت في زمانك أبناء الدنيا فاشكر مولاك، فإنك تجد مما يوافقك لإصلاح دينك ودنياك. وأما المنزلة الثالثة فإنها لا توجد إلا في بعض العصور من القرون مع الأئمة الخلفاء للأمة، والبايعون لهم هم المجاهدون في سبيل الله ، القاتلون أعداء الله ، المقتدون بسُنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، البايعون نفوسهم يريدون به رحمة ربهم وشفاعة نبيهم فطوبى لاجتماعهم والويل لمن خالفهم .

وهاك قصة جامعة لخصال ما قدمناه، وقد حكي لنا عن رجل من المسلمين قل ما في يده وخرج من داره بنفسه يتنظر لصلاح حاله ودينه فدخل داراً تجري بها الأنهار مخضرة بالأشجار فسأل عن أميرها فقيل له إنك تجده في مقامه قرب بيته يخدم ضيفه وإنك لتعرفه دون غيره، ومن

---

(١) سورة الكهف : ٤٦ .

خصاله إنه قد وصل إليه رجال من أشرف ناس ودليلهم في الطريق رجل من أصحابه فلما أوصلهم إلى الأمير راح إلى بيته ولا رجع إليهم الدليل واشتغل بتدبيره في ماله فسألوا عنه فلم يروا له نظر، فلما انقضت الزيارة ومشوا إلى دارهم أرسل الأمير بإتيان الدليل فحبسه وأعلمه بتقصيره للناس ولا طابت عليه النفس إلا بوصول خط طيبة النفس من الزائرين فمشوا قرابه ووصلوا مع الزائرين وأخبروهم بحبس صاحبهم فتعجبوا من فطنة الأمير فكتبوا جواباً مما يجلوا القلوب ....[1]

..... وقربه إلى مجلسه وأتى إليه ما حضر من عيشه وغسل الأمير أيدي ضيفه وسأله عن اسمه، وحاله، وعن داره، وما قصده، وكيف إرادته، فأخبره بلسان فصيحة فقال: أنا من أبناء السبيل وقل ما في يدي من دقيق وجليل حتى عدم عليّ الدليل، ومنع عني العطاء القليل. فقال له الأمير: أبشر بالخير والسرور ولك المسرة في جميع الأمور، فقربه أقرب القريب وأنزله منازله وكساه ككسوته وأعطاه من معيشته وزوّجه من بنات عمه من أحسن نسائه، فما مشى الأمير خطوة ولا أكل لقمة إلا وهو ثانيه، فرأى الدار معمورة، والمساجد مقيومة، والمدارس مملوءة، والفقراء بيوتهم مستورة، فلا سمع أحد يشكو شكية ولا وقعت على أحد زلة ولا ظهرت بأجسامهم علة، الثمرات متواترة والأسعار مباركة فلم تزل هكذا أفعال أبناء الدنيا حتى نزل بالأمير السقم وأوصى أولاده بالغريب فقال لهم: اقتفوا بسيرتي ولا تخربوا الدنيا فإن خرابها يورث الهموم والأحزان، فأغلق الله لسانه وقضى نحبه فواراه أولاده وأصحابه ورجعوا إلى إقامة العزاء فبدلوا السيرة ومنعوا الغريب العطاء فضاقت عليه البلد،

---

(١) نقص في الأصل .

وقلت ثمارها، ومنع عنهم قطر السماء وصح بينهم الاضطراب والاختلاف حتى وقعت بين الأولاد والأصحاب الفتن وكل منهم تعلق بقوم آخرين حتى خربت عليهم البيوت والأموال فهؤلاء قد خربوا الدنيا والآخرة.

وأما ما كان من قصة الغريب فقد جلس في المسجد يوماً متحيراً من العدم والقلة فرآه رجل وسأله عن حاله فقال: أنا جئت إلى هذه البلدة ووجدت الجميل والإحسان والمراعاة من أميرها وأوصى أولاده بمصالحي، وبان منهم التقصير والتغيير، فقال له: إن الأمير قد صلح الدنيا ونجمه ونجمك متفقان فأحبك وأكرمك، والآن أولاده نجومهما ونجمك متضادان ومن نصحي لك أن ترحل عن هذه البلاد فإنها قد تناهت في السمعة، وأراها الآن قد بدأها الانحطاط والنكبات، فقال الغريب: ليس معي زاد حتى أبلغ به إلى البلدان، فقال له: أنا أزوّدك بأحسن زاد ولكن يكون علي عهد منك أن لا تخبر به أحدا، فأعطاه العهد والميثاق فأخبره بسر فاتحة الكتاب وآية الكرسي وأخذ منه كلاماً ثانياً أن لا يكتبه لأحد إلا أن يكون سره ما زال حياً بنفسه لا للمكتوب له فعرف الغريب في نفسه أن هذا الرجل هو من أبناء الآخرة، فمشى الغريب هو وزوجته يلتمسان الديار حتى وصلا داراً فأول دخولهما في الدار نظرا بستاناً به الأثبا والأشجار، فآل نظرهما أن يقيلا في الطريق متظللين تحت الأشجار، ومبردين قوة الحر، وكان ذلك البستان لرجل من أهل اليسار في تلك البلدة، وقد سكن فيه بنفسه وهو صاحب قبض شديد فلا يعجبه أحد أن يقف بقربه لئلا يطمع بشيء من عنده، فجاء صاحب البستان إلى الغريب وقلبه من الغيظ لا يتكلم فقال الغريب: مرحباً بالوجه المليح قد رزقني الله لقاك وأحسن بقاك، وجعل الجنة مأواك، وصافحه بأحسن تحية وقال

صاحب البستان: مالي أراكما وقفتما في الطريق الجائز ؟

فقالا: نحن غرباء عربا قد حملنا في صغرنا الأدبا، فسلكنا طريق الأدبا، فقال الرجل: مرحباً بكما وبوصولكما وأنتما أضيافنا وقبضه من يده وأدخله في بستانه وأجبر زوجاته للإتيان المرأة فأتين بها، وقرّب له الفراش، وجيء من الأشجار والفاكهة تساق فأكلا ما طاب لهما ورحب بهما، وأرادا أن يمشيا فما سمحت لهما نفس صاحب البستان ثم مشى به إلى البساتين الأخرى فقال له: في أي بستان تريد مقامك عندنا؟ فقال له: إن أردتني أقف معك فعلى عهد بيني وبينك، فقال له: كيف يحب قلبك؟ قال: أريد منك أن لا تأكل الدهن أنت وأهلك حتى أنظره من قبل أن تأكلوه فعاهده بذلك وأقبلت إليه الخادمة بالدهن فكتب في أوعية الازورد النقية من الصبوغات والفصود سورة الفاتحة وآية الكرسي مفردات الأحرف وقال اللهم اعطف قلوب جميع الحيوانات بسر فاتحة الكتاب وآية الكرسي لصاحب البستان ما زلت أنا في هذه الحياة الدنيا وأعطاها الدهن، وجعلوه في الطعام، فجميع الآكلين من ذلك الطعام عطف الله قلوبهم بالرأفة الرحمة والمودة لصاحب البستان فجعل يكتب في كل يوم والناس تنعطف عليه من كل مكان وانتهت جميع الأمور والسلطة بيديه، واستعف له القريب والبعيد والصديق والخصيم بهذا السر العظيم حتى نزل الألم بالغريب ومات، فأقام صاحب البستان بحذاء قبره وترك جميع الملك وما خوله الله من النعم وساق له من ماله لقوته وكسوته فمكث زماناً حتى مات ودفن مع صاحبه فانظر إلى هذا السر قد زال عنه بعد موت الكاتب فصار الأمر خبراً للمتأخرين وعظة للمعتبرين.

قال ذو الغبراء : سمعت صاحبي يقول إن الله خلق آدم من ماء

مهين، وخلق حواء من أضالع آدم اليسرى ومن هذا فضل الذكر على الأنثى وجعل الأعلى وميراثه سهمان وشهادته عن امرأتين وديته عن اثنتين، وخصوا بصلاة الجمعة والجماعة والجهاد في سبيل الله، وفضائل النساء جعلن في الخدور ولهن الروائح والشهوات لأنه قيل لما جامع آدم حواء وتلذذت بجماعه فقالت له زدني، فلهن من قسمها تسعة وتسعون سهماً وللرجال سهم واحد فولدت حواء لآدم مائة وعشرين بطناً كل بطن فيه ذكر وأنثى، فتزاوج أولادهم وتناسلوا، وأخذ داوود نبي الله مائة امرأة، وأخذ ابنه سليمان بن داود ستمائة امرأة.

ومات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن تسع نساء ، وأمته يجوز للرجال أربع زوجات ومن الإماء ما قدروا ليس له حد، فاشكروا مولاكم أيها المسلمون أن خصكم الله بالنساء الصالحات لأن امرأة نوح وامرأة لوط قد خانتا أنبياء الله في الدين لا في الأنفس، ومريم ابنة عمران أحصنت فرجها وامرأة فرعون وامرأة العزيز من أهل الجنة فإن وجدت أيها الإنسان من النساء الذي ذكرهن الله في كتابه وهن المسلمات المؤمنات القانتات الصادقات الصابرات الخاشعات المتصدقات الصائمات ولفرجوهن حافظات والذاكرت الله الثيبات والأبكار فلا تهمل نفسك وأحصن فرجك وابذل نفسك ومالك إن وجدت سبيلاً كمثل هذه النساء ولا تخلو الأرض من أجواد النساء والرجال وعليك بالجد والاجتهاد والسؤال.

وقد حكي لنا عن رجل قرأ هذه الآية : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ.... ﴾ (١) ، فقال : كل شيء غالٍ إلا مثل النساء المذكورات في هذه الآية فباع ماله وسافر إلى البلدان ينظر إلى النساء وعمد إلى ضرب

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٥ .

السهم كما قيل عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا أراد الخروج إلى الجهاد ضرب السهم في نسائه فالذي يطيح معها السهم أخذها في صحبته، وقد عملت أمته بضرب السهم في القسامة، وقد ذكره الله في مواضع في القرآن في زكريا لمريم وفي يونس، ونظرت شيخنا ناصر يضرب السهم في الحلاء كاللحم والسمك والسكر وجميع ما يؤتى للأكل في حضرته .

وهذا الرجل إذا جاء إلى بلد أخذ بيده الحصى ولم يبقَ في يده إلا فردا، ففي بعض الأيام سمع دوياً وهو مخباطاً يخبط به السمر في الفلاة، فقصد نحوه فإذا هو بامرأة فلما رأته التفتت وضرب هو السهم فيها فبقي زوجاً، ففرح بها وسلّم عليها فردت عليه الجواب وأراد منها السؤال فقالت له: إن النساء لا تكلم الرجال في الفلوات فارحل عني، فقال لها: إن لي عندك كلاماً، فقالت له: لا حاجة لي فيك ولا تعيد الكلام إن كنت من الذين أحصنوا فروجهم، فمشى عنها وضرب بالسهم فيها فبقي زوجاً فرجع وقال لعل الله يخضع قلبها لي، وقالت له: بئس بأخلاقك الحسنة لا تسمع الكلام فإن أقبلت إليّ أطرحتك في هذه البرية بهذه الأحجار فارحل بنفسك عني سالما، فقال لها: لا تتعجلي فأنا رجل مسلم والحمد لله الذي أجمع بيننا وهو القادر على أن يصرف عني وعنك السوء والفحشاء فلا تخافي مني فإني عبد مؤمن تقي نقي من الدنس والعيب وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله إلى الثقلين وهداهم إلى النجدين فأحيا الله به الإسلام وأخمد به عبادة الأصنام فجعله الله خاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد الأولين والآخِرين ومن حزبه الأنصار والمهاجرون فأول ابتداء قتالهم وشهداؤهم في بدر مسومون فنصرهم الله على الكفرة الجاحدين فرجع رسول الله وأصحابه إلى المدينة فرحين

مستبشرين مسرورين ، وقال لأصحابه : " تناكحوا حتى تتناسلوا وإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة، ومن لم تكن له زوجة فأخاف عليه أن يكون من أعوان الشياطين إلا أن يكون له عذر فمن تبغي فليقتفِ بسيرتي وليعمل بسنتي " (١)، وسألت امرأة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عما يجب عليها؟ فقال رسول الله:"أيِّما امرأة صلّت خَمسها، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها وأطاعت بعلها أدخلها الله الجنة وإنّ المرأة الصالحة والرجل الصالح إذا تناكحا في الدنيا فإن في الجنة هي زوجته" (٢).

وأنتِ أيها المرأة إن كنت من الإنس فاقتفي بسنُة النبي الأميّ وزوجاته أمهات المؤمنين قد رغبن النساء على الأزواج وتربية الأولاد، وفي عمل الأطعمة والكسوة ومهما كان عمله في البيوت وكذلك لبسهن الحلي والزينة مع بعولتهن وأنا تذكر قلبي بهذا، ودافعت شهوتي خائف من عقاب ربي، وأحصنت فرجي ورحلت من داري أسأل عن المرأة الصالحة لنفسها مع ربها فلم أجد في سفري هذا وأضرب السهم بالزوج والفرد فلم يظهر لي في السهم في شيء من البلدان إلا عندك وعرفتك عياناً في هذه الفلاة أنك أنت صاحبتي وأنا أضرب السهم الآن بين عينيك ولا مطلع على سرنا أحد إلا ربنا المعبود والملائكة الشهود فضرب السهم فبقي زوجاً ثم ضرب ثانية فبقي زوجاً وثالثة فبقي زوجاً ثم قال لها: إن كان ليس لك بعل فلا محالة أنت زوجتي وإن كان لك بعل فعلى يديك أمري، فقالت له: أو أنت من العرب؟ فأخبرها باسمه وحسبه، فقالت له: وهل تقدر على المهر؟ قال: نعم، كم هو؟ قالت: عليّ ألف وتبعاته بوزني فضة، قال: نعم، فعاهدته وأخبرته باسمها واسم أبيها وأمرته أن يصل إلى

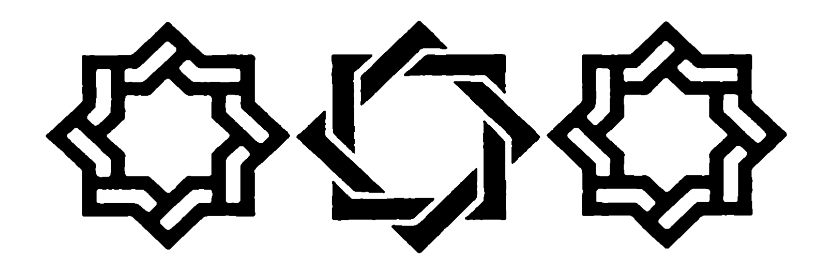
(١) كشف الخفاء : ١/١٠٢١ .
(٢) حلية الأولياء : ج٦ ، ٣٠٨ .

الشيخ ولا يسأله عنها. فقصد البلد وآوى إلى الشيخ وأقام معه ثلاثة أيام فقال له: قد كمل حقنا، وأنا رجل فقير وغريب وقد أعجبتني دارك وأريد أن أسكن في بلدك وأريد أن تشري لي خيمة حتى أكن نفسي عن البرد والحر وثمنها عندي، قال: فشرى له خيمة وأقام في البلد يأكل من عنده.

ثم قال للشيخ: هل في دارك امرأة فقيرة أمينة لتنكحني إياها؟ قال له: أنا في السؤال، فسأل الشيخ أصحابه ليساعدوه فلم يجدوا له أمينة دون بعل فأجابه قال الغريب: قيل لي أن في دارك امرأة أمينة واسمها فلانة بنت فلان، فقال الشيخ: اسمع أيها الرجل إن هذه امرأة لا لها رغبة في الرجال وقد خطبناها بأنفسنا وكثير من أصحابنا ولكن أنت قم مع أوليائها، قال فتصاحبا فوجدوهم في المسجد بين الصلاتين وأخبرهم الشيخ أن هذا الرجل يريد منكم القرابة من قبل فلانة فما تقولون؟ فقالوا: إن الأمر إلى المرأة ونحن لا نقول شيئاً، فقصدوا جميعاً إلى المرأة، وأعلمها الشيخ أن هذا الرجل يريد منك القربة إن كانت لك رغبة فيه، فقالت له: كثير مما جئتموني وقطعت لكم أن ليس لي رغبة في الأزواج مالكم ما قطعتم الأمر؟ فقال لها: هذا رجل غريب وخفنا أن يدخل في قلبه جفا، إن رددناه وأردنا أن يسمع الكلام بأذنه تكريماً له، فقالت له: إن الأمر الآن إليك فإن أكرمته فمنك الكرامة والبداية وإن أردت له الجفا بوصولكم بيتي فقد سمعتم قولي.

فقال لأوليائها: أزوج هذا الرجل ؟ قالوا: نعم. فزوجه بها بمحضر أوليائها وأتي إليهم بحقها فقبضوه أولياؤها وأعطوها حقها ومشى إلى داره، وحمل الدراهم الذي من بيع ماله فلما رجع قال للشيخ ولأولياء المرأة: أوصلوا إلى البيت. فتصاحبوا ودخلوا بيت المرأة فأخذ كيساً فيه

مائة محمدية فأعطاه الشيخ ثم أخرج كيساً آخر فيه مائة محمدية فأعطاه الأولياء وصنع قفاناً فقبضت المرأة كفة من القفان وجعل في الكفة الأخرى كيسة الفضة والذهب حتى ارتفعت بالمرأة عن الأرض إلى الهواء فردها إلى الأرض فقال: هذا لزوجتي من تبعات المهر. فقبضت المرأة الذهب والفضة وقالت لهم أشهدوا بأني شريت هذا الزوج بهذه الدراهم والصداق الحاضر وقد دفعتها إليه مهما أراد يجعلها حرفة له ويكون بها مشغول عن ذكر داره فدخل على المرأة، ونسل منها، وشرى الأموال وبنى البنيان . فهذا دليل على المرأة والرجل أنهم أمناء فألف الله بينهما وصبروا في زمانهما، ومن صبر قدر كما قال ربنا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) .



(١) سورة الأنفال : ٤٦ .

الذكر الثامن والثلاثون :
في تدبير علم حرب الأعداء وكتمان السر عن الأحياء لقصد بلوغ المنى مع الأعداء والأصفياء والأخلاء

قال ذو الغبراء : خلق الله الصنائع والحكمة، وجعل لعلمها دليلاً فينبغي للمرء إذا طلب شيئاً فليجتهد مع معلمه ولا ينتقل عنها حتى يحكمها ويحتاج الناس إلى صنعته إن بلغ المطلوب، وكل طالب لا محالة أنه بالغ مراده، ومن لم يتعلم ولا اقتبس بعقله في ليله ونهاره وإلا فهو من النادمين .

وقد حكي لنا عن رجل مر على قوم محروبين وسألوه عن حاله وأين إرادته؟ فقال لهم: أنا معلم لمن أراد التعليم، فقالوا له : لا حاجة لنا في التعليم، ونحن الآن منشغلون بحرابة الخصيم. فمكث في دارهم ثلاثة أيام فقال المعلم للرجل الذي يأتي إليه بالطعام: قل لشيخ البلد مراده المعلم المسير إن كان عازة. فقال الرجل للشيخ: ما حاجة لنا فيه والنفس طيبة عليه، فجاء إليه مسرعاً وأخبره بقول الشيخ، فقال المعلم: وأين طريق السلامة عن الخصيم؟ فقال الرجل: هاهنا، فقال المعلم: أعجبتني بلدكم هذه ولكن أصحابها ليس معهم علم بالحرب، وإنها ستذهب عليهم على سيرتهم هذه. فقال الرجل: والحرب تحتاج إلى علم؟ فقال المعلم: كل شيء على الدنيا إن أراد الإنسان الدخول فيه فلا بد من معلم فيه لإصلاح دنياه وعلم فيه لإصلاح أخراه وإن لم يتعلم فقد ذهبت عليه الدنيا والآخرة وكيف لا يتعلم الإنسان للحرب وفيه ذهاب الأنفس والأموال! فقال له:

لعلك تعلمني؟ فقال: لا فاقة الساعة وإنكم غفلتم عن السؤال عند مقامي معكم، فقال له: ارجع إلينا وإنك لتعلمنا، فقال: مهما طابت النفس لا يمكن الرجوع ولا الوقوف ولكني أعلمك بكلمة واحدة لإصلاح دينك، اعلم أن المبتدئ بالحرب والساعي إلى الفتنة حقيق بالحرب وقس عليه، وأما الكلمة الذي لإصلاح دنياك في الحرب فكن أسدا، وقد تم الأمر، وودعه.

فجعل الرجل يفكر في كلمة الأسد بالليل والنهار حتى فتح الله بابه وقال كن مثل الأسد يعني الأسد في الدواب ويكون الإنسان مع أصحابه كالأسد، فعزم على هدم بيته وجعل فيه بيراً ثم جعله برجاً مكبوساً يقدر ثلاث قيم[1] والباب أعلى الكبس فلما تم بناؤه جعل خندقاً عليه حائط به وكنّ نفسه فيه ويخرج منه يفرس ببلدان خصمه بالليل ويرجع إلى بيته ثم يرصد لهم في الطرق والفلوات فضاق على الخصم الأمر وهم أقوى من أصحابه فغضبوا وجمعوا أصحابهم وجاءوا إلى بلده بالليل فهرب أهل البلد وأصابهم الجراح والقتل فقام الأسد في بيته يضرب القوم يميناً وشمالاً قبولاً ودبوراً فلم يجد القوم باباً للبيت فصح فيهم الجراح والقتل الكثير وبرحوا في السكك ثم ولوا مدبرين عن البلد فوقف الضرب، والشاردون لم يسمعوا حركة فيها فدبروا نساءهم ينظرن البلد وما فيها فما لقين من القوم أحداً إلا قتلى الفريقين فرجعن إليهم بالخبر، فلما دخلوا البلد عرفوا أن صاحبهم أخرجهم من البلد بنفسه فدفنوا قتلاهم وسحبوا قتلى البغاة وقالوا للأسد: إنك أحييت نفوسنا وجاهدت على أموالنا وبيوتنا والآن أمرنا إليك، فقال لهم الأسد: كونوا على ما سبق ولكنه أخذ منهم شرطاً وعهدا ألا يخرج في صحبتهم للقتال فعذروه، فجاء إليهم خصمهم

(١) أي : قامات جمع قامة .

بالنهار فخشوا[1] ودمروا في البلد إلى الليل، ورجعوا إلى بيوتهم.

ثم اقبلوا في اليوم الثاني وفعلوا وخشوا لأنهم أهل قوة ورجعوا بالليل إلى بلدانهم مسرورين. وأما ما كان من أصحاب الأسد رجعوا عن العهد وقالوا له لا يجوز عليك أنها تخرب البلد وتقتل الرجال وأنت في برجك وأقبلت إليه النساء تشتمه بالخزي والاستهزاء به، فلا همه قول الجميع ولا فتح لهم بابه ولا أجابهم بكتابه، حتى هدن عليه الليل فخرج من برجه وسار راصداً إلى خصمه، فلما أصبح الصباح ورأى الخصم أقبل إليه وإلى البلد فغض الطرف عنهم وهم لا يشعرون به حتى وصلوا البلد وقام الخشي والقتال بينهم فوقف الأسد في الطريق فكلما مر عليه رجل قتله ولاوذه [2]، فإن جاء رجل جريح وبصحبته أحد قتلهما جميعاً وهكذا فِعْله إلى الليل، وقتل منهم بقدر أربعين رجلاً، فسمع القوم مقبلين إليه وإلى ديارهم فلاذ عنهم ورجع إلى برجه وأما القوم فلما وصلوا إلى ديارهم جاءوا يسألون عن أصحابهم الوالدة تسأل عن ولدها، والمرأة تسأل عن بعلها، والوالد يسأل عن ولده والأخ عن أخيه وكذلك باقي البلد، فقالوا: لا علمنا لهم بقتل ولا موت إلا بعض الجراح في أناس وهم راجعون إلى الديار لعلهم في دار الأمير فلما أصبح الصباح اجتمعوا في دار الأمير وصحت بينهم المذاكرة فقالوا هذه قصة، ومشوا بأجمعهم إلى الطريق فإذا هم بالدم كأكباد الإبل فقفروا به فوجدوا أصحابهم أربعين رجلاً قتلى، فصاحوا وناحوا وذلوا ودفنوهم ورجعوا إلى ديارهم بخبر أصحابهم، فصاحت النساء بالبكاء فأقبل في النهار إلى تلك البلدان جمّالاً

---

(١) خشوا ، أي : قطعوا وتطلق على قطع النخيل عادة .
(٢) أي : خفاه .

معه ملح فسألهم عن حالهم فأخبروه بما وقع عليهم من القتل والذل وما شروا منه شيئاً فانتقل إلى بلدانهم فلا أحد شرى منه ملحاً فقصد إلى بلد الأسد فقال: لعلي أبيع هناك الملح في البلد الظافرة المسرورة فلما وصل عندهم لم يكلمه أحد. فقال لهم: مالي أراكم مهمومين مغمومين ولا تتكلمون؟ فقالوا: ما نظرت ما حل بالبلد وعندنا رجلان مقتولان وجريحان.

فقال لهم: ما كفاكم بالذي صح في خصمكم البارحة. فقالوا له: كيف علمك عنهم؟ فقال: قتلوا منهم أربعين رجلاً في الموضع الفلاني وفيهم مسماي الشيخ فلان وفلان وفلان وفلان ووجدوهم كدساً واحداً كأنهم اختطفهم شيطان. فلما عرفوا الخبر تباشروا بالفرح والخير وشروا الملح، وعزوا ونفضوا ثم قصدوا بالعذر إلى الأسد من كلامهم القبيح السابق فقبل منهم العذر. فأما ما كان من أمر الخصيم فقد مشوا عند إحدى الطوائف ليسد الحال بينهم فامتثلوا وصنعوا الصلح وأعطوهم غرم ما ضيعوه من نخيلهم وأشجارهم ودورهم فصارت كلمة الأسد وأصحابه هي العليا وكلمة خصمهم هي السفلى .

فهذه النبذة التي قلناها فيها دلائل الحرب، والخصم لا تبين مذلته إلا إذا كان محصوراً لا قدرة له على الخروج من بلدانه في الفلوات والأموال إلا إذا خرجوا جميعاً، وأما إذا كان بينهم ضرابات وغارات تنظره العيون فهذا يصيب الفريقين جميعاً فتارة يعلو هذا وينزل الآخر وتارة يعلو الثاني وينزل الأول. والحرب بالصبر وبذل الأموال والأنفس في جميع الأمور لأنه قيل لا يأكل اللذات إلا الجسور ولا يدخل الجنات إلا

الصبور.

ولا تخف من القتل والجراح في جهاد أعداء الله؛ لأن كثيراً من الناس من يقتل في نومه في فراشه ومع زوجته وقد رأينا رجلاً لا يخرج للجهاد خائف على نفسه فمشى يوماً في بستانه فضرب صبي حمامة ولحقت الرجل الرصاصة فقتل.

وكذلك امرأة جلست في مالها فضرب الصبي بتفقه حمامة ولحقت الرصاصة المرأة فماتت.

ورجل آخر طالع في نخلته فجاء ابن عمه وضربه فوق النخلة وانتصف في الصوع الذي هو طالع به.

وآخر لا يخرج إلى القتال فمشى يوماً إلى زراعته في بلده فقتله أعداوه في طريقه إلى حجرته.

وآخر زاهد قصد إلى السوق فقتله رجل من عشيرته.

وآخر في صحبة أصحابه نقع التفق من عند صاحبه ينفضه فقتل ابن عمه.

ورجل آخر جالس عند أصحابه في مقامهم فقتله ابن عمه بتفق من وراء الجدار، وكثير من الناس أعمارهم تذهب بالقتل الخطأ والعمد بغير حرب.

ويلحق هذا النساء والصبيان فلا تجبن عن القتال بسبب رأفتك للجسم.

قال ذو الغبراء: حفظت خبراً عن بعض المسلمين أنه قال: قلب

الإنسان كالمرآة فلا ينظر الإنسان بما في قلبه وإنه لينظره الناس فليفكر الإنسان في كلام الخلق إن كان يراه من النصيحة صلاحاً فليسلكه في أمره، ولكنه يحتاج إلى رائحة كالنبات وما شاكله فلا يصح العقد إلا به، وكذلك الرجل إن كان معه علم أو صنعة أو حكمة فلا تظهر إلا بمفتاح غيره وخاصة في الغضب تخرج القريحة أكثر من الفرح انظر إلى الشاعر إذا قال له انظم أو العالم إذا سئل أجاب، ولو لم يسأله أحد لما ظهر علمه.

وفي بعض الأمور أحسن كتمان السر لأنه حكي لنا عن رجل كتم سره فبلغ الملك وإن خرجت الكلمة من فمه، فلا قدرة له في كتمانها وعجز عن المطلوب أو أنه يصيبه الهلاك، فأما في الكتمان ففيه السلامة للمال والنفس كما ذكر لنا عن رجل أراد منه سلطان البلد قرض دراهم فأبى الرجل عن القرض فغضب السلطان عليه وضربه الوزير ومن حضر معه من الناس فسلم الدراهم الرجل إلى السلطان بعد الضرب فهم الرجل أن يهرب من البلد فلاقاه رجل من سكان البلد وسأله عن حاله فقال المضروب: قد لحقني ما لم ألقه من قبل والساعة راحل التمس مكاناً كما قال سيدنا علي بن أبي طالب :

نقِّلْ خيامَك من أرضٍ تُهان بها وجانبِ الذلَّ إن الذلَّ مجتنبا
فالحرُّ لا يرتضي بالذلِّ في بلدٍ لو كانت الأرض مما تنبتُ الذهبا

قال : إن شاء الله أعز نفسي وأهلي، فقال له الرجل: لا تخرج من بلدك واصبر فقد لحق الضرب والسجن الأنبياء والأولياء والعلماء وأهلك وعربك ودارك أروف[1] لك من الناس واستمع نصيحتي واخضع نفسك

---

(١) أي : ارأف .

لأمير بلدك ، واستمع لقول الشاعر :

الدهـرُ يومـان ذا ثبـتٍ وذا زلــلٍ   والحربُ طعمان ذا صاب وذا عسل
كـذا الزمـان فمـا فـي نعمـةٍ بـطرٌ   للعارفيـن ولا فـي نـقـمـةٍ فـشــل

قال: فامتثل الرجل الأمر ورجع، وهمته نفسه بالخضوع للملك فقصد السلطان فسلم عليه فلم يردّ له جواباً فقال: سمعت أن الهدية تفرح بها الملوك وأنا، إن شاء الله، أصنع له الهدايا، فقصد إلى السوق فرأى في يد رجل بسرة مزناج فشراها من عنده بسبع غوازي[1] وجاء إلى السلطان فسلم عليه فرد عليه السلام قليلاً فأعطاه البسرة لابنه فلما جاء ابن السلطان أعطاه والده البسرة ففرح بها وأراها الناس ووالدته وأكلها من بعد، ثم عزم الرجل في اليوم الثاني ورأى عند رجل جحّة فسأله عن ثمنها فقال له بعباسية على غيبها. فقال له: أريدها بثلاث محمديات على نقشها وحمرتها فعزم صاحب الجحة ونقشها فطلعت من أحسن موجود فأخذها الرجل وقصد السلطان فسلم عليه وحياه بتحية الملوك وأعطاه الجحّة لولده فلما جاء الولد ووصل إلى أبيه وردّ الصباح به وردّوا على الولد الصباح والوزراء والعساكر أعطاه أبوه الجحة فحملها الولد وقصد بها مع والدته فأعطاها الجحة وقام يأكل منها هو ووالدته فأعجبهم طعمها وذخروا منها للسلطان، ثم سار الرجل في اليوم الثالث إلى السوق فرأى كبشاً عليه صوف طيب وقصد به السلطان وقال هذا الكبش أعجبني لولدك جاعده فأمر به السلطان إلى الولد وقادوه وذبحوه وأكلوا لحمه وعملوا الجاعد فأعجبهم من حسنه .

---

(١) أي : بيسات .

ثم عمد إلى السوق في اليوم الرابع فرأى تجاراً مقبلين إلى السوق وسألهم عن أحسن سلعهم الذي تكون للملوك فأخبروه بثوب عندهم وشراه من عندهم بأغلى ثمن وهداه إلى السلطان، فلما أقبل إليه ولده أعطاه إياه الثوب بلفافته فحمله ولد السلطان إلى أمه فكشفته وتعجبت منه لأنها لم ترَ في زمانها ولا عند أهلها مثله فسألت الملك عن الثوب فأخبرها أن رجلاً من أصحابنا أهداه إلينا، فقالت ونعم بهذه الهدية عوضه بما يريد صاحبها، فعمد الملك إلى الرجل وقال له قد أخطأنا فيك سابقا وظهر منك الإحسان إلينا ونريد أن نعوضك على ما تهوى نفسك، وتقر عينك فاطلب عندي ما تريد وأحلف لك بالله بكل ما نطقت به تريده فأعطيك إياه، فقال له: أريد أن تقبل مني كلمة الحق التي تراها بعقلك فيها صلاح لك، فقال له: لك هذا مني ولكنك كن بقربي عند مجلسي. فتقرب الرجل ولم يتكلم بشيء والملك ينظره ويؤنسه فمضت الأيام والأشهر وهو ينظر أموراً.

ففي بعض الأيام دخل الوزير في ماله مال رجل فقير فاحتال لنفسه بالشراء ورشا لكتابة الورقة وشهدوا قربه ولم يعلم صاحبها بالبيع وقشع الحاجز وأعطى الشهود دراهم فعلم صاحب النخيل وجاء إلى السلطان يشكو الوزير فسأل السلطان الوزير فأظهر له ورقته ونطقوا الشهود بالبيع فقال السلطان للرجل: ليس لك حجة. فبكى الرجل فضحك السلطان والوزير والعسكر عليه فقال الرجل الذي أعطى العهد: لا تتعجل أيها الأمير في أمرك أرسل إلى القاضي يصل عندك وانظره الورقة . فدبر الملك للقاضي وأقبل إليه مسرعاً وأعطاه الورقة . فقال القاضي : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ ، هذه الورقة لا كتبتها ولا علمت بها . فغضب

السلطان على الوزير وقال له: أرجع مال الرجل كما كان، وإنك تقودنا على ما تهوى نفسك.

ففرح صاحب المال وأخبر الناس بكلام الرجل ففاح في البلد أنه من الصالحين ففرح المسلمون ونكص الظالمون. وكلمة الحق إن نفذها الإنسان مع السلطان كالمتشحط بدمه في سبيل الله. فمكث الرجل يطالع الملك والوزير ينظره بالعدواة حتى وصل إلى السلطان أصحاب القافلة مكسوبين[1]، فقال لهم الوزير: أنتم حقيقون بالكسب لأنكم تريدون لنا العار واليوم حر شديد لا نقدر على التلب[2] والخيل تموت من قوة الحر فأعجبه الملك قول الوزير فقام الرجل وقال : اسمع أيها الملك إن القوافل تسافر في الحر والبرد من سابق الزمان وإن لم يسافروا ويجلبوا الأمتعة فمن أين يصلكم بالذي تريدون في زمانكم وأنت مكنك الله في أرضه وعلى عبيده فمن أين تؤدي شكر مولاك وإن قصرت فيهم وسألك فما جوابك أيحاكم عنك وزيرك؟ فقال الوزير للرجل: نحن لا نطيق. فقال الرجل: من أخذ الفريضة فلا بد له من طاعة الملك ولكن أنت أيها الملك أرسل الخدم يسرجون على الخيل ويكونوا في صحبتي وطاعتي فإني قاصد، إن شاء الله، لأسر حالك. ثم أمر الملك الخدم أن يكونوا في طاعة الرجل فقصد بهم يقص الأثر ثلاثة أيام بلياليها ففي اليوم الرابع رأى الكاسبين وقال للخدم أحيطوا بهم ولا تضربوهم فأحاطوا بهم وأخذوهم أسارى وأتوا بهم عند الملك وقال: أيها الملك الناهبون بين يديك اصنع بهم كيف أردت. فقال الوزير: أولى أن يقتلوا لأنهم ضارّون للمسلمين .

فغضب الرجل وقال للوزير: لو أردنا قتلهم لما نظرتهم أنت ولكن

---

(١) أي : مسلوبين منهوبين .

(٢) أي : المطاردة واللحاق .

أتيناهم ذليلين خاضعين حتى يعرفوا على نفوسهم أن الملك قادر عليهم وإن عفا عنهم فهو أهل للعفو والناس يدخل في قلوبهم الحب إليه.

فقال الملك: قد عفوت عنهم وأمر بقتل الوزير فقتل من ساعته. فقال الملك للرجل: أنت أحق بالوزارة من غيرك ولا أريد لها سواك. فقال الرجل: إن كنت تريدني فأخرج الذين صاحبوا وزيرك الفاسق الظالم؛ لأنهم أعوانه وأنا وإياهم لا نتفق في مجلس فامتثل الملك لقوله ورفق عليهم ملكه.

وأقام الرجل مقام الوزير وجعل بقربه من أحبه فحسن السيرة في الملك وفي رعيته، ثم مشى الوزير إلى السوق ورأى في يد الدلال جارية ينادي عليها فأعجبته وقرب منها وقال لها: أنا أريدك للملك ولكن على عهد وشرط أن لا تخالفي قولي. فعاهدته واشتراها وأخذها في صحبته.

وقال للملك: أخذت لك هذه الجارية إن كان تعجبك، فقال أشهدوا علي أني قبلتها وأني استبرأ رحمها بخمسة وأربعين يوما. فلما انقضت الأيام أمرها الوزير بالإحسان لتصنع للملك، فدخل عليها ووجدها بكراً ومن أحسن النساء فاختارها عن زوجته فمكث الوزير شهرين من الزمان وأمر جارية الملك أن تمنعه نفسها بالليل فامتنعت عنه فلم ينمْ الملك في ليلته ويدرجها باللطف حتى تكشف له ما في قلبها وما وجد منها سبيلا فأصبح الملك مع وزيره وأخبره بقصتها ومنعها عنه.

فعمد الوزير إليها وقال لها كوني كما سبق من الإحسان أو أزيد، فأعجبه الملك من وزيره وأصلحت الحال السابق، ثم مكث الوزير عنها شهرين وأمرها أن تمنع نفسها عن الملك فامتثلت الأمر فهال على الملك

وأصبح مع الوزير فجاء الوزير مع الجارية وأسرها بكلام وأحضرهما هي والملك فقال اكشفي ما في قلبك للملك.

فقالت لهما: أنا أريد البيع وأخاف منكما على نفسي القتل بالسم من امرأتك أيها الملك؛ لأنك استقبلت عندي وتركتها فهذا لا يليق وأسلم هذا الأمر. فلما سمعها الملك طلق زوجته بحضرة العسكر بالثلاث ثم مات ولد الملك بعدما خرجت أمه بعشرين يوما، فأقبل الملك إلى الجارية وحسنت فيه السيرة وطاب الملك في زمانه والوزير مجتهد في أمر رعيته حتى وصلوا مع الملك من أطراف ملكه يشكون من قوم ينهبون أموالهم ويقتلون رجالهم وهم بداة لا يجدوهم إلا يصلوا غزوة فقال الملك للوزير: ما الرأي؟ قال الوزير: ما حضرني جواباً في هذه الساعة ولكن عسى بالليل ننظر أمرا، فلما أصبح الصباح سأل الملك الوزير فقال الوزير: ما فتح الله لي رأياً وأنت سيدي ما جوابك؟ قال : الجواب بما يحب قلب الوزير. قال غداً عسى الله يبين لنا في الليل برهانا، فتمهَّل الملك حتى جاء الوزير على الميعاد في البرزة فسأله الملك عن الجواب قال: اسمع سيدي لقد تدبرت الأمر في هذه الليلة ووجدت البداة مظفوراً عليهم ومطيعين لك بلا حرب، وفكرت في الحساب في تدبير الوزراء والأمراء من بالذي على يديه تسهيل أمرهم فلم أجد منهم أحداً مظفراً عليهم فراجعت الحساب لي بنفسي فما وجدت نصرة عليهم ولا يستطيعون لأحد إلا على يديك ولا تُسر عليهم بجيش لئلا ينفروا عنك، ولكن خذ من العرب بقدر، ومن الدراهم كثر لطريقك لأن الخلق يطمعون في عطائك. فامتثل الملك وحضر أكابر قومه.

وقال لهم: اسمعوا أيها الناس أردت المسير لهؤلاء البداة الذين طغوا وتمردوا ومن تريدوا أولي عليكم حتى تكونوا له في الطاعة ؟ قالوا:

نحب وزيرك أميراً علينا . فقال : قد وليته عليكم فاستمعوا له وأطيعوه وهو الخليفة فيكم. فمشى الملك والقمر بمنزلة الذراع وفي البرج الطالع وزحل في بيت السفر ورب بيت السفر في بيت الموت، ثم كتب الوزير من بعد للبداة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من خليفة الملك فلان بن فلان ، إلى أكابر البداة :

سلام عليكم وبعد : واصل إليكم الملك بشرذمة قليلة في الطريق الفلانية فعجلوا في أمره ومهما قضيتم أمره أوصلوا عندي ولكم ما تسر قلوبكم وتحمل ركابكم والسلام. فأرسل به أحد من أصحابه وأمره بالحث في الليل والنهار فلما وصل الطارش [1] إلى البداة واستقرأوه صاحوا في فرقانهم[2] وقصدوا الأمير فقتلوه هو وأصحابه وكتبوا للوزير بسم الله الرحمن الرحيم من كافة البداة إلى الوزير فلان بن فلان وبعد صحت منا خطيئة بقتل الملك فإن كنت تقبل منا الوصول فنحن نصل بأجمعنا واعمل فينا ماشئت من القتل وغيره والمطلوب الجواب بسرعة. فلما وصل الوزير الخط صاح بأعلى صوته وأخبر الناس بقتل الأمير وقرأ عليهم الكتاب فقال لهم: ما يعجبكم في الجواب فقالوا له: الأمر إليك ونحن قد رضينا بأمرك فقال لنرد لهم الجواب بالوصول ولنقتلهم عن آخرهم فكتب لهم المراد وصولكم وقد عرّفنا جميع أصحابنا أن لا يذروكم ولكنكم إن وصلتم عندي فليس عليكم أمان إلا أن يرحمكم الله.

فطرّش[3] رجلاً فجاءوا إليه وحضر أصحابه كلهم فقال لهم وصل

---

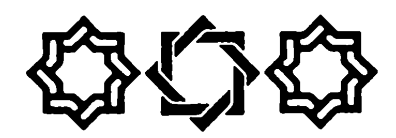
(١) أي : الرسول .
(٢) جميع فريق وهو الحي .
(٣) أي : أرسل .

البداة وكل فخيذة تقتل رجلاً منهم بكرة، فقالوا أصحابه ونحن في الطاعة مهما تأمر، فلما أصبح الصباح قال لأصحابه اسمعوا ايها الناس الليلة هذه ما رقدت أفكر في عواقب أمورنا إن قتلنا هؤلاء البداة فلا يأمن منا أحد في القابل ويمكث في الحرب والبلاء حتى تفنى أرواح المسلمين وتذهب الأموال، وإن صح لهم عفو فلكم الأجر فقالوا هذا الرأي. فقال لهم: العفو منكم أكرم حتى يكفوكم شر الأعداء. قال: فحضر الملك وأصحابه والبداة وقال لقومه هؤلاء البداة قد وصلوا إليكم للقتل فاختاروا لأنفسكم بين العفو وبين القتل. فقالوا: من وصل عندنا فحرام دمه علينا، وقد عفونا عنهم.

فقال البداة: ونحن نعاهدكم فكل من عارضكم على الحرب فنحن نكفيكم شرهم وأنتم سالمون من جميع ما كان فطابت عليهم الأنفس وصحت لهم الكرامة من الملك مالا تحمله الركاب، وجعل لهم الفرائض المعلومة ومشوا عنه بأمن وأمان فرحين، فطاب الملك في ملكه وأمره ونهيه، وخطب مطلقة الملك الأول فقالت: أنا أريد من يريدني. فأخذها وحسَّن السيرة في الناس، ولم يكشف سره إلى مخلوق وصنع على ما تحب نفسه وامتثل لقول الشاعر حيث قال:

وإنْ أردتَ نجاحاً أو بلوغَ منىً ... فاكتمْ أمورَك عن حافٍ ومنتعلِ
ولا يغرّك من تبدو بشاشَتُهُ ... منهمْ إليكَ فإنَّ السمَ في العسلِ

قال : فبلغه الله مناه ، وسامحت له دنياه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



الذكر التاسع والثلاثون :
في فضائل الأنثى على بعض الذكور، وفيه مسائل ودلالات وحكايات في تسهيل الأمور

فضائل الأنثى على الذكر :

قال ذو الغبراء: سمعت عن قوم صلوا صلاة الصبح بالمسجد الجامع وقاموا يذكرون الله حتى أقبلت عليهم امرأة تسأل عن رجل منهم فخرج الرجل إليها وأخبرته أن زوجته تخلصت[1] وأتت إليه بولد ذكر فأعطاها شيئاً من الدراهم بالبشرى، وسألوه الجماعة فأخبرهم أنه حدث له ولد ذكر فهنوه وسألوا مولاهم بركة له في العمر ووقفوا عن التلاوة حتى أشرقت الشمس، وصلوا صلاة الضحى فسأل عن الصلاة أن هذه تذكر شروقاً أم ضحى ؟

قال: تذكر ضحى مهما طلعت الشمس على رؤوس الجبال. فلما قضوا صلاتهم أقبلت امرأة أخرى وسألت عن رجل آخر فخرج وقالت له أن عيالك وضعت بابنة ونريد لها دواء وحلبة وسمناً وعسلاً ودقيقاً فأعطاها مفتاحاً فلما سمع قولها أنها أتت له ابنة ظل وجهه مسوداً فما صحت له تهننة من أصحابه، وكان بمحضرهم رجل فلكي ففكر في الفلك نظره فقال الفلكي للجماعة: سمعتكم تذكرون التهننة للرجل الذي ولد له الذكر ولو عرفتم أمر الولد مما يقع على أبيه بسببه لقلتم اللهم ارفع الولد، وأما الرجل الذي خلقت له أنثى فلو عرف الأمر بما يصح له من

(١) أي : ولدت .

الخير والرفعة لقال إن الأنثى خير من الذكر، لأنه قيل عن الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام وسأله موسى عن ذلك فقال له : ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً {٨٠} فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً ﴾ (١) ، فعلى ما قيل أنهما أتيا بنات ونسلت تلك البنات مائة وعشرين نبيا، وهذا الرجل ابنته مسعودة وطالع برجها مسعود ويتصل برب بيت الآباء والساعة التي ولدت فيها ساعة الزهرة ويوم الجمعة وتتصل بسعد فيجتمع الأحوال في هذه الابنة والسلطان يتزوجها ويمتلئ أباها بسببها من الرزق الواسع وإنه ينال العز والرفعة وتخضع له الخلق.

وأما الرجل الذي ولد له الذكر فقد قرب من الفلكي وقال له: كيف رأيت حال ولدي؟ قال رأيته ولد في ساعة المريخ وبيت نفسه فيه زحل ورب بيته يتصل بالشمس من تربيع وبيت الآباء فيه المريخ وتنظر إليه الشمس من مقابلة، فيدل على أنه ولد سيء الأخلاق ، وتلحقكما مضرة من السلطان، وعلى سببه يذهب جاهك ومالك وهذه بلدك لا توافقه بينهما، نظر في برجه الطالع الذي خلق فيه ولكن من نصحي إليك أن لا تجاوره وأخرجه من البلد واتبع لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ، فقال أب الولد: إن دارنا سلطانها عادل، وثمراتها متواترة ومباركة؛ فقال الفلكي:

(١) سورة الكهف : ٨٠ - ٨١ .
(٢) سورة التغابن : ١٥ .
(٣) سورة البقرة : ٢١٦ .

إن الدار لا تثبت على حالها وتتبدل، وأميرها سيموت، وأراها من بعده يملك فيها رجل ظالم. فقال أبو الولد: أيثبت في الملك؟ قال: لا يثبت إلا بقدر عشر سنين وأنه سيذهب بقتل وقاتله أنت أيها الرجل. فلما سمع الكلام أب الولد استهزأ بقول الفلكي أنه سيقتل السلطان وقد عرف نفسه أنه جبان ليس له قدرة على القتال أبداً فقال في نفسه: هذا الفلكي دهاك كذاب يريد أن يأكل بعلمه وقد غر الناس بفعله وعلمه وأنا لا أستمع لقوله فعمد على حسن تربية ولده.

وأما البركة فقد قلت من ماله ومات سلطان البلد بعد سنة، وملك فيها السلطان الجاهل وانتشى الولد حتى قارب البلوغ فبينما هما في بستانهما جلساء دخل عليهما أحد من جند السلطان قد وصف له أن لديهما كبشاً ونزل عند السلطان ضيف في أول النهار قبل مراجعة أهل السوق بالأغنام وسألهما الجندي عن الكبش فقال الولد: ليس علينا بيعه، وإنا نطعمه للعيد فلا يحصل. فمشى الجندي عنهما وأخبر السلطان بقولهما فأمر السلطان بإتيان الكبش بلا ثمن فأتوه إليه وذبحوه وأطعم ضيفه، وفي السنة الثانية أراد السلطان قرض دراهم من عندهما فلم يحصل له شيئاً فدبر إليهما، فلما وصلا عنده أمر بسجنهما فمكثا في السجن ثلاثة أيام وسلما له الدراهم، وفي السنة الثالثة أراد السلطان جذوعاً عندهما فأبيا فأمر السلطان على الجذاذيع [1] في نخيلهما فاطرحوها وأخذت عليهما كرها ، وأما أب الابنة فكلما دبر السلطان إليه يريد حاجة امتنع وقال لهم: قولوا للسلطان يصلح طريقه لأني أراها وعثة. فكلما بلغ السلطان جوابه أرسل إليه هدية فازداد في ماله وجاهه

---

(١) جمع مجذع الذي يقطع الجذوع والنخيل .

مع الناس، وأما ما كان من أمور، فالسلطان عنده ابنة وله أخ وعنده ابن فأراد الأخ الابنة لابنه مع أخيه فقال السلطان: لا أزوج ابنك من نسل أمه فيها عرق من الخدم والعرق دساس وقد نهيتك عن أخذها فلم تنته، والآن لا تذكر هذا الكلام. فصح بينهما شقاق وخصام وفرقة كبيرة فجعل الأخ يدحض جميع حجج أخيه السلطان ويقرب إلى نفسه من جفاه السلطان فسمع الولد الذي جفاه الجبار وغرمه وخشى نخيل أبيه فأخبر أباه بفرقة الأخوة فقال الأب لولده: لا تدخل نفسك واستمع لقول صاحب المثل إذا نظرت الاختلاف والفتن، فكفّ نفسك ففيها سلامة النفوس. فقال الولد لأبيه: راحة يوم خير من غم سنة .

فقرب الولد نفسه مع أخ السلطان فقربه أخ الملك واجتهد كثيراً في الضر حتى صنع برجل قد دبر السلطان ليأتي له حلاء من السوق فقطع له ولد الرجل وضربه وأخذ عليه الحلاء ومشى الرجل يخبر السلطان بما وقع عليه، فلما سمع السلطان ضاق عليه الأمر ودبر لقاضيه وقص عليه الأمور وما كان من أخيه فأشار عليه القاضي أن يصلح بينهما وأن يزوج ابن أخيه فامتثل السلطان لما حل به الدمار وصلح القاضي بينهما وزوج ابن أخيه ودخل عليها فاستقامت أمور السلطان على ما كانت من قبل، وكنّ في قلبه على الذين بانت مضرتهم له وجعل أخاه على الدول، وسار الأخ بجيشه فلما مضت ثلاثة أيام دبر السلطان خادماً بوصول الولد وأبيه إليه، فلما وصلا إليه قال السلطان للولد: قلنا لأخينا من تريد أن يتقرب عندنا ونجعله خليفة في أمورنا على رعيتنا فأشار علي بأنك أنت تحسن لهذه الأمور، والآن نريدك فما تقول؟ قال له: في السمع والطاعة. فمشى السلطان إلى منزله وجاء حاملاً معتقة وفيها

ميلقاً ومواساً وقال لوزرائه وعساكره: أنا أمشي عنكم إلى البيوت أحسّن الناس (أي : حلاقاً) ولكنكم امتثلوا الأمر لولد فلان وهو معكم وسلطانكم. فهال عليهم الجواب.

ثم قال الولد: أنا خادمك سيدي لا أحمل كما قلت لي. فقال: أنت حملت أكثر من هذا حتى أخذت حلاني من عند صاحبي وضربته ضرباً مؤثرا فأعجبتك فرقتنا حتى تملكنا والساعة اجن ما زرعت فقد حان الحصاد. فأمر أعوانه أن يجعلوهما في أشد سجن وقرب مسلك الخلق حتى يعرفوا الناس هذا جزاء من أحب وسعى في فرقة الملوك، فجاء رجل إلى السلطان وسمع ضجيج المسجونين فسأل السلطان عن فعلهما فأخبره قال: اعلم أيها الملك أن أشد جزاء للناس أن تنفيهم من دارهم وتأخذ ما في أيديهم فينزل بهما الهم والغم ويكّفا عن الناس فلم تزل في قلوبهما الحسرات. فقال السلطان: وهذا الرأي الحسن. فحاز المال ونفاهما عن البلاد، وبقيا حيارى.

فلما خرجا من البلد قال الوالد للولد: اعلم يا ولدي أنه فسر قول الفلكي فينا والآن ذهب المال والحال وشفقت بك فحلت بنا المصائب وما بعد ساعتنا هذه بيني وبينك اجتماع. فسار الولد عن أبيه وبقي الأب يفكر في أموره بالليل والنهار فعزم على الرجوع إلى بلده وقال يفعل السلطان ما يريد فصلى في الليل ركعتين قربة لله تعالى ودعا الله تعالى أن يرجع إليه ماله وأن يصرف الجبار من ملكه فاستجاب الله دعاءه في ساعته ونزل بالجبار في الليل عاسوق الرأس والبطن وصاح وناح حتى أخرج الله روحه في ساعته. فأقبل الرجل إلى البلد بعدما صلى الصبح وسمع ضجيجاً للناس بالبكاء فسأل عن البكاء فقيل له إن السلطان مات الليلة

فعرف في قلبه أنه قتل الملك بدعانه وقال إن الفلكي لصادق فيما أخبرني به، ثم وصلهم الخبر بالضحى أن انكسر أخ الملك وقتل هو وولده والناس وما بقي من القوم إلا قليلا فعمد أهل البلد بتقديم رجل عليهم ممن كان أهلاً للتقدمة وجعلوا أمره بين سبعة رجال ثقات فاستقام الأمر ورجعت المظالم ونزلت من السماء الأمطار، ورخصت الأسعار وسعى الناس في الأسفار. فقال الملك لأصحابه السبعة: التمسوا لنا امرأة صالحة. فأشاروا عليه بابنة الرجل الذي ذكرها الفلكي وقصدوا أبيها فزوجه بها فجعل الملك لوالد الابنة فريضة معلومة وجعله والياً في بعض حصونه فصح قول الفلكي براحة الابنة وأبيها وسلامة البلد بالإقامة على العدل فيها.

فانظروا أيها المسلمون أن في البنات بركات فلا تهملوهن، وأن رسولكم محمد ما خلّف ذكرا وكفى بفاطمة الزهراء وأخواتها فخرا، والإمام ناصر بن مرشد رحمه الله ما ترك إلا بنتا .

قصة الرجل الفقير الذى تزوج بنت سيد ملوك حمير :

قال ذو الغبراء : سمعت عن رجل فقير سأل مولاه التيسير ، ولا يزال يتلو : ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴾ (١) ، بالليل والنهار ؛ ويُروى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : بالنواصي والأقدام .

رجع الرجل : فتذكر بأن النساء الصالحات من قبلهن تدخل البركات ، وقال أمير المُؤمنين عُمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : الرزق يلتمس من فروج النساء ، لقوله (سبحانه وتعالى) : ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) ؛ قال : فمكث هذا الفقير صابراً مُدة من السنين ثم

(١) سورة الشرح : ٦ .
(٢) سورة النور : ٣٢ .

جاءه هاتف بين اليقظة والمنام فقال له: يا هذا اخرج من بلدك وانظر إلى البلدان فإنك تجد على ما تحب نفسك من النساء وبها علامة في رجلها اليمنى مقطوعة أصبعها الأبهيم فنهض الرجل من نومه وحفظ رؤيته ومشى ينظر في البلدان وفي طريقه حتى وصل بندر العرب، وأقام فيها يخدم على نفسه ويأكل من كد يده، ومشى إلى السوق عند بيع الجواري والعبيد فرأى المرأة في يد الدلال وينادي عليها ببخس من الثمن فقصد يتلو الدلال حتى وصل إلى صاحب المرأة فسلم عليه الرجل ورد جوابه وقال الرجل لصاحب المرأة: كيف قصة هذه المرأة لم يرتفع لها ثمن؟ فقال له: إنها عليلة، فقال الفقير: ولو أن في يدي مالاً لرفعت لها ثمنا.

فقال صاحبها: أتريدها؟ قال: نعم. قال: هي لك هبة مني فاقبلها وأحسن فيها، قال الفقير: قبلت عطاك وعسى ربك يغفر ذنبك. فأخذها ومشى إلى خيمته وهي في صحبته، فسألها عن حالها حتى يعرف أمرها ليستبرئها فقالت له: لا فائدة في السؤال. فقال لها: لا بد حتى أعرف النسب خوفي أن تكوني من العرب لأن العربية لا تجوز بالاستبراء في هذا واكشفي لي ما في قلبك. فقالت له: وأنت مَنْ من قبائل العرب؟ فقال لها: أنا من آل هلال. فقالت له: وما أتى بك إلى هذا البندر؟

قال: رأيتك في المنام بأنك من العرب وأنك مقطوعة الأصبع فسمعت هاتفاً يقول اطلب المرأة الصالحة من أرض الله وجئت على هذا البيان، فقالت له: إني سأخبرك بحسبي ونسبي ولكن على عهد بيني وبينك لا تخبر به أحداً من الخلق إلا بمشورة مني إليك. فعاهدها وأخبرته أنها ابنة الملك الأعظم الذي ساد ملوك حمير وأن أبوها زوجها بابن عمها فأخذها وقطع بها البحر وأقام زوجها والياً في البر قالت: فمات زوجي وأخذت في العدة أربعة أشهر وعشرا وغسلت [١] وأردت الرجوع إلى

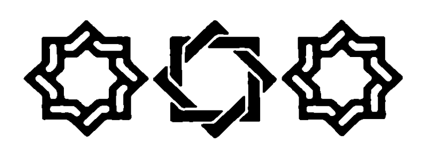
(١) أي : انقضت عدتها .

وطن أبي ، فركبت في الفلك، وجاءت إلينا ريح عظيمة، فغاب بنا المركب أياماً وانكسر فقبضت خشبة وجاء الحوت ليأكلني فقطع أصبعي وساقتني أمواج البحر إلى البر فسلمني ربي من الهلاك وأقبل إليّ البداة وأخذوني وأرادوا أن يفعلوا بي فامتنعت عنهم وقصروا علي الطعام وضربوني في أضلاعي ضرباً موحشاً فقمت أنحب زمناً طويلاً دماً وباعوني بشيء قليل وأتاني هذا الرجل ليبيعني في هذا البندر وأنا عليلة فما رغب أحد فيّ للشراء فهذه قصتي.

فقال: ونعم بك، ولكن اسمعي لقولي فأنا أبلغك إلى أهلك إن شاء الله. فقالت له: إن أهلي بعيدون ولا ينفعوني وأنا امرأة عَوْرة عليك، ولا بد لك أن تتزوج بي فاقصد بنا إلى القاضي فتصاحبا حتى وصلا إلى القاضي وأمرته أن يزوجها القاضي فزوجه بها ودخل عليها وصح جسمها وأقبلت إليها البركة من يومهما وسمّت من نفسها خادمة لبعلها وخضعت للناس كما تخضع الجواري لمواليها، ونسلت له الأولاد وكثرت الأرزاق، ودخل الرجل في البيع والشراء وتقوى ماله وجعل يضرب على المراكب، وجعل للتجار بيوتاً ينزلون فيها، ويجعل لهم الحشمة والكرامة ما لا يجدونه لدى غيره حتى أقبل إلى البندر قوم من آل حمير، وقوم من آل هلال مسافرين فأخذهم إلى بيوته وكرمهم وظن في قلبه أنهم من أطراف قبيلته لما سمع كلامهم ولغتهم وعرف لباسهم وهم كذلك ظنوا في قلوبهم، وكذلك المرأة لما رأت قوم حمير وكلامهم ولباسهم فأخبرت زوجها أن هؤلاء القوم من أصحابها فعمد الرجل إلى سؤال أصحابه فأخبروه بحسبهم ونسبهم وسألوه هم بنفسه فأخبرهم فتعارفوا، وأما قوم حمير فسألهم عن نسبهم فأخبروه وجاء إلى زوجته وذكر لها فقالت له: أريد لقاءهم وأخبرهم أنت بالقصة فقد أذنت لك .

فقال لهم الرجل: سأخبركم أيها الناس عن أمر فهذه امرأتي ابنة سيد ملوك حمير فجاءوا إليها وصافحوها وسألوها عن حالها فأخبرتهم بأول القصة إلى آخرها. فقال لهم زوجها: هذه ابنة عمكم وأنا حفظتها والآن قد جعلت طلاقها بأيديكم وأنا ليس من زواجها. فقالوا له: أنت سترت عورتنا وجعلها الله زوجتك فاشكر ربك ونحن نريدكم في صحبتنا. فقال لهم الرجل: قد جمع الله شملنا في هذه البلدة وجعلناها وطناً لنا فكونوا من السامحين. فرجع القوم إلى مواطنهم وكل أخبر أصحابه فقال آل هلال لا نرضى على أنفسنا أن يكون ابن عمنا غريباً في البلدان، فنهض منهم ألف رجل إما ليحملوه إلى مواطنهم أو يكونوا في جواره فوصلوا إلى بلده وسألوا عنه، فأقبل إليهم وصافحهم وأخذهم إلى بيوته فسمع السلطان بوصولهم ودعا بوصول الرجل إليه.

فقال الملك: قد وصل عندك ألف رجل وما ندري ما عندهم أخبرنا عنهم. فقال: هؤلاء بنو عمي وصلوا عندي مرادهم يحملونني إلى مواطنهم، وإما أن يكونوا بجواري فقال الملك: نحن نريدهم في البلد ونجعل لهم الفرائض. فأقامهم وجعل لهم الملك المنافع وكذلك ابن عمهم أعطاهم كالملك. وأما ملوك حمير لما وصل إليهم أصحابهم وأخبروهم بالمرأة فقد حملوا على المراكب ما لا يحصي عده إلا الله تعالى وجاءوا إلى بلد المرأة فأعطوها المكاتيب والرسائل التي في المراكب فعلم الملك بذلك فخلع الملك لزوجها فلم يقبله فجعلوه لأولاده لأن أمهم من نسل الملوك فملك الأولاد البلاد والعباد وسلم الله ملكهم عن الفساد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والصلاة على محمد وآله وصحبه وسلم .



الذكر الأربعون :

في الملوك وأبنائهم وعداوتهم وابتدائهم في الملك وما يجري عليهم، والموفق في وطنه أو في غير أوطانه

قال ذو الغبراء : سمعت قصة محمودة فذكر فيها عن ملك لديه ولدان فمكث في ملكه وعدله زمناً طويلاً فلما حضرت وفاته أوصى بالملك من بعده لأحد أولاده فلم يرضَ الثاني بعد وفاة أبيه بالملك لأخيه فأشار الرعايا فقالوا له: نرجع إليك بالجواب. فآل نظرهم على أن يصلحوا بينهما في الملك ويجعلونه بالسوية والذي يمتثل لقولنا فنحن عليه فرجعوا إلى صاحبهم وقصدوا إلى الملك هم وأخوه فلما وصلوا دخلوا وسأله أخوه أن يقسم الملك بينهما.

فقال الملك لأخيه: اعلم أن الزوجة لرجل واحد وكذلك الملك لا يكون مع لاثنين ولا يليق هذا الأمر، وأنا قد أوصاني بالمُلك أبي ولم آخذه منك وقد سمعت عن ملك لديه ابن أخ، وليس له ولد فقربه في أمره ونهيه كمثله في حصنه فأخذ رشوة على الملك فقتل وأخذوا عليه الحصن، وملك آخر عنده أخ فزوّجه وولد للأخ ولد ومات أخ الملك فعمد لتربية ابن أخيه حتى بلغ الحلم فزوّجه الملك امرأة ثم زوجه بابنته وأراد أن يقتل الملك ثم التمس له أعداؤه ولم يظفره الله عليه، وملك آخر عنده ولد وفرح به وجعل له الأمر والنهي والقبض والبسط مثل أبيه فأخذ الحصن على أبيه وطرده عن ملكه فجاء الوالد بجيشه وأحاط بالحصن حتى مات ولد الملك

في حصنه فأخذه الوالد بعد موت ولده، ومن هذه الأمور التي ذكرتها لكم في الملك مطلوب صاحبه إلى القتل، وأما النساء فلا يؤمن عليهن أن يدخلن على رجل فيه ذكر إن كان أجنبياً أو كان قريباً عليهن ومن لم يفكر فقد ندم. فقال القوم: نخاف عليكما الفرقة فإن أعجبكم قولنا فهذا ما عندنا.

فقال الملك: لا يليق كلامكم أما أن تكونوا في الطاعة كما أمركم أبي وأما أنكم خصمائي. فقالوا: نحن في طاعة أخيك وقد جعلنا الملك لمن خضع إلينا لا لمن خالفنا . فنهض أخ الملك وقال لهم: رضيتم بي ملكاً عليكم؟ فقالوا: نعم، قال لهم: هذا أخي قطعني وأنا قد رفقت عليه حمل السلاح وقضاء العوايز[1] وأخرجته من جميع ما كان فيه. فقالوا له: سمعنا قولك ونحن في طاعتك. فاستولى على الملك وبقي أخوه لا يكلمه أحد، فريداً بنفسه فهال عليه الأمر وجلس في المسجد بعدما صلى الناس الجماعة فرآه رجل وأقبل إليه فقال له: كيف وقوفك والناس راحوا للنوم في بيوتهم؟ فقال له: أنا ابن الملك المجافى. فقال له: وأنت واقف في ملك أخيك أما كفاك ما أخذلك الله في أماكنه فارحل من هذه الديار، فإن أولاد الملوك مهما نزلوا استقاموا فاسمع لقولي وارحل بلا زاد فمهما رأيت مكاناً واتسع عليك الرزق فيها فاجعلها وطناً إليك ولا تخف على نفسك في الطريق، فإن الله حفيظ عليم وقد حكي لنا عن رجل وجدوه الظلمة في الطريق وأرادوا قتله فتخالفت الرماح عليه وأنزلوه من جمله فكفتوه فقالوا: هذا خصم اقتلوه، فقال أحدهم: إن قتلتموه ليقتل أعداؤكم سبعين رجلاً مثله من أصحابكم. قال: فحلوه في صلبه مكفوتاً ثم قيل لهم إن الرجل هو صديق لكم. وآخرون نظروا رجلاً فقالوا هذا خصم وضربوه

---

(١) جمع عازة وهي الحاجة .

أربع ضربات تفق وأحاطوا به ليضربوه بالسيوف ثم عرفه رجل منهم أنه صديق لهم فسلمه الله منهم بعد الشدة فانظر فيما ذكرته لك وعليك بالحزم في جميع الأمور.

ثم امتثل ابن الملك لقول الرجل وخرج من البلدان يأكل من ورق الأشجار ومن الثمار ولا أحد أشار عليه بطعام في ملك أخيه فلما قطع ملك أخيه وبدأ برعايا غيره ودخل بلدانهم سأله أهل البلد: أين قاصد أيها الرجل فقال لهم: أنا غريب وابن السبيل، درويش، فأعطوه الطعام وولى عنهم إلى بلد أخرى.

فلما وصل إلى منازل الناس سألوه فقال لهم: أنا رجل درويش فأطعموه الطعام وأهدوا إليه كسوة عن البرد ومشى عنهم حتى وصل البلد الأخرى فالتقوه وحيّوه وكرّموه وقالوا له: أين قصدك؟ فقال لهم: أنا ابن السبيل. فأعطوه حمارة ليركب عليها وولى عنهم ثم وصل البلد الأخرى فنهض أصحابها إليه مسرعين وصافحوه وأخذوا الحمارة من عنده وكرموه وأطعموا الحمارة وسألوه عن حاله فأجابهم: أنا ابن السبيل. فقالوا له: بكم أخذت هذه الحمارة من أصحابها؟ فقال لهم: أعطوني إياها قربة لله تعالى، فلما أراد المسير قالوا له: يا ابن السبيل فهذه من عندنا لك ناقة أرأف لك من الحمارة في الفلاة، فأخذ الناقة وترك لهم الحمارة وسار عنهم حتى وصل بلد الأخرى فنهض إليه سكانها وعظموه وكرّموه وسألوه عن أمره، فأخبرهم أنه ابن السبيل وسألوه عن الناقة فأخبرهم بهدية أصحابها إليه فقالوا في أنفسهم: ابن السبيل شاعر ونخاف إن أعطيناه قليلاً لشعر[1] بنا إلى الناس، فلما أراد المسير وهب له أميرها

(١) أي : قال فينا شعراً .

خادماً وفرساً وودعهما فقطعا السيوح هو والخادم حتى وصلا البلد الأخرى فنزلا في المقام، وقصد الخادم إلى أميرها لأنه دليل في تلك البلد فأخبره بمولاه فجاء الأمير ونقلهما إلى الحصن وكرمهما، فلما أراد المسير أهدى إليه ثلاثة رؤوس خيل وثلاثة عبيد، ومشوا إلى البلد الأخرى فلما نزلوا فيها مر عليهم سلطانها فساق إليهم الموائد والطعام ودعاهم إلى الحصن وسألهم عن حال الرجل فأخبره الخدم بالقصة وأشار عليه بالجلوس في داره وأن يكفيه مؤنته وخدمه وخيله فأبى عن الوقوف.

فقال السلطان: طريقكم هذه بها خوف كثير من البداة وأخاف عليكم أن لا تبلغوا دار السلطان الكبير، فقال ابن السبيل: ونحن في أمان الله وحفظه، فوهب له ستة رؤوس عبيد وسبعة رؤوس خيل وأعطاه من الدراهم ما يكفيه لستة وودعوا السلطان وركبوا الخيل يقطعون الفيافي والقفار بالليل والنهار حتى مضت عليهم تسعة أيام وفي اليوم العاشر رأوا في مقدمهم غبرة إلى السماء وهي مقبلة عليهم فإذا هم بأربعمائة من البداة راكبين على الإبل، وهم الذين يقطعون الطريق ويقتلون الفرسان، فأمر عبيده بالحذر التام وأقبل على القوم يكلمهم فما ردوا عليه السلام، فقالوا له: اترك الخيل والرقيق ونسلمك بنفسك. فقال لهم : يأبى الله أن تأخذوها دون القتال وإنا نخاف على أنفسنا من النار والعار ولكنكم أنتم اتركوا سبيلنا ونسير في طريقنا، فقالوا له: لا زيادة بيننا وبينك في الكلام، فقال لهم: خذوا حذركم منا، فقالوا له: وماذا أنت صانع فينا، قال لهم: أطرح رؤوسكم في هذه البرية، فقالوا له: وما تنظر كثرة قومنا؟ فقال لهم: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وإن نصرني ربي عليكم فلا

غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده، فقالوا له: نحن نهوي كالشياطين، فقال لهم: ونحن نجوم رجوماً للشياطين، فصح بينهم القتال وحملت الخيل على الإبل فتفرقت في البطاح وصح في البداة الضرب بالسيوف والطعن بالرماح فولوا مدبرين هاربين مقتولين ويصيحون في فرقانهم فسلم الله ابن السبيل وخدمه وولى عن المعركة قاصدين إلى بلد السلطان فوصلوا في دار السلطان وما سألهم سائل ولا تعرفوا بأحد فشروا من عندهم الطعام والعيش من السوق وأقاموا فيها يريحون نفوسهم وخيلهم.

رجعنا إلى البداة: فجمعوا جيشاً عظيماً بقدر مائة ألف أو يزيدون وظنوا في نفوسهم أن أصحاب السلطان قتلوا أصحابهم وهم من دأبهم لهم قوة على السلطان يأخذون من عنده الجباية في كل حول فكتب البداة إلى السلطان إن كنت تريد سلامتك أنت وأصحابك فارحل من دارك بلا مراجعة منا إليك ونحن معكم فكونوا منا في أشد حذر، فوصل التعريف إلى السلطان وجمع أهل بلده فناظرهم في الأمر فآل نظرهم إلى الرحيل لسلامة نفوسهم وذهاب أموالهم ودارهم، فلما سمع ابن السبيل كلام أهل البلد أقبل إلى الملك وقال له: يا أيها الملك بئس بقومك لا يجاهدون عن نفوسهم وأموالهم وهل هناك أعظم جهاداً ممن يقاتل على بيته وأهله وأولاده وماله؟ فقال الملك لهم: ما تقولون؟ فقالوا: لا نطيق القتال، فقال لهم ابن السبيل: ما تقولون في الذي يكفيكم شر هؤلاء القوم وأن تكونوا في بلدكم سالمين آمنين نائمين؟ فقال الأمير وأصحابه: نحن خدم له نكتب نفوسنا وأموالنا له، فقال لهم: أنا أكفيكم شرهم وأعطني مفاتيح البارود[1]

---

(١) في الأصل : البيروت .

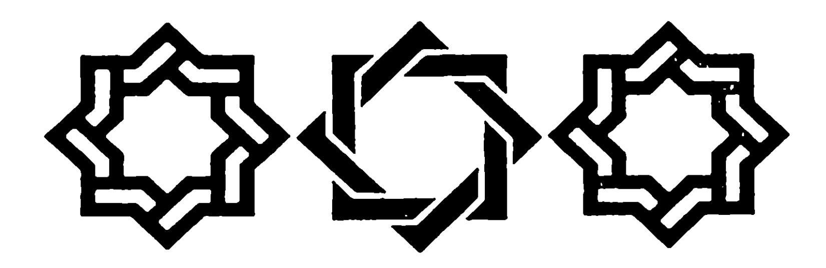
فأعطاه المفاتيح وحمل الدواء الخدم وقصدوا إلى البداة بالليل فأحاط بالقوم من بعيد وجعل الخدم في إحاطة القوم كل معه ما حمل من الدواء وحفروا له حفيرة ودفنوه إلا قليلاً منه وأمرهم أن يكووا الدواء في ساعة واحدة وأن يجلدوا البداة بالحديد فأول من أحرق الدواء هو ثم الخدم فارتجت الأرض وما عليها وأظلمت من الدخان فنهض البداة يقتلون بعضهم والبوش ترقص فيهم والخيل والخدم مهما أقبل إليهم أحد قتلوه فهلك البداة وإبلهم وما طلع منهم إلا قليل.

وأما أهل البلد لما سمعوا الزلزلة العظيمة والصواعق والصيحات فقد ارتجت فرانصهم وخافوا على نفوسهم حتى وصل إليهم ابن السبيل وخدمه فقال لهم: سيروا انظروا ما قضى الله عليهم وأريد الوفاء بالعهد فقالوا له: أنت سيدنا ومولانا، فقال لهم: اسرجوا على خيولكم وتأهبوا لتلحقوا البداة إلى فرقانهم فصاحبه أهل البلد كلهم فالشراد من البداة يعلمون الناس أهل البلدان بالنهار وهذا يصل إليهم بالرواح فكلما وصل إلى بلد استطاعوا له وصاحبوه حتى وصل إلى فرقان البداة واستكانوا له وقطع جميع تلك الديار إلى ساحل البحر فتابعوه ورجع إلى البلد ودانت له الخلق فاستقام في ملكه وتشييد بنيانه فخضعت له جميع المدائن برها وبحرها الذي بقرب تلك الأمصار ولم يزل في البحث والسؤال عن مملكة أخيه والناس لا يعرفون إرادته حتى سمع بموت أخيه والناس لا يعرفوه فكتب لهم من الملك فلان بن فلان الفلاني إلى كافة من تشتمل بأرض كذا وكذا أما بعد سمعنا بوفاة أخينا وواصلكم خادمنا وبلسانه كافة أخبارنا والسلام. فأمّر على خادمه الذي هو أول من أهدي إليه وهو دليل بالطريق والأخبار وقال له: اقصد إلى أرض كذا وكذا وأعطهم التعريف وخذ ما

تريد من الناس لصحبة الطريق والمطلوب منهم الجواب وأنت قف في بلدهم فقصد الخادم إلى تلك الأرض فلما وصل سأل عن أميرها فقالوا له: إن ملكها مات فما حاجتك أنت، فقال: أعطاني مولاي تعريفاً لكم، فقالوا له: إن الأمر في هذا الزمان شورى بين الناس فأعطاهم المكتوب وبكوا، فقال لهم: وما يبكيكم ؟ فلا صح له جواب. فجر سيفه عليهم وأوموا إليه بالوقوف، فقالوا له: وأين مولاك الآن؟ قال لهم: أما تعرفون أنتم إنه مالك الأمصار والأقطار؟.

فقالوا: لا نعرفه وقد صحت منا الإساءة فيه، فلما سمعهم الخادم جذب سيفه هو وأصحابه وحمل عليهم فناموا فجعل يضربهم برجليه، فقالوا له: افعل ما أمرك فينا، قال: ما أمرني إلا بالجواب يطلب من عندكم، فقالوا له: لا نعرف أمره وقد كان من أمره كذا وكذا وصح منا له كذا وكذا، فلما سمعهم الخادم غضب عليهم وأمر بقتلهم فقبضوه أصحابه وقالوا له: أرسل مولاك إليهم وأرادك أن تقص عليهم قصته من أولها إلى آخرها. فجعل الخادم يحدثهم بوصول مولاه إليهم وبهدية هو بنفسه إليه وقص عليهم ما جرى في زمانهم. فقالوا له: كن أنت في الحصن ونحن نقصد معه ونريد دليلاً من أصحابك فوقف الخادم وأعطاهم أدلة للطريق ومشى أكابرهم حتى وصلوا قرب موطن الملك وأرسلوا إليه الدليل بوصولهم فأخبر الملك بوصولهم. فقال له: ارجع إليهم وأن يكونوا في الصحراء مع البطحاء وأمر مناديه أن ينادي بالخروج لصلاة الجمعة في الصحراء فخرج جميع الناس، فلما حضر وقت صلاة الجمعة قال للدليل: قل لأصحابك الواصلين أن يتقدم أحدهم إلى الصلاة والخطبة فتقدم أحدهم وخطب ونشر العزاء للملك فلان بن فلان الفلاني الذي أصله من أرض كذا

وكذا، فحينئذ عرفوا النـاس نسبه وموطنـه، فلمـا قضـوا صـلاتـهم قـادوا نفوسـهم إليـه وعفـا عنـهم وصـاحبوه إلـى الحصـن، فقـربهم وعظمـوهم أصحابه وأهل مملكته فبلغ الملك من قوة سعادته مـع ولادتـه وإصـلاح رب بيت عزه ينظر إلى بيت نفسه والسلام .



الذكر الحادي والأربعون :
في معرفة الأمناء والوكلاء وفي قصتهم، وفي ضرب من الحساب للموافقة بين الزوجين والرجلين والخصمين

صفة الأمناء والوكلاء :

قال ذو الغبراء: سألت صاحبي عن صفة الأمناء والوكلاء؟ قال: أما الجواب في الذي ذكرته من الوكلاء والأمناء فمنازلهم ومراتبهم لها أوجه وسأبيّن لك بعضاً من معانيها لأن العلماء والعباد والزهاد لا يصلحون كلهم للوكالة، ويشهدون على أنفسهم كما يشهد عليهم ممن علم بمراتبهم، وكثير من الناس من يصلح لوكالة الموقوف والأيتام والغياب ليس من زهدهم وورعهم أخذوها، ولكن من اجتهادهم ومحبتهم الزيادة لأموالهم وإصلاحاً لدنياهم وحاسبوا نفوسهم مخافة أن يأخذوها من أياديهم؛ لأنا رأينا كثيراً من أهل الظلم والفسق يمتثلون في النصيحة من أهل الورع، وكثيراً من أهل الورع وأهل العلم لم يفوضوا الأمر إذا رأوا أهل الورع في صلاح أموالهم ونسائهم وأولادهم وكلٌ أخبر بأهل زمانه.

والوجه الثاني من الناس امتنعوا عن الدخول طلباً لسلامة نفوسهم فيما بينهم وبين ربهم لأنه لو كلفهم مكلف على شيء من مداخل الوكالات والأمانات لضاعت على أيديهم وطمعوا بالدراهم فخانوا أماناتهم فينبغي للعارف أن لا يكلف مثل هؤلاء.

والوجه الثالث من الناس اجتهدوا في وكالتهم لصلاح دينهم

ودنياهم ويسألون مولاهم السلامة من الدنيا والعاقبة في العقبى، فمنهم مات سالماً ومنهم من أحاط به اللعين وتابعه، فلما انتبه رجع إلى مولاه فلا يعجل على مثل هؤلاء إن زلوا؛ لأنهم أقرب إلى الرجوع. وقد حكي لنا عن رجل من المسلمين مشهور بحفظ الأمانات ويثني عليه العارف بعلومها والحاضر والبادي بأمانته فأقبل إليه رجل من المسلمين يريد أن يأمنه شيئاً من الفصوص فأخذها من عنده فقال المقبض لصاحب الفصوص وإن حدث عليك موت أتوصي بها لأحد حتى أقبضه الفصوص؟

قال له: قبّضها ولدي فلان إن سألك عنها. ومشى المؤمّن قاصداً إلى بيته ومضت عليه السنون فنزل به مرض الموت وقال لولده: أوصيك أيها الولد بأن لديّ كتاباً جعلته في مكان خفي وعلمته انظر ها هناك موضعها كما ترى وخفت عليه من السرقة أو أن يأخذها أحد من أهل الجور ولا أقدر عليه، وإني كتبت في بخط يدي مما يغنيك في دنياك فمات في مرضه، وجاء الأمين مع الولد وعزاه من بأبيه ثم قال له: هل أوصاك أبوك بشيء من قبلي. قال له: ما سمعته يذكر شيئاً، فمشى الأمين وشرى مالاً من بلده بالثمن الكثير وعجز عن تسليم الجميع وتذكر في قلبه لعلي أبيع الفصوص التي عندي وأسد به خلتي فأخذها وباعها على الملك وطالت عليه المدة ومات السلطان وتذكر ولدُ الهالكِ الكتابَ الذي أوصاه به أبوه فأخذه ووجد فيه تاريخاً بخط يده: أني أمنت الأمين فلان فصوصاً في يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا وكذا فقصد ولدُ الهالكِ الأمينَ وسأله عن الفصوص التي رفعها والده إليه فأنكر الأمين وجحد الفصوص ومشى ولد الهالك إلى الحاكم وألزم الأمين فيها فجحدها أمام الحاكم فألزمه اليمين فحلف بالله أن لا رفع عنده فصوصاً، وبعد اليمين ظهرت بالأمين

علة وطالت عليه المدة وعرف في قلبه أن هذا البلاء عقوبة من ربه فندم على ذنبه وقصد إلى ورثاء السلطان وسألهم عن الفصوص وأعطاهم ثمنها ورجع إلى ولد الهالك وقال له: هذه أمانة أبيك، فأبى الولد عن قبضها في تلك الساعة ثم حضر الحاكم وولد الهالك وأمره الحاكم بأخذ حقه من عند الأمين فأخذ الفصوص، فسأل الأمين مولاه أن يرفعه من الدنيا مخافة أن لا يملك نفسه هواها.

والوجه الرابع لا أمانة للرجال مع النساء إلا الأنبياء والمرسلون وقد هلك العلماء والعباد بسبب النساء، وهم كانوا يسبحون الله في الليل والنهار، وهم يعرفون الله حق معرفته ويبكون من خشيته ويرجون رحمته، ولكن لا حول عن معصيته ولا قوة على طاعته إلا بمعونته فمن عصمه الله نجا، ومن نزل به البلاء بسبب النساء ورأى كأنه نجا، فإنه يمكن به سقم أو جوع أو خائف من أحد أو كان في وقت مصيبة نازلة به، وأما إذا كان في خلوة وهو صحيح الجسم وليس عليه رقيب، وأقبلت إليه امرأة شابة عليها الحلي والحلل فلا شك أن قلبه لا يفارقها ولو ذكر ربه والجنة والنار لأجال الشيطان على قلبه، وسئل أبو سعيد، رحمه الله، عن المرأة التقية هل يجوز لها أن تسافر في صحبة الرجل الثقة الأمين؟ قال أبو سعيد: لا يجوز للمرأة أن تسافر مع الأجنبي؛ لأن الشيطان يكون لهما ثالثاً يحرك قلب هذا وهذا حتى يجمع بينهما.

قال ذو الغبراء: وقد سمعنا عن الوالد يفجر بابنته والأخ بأخته والزوج بربيبته والبناو[1] بعمته والولد بأمه، وولد الولد بجدته وبخالاته وعماته والخادم بمولاته فينبغي للرجل أن يمنع زوجته عن أمها وإخوتها

(١) ابن ضرة المرأة ، والعمة هنا بمعنى زوجة الأب .

وجداتها خوفاً منهن يأكلن عليها ويقود بها للفسَقة، لأنا رأينا كثيراً من النساء يفتخرن ببناتهن ويأكلن عليهن أو أن يجمعن النساء حتى يسحقن بعضهن وكذلك يمنعها عن آبائها وأولادها وإخوتها وعمومتها وأخوالها وجيرانها وعن آبائه وإخوانه وأمهاته وأقاربه مخافة أن يفعلوا بها أو يتأكلوا عليها لأن ليس كل أحد له قلب واع في هذه الفنون، ولا يمنع الداخل عن أهله وبيته فكل ما ذكرناهم من الأرحام من الرجال والنساء أولى الوقوف عن قربهم إلا أن يكونوا ثقاة وعدولا ولا يعرفون فنون النساء والرجال، فمثل من كانت منزلته كذلك يحسن به الظن.

وإن قال قائل إن فعل المعصية من ضعف عقيدة القلب والسالم في الدنيا من حسن عقيدته، فلا أرى كمثل ما قال لأن كثيراً من الناس في أكثر زماتهم عقيدتهم ضعيفة، وهم فجرة كفرة وتابوا إلى الله فتاب الله عليهم وكثير من الناس عقيدتهم حسنة يبيتون سجداً وقياما مثل أولاد الأنبياء والعلماء والزهاد والصحابة يؤخذ عنهم العلم فحق عليهم القول بشيء من المعاصي فهلكوا، أو إن سلم أحد من الفتن فليس من قوته ولا من بصيرته بل بفضل الله إليه.

وقد حكي لنا عن رجل أراد أن يتزوج امرأة وخطبها من أهلها وقال له أولياؤها إن الأمر إليها، فسألوها فأجابت أولياءَها بالرغبة والإرادة فنكث عليه الأولياء ولم يقدر عليهم بحيلة فتعاشق الرجل والمرأة وطالت عليهم المدة وصح بينهما اللقاء في الفلاة والخلوة وكشفا سرهما ومودتهما فما حملت المرأة نفسها وطاحت غشيانة في حجر الرجل من الحب والشوق فحدرها الرجل من حجره وهي تستجير به أن يكسر لها

شهوتها ويبرد لها قلبها من الاحتراق فقال لها: ونحن اجتهادنا في الحلال الدائم لا مرادنا في ساعة للحرام فتحترق الأجسام في الدنيا بذهاب الحلال فنهضت عنه ومشت وبها الخجل.

فما طالت بها الأيام حتى ماتت المرأة وتزوج الرجل بامرأة وسكن ورزقه الله أولاداً ذكوراً وإناثا حتى سمع القارئ في الأثر عن الذين هلكوا من أهل السلف من قبل مداخلة النساء إليهم، وقال في كتابه ينبغي للرجل أن ينفر عن المرأة كما ينفر الأسد، وأشد عليه مقاربة النساء من مقاربة الحيات والأفاعي، أو مصادمة الشجعان في الازدحام ولا أراها أعظم مصيبة من قربة النساء.

فقال لهم الرجل: أما من أطاع الله ورسوله، فإن الله يعينه على الطاعة ويمنعه عن النساء والفتن والذين هلكوا هم في أخس من زلة قبل أن يواقعوا معصية الله، ومشى عنهم الرجل إلى بيته ونام إلى الصبح ونهض إلى الصلاة فلما صلى وسلم تضرع إلى مولاه بالدعاء إلى وقت صلاة الضحى فصلى وراح إلى بيته واستفتح بشيء من الطعام ومشى إلى الفلاة يريد خشبة فهمّ في قطع الخشبة ووصلت عنده امرأة متزينة مرادها تجمع حطباً فقامت تأخذ الحطب الدقيق حتى جمعت منه بقدر حملها، وتكلم الرجل إليها بكلام لطيف وصوت غضيض وكانت لها رائحة طيبة في الفلاة تجلبها الريح إليه فأسرع الرجل بنظره إلى المرأة وفكر في صورتها قليلاً وغض طرفه ثم أعاد النظر ثانية وثالثة ولاطفها بالكلام فتعانقا في مجلسهما وجامعها ودخل الشيطان بينهما حتى حضرت شهوتهما والراعي ينظر إليهما فندم الرجل على فعله وتطهر وتوضأ وقام

إلى الصلاة ودعا الله تعالى أنه لا طاقة له على معصية الله وأن يرفعه الله من الدنيا.

رجعنا إلى الراعي لما رآهما قصد مسرعاً إلى أخوة المرأة وأخبرهم بفعل الرجل لأختهم بموضع كذا وكذا فمشوا الأخوة نحوهما ووجدوا أختهم في الطريق حاملة للحطب وسألوها عن تأخيرها وفعلها فقرت بفعلها ثم وثبوا على الرجل فوجدوه مستقبل القبلة يدعو الله تعالى قالوا اقتلوا الكلب الدنس الفاجر الفاعل الفاحشة فقتلوه وحملوه إلى حفيرة ودفنوه ورجعوا وهزبوا[1] الراعي وأختهم عن البيان، فأما أخبار المقتول فقدوه أهله فلم يجدوا له بيان ولا أثر ولا خبر فغاب خبره عن العيون حتى ظهرت بالفاعلين علة وطالت عليهم المدة فاحتالوا على أنفسهم بكل حيلة فلا نفعهم دواء وسألوا أهل البصر فدلوهم بالمغابير[2] الحروز والأدوية ، فلا زادهم إلاَّ ضعفاً ، حتى وصل إلى دارهم رجل يعرف عزيمة الصرع فسألوه الناس عن أشياء كثيرة فأجابهم فيها وأصاب حتى سألوه عن المرضى فقال لهم الصارع: أحضروا أهل البلد كلهم، فقال لهم: ائتوني بالمرضى. فأتوهم إليه، قال لهم الصارع: أيعجبكم سأخبركم بعلتهم ودوانها؟ فقالوا: نعم، قال: هؤلاء قتلوا رجلاً زاهداً عابداً قد واقع الفاحشة بأختهم في الموضع الفلاني ولكنه تاب إلى الله وتضرع إلى مولاه أن يرفعه من دنياه وهؤلاء المرضى أخبرهم بالفاحشة راعي غنم البلد فوثبوا إليه وقتلوه ودفنوه بالحفيرة الفلانية فانظروا إلى تلك الحفيرة فإنكم تجدون عظامه.

قال : فقصدوا إلى الحفيرة ونظروا العظام ، وأقر الفاعلون ، فقال

---

(١) أي : هددوا وأخافوا .
(٢) جمع مغبار : وهو البخور الذي يُوقد في مكان مُعين لإرضاء الجن ، بحسب زعم الدجالين .

لهم : وإن قادوا نفوسهم يبرأون من علتهم، قال: فقادوا نفوسهم إلى أولاد المقتول وطلبوا الأولاد الدية فسلموا إليهم دية أبيهم فأبرأهم الله وكشف الله سر القاتل والمقتول في الدنيا دون الآخرة، وأما المرأة ثبتت على إقرارها بالزنا فحرمت على زوجها وأعطته جميع ما ساقه إليها ولم يكن في ذلك الزمان إمام عدل مالك مصراً ليقيم عليها الحد ولكن عزروها أولياؤها.

والوجه الخامس أكثر الناس يضعون الأمانة في غير محلها والساعون لا ينظرون إلى مجازها ومداخلها ومخارجها يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم، فانظر لمن ابتلي بالمواقيف [١] والوصايا والأمانات ومثل البنايات والشراكات لا يبالي بنزول الضرر على الأهل والقرباء والشركاء والجيران وتتولد عليهم فتن وذهاب الأموال بالظلم فينبغي للعاقل أن يقف عن كل مشتبه لأن الواقف سالم والداخل في الأمور بغير علم نادم .

المُوافقة بين الزوجين بالحساب الفلكي :

قال ذو الغبراء: حدثني رجل قل ما في يده من الأموال وسأل ما أحسن له من الأعمال فقيل له انظر إلى كتاب التحلية واعرف نجمك وسلي نفسك فإنك ترى فيه ما يسرك وما يضرك ولكنك تعلم حروف الأبجدية بالجمل الكبير وأسقط عددها على ما تراه في الكتب مؤثرا لأن النجوم اثنا عشر برجاً وتسقط حروف الاسم على اثني عشر، وتعطي البروج ما بقي

(١) جمع وقف ، وهو ما جعل صرفه لجهة مُعينة ابتغاء ألأجر من الله ، وهو الذي سماه الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " الصدقة الجارية " .

في يدك والابتداء من الحمل وآخرها الحوت هو الثاني عشر، فإن عرفت الحساب وضبطته ضبطاً جيداً فاحسب إلى ما تريد من جميع الأمور ثم انظر نجمك ونجم الذي طلبته إن كان من الذكور أو من الإناث أو نجم البلدان أو المال أوسلعة التجارة أو أردت شراء دابة وكل شيء له اسم فاحسب اسمه واسم أمه والبلدان فأمها مكة والمال فأمه البلد، واعرف نجم المطلوب وقس فيه على نجمك أو نجم من تريد للطالب والمطلوب، فاعلم أن النار والريح متفقان إلا أن النار أقوى من الريح، والتراب والماء متفقان ولكن من كان نجمه التراب هو الجاذب للماء وإلا غلب.

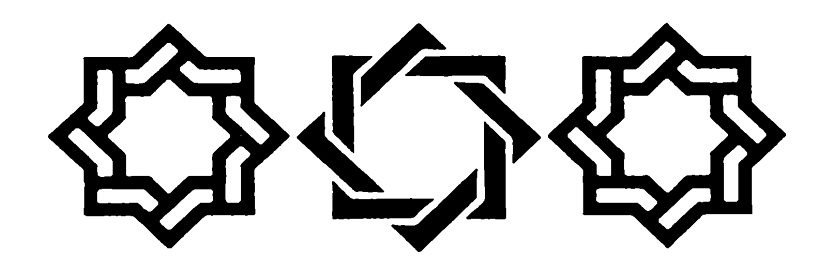
واعرف البرج أنه متقلب أو ثابت أو مجسد لأن البرج الثابت أثقل من المجسد ، والمجسد أقوى من المتقلب، وأما البروج النارية فإنها تتفق إلا المقابل منهما لصاحبه فهو عدو له، والترابية مثلها، والرياحية مثلها، والمائية كذلك، وإن كان البرج الطالب ذكراً والمطلوب برجه أنثى كان أحسن للموافقة، وإن اختلفا فبضد ما ذكرناه، والناري والترابي، فالناري أقوى من الترابي، والترابي أقوى من الرياحي والرياحي أقوى من المائي والمائي ضعيف، فانظر فيما ذكرناه وقس بعقلك في جميع ما تراه، وبعض يحسب بالغالب والمغلوب وهو صحيح وهو أن يحسب الإنسان اسمه بالجمل الكبير ويسقطه تسعة تسعة ويعرف ما بقي في يده ويحسب اسم من يطلبه ويسقطه كذلك تسعة تسعة ويعرف ما بقي من حسابه وينظر ما بقي منهما مما تراه أقوى فهو الغالب، واعلم إن طاح في الأفراد فالأقل يغلب الأكثر وكذلك إن طاحا في الأزواج فالأقل يغلب الأكثر، وأما إن طاح حسابها أحد هما في الإفراد، والثاني في الأزواج فالذي تراه أكثر عدده هو

الغالب، وأما إن اتفقا الطالب والمطلوب في عدٍّ واحد فإن كانا في الإفراد فالطالب الغالب وإن كانا في الأزواج فالمطلوب الغالب وإن كان اسم الطالب والمطلوب واحداً فأصغر السن هو الغالب، قال الشيخ ناصر: يحتاج إلى نظر في أصغر السن فتدبر في هذا الحساب فهو صحيح مجرب في كل ما تريده من الأمور.

ومنهم من يحسب اسم الطالب والمطلوب في الموافقة بين الرجلين والزوجين ويسقط اسمهما ثلاثة ثلاثة فإن بقي واحد فالرجل الغالب، وإن بقي اثنان فالمرأة الغالبة وإن بقي ثلاثة فبينهما اتفاق فاعتبرنا هذا الحساب فوجدناه موافقا. ومنهم من يحسب اسم الرجل واسم أمه واسم المرأة واسم أمها ويجمعهما جميعاً ويسقط ثمانية ثمانية فانظر فيما بقي في يدك فإن بقي زوجاً فبينهما اتفاق وإن بقي فرداً فبينهما اختلاف وقس بعقلك في الحساب من الرجال والنساء فإنه يتبين لك البرهان. وأما ما قيل في بركة الأرزاق فإنه يحسب اسم البلد واسم مكة واسم الطالب واسم أمه ويسقط أربعة أربعة فإن بقي واحد فالرزق في تلك البلدة قليل، وإن بقي اثنان فإنه مكتفي برزقه، وإن بقي ثلاثة فموسر وإن بقي أربعة، فهو يعلو على أهل اليسر فرأينا في هذا الحساب ليس موافقا ورأينا البروج وموافقاتها أصح من هذا الحساب، فمن اعتبر في الحساب وتزوج على ما ذكرناه وسكن في البلد الموافقة لنجمه، فإنه يرى الصلاح من الزوجة ويتسع له الرزق في البلد.

قال ذو الغبراء: تعلم رجل هذا الحساب وسافر إلى بلد يريد فيها السكون وهي موافقة لنجمه وتزوج امرأة فذهبت أمواله لصداقها وأخذت

عليه البلد ما أعطته فما وجد فيها ربحاً، ورجع إلى وطنه الأول وسأل شيخه عن ذلك قال له: لعلك خرجت من دارك الذي هو وطنك بيوم نحسة أو بساعة نحسة أو القمر في منزلة نحسة؟ قال: نعم سافرت بشيء من أيام الكوامل السبع، فقال: من هاهنا العلة ما من البلد وما قاسه العلماء فهو موافق وأبصر من المتعلمين لا منازلهم كالحاسبين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.



الذكر الثاني والأربعون :
جامع في الأصول من الشرع والطب والأدوية والقصص الواردة على الشاب وما أصابه من الشدة والفرج

الأدوية التي تساعد على حبل المرأة أو تمنع الحبل :

قال ذو الغبراء: جلست يوماً عند صاحبي ورأيته مسروراً، قلت في قلبي: لعلي أستفيد اليوم منه، فقربت منه فقال لي: ما حاجتك يا ذا الغبراء؟ قلت له: أريد منك قصة جامعة في الأصول وأريدها تجري في العروق كالماء البارد الذي يسلي على القلوب. فقال: مرحباً ونعم ما أردت وأسال الله الإعانة ومنه البداية.

اعلم أني سمعت أشياخنا في مجلسهم يقرأون كتاباً فيه قصة عن رجل مسلم له زوجة صالحة عقيم قالوا وإن أكلت المرأة الفول أربعين يوماً قبل الغذاء صارت عقيماً لا تحمل أبدا، وإن دخلك الشك في هذا فأعطي الدجاجة الفول أياماً فإنها لا تبيض، وإذا شربت المرأة أنفحة الأرنب ثلاثة أيام بعد الطهر منعت الحبل وذهبت الرطوبة السائلة من الرحم، وتنفع من الصرع سقياً بالخل وتعين على الحمل إذا احتملت منها المرأة بعد الطهر وهي نافعة من كل سيلان ونزف من النساء وتحلل الدم واللبن الجامدين والجلط الغليظة وتجمد كل ذائب لأنها حارة يابسة وتنفع من اختناق الرحم ومن قروح الأمعاء. قال: وسألت المرأة بعلها أن يلتمس لها طبيباً حتى يعرف الطبيب ما فيها وما منعها عن الحبل فقصد الزوج

الطبيب وسأله عن امرأته أنها عقيم أتدلنا على شيء نتسبب لها؟ فقال الطبيب: أما المنع فعلى سبعة أحوال ، فالأول : إذا كانت برودة في رحم المرأة منعها عن الحمل وبيانه إذا جامعها زوجها تشكو رأسها فدواؤها عين حمارة بعد أن تيبس وتوضع عليها شحم أو سمن البقر الحولي وتجعله في صوفة وتحمله المرأة ليلة غسلت من حيضها ثلاثة أيام ويأتيها زوجها مع ذلك يسهل حملها، وقيل إذا كان برودة في رحمها فإنها توسم من أعلى السرة بقدر إبهام اليد كية، وعن شمالي السرة بعدها بقدر الإبهام كية، وتوسم تحت الصلب ثلاث كيات فإنها تحبل بإذن الله تعالى.

والوجه الثاني : يتحول رحمها ولا تكون بها شهوة فإذا جامعها زوجها تشكو خاصرتها وبطنها فدواؤها أن تأخذ حب القطن وترضه وتأخذ لبّه، وتأخذ مرارة كبش أجذع وتخلط عليه شيئاً من المسك وتعجنهما وتتحمله ثلاثة أيام ويأتيها زوجها فإنها تحمل.

والوجه الثالث : يكون في رحمها ريح من الجان وإنها ترى في المنام من يقرع رأسها وذلك أن تأخذ عرق الكراث وتيبسه وتسحقه مع لب الجوز وتشرب منه قليلاً وتتحمل به في صوفة خمسة أيام فإنها تحمل.

والوجه الرابع : يكون في الرحم ماء أصفر فإذا جامعها زوجها، فإنها تحس في بطنها وقلبها رجفاناً ودواؤها تأخذ كموناً ودهن العرش وتضعه في صوفة وتتحمل به خمسة أيام.

والوجه الخامس : إذا كانت المرأة لا تحيض فليس لها دواء.

والوجه السادس : من سحر في روحها ومن علاماته فإنها إذا نامت يأتيها في المنام مثل الجن يفزعها فدواؤها تأخذ مرارة الكبش

وكمون كرماني وشحم الحنظل وتسحقه وتتحمل به ثلاثة أيام فإنها تحمل.

والسابع : التي يغلب عليها الشحم في فرجها ورحمها فإذا جامعها زوجها شكت كليتها وظهرها ورأسها، فإذا حاضت أتاها دم وماء أصفر، فدواء ذلك أن تأخذ مرارة ذنب تدقها وتعجنها بعسل النحل وتتحمل بها ثم يجامعها زوجها، فإنها تحمل بإذن الله تعالى. وبعض النساء يعملن الخبن ويحملن فهذا بعض البيان، والأدوية في الكتب لهذا الفن كثيرة.

قال فرجع الرجل إلى زوجته وأخبرها بقول الطبيب فقالت لزوجها قل للطبيب يأتي إلينا وقت الضحى، ولنحضر له غداءً فمشى الزوج إلى الطبيب وقال له تفضل بمجيئك عندنا وقت الضحى فوعده وجاء إليهما وتغدى ونظر إلى وجه المرأة فقال الطبيب مجيباً الرجل: إن هذه امرأتك لا تحتاج إلى التماس الدواء للحمل لأنه قارب أجلها ولا أرى لها أكثر من ستة أشهر زماناً. فحزن الرجل وزوجته من قول الطبيب وطاحت في السقم من الهم وفرق الأهل وقطعت القوت في آخر الأيام وما ساح الماء في حلقها حتى مضت عليها ستة الأشهر وهي في أشد السقم فلم يظهر لهما شيئاً من قول الطبيب واعتمدت لإحياء جسمها بالماء والقوت فارتد عليها الفهم والنظر والعقل وأبرأها الله وظهرت في قلوبهما عداوة الطبيب ونكحها زوجها بعدما أفاقت وحملت من ذلك الجماع فحمد الله تعالى وعلم الطبيب بالحمل وبما فاحوا له من العدواة وأقبل إليهما وسلم عليهما، فقالا له: لولا رد السلام فريضة وإلافما أجبناك، أنت عدو لنا لكن فلا بأس جزاوك على الله، فحلف لهما الطبيب أني ما نصحت أحداً من خلق الله مثلكما ولكن أنتما بالطب جهلاء فما حيلتي في الشحم في الكلى والرحم بإزالته إلا بما قلت لكما، فعلما أنهما مخطئان واستغفرا ربهما واعتذرا

للطبيب، وحمّلوه من بيتهما من الهدايا ما لا يطيق حمله، ومشى عنهما واستعد الحمل في بطنها لأنها صحيحة الجسم فما اشتكت شيئاً حتى تمت أشهره، فوضعت به ولداً ذكراً، ومن العيوب خالصاً، وربته أمه أحسن تربية ولم تحلّ به أسقام، وكل يوم في شباب حتى عرف اباه وأمه وقريبه وبعيده، وما يسرّه وما يضرّه فنزل بأبيه الألم وتناقل في السقم وعرف أنه لا محالة راحل من الدنيا فقال لولده: أوصيك بمشورة فلان وفلان الذي كبر سنه وجلس في مسجده وبيته فلا تنفذ أمراً إلا بإذنه، فإنه دليل بالعواقب ، وقال شعراً :

أيا فرقةَ الأحبابِ لا بدّ لي منكِ ... ويا دارَ دنيا إنني راحلٌ عنكِ
وبأقصر الأيامِ ما لي وللمنى ... ويا سَكراتِ الموتِ مالي وللضَّحْكِ
ومالِيَ لا أبكي لنفسي عبرةً ... إذا أنا لا أبكي لنفسي فمن أبكي

فلما تم شعره تقاصر عن الكلام حتى قضى الله نحبه في يومه، وغسله وصلى عليه شيخه ودعا له بالعفو والغفران فنزلوه مع ارتفاع السجدة، لأنه جائز في ذلك الوقت النزول على ما قال لنا الشيخ ناصر.

ما يجب أن يعلمه الصبي :

ثم رجع الشيخ مع الولد وقال له مهما بدت لك حاجة فتعال عندي. فقال الولد: أوصني بشيء كما أوصاني أبي بك. فقال له: سر إلى المدرسة مع المعلم، وقل له يعلّمك واخدمه في المساء والصباح، وكف يدك عما في أيدي الصبيان ولا تجادلهم في الكلام، وعليك بالإياس عما في أيدي الناس، ولا تنظر إلى الحرفة فإنها أمك تخدمك ما دمت طفلاً إلى جريان ماء شبيبتك، وعليك بالصمت في جميع أمورك .

فامتثل الولد لقول الشيخ وقصد إلى المعلم فسكنت محبته في قلب المعلم، وأقبل إليه بالتعليم في الحروف والكلام والألفاظ والآداب حتى ترعرع الولد ونظفته[١] أمه وعلمه المعلم الطهارة والنية والصلاة وما ينقضها ومالا ينقضها وفروضها وسننها وحدودها، ثم علمه عقد صيام شهر رمضان وما ينقض الصوم وما لا ينقضه، وعلمه صلاة القصر والجمع للسفر والنية لتأخير الصلاة وما يجوز له فيها من صلاة المفرد والجماعة، وعلمه توحيد البارئ سبحانه وتعالى وبأسمائه الحسنى وأن الله خالق كل شيء، ورازق كل شيء وليس كمثله شيء ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وأن ما جاء به محمد من عندالله فهو الحق المبين مجملا ومفصلا، وأن يتولى الله ورسوله والمسلمين ويبرئ ممن برئ منه الله ورسوله والمسلمون، وأن لا يخاف في الله لومة لائم. واجتهد الولد في التعليم وحفظ من العلم ما يسر الله له، وبدأ يجري بجسمه ماء شبيبته فازداد جسمه بهاءً وجمالاً فكل من نظره من الرجال والنساء ما غض طرفه عنه حتى يتوارى عنه. فقال له المعلم: اعلم أيها الولد عليك بأداء الفرض قبل النفل والآن فالآجر[٢] أن تخدم نفسك و والدتك لطلب القوت الحلال والكسوة للستر، وإن اردت أن تدخل في أمور الدنيا ففضل دراهم من كد يمينك لتحصن بها فرجك عن المحارم وانظر بعينك وخذ بالذي يهوى قلبك من النساء .

صفات الزوجة الصالحة في القصة :

ثم فارق المعلم وامتثل لأمره ودخل في أشغال الدنيا واستأجر مع

(١) أي : ختنته .
(٢) أي : الأكثر أجراً.

الناس وأخذ في الخدمة وفي جسمه قوة وصحة، فكل خدمة أخذها أتمها قبل أصحابه المستأجرين فأعجبتهم الناس خدمته وصفاوته وسرعته فرغبوا إلى تقريبه من قناعته وأدبه وإغضاض طرفه عن بيوتهم وعوانيهم[١] وهو يدافع شهوته عن الحرام ولم يجد في يده شيء لإحصان فرجه بالحلال، فوصل إلى شيخه وسأله بالذي يجوز له من النكاح فقال له شيخه: اقصد أيها الولد حاكم البلد. فقصد إليه ورأى الحاكم جسمه أسود اللون، مظلم الوجه، كالح الأنياب قريب الغضب فسلم عليه ورد عليه الجواب وقال له: ما حاجتك عندي أيها الولد أسائلاً أم شاكياً؟ فقال له: جئت عندك لتدلني على امرأة أستر بها عورتي، ولكني أراك أيها الحاكم نحيل الجسم فأجابه، أما سمعت أن من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين، أما سمعت عن الملك مالك خازن جهنم يفوح من مناخره لهيب ودخان ولا زال به الغضب على العصاة وأنا في أشد بلية من عداوة المحكوم عليه ومن خوف الله أن يدخلني الطمع والشف[٢] ومتابعة الهوى، فهذه علتي في جسمي لم تزل وما زلت في الحكم ثم قال: كيف مطلوبك من النساء ألك قدرة مع الأغنياء أو من نساء الفقراء تريدها بكراً أم شابة أم كهولة أم حيزبونة[٣] ؟ فقال الولد: أريدها من أهل بيت وشرف. فقال له الحاكم: الفقير لا يبالي أن يأخذ من النساء ما حصل لكسر شهوته إن وجد حرة وإلا أخذ أمَة. فرجع الولد إلى شيخه وأخبره بقول الحاكم فقال له: الساعة اصبر وإن الله مع الصابرين .

ثم أشار عليه أحد من إخوانه أن يخطب ابنة الزاهد فأعجبه قوله

---

(١) أي : نسائهم .
(٢) أي : الميل والهوى .
(٣) أي : عجوز .

وجاء إلى شيخه وأخبره بما قيل له عن ابنة الزاهد فقال له شيخه: اعلم ولدي، أنا ليس لي معرفة بأصول الناس ولكن ينبغي لك إن أردت امرأة تسأل عنها قبل أن تدخل في أمرها أنها سالمة من الدساس أم لا، ولكن تمهل حتى يصل عندنا صاحب الحساب فلما وصل إليهما أخبراه أنهما يريداه امرأة فحسب لهما ووجد المرأة بكراً أديبة مدينة جميلة ولكن بها عرق من الخؤولة حتى تعرفاها فأشار عليه شيخه بالوقوف عنها، ثم قالت له والدته: إني وجدت لك امرأة فقيرة صغيرة قنوعة صبوزة جميلة موافقة لك، صاحبة إقبال للرجال وهي ترعى غنماً لفلان كل يوم بأجرة لقوتها وكسوتها . فاسترّ الولد من قول والدته وقصد إلى شيخه وأخبره بقول والدته فقال له مهلاً، فدبر للفلكي ووصل إليهما وأضمر له الولد فأجابهما بأخلاق المرأة، وأنها ثيّب قد دخل عليها شاب بالحرام لا بالحلال وصفة لون كذا وكذا فشك الولد في قوله ولم يعجبه قول الفلكي ومشى مع تسريح الأغنام ورأى المرأة فأعجبته صورتها وسألها عن حالها وتزويجها إليه فسرّها قوله وأجابته بالرغبة فقالت له: إن كنت راغباً فعجّل البناء عن ذهاب شبابنا. فتقدم الولد إلى الفلاة ينظر المرأة عند رعيها للأغنام وطلع في شارف الجبل فنظر رجلاً بالفلاة واقف للمرأة فلما وصلت عنده المرأة هب بها وسألها عن تأنيها عن عادتها فقالت له: إني وجدت رجلاً وأرادني ليتزوجني فأوعدني ليأخذني واليوم لا تعزل شهوتك عن رحمي فجامعها واستلذت به بشهوته لذة شديدة فقالت له: زدني فزادها وفي ظنها إن حبلت ليأخذها الذي عاهدها فرجعت الابنة بالفرح مع أم الولد وأخبرتها أن ولدها أرادها وإني محبة له وراغبة فيه، فأخبرت الأم ولدها بوصول المرأة عندها .

فقال لها: إن المرأة كالجحة[1] ورأيت بعيني الجحة مثقوبة ومأكولة فلا فائدة في القشر الخارجي إلا للدواب، وأخبر شيخه بما نظر وتصحيح قول الفلكي، وتبين حمل المرأة على الناس وسجنت حتى وضعت حملها، وأما الولد فقصد الطبيب فرآه قاسي القلب لا يكلم الناس إلا بالغضب وله همة في الطمع. فوصل إليه رجل وسأله عن فك اللحى الأسفل. قال: ينبغي أن ينظر فإن كان الكسر قريباً من الفك الأيسر أن تدخل الأصبع الوسطى من اليد اليسرى والسبابة في الفم وترفع بها ليجذب الجاذب من الفك إلى الخارج حتى يستوي وتسوّيه على شكله من خارج باليد اليمنى، فإن كان الكسر في الفك الأيمن فأدخل اليد اليمنى وافعل بها مثل ما ذكرت لك وأنت تعرف رجوع الفك إلى حاله، فلما أخبره بهذا أعطاه محمدية. فقال الولد للطبيب: أسألك عن مسألة في الطب. فقال له: قدم العطاء قبل السؤال. فقال له: أما ترحم فقري وجسمي عن النار والعار وأنا جئت مستجيراً بك وأقول لك أعوذ بالله من كل غلمة لم تكن لها عدة، فقال له: عليك بالعزلة عن النساء واجتهد لإشمام رؤوس الكاذي وأكل النبق والبقلة الحمقاء مع الخل واللومي، وأكل الملوحات والحموضات فإن الله يخفف عنك، قلت له : فما دليلك بالطب ؟ قال: لا بد للإنسان من طب يذب به الداء عن جسده والدخول فيه أولاً أن يعرف الأربع الطبائع وكل طبع له موضع كالحرارة اليابسة لها القلب، والحرارة الرطبة موضعها الكبد، والبرودة اليابسة لها الطحال، والبرودة الرطبة مسكنها الرئة، وكل دواءه بضده ولكن ينبغي أن يعرف العلة وما ينفعها من الأدوية وإن قال الطبع واحد فمنه ثقيل ومنه خفيف ومنه ملين مسهل

---

(١) أي : البطيخة .

ومنه قابض ردئ ومنه ممتزج ولا بد من المسهلات قبل أكل الأدوية وكل طبع بتسهيله.

دواء للإمساك :

قلت لذي الغبراء: بيّن لي جامع في التسهيل والحلول؟ قال: يؤخذ عرق الرشا المفترق يغسل جيداً ويقشر عنه جميع التراب ويقشر قشره ثم ييبس ويدق ويؤخذ ملح نصف مثقال ويدق الجميع ويشرب في خل حاذق أو لبن حامض، ومن أخذ من قشر الرشا مثقال ومثله طحين البر ومثله ملح ومثله سكر يطبخ الجميع بسمن بقر، وإن أردت أن يقطع فاشرب لبناً غير ممخوض واغتسل بالماء البارد.

ذكر شربة حبة الملوك :

توضع حبة الملوك في وسط حبة لومي وويوضع في عجين وتدخل النار حتى تنضج وتخرج وتفلق الحبة ويخرج من وسطها الذي فيها وتدق وتوضع مع كل حبة حبة اهليليج أصفر منزوع النوى ويعجن بعسل ويؤكل منه قليل فإنه يحل.

قال له الشاب: وما الدليل على معرفة الطبيعة؟ قال له: بثلاثة أشياء أولها بنبض العرق، والثاني بمعرفة البول قبل الاستفتاح، والثالث بمعرفة الفم إن كان حلقه وفمه حاراً فمن الدم، وإن كان مراً فمن الصفراء، وإن كان حامضاً فمن السوداء، وإن كان مالحاً فمن البلغم، وأما الفصد فهو على خطر عظيم ولا يحكمه إلا الأطباء، لأن العروق في بني آدم مركبة على تركيب السنة فأولها عرق واحد وينقسم اثنا عشر عرقاً كعدد الأشهر وهي الذي عليها العمل في الفصد ، وكل عرق يتفرق منه

ثلاثون عرقاً على عدد أيام الشهر، وكل عرق ينقسم منها أربع وعشرون عرقاً على عدد ساعات الليل والنهار، وكل عرق ينقسم بخمسة عشر عرقاً لأن الساعة خمس عشرة درجة ، وكل عرق ينقسم بستين عرقاً لأن الدرجة ستون دقيقة، وكل عرق منها ينقسم بستين عرقاً لأن الدقيقة ستون ثانية، وكل عرق ينقسم بستين عرقاً لأن الثانية ستون ثالثة، وكل عرق ينقسم بستين عرقاً لأن الثالثة ستون رابعة فعلى هذا العدد إلى العواشر، والعصب والعظام كل له عدد وله أدلة في كسره ورضه وزلله، ولا يدخل الإنسان في شيء حتى ينظر الداء ويحكم له بالدواء، ولابد للطب من معلم لأن أكثر موتى المسلمين بسبب الأطباء وعليهم الضمان في ذلك. ثم رجع الشاب عن الطبيب إلى بيته ونام في ليلته فرأى كأنه طالع إلى جبل عال فلما بلغ قمته أقبلت إليه طيرة خضراء ونزلت في حجره ، وكلمته بكلام عربي ، ثم أقبلت إليه نعجة وعليها صوفة حسنة ، وقبضها بيده وكان لها رائحة مثل مسك الأذفر فبدت تقرأ الفاتحة، والطيرة قرأت سورة الإخلاص والشاب قرأ آية الكرسي، فلما خلص من قراءته لم تقدر النعجة تمشي عنه ولا الطيرة تفر عنه فوقفا بين يديه والشمس في كبد السماء في برج الحمل وتتصل بالمشتري من تثليث فنهض من نومه وقص رؤياه على شيخه فدعا الشيخ بمفسر الأحلام فوصل إليه وقص الشاب عليه رؤياه فقال: رؤياك تدل على أنك تتزوج امرأتين من العرب وتبلغ من السلطان مرادك في دنياك على ما تحب نفسك ولكن قبل البلوغ، صعدت الجبل وهو وعث لا بد من البلاء. فقال وعلى السنة والأثر، فإن الله يفتح لك الأبواب وإياك أن تقص رؤياك إلا على معبر أو أحد من الأخوان من ثقات المسلمين، لأن الفال في الرؤيا حجة لتفسيرها فقس على ما ذكرته والله المعين .

فقال الشاب: رؤيا منامي زادتني لهيباً في أحشائي. ثم قصد إلى عالم الأمة وسلم عليه ورد عليه الجواب والتحية قال فرآه أحب الحبيب، وأقرب القريب، وهو المكرم المهيب المهذب الحليم، السهل الكريم، الكثير الخير، القليل الشر، البهي الجميل الكثير الصلاة، الباذل الزكاة المتجافي عن الفراش، الزاهد في الرياش، متبسماً حليما متكرماً مهذب الأخلاق طيب المذاق لا يضن بما لديه من مال، ولا ينسى ربه في حال، ليس بالمايس المغضوب والمتجهم الغضوب، حسن البشر طيب الخير مجانب الذنوب ، مبغض الكذوب لا يسعى إلا فيما يحبه الله ويرضاه. فقال الشاب: جئت إليك شيخنا سائلاً عن أمر دخل في قلبي من حب النساء ولا قدرة لي على المهر. فقال له عالمه: إن الذي أحبهن هو خيرمنا ولكنك لا تتكلم إلا بما تعرفه أنه جائز لك ولا تدخل في شيء إلا بما تعلم أنه يجوز لك الدخول فيه، فإذا عرفته ضبطاً ادخل فيه ما لم يكن عليك فيه مشقة فأول ابتدائك اعرف الحلال والحرام من الأموال والفروج واعرف ما يجب لك وعليك من لوازم النساء والحيض والنفاس والوطئ والامتناع في الإيلاء والظهار، قال: فسكت عني، قلت له زدني زادك الله خيرا، قال: المتعلم له كل يوم مسألة أضبط له في حفظها، قلت له: حفظتها، قال: فرأيته دخل في قلبه الغيظ وقال: ليس هذا من آداب المتعلمين. فازدرت عيناه ومشى عني، فراجعته باليوم الثاني فقال: مرحبا بالمحب الشفيق العابد الشاب هو الرفيق والواجب على المعلم أن يعلم بعلمه ويضعه في موضعه وأنت الآن من أهله سل ماشئت. قلت له: ما تقول في المرأة إذا أرادت أن تتزوج ومنعها أولياؤها وخافت على نفسها الضرر ولم تجد حاكماً والسلطان عند أوليائها، وإن وصلت إليه ما سرها ولم يرد عنها أولياؤها كيف الحيلة والجواز لها؟ قال: تخرج من بيتها وتصل في مجلس أوليائها وتقول لهم

زوجوني بفلان ابن فلان ويقول لهم الذي أرادها زوجوني كما أمرتكما فإن قالوا حاشا وكلا لا نزوجها وإنا نخاف السلطان على أنفسن توكله هو بنفسه فإن زوج نفسه بمحضرهما فقد تم نكاحه، فإن عارضه معارض فليس له حجة وقد أقيمت الحجة وإن تشجع أحد وزوجه بأمرها بمحضر الجماعة فحسن وكل أخبر بأهل زمانه.

ومشى عنه وعاوده كل يوم يتعلم من عنده ثم قصد مع شيخه وأراد من صاحب الفلك الوصول فوصل عندهما بالليل وسألاه عن النساء هل ترى في الفلك زوجة للشاب؟ فنظر الفلكي إلى السماء وفكَّر في الطالع والتابع وما بينهما من أربابهما من المناظرة والاتصال فقال الفلكي: رأيت له زوجتين من أحسن بيت وشرف، فواحدة بكر ولها خد أسيل وطرف كحيل، إن مشت كأنها عود بان، أو قضيب خيزران، ناعمة اللحم بيضاء دعجاء ، وتقول : أين زوجي الذي يكون سنّه كسني، وصورته أحسن من صورتي، والمرأة الثانية ثيّب ولكن لها وجه كالبدر المستدير حمراء الشفتين خدلجة الساقين، ثقيلة الأعجاز، خميصة البطن غايصة العروق والعظام، ولكنهما (الزوجتان) بعيدات عن الوطن على مغرب بنات نعش، مسير شهر زمان وفي ظني أنها بلد كذا وكذا لأني نظرت البرج الذي فيه الدليل وحسبت ما قطع من الدرج والدقائق من البرج الثابت ومن هكذا البعد لأن الدقيقة في الثابت ألف خطوة، والدار التي فيها المرأتان بها علة الجدري. قال الشيخ لولده: اقصد إلى معلمك الفقيه وأخبره بقول الفلكي، لأنه لا يجوز إنفاذ الأمر إلاَّ بسُلطان . فقصد الشاب إلى مُعلمه وأخبره بقول الفلكي .

صفة دواء لمرض الجدري :

فقال له معلمه: اقصد إلى الطبيب واسأله عن الدواء للداء. فقصد

الطبيب وسأله عن أذية الجدري هل لها دواء؟ قال: نعم إن أخذ من قيح الجدري قليلاً ورطب به أكراف الريشة وشطب بها تحت الكتف من اليدين مقدار أربع أصابع شطبين أو ثلاثة في كل زند وصفة الشطب هو أن يأخذ الريشة وبعض يسميها مشرط ويأخذ طرفها ويدخلها بين الجلد واللحم حتى تدخل قليلاً في كل شطب على هذا فإنه يطلع به الحب على قدر ما شطب وتنزل به الحمى كحمة الجدري، والحالة الأخرى شراب الكاذي مهما بدت به الحمى وشرب منه الإنسان بقدر تمرة أو تمرتين أو ثلاث يشرب منه حتى يحله، فإنه لا يطلع به الجدري أكثر من عشر حبات وأقله ثلاثاً، وأما بعد ظهور الجدري فلا يشرب منه وهو مضر. قلت له: فما صفة هذا الدواء؟ قال: هو أن يؤخذ سكر الأقلام وسكر الأبلوج ويطبخ بثلاثة أسهم حليب غنم ثم في خلٍّ بكر نصف سهم ثم بماء خشب الكاذي من حيث الورق إن لم تجد الرأس ثم يعصر ماؤه وتطبخ العصارة بقدر أربعة أسهم أو أزيد ثم يؤخذ ماء الصندل الأحمر وماء الصندل الأبيض مبرودين بمبرد حديد وماء العناب وماء تمر الصبار الهندي وقضيمة نجار وبذر المثيبة ورمان حامض ورمان حار وهيل من كل واحد سهم وورد عجمي نصف سهم وكل واحد من الأدوية يطبخ بالماء ويؤخذ ماؤه إلا الرمانين وتمر الصبار فلا يحتاج إلى طبخ وفي آخر الأمر ماء ورد أعجمي، فإذا صار جامداً مثل العسل الثخين يحدر ويساط بقليل زعفران وقليل قرنفل والشربة منه بقدر تمرة الفرض المتوسطة قبل ظهور الجدري في أوان الحمى.

وأما إن ظهر بالإنسان الجدري فلا يشرب منه خوف أن يقتله لأنه مضر بعد الظهور.

وأما اللواتيا والباتيان فيشربون حليب البقر مع ابتداء الحمى لا

غيره، وإن ظهر حبه في الجسد فيأكل الإنسان الحرارة والسمن وإن حمل بالقيح يأكل البرودة، وإن قهر عليه الحلق يشرب له سكر الأقلام أو الفرصاد وقيل إن الأثمد إذا جعل في الماء وشربه الإنسان نفع الحلق.

فقال الشاب للطبيب: أعندك أنت منه؟ قال: نعم عندي، قال له: لعلك تتفضل بشيء منه عليّ، فقال له: هذا معدوم ولا يوهب ولكني أعطيك. فأتى إليه بقدر كيسين عمان. وقال له: هذا ثمنه مائة محمدية ومهما قدرت ونفعك فأريد الثمن، قال الشاب: فأخذته من عنده وحفظته ورجعت إلى صاحب الفلك فقلت له: لعلك تخبرني بشيء من علوم الفلك؟ قال له: يحتاج إلى تعليمه بالليل والنهار حتى تعرف المنازل والساعات والبروج وأربابها وكل كوكب كم يقطع كل يوم من الدقائق من البروج والمنازل لأن المنازل ثماني وعشرون منزلة والبروج اثنى عشر برجاً كل برج له منزلتان وثلث منزلة والبرج له ساعتين لأن البرج ثلاثون درجة والساعة خمسة عشر درجة، والدرجة ستون دقيقة والدقيقة ستون ثانية والثانية ستون ثالثة والثالثة ستون رابعة والربعة ستون خامسة فيبلغ ذلك إحدى وعشرين ألف ألف ومائتين ألف وستة وتسعين ألفاً وسبعمائة ألف وستين ألف ثالثة وستين رابعة يكون مبلغ ذلك ألف ألف ألف وستمائة ألف رابعة فهذه دقائق درج البروج التي تولد بها الناس والدواب والطير وكل ما خلق الله عز وجل من خلق طلع في الساعة الواحدة من هذه الدقائق والروابع ألف ألف وأربعمائة وسبعون ألف ألف وأربعمائة ألف رابعة فمن قبل ذلك لا يوجد وجهان يشتبهان، فمن قبل ذلك يختلف الناس في الخلق والصور. قال الشاب: فعجزت عن هذا العلم وما أخذت منه إلا قليلا لصلاح ديني وفرائضي. قال الشاب: سرت يوماً إلى

الصحراء ورأيت رجلاً جالساً فدهش عقلي من هيبته فأومأ إلي بوصولي عنده، ففزعت منه فزعاً شديداً فقلت له: لعلك أنت صاحب الأسماء والطلاسم؟ فقال لي: أعطاني ربي القليل مما ذكرته، قلت له: أفدني من ذلك فكتب هذه الأبيات:

أتطلبُ أن تكونَ كثيرَ مالٍ ويُسمعُ منكَ قولُك في المقالِ
ومِنْ كلِّ النساءِ ترى وداداً تُسرّ بهِ ومن كلِّ الرجالِ
ويأتيك الغنى وتُرى سعيداً مَهاباً مُكرماً وكثيرَ مالِ
وتُكفى كلَّ حادثةٍ وضرٌ من الأمراءِ ومن كل والي
فقلْ يا حيُّ يا قيّوم ألفاً مكملة على مرِّ الليالي
بليلٍ أو نهارٍ كانَ فيما أشرتَ إليه يرخصُ كلّ غالِ
فلازمْ ما ذكرتَ ولا تُدعْهُ ففيهِ تُبلَّغُ الرتبَ العوالي
وفي ذكراك يا وهّاب سراً ينيلُك ما تريدُ من السؤالِ
وتكْبرُ أنتَ عندَ الناسِ طرّاً وتقبضُ باليمينِ وبالشمالِ

قال الشاب: تلوت هذه الأسماء بالليل والنهار ثم نزل بوالدتي السقم وماتت وبقيت وحيداً فضاقت عليّ الدنيا وأنا في العزوبية أعمل لنفسي طعاماً وأكتسي ثياباً من السوق فهممت بالرحيل وقلت لشيخي: لأسافر إلى البلد الذي ذكر فيها النساء فعسى يتوسع علي الرزق فيها ومتى وصلت فيها واستقرت نفسي بها أرسلت إليك تعريفاً وارقبه إلى ستة أشهر، فإن لم يصلك بيان مني فاعلم بأني راحل أو في مصيبة من مصائب الدنيا، فوادع شيخه وقام يخدم نفسه في طريقه لمعاشه حتى أوصله الله بقرب الدار التي أرادها فنظر رجلين من الحرامية ومعهما

أسير مرادهما قتله، فسلم عليهما وقالا في أنفسهما هذا رجل فقير لا نرى بأيديه سلاحاً وليس معه متاع فلا فائدة في قتله ولا حاجة لنا به، فردا عليه السلام فقال لهما: أريد منكما أن تسمحا لي بتفليت السير. فقالا له: سر في سبيلك وأنت سالم منا بنفسك، ولا تطمع بمثل هذا من عندنا. قال لهما: لا بد من تفليته أطلقاه من كفاته فقد لزمني جهادكم وأنا قادر عليكم. فلم يصح منهما له جواب. فعمد إلى تفليته وجذب أحدهما سيفه ورفع به على الشاب فلاذ عنها وساق عليهما الجاه فما زادهم إلا نفورا ورفع عليه ثانية فلاذ عنهما.

ثم عفد[١] على أحدهما وغلاه[٢] في الهواء وضرب به الأرض وأعطاه مركاضا[٣] في دفته[٤] وأضلاعه ورجع إلى الثاني وقال له: افلح واجفن سيفك .

فرفع بسيفه على الرجل ولاذ عنهما ثم هواه كالباز وضربه جمعاً[٥] في صداغه والجمع الثاني على جبهته فطاح مغشياً مثل صاحبه وفلت الأسير وقال له: خذ سلاحك وحمارتك وثيابك ولا تأخذ عليهما شيئاً فبقوا في الأرض هم وسلاحهم وبوشهم[٦] فركب الأسير على حمارته والشاب على أثره فقال الأسير للشاب: أنا وزير الملك وما أخلص منك .

فقال الشاب : الحمد لله ، وأنا حاجتي معكما ؛ فقام الوزير يؤنس

---

(١) أي : قفز .
(٢) أي : رفعه .
(٣) أي : ركضه برجله .
(٤) أي : جنبه .
(٥) الجمع ، أي : قبضة الكف .
(٦) البوش ، أي : الجمال .

الشاب في طريقه حتى وصل الوزير إلى بيته وأمره بالدخول في إحدى مقاماته فنظر الوزير إلى عياله فوجد بها حمة الجدري ويسمع الشاب تأوهها فسأل الوزير في بيتك سقيم؟ فقال له: هذه زوجتي بها حمى شديدة وهي حمى الجدري فقرب الوزير الطعام للشاب وأكل ما طاب له من تلك النعم فقال الشاب: لعلني أصنع الجمالة بتمامها في الوزير وأهله وأقسم الشراب الذي معي وأعطيها النصف، والباقي يكفيني فقال الشاب للوزير عندي لك دواء لزوجتك لحمى الجدري ولعلنا نعطيها تشرب حتى يخفف الله عنها، فقال: نحب ذلك، وأتوا إليه إناء وجعل فيه الكاذي والماء وقال فيه بدوح بدوح سبع مرات ود بيني وبين هذه المرأة الشاربة من الدواء حتى تكون لي مساعدة لي في تسهيل أموري وما إرادتي إلا للحلال وقرأ عليه وشربت المرأة الدواء فحلها من ساعتها وفترت حمتها وما فقدها أحد من أرحامها ولا من جيرانها وطلعت في جسدها سبع حبات جدري.

ثم دخل في قلب الوزير أمر فاحش وقال: إن علم الملك بقصتي وتفليتي على يد الشاب وعرف ما معه من الخصال المحمودة لقربه وقذاني من عينه ولكني أصنع حيلة لهذا الشاب فقال له: قف بالمقام في الكراسي حتى أرجع إليك فقصد الوزير مع الملك وقال له: اعلم أيها الملك أن زوجتي وقع بها ألم شديد وشرف علينا رجل غريب وأعطاني إليها دواءً وظهر لنا بأنه سماً وجلبنا إليها الروب والحازر [1] المبردة فهون الله عنها وقد حجرت بالغريب في البيت وأريد له حبسا في أشد مكان. فأرسل الملك إليه خدمه وأمر بسجنه فجاءه الخدم وقصدوا به إلى السجن فسجن فقال الشاب هذا البيت :

---

(١) أي : اللبن .

ما شدةٌ إلا ولها فرج، ولا بؤسٌ يدوم ولا نعيم

فأجابه أحد بالبيت الثني من أصحاب السجن :

وكلٌ شديدةٍ نزلت بقومٍ سيأتي بعدَ شدتها رخاءٌ

وقال الملك لأهله : إن امرأة الوزير بها ألم فاوصلوا عندها فساروا أهله ورأوها أهون فصدق الملك قول الوزير ولم يصح سؤال عن الشاب لأنه غريب ليس له أحد فظن الوزير أنه ميت فمكث في السجن زمناً طويلاً ليس عنده ماء ولا عيش يأكل ما يلقاه فهذا كما قيل: يا فاعل الإحسان جاءك البلاء فاصبر. ثم نزلت بابنة الملك حمى الجدري وفي ذلك الفصل أكثر المجدورين يموتون فحزن الملك وأهله على ابنته فقالت امرأة الوزير: أنا بي هذا الألم وأعطاني رجل غريب دواء فنفعني وما علم بي أحد. فقال الملك: انتوا إلينا من الدواء .

فمشت عنهم المرأة مسرعة إلى زوجها فقالت له: إن ابنة الملك نزلت بها حمى الجدري وأخبرتهم بما نفعني فألزمني الملك بإتيان الدواء. فقال الوزير: ليس لي حيلة فيه. فقالت له: إن لم تأتنا به فلا قبلة لنا مع الملك، فاحتار دليل الوزير ومشى قاصداً إلى صاحبه المسجون فكلمه من وراء الباب وقال له: أنا أفلتك إن كان عندك شيء من الدواء الذي أعطيتنا إياه من قبل وإني أعاهدك بخروجك من سجنك ففرح الشاب بخروجه وعاهده وأراد سلامة نفسه ودينه فأعطاه الدواء وأخرجه من سجنه وذكر في الدواء اسم بدوح بالمودة لشاربه له ثم قال له الوزير: ارحل من هذه الدار لأنك إن وقفت بها فالملك أمر بقتلك، فأسرع إلى

الخروج منها وسار الوزير حاملاً الدواء وأعطاه زوجته وأسرعت به إلى ابنة الملك وشربته فحلّها الدواء وما طلع بها إلا أربع حبات جدري، وقال الملك وأهله: ما نخلص من هذا الوزير وزوجته فرجعت المرأة تبشر الوزير بكلام الملك وأهله فقال لها: هذا من حسن تدبيري ولو أني أخبرتك بقصتي لقلت هذا من العجب العجيب، فقالت له: أخبرني بها فأخبرها أولاً بما وقع عليه من (الحرامية) وتفليته على يد الشاب وبعطائه الدواء لها وبما صنع له من المكيدة في تحصيله في السجن وأخذه الدواء الثاني وتفليته من السجن ورفق عليه من البلد لئلا يطلع أحد من أصحاب الملك على سره، فقالت المرأة لزوجها: بئس ما صنعت وما أنت من أهل الخير وهذه الساعة من بعدها لا وفاق بيني وبينك، وقصدت مسرعة إلى الملك وقالت للملك: أريد الطلاق من وزيرك، فدبّر الملك إلى الوزير فلما وصل عنده قال له: هذه زوجتك أريد أن أصلح حالكما، فقالت المرأة: لا صلح بيني وبينه .

قال الملك: فما العتاب بينكما؟ قالت: لا يكلف الله نفساً إلا وسعها وأنا مطيعة لك بين يديك ولا أخرج من مقامك أبدا حتى ترضى علي، ولكن لا بد من الطلاق، فقال الملك للوزير: طلقها وأنا أردها عليك إن شاء الله تعالى، فطلقها الوزير وراجعها الملك في اليوم الثاني فقالت له: أريد منك ثلاثة أيام ثم ارجع إليّ، فأقبلت ابنة الملك ترغّب المرأة في الرجوع إلى الوزير، فقالت المرأة لابنة الملك: ولو أنك علمت بقصة الوزير لأمرت الخدم يقرطوه بالجاز على رؤوس الأشهاد ولكن عندي شهادة في كلامي. فقالت ابنة الملك: ما فعل الوزير؟ فقالت لها: فِعْله خبيث. وأخبرتها بقصته من أولها إلى آخرها وابنة الملك تبكي رحمة للشاب وفقيدة الأحباب.

فقالت لها: لا تخافي من أبي فأنا أكفيك جواب والدي. ثم وصل الملك بعد ما مضيت الثلاثة الأيام. فقالت له ابنته: لا تكثّر عليها يا أبت بالرجوع إلى الوزير وقد سلت عليّ الهموم بوقوفها عندي، ولكن أنا أكشف إليك سرّها ومهما وجدت سبيلا فأنا أرجع إليك بالجواب فمشى الملك. وأما قصة الشاب لما خرج من السجن لاقى في طريقه جنائز محمولات على أكتاف الرجال وفيها أموات من المجدورين فبالغت في جسمه رائحة الجدري ونزلت به الحمى من ساعته فخرج من باب الحلة ولم يطق على المشي ووقف بالدكانة الخارجة عن الباب يسأل الناس المارين بالقوت والماء فمن دخل في قلبه الرحم سقاه وأعطاه طعام لإحياء جسمه حتى طلع به الجدري العديسي فسلمه الله من الموت وقام يتضرع إلى مولاه ويدعوه بالليل والنهار ويتلو هذه القصيدة:

دعوتُك يا مولاي فاقبل دعائيا ... وبلّغ بما أرجوهُ منكَ مراديا
عليكَ اعتمادي في جميع مقاصدي ... وتعمُّ أسراري وما قد دهانيا
إليكَ أموري يا إلهي رفعتُها ... فخذْ لي بثارِ من عدوٍّ جفانيا
أمولاي إنّ لم تُعطني ما طلبتُه ... فمن أرتي أم مَنْ يجيبُ دعائيا
مرادي لا يُخفى عليكَ فجِدْ بهِ ... وهو على التفصيل عندَك باديا
سألتُك يا مولاي فاقبل تضرّعي ... ولا تجعل الحرمانَ منكَ جزائيا
تعوّدت منكَ الجودَ والفضلَ فالذي ... أأملُ من خيرٍ فعجِّل جوابيا
جرى حكمك المحتومُ في كل كائنٍ ... فطوبى لمن أضحى بحكمكَ راضيا
أنادي وأبكي كلَّ يومٍ وليلةٍ ... عسى أدركُ المأمولَ إنْ كنتَ باكيا
بكيتُ على ذنبي وفقري وفاقتي ... وما قد مضى ممّا اقترفتُ أماميا

أتيتُك يا ربَّ البرية كلِّها ... فجدْ لي بإحسانٍ وخذْ لي بثاريا
ندمتُ على ما مرَّ مني حينَ غفلتي ... وما كان مني في اتباعِ هوائيا
شكرتُك يا مولايِ إذ قد سترتَني ... وأبديتَ بالإحسان كل المساويا
أمرتَ بأنْ ندعوك فاقبلْ دعائيا ... فإني دعوتكَ يا مجيبَ المناديا
إلهي عُبَيْدٌ قد عصاكَ فجدْ لهُ ... بتوبةِ صدقٍ تمحُ عنهُ المعاصيا
إليكَ انتهت آمالُ كلِّ مؤمّلٍ ... فيا أملَ الراجينَ أنتَ عماديا
لك الحكمُ في كلِّ الوجودِ بأسرهِ ... وأنتَ المنجِّي من جميع الهاويا
لديكَ جميع الخير فاسمحْ بنيلهِ ... لعبدٍ ينادي يا سميعَ ندائيا
هديتَ الذي أحببتَ للخير والتقى ... فمن لي بما قدرتُه يا إلهيا
بجاه إمامَ الأنبياء وقطبُهم ... شفيعَ الورى في يوم أقدمَ عاريا
عليه صلاةُ اللهِ ثم سلامُهُ ... ورضوانُه والآلُ ما دامَ باقيا

قال فمكث يكرر هذه الأبيات في مرضه ولم يعرفه عارف وجميع جسده له خيسة [1] من الروث والبول والقيح ولا يقدر أن يصل إلى الماء فالرحوم الذي يناوله قوتاً يلف ثوبه على فمه ومناخره.

رجعنا في القصة إلى الملك ووزيره فبينما يوماً هم مقيمون في برزتهما أقبل عليهما رجل من البداة وهو صديق الملك فسلم عليهم وحياهم وسأله الملك عن الأخبار فقال: إن الخبر السار مع الملك دوننا. قال له: ولِمَ هذا؟ قال له: لأن الأمر واقع معك، قال الملك: ما علمت بخبر ولا سمعت أحداً من العسكر.

قال الصديق : اعلم أيها الملك أن الرجلين الآذيين لكما قد ماتا لما

(١) أي : رائحة كريهة .

وصلا دارهما، قال الملك: وما سبب موتهما، قال له: قد وصلا إلى أطراف دارك ولقيا وزيرك هذا فكفتاه وأرادا قتله فأقبل إليهما غلام شاب من البرية واستهزءا به من قلة ما عنده فعزم الشاب على تفليت وزيرك وساق عليهما الجاه فلا استمعا لقوله وضرب بأحدهما في الأرض وركضه برجله على أحشائه فترضضت أضلاعه والثاني وقع الضرب في رأسه بجموعه فتقضقضت أعظام رأسه، وفلت وزيرك منهما ومشى عنهما هو ووزيرك هذا ولم يأخذ منهما شيئا وقال: إن له صورة حسنة لا يشاكله إنسان وهو كالأسد الغضبان ومن أفضل العباد والرهبان تشهد له الأعداء والأقران ، وإن ولى فلا تقدر عليه الفرسان ، طوبى للمقربين إليه ، وويل للباعدين عنه فمن ضل به اهتدى، ومأوى لمن به التجى، أما علمت أيها الملك وما أخبرك عنه وزيرك؟ فقال الملك: كيف لم تخبرني بمسرّة الصديق وإهانة الخصيم؟ فقال: اسمع سيدي دخل في قلبي الخجل ورأيت في الكتمان خير بيان، فقال له الملك: ويحك السيئة عندك خير من الحسنة وأين الرجل الصالح الذي سرك وسلمك من خصمك؟ فقال الوزير: ما بان لي خبره ولا علمت به في أي مكان وفي ظني أنه ليس هو من الإنس وشبهت به أنه من الجان، فقال الملك: هو عسى أن يكون كما قلت، وأخذ الملك بيد صديقه الذي هو من مآربه ومشى به إلى مسكنه وقرب إليه من طعامه وقصد الملك مع ابنته ومطلقة وزيره وحدثهن بخبر صديقه عما وقع على وزيره فقالت مطلقة الوزير: وأين الساعة صديقك؟ قال لها: هذا هو في المقام، فقالت له: أتأذن لي أن استمع كلامه لأن معي خبر مما يشاكل خبره، قال: فقربت عند الصديق وسألته عن فعل الشاب بالأعداء فأخبرها بجميع القصة على محضر الملك والملك يتبسم ضاحكاً مسرورا.

فقالت المرأة للملك: إن وزيرك أخبرني بهذا وأخبرني بما صنع بالشاب من القبح، فقال لها: وما صنع به؟ قالت: أتى به بعد تفليته إلى البيت وأعطاني الدواء الذي نفعني عن الجدري فسلمني ربي منه بسببه وجاء عندك بضد ما صنع من الخير وقال لك إنه صنع فينا الشاب السم وأمرت أنت بسجنه فسجن في أشد موضع وثبت فيه إلى أن نزل بابنتك الحمى للجدري وأخبرتكم أنا بالدواء الذي نفعني وقلت لي أنت تريد من هذا الدواء لابنتك فقصدت أنا إلى وزيرك فاحتار دليله من خبثه في الغلام فقصد إليه وعاهده بأن يخرجه من السجن وعلى أن يعطيه الدواء فأعطاه الدواء وأخرجه من السجن وقال له: إن الملك أمر بقتلك فارحل من ملكه مسرعاً ومراد وزيرك منه لئلا تطلع أنت على سره وتقربه أنت عليه وإني كتمت عليك هذا الأمر بسبب ليس عندي شاهد عليه وإني رأيتك مرادك تكلفني عليه أمثل ما صنع وزيرك يجاوره أحد، هل تطيق نفس تساكنه وقد تجرأ في أموره على من أنزله في منزلته فما حيلتي أنا أكون في بيته وملكه؟ فلما سمع الملك كلامها غضب غضباً شديداً ومكث ساعة لا يتكلم ولا يسمع السلام حتى فاق من سكرته وغضبه وأمر عبد النصفة أن يضرب عنق الوزير فذهب الوزير.

ورجعنا إلى الشيخ فلما مضت عليه ستة أشهر ولم يصل إليه بيان ولا سمع عنه في أي مكان عمد الشيخ إلى الوصول إلى قرية الملك فوصل فيها في اليوم الثاني بعدما قتل الوزير وقرب الشيخ من الملك وسأله عن ولده الشاب أنه وصل داره أم لا؟ قال له الملك: ما صفة هذا الشاب؟ قال: هو في أول الشباب ولا تلحقه الركاب له الخلق والأخلاق الحسنة والبلاغة والشجاعة والعفة والقناعة ليس بيديه سلاح ولا كسوة حسنة وخرج من داره مراده إحصان فرجه وقد أوعدني بجوابه بعدما تمضي ستة أشهر

والآن لا أدري به هو في أي مكان وبك المستعان، فأخذ الملك الشيخ من يده ومشى به مع صديقه وهيأ إليهما الطعام وقال له: أبشر بأخبارك ولدك بعض منها اسأل صديقنا عنها، وأما أخباره الصحيحة فهي على ألسنتا ستظهر إن شاء الله تعالى، فدبر الملك إلى قصاص الأثر فحضروا معه سبعة نفر فقال لهم: اسمعوا أيها القصّاص قد هرب منا رجل من السجن الفلاني وهو في أول الشباب فانظروا أثره وقصّوه حيث كان وإن لم تأتوني بخبره، وإلا عزلت رؤوسكم على رؤوس الأشهاد، فقالوا للملك: السمع والطاعة.

فمشوا إلى السجن ونظروا الأثر وخرجوا من باب الحلة فنظروا الرجل الشاب في دكانة الخارج من باب الحلة وشهدوا كلهم أن هذا هو المطلوب وهو يسمع كلامهم فدبروا إلى الملك واحداً منهم وبقوا ستة على وجهه فوصل الرجل إلى الملك وأخبره أن الشاب سقيم من علة الجدري والساعة أهون ولكن جسمه كالجيفة ولا يقدر يثور من مجلسه وبما يعجبك من قبله فأصحابنا في الطاعة وهم عنده وقوف، فأمر الملك بإتيان الطعام والكسوة الحسنة والسلاح والزينة والخيل، فقال للرجل هؤلاء الخدم أقدم بهم وأعطوه الطعام والكسوة وغسلوه واحملوه على الخيل حتى يصل معي فمشوا في أمارته.

وأما أخبار الشاب لما رأى السبعة وقفوا على رأسه آيس من الدنيا في تلك الساعة وهي عليه أشد من ألف سنة حتى رأى الرجل والخدم فباشروه بالخير من عند الملك، ففي تلك الساعة كأنما ولدته أمه فحملوه إلى الماء وغسل جسمه وأعطوه الكسوة والبخور وأكل من الطعام وأعطوه السلاح ورفعوه فوق الخيل وقادوا به حتى أوصلوه الملك،

فنهض الملك بنفسه وأحدره من الحصان وضمه إلى صدره والملك يبكي رحمة له ويتعذر إليه ويحلف له بالأيمان بأن ليس عنده علم ولا خبر بما رفع عليه فقربه مع شيخه وصافحه، ثم سأله شيخه عن قصته التي جرت عليه فقال الشاب: اعلم يا شيخ بعد فراقك ذقت المرارات، وترادفت عليّ سكرات، وقد أحييت الوزير وأهله من المهلكات، فجازاني بإحساني سيئات، وأنزلوني في سجن نهاره كالليالي المظلمات، وأكل جنبي الشرص[1] والفار والعقارب بأذنابها لجسمي لادغات، فجلست وحيداً ما سمعت من أحد كلمة ولا أحد تفضل عليّ بشربة ولا بلقمة ، أكلت من الذي ينهش من جسمي وشربت من الماء الذي يمر على تطهير القاذورات من النساء المخدرات ممتزج بالنجاسات والروائح الطيبات، ومكثت هناك أربعين يوماً أتضرع إلى الله بالدعاء وأتوسل إليه بالنحيب والبكاء، والاعتراف بالإساءة والخطأ لأني لم أجد لحاجتي غيره وإن ردني فإلى من ألتجئ وبمن أتوسل وأين أذهب وأين أفر وقلت في نفسي كل له حد وأجمل إلى الصبر فسلم علي الوزير وسألني عن شراب الكاذي بالذي يرديه من عندي وعاهدني ليخرجني فأعطيته إياه وثبت بعهده وقال لي عليك بالرحيل لأن الأمير أمر بقتلي فخرجت من الدار في ساعتي وظهرت في جسمي الحمى والجدري العديسي ومما يخرج من بطني في ثيابي وجسمي وفاحت مني الرائحة النتنة وعرضت على امرأة كالغمامة وأخذت من رأسها عطراً فوضعته بحيالي والناس يمشون عن يميني وأسألهم عن الماء ليسقوني وعن العيش ليطعموني فمن كان قلبه خاشعاً تفضل علي وقرب عندي وسالت دموع عينيه في جسمي وقال لي أرى بقربك روائح الخيرات وإن الله يسلمك من الآفات والنيات هن المنجيات للمسلمين

---

(١) أي : الصراصير .

والمسلمات ، فقلت له : أما الذي أصابني مما كسبت يدي كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ (١) .

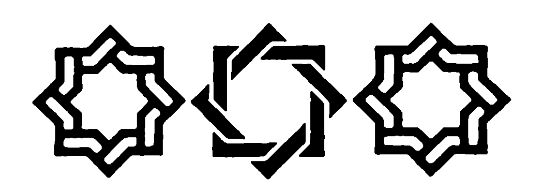
قال الرواي : فلما سمع الشيخ والناس كلامه كلهم بكوا بكاءً شديداً رحمة له وتعظيماً وقالوا لما سمعوه ونظروه شفقوا عليه ثم صلوا على محمد النبي وآله وصحبه وسلموا تسليما. ثم بعد الحديث حمل الملك الشاب بنفسه إلى قصره فجلسوا جميعاً فقال الملك للشاب والذين حضروا: اعلموا بأني خلفت جميع ملكي لهذا الشاب، فقال له الشاب: حاشا وكلا ولا وربنا الأعلى لا يكون هذا مني ولا أسلف على آبائي ولو بذلت لي الدنيا وما فيها لا رغبة لي في ملكها وما جئت إلى هذا، فقال له الملك: وما الذي راغب أنت فيه؟ قال: جئت ألتمس لإحصان فرجي عن الحرام ورأيت رؤيا فسرها لي المعبر بأن تكون زوجتي من بلدك هذه وهي امرأة لم يدخل عليها الرجال ولا ورثت شيئاً من الأموال وفي أعز مكان ومن أشرف إنسان، كحلاء دعجاء أسيلة الخدين نابتة النهدين ناعمة اللحمين لا تشاكلها النساء، فقال الملك لقاضيه: زوج الشاب بابنتي. فزوجه بها في تلك الساعة، وقصد الملك عند ابنته ليخبرها فلما وصل إليها أعلمها فقالت: الحمد لله الذي كساني ولو شاء لأعراني، فنهضت قائمة على قدميها مطلقة الوزير وقبضت رقبة ابنة الملك تريد أن يمتلك بها الشاب حتى يجوز لها النظر إليه وأن تنزل نفسها منزلة الخدم إليهما.

فقالت ابنة الملك: أنت اقدم مني وأنا اقتفي إليكما. فأمرت أبيها أن يزوجها بالشاب فدبر الملك لولي المرأة وحين وصل قال له: قل للقاضي

---

(١) سورة الشورى : ٣٠ .

يزوج الشاب بالمرأة الذي وليتها فأمره وزوجه بها وأمره الملك أن يكون معهما في قصرهما حتى يتعافى. فلما نظرنه تباشرن بالفرح والسرور وأخذته ابنة الملك من يده وأجلسته في حجر الأخرى وجعلت تلاطفه بالكلام فما قصرن في حاله حتى رجعت عليه قوته كما كان أو أزيد، وأعطينه السمبكة والبلوج والحليب والنشا هذا لغدائه، ولعشائه الفروج والعصافير المغلاية بالأبازير وأكل على ما تشتهي نفسه وتلذ عينه ودخل عليهما ..... وجعلن إليه المسك وماء الكافور فنكح نكاحاً لا ينكح مثله أحد قط، وسألت ابنة الملك المرأة الأخرى ما الفرق بين الوزير وهذا ؟ قالت : كما بين الجنة والنار فالأول له صورة خبيثة مترجرج اللحم ثقيل الأعجاز ...... وهذا هو الرجل الذي لا يشاكله شاكل حسين الصورة مجدول الخلق خفيف العجز خميص البطن متى أراد مني حاجة ما وجدت للأرض سبيلا حتى يسقيني من منيه في قرار مكيني فحينئذ نظرت إلى الدنيا وما فيها فطوبى لقرين أنعم الله علينا به ونسأل الله له الدوام وفي العقبى خير منزل ومقام، قال: فنسلن منه بالأولاد الذكور، وكأنهم يتلألؤون مثل البدور، وانتشوا في الدهور، وملكهم الله في الأمور والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .



الذكر الثالث والأربعون :

في الحرب والقتال والفئة القليلة التي تغلب الفئة الكثيرة، وفي دخول أعمال الرياضات، ولسلس البول والتشقق في الرجلين

أمثلة على الفئة القليلة تغلب الفئة الكثيرة :

قال ذو الغبراء : سألت صاحبي عن السلاطين هم الغالبون في الحرب والقتال، قال: جوابك هذا على معاني؛ فإن كان قصدكما خرج السلطان إلى قرية للقتال فليقاتله رجل واحد مثله أو أقل منه فيغلبه وكذلك تحربه طائفة فتكسره هو وأصحابه، ولكن الناس محتاجون إلى البنادر والأسواق وقد ألبسهم الله الهيبة على الناس، وعاقبتهم إن غضبوا شديدة كما قال الله تعالى : ﴿ قَالَتْ إِنَّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [١] ، والرهط حجة .

وأما صفة القتال فالمهاجرون والأنصار أقل عدداً من الكفار ويوم حنين الكفار أقل عددا، وحمود بن عزان أخذ الحصون على سلطانه بأقل عدد منه وأقل قوة، وجده أحمد بن سعيد أخذ الملك بنفسه وخيله لا بقوة جنده وكثرة عشيرته، وفي وقعة اللثيلة جمع جيشاً عظيماً والذين كسروه أقل منه عدداً ولا أخذوا من ملكه شيئاً وبقي الملك في يده ولأولاده من بعده .... ولم تزل الفئة القليلة تغلب الفئة الكثيرة لأنها في غالب الأحوال أقطع، وليس القاتل والظافر هو المالك، بل هو مملوك في أكثر

---

(١) سورة النمل : ٣٤ .

أوقات الزمان، وإن فكر الناس في هذا الأمر فعليهم أن يصلحوا أمورهم بالتدبير لأن من راغم السلطان في ملكه أو من كان له قوة أذهب عليهم الديار، ولكن على المسلم أن يكون في أموره نظاراً وليعمل التقية للسلطان.

وأما الإحسان فأبقى زرعه في القابل لأنهم أبقى لعاقبة الأمور، وأما إذا أردت إثبات أمرك مع الأمراء، فلا تدخل عليهم بشيء مما يسوؤهم وخاصة إن رأيت منهم قبول الحق في بعض الأمور فلك الأجر، وأما إن صحت من أحد معارضة في بعض الأمورعلى الحقيقة وبلغوه مطلوبه منهم، فلا يجد منهم سبيلاً إلى غيرها لكنه ينكر بقلبه ولا يعينهم على شيء، وأما أشرار الناس فمقاربتهم كالنار ومثل مقاربة الثور النطوح والدبي[1] لا بد له من الحرق والنطح واللدغ، وكذلك قربة هؤلاء إن كان في بيع أوشراء أو في مرادة ماء، أو كانا في مجاورة أو في قرابة أو صهر فخذ حِذْرك منهم، وحذر من تحبه عنهم؛ لأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ولا يكشف ستر أخيه المسلم ولو كان كنسج العنكبوت فاستر عليه فيما ستره الله؛ لأن المسلمين كالبنيان المرصوص يشد[2] بعضهم بعضا.

والمنافقون مخذولون تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى، واصبروا في الأمور وما صبرك إلا بالله، ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون. إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، ولا تخض في إخوانك مع الخائضين، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم

---

(١) أي : الزنابير .
(٢) في الأصل : يسد .

أن يأكل لحم أخيه ميتاً ... إن الله تواب رحيم.

سألت ذا الغبراء عن ابتداء الفتنة؟ قال: مثل ابتدائها كالشجرة إذا نبت ساقها وغفلت عنها عظم ساقها فينبغي لكل عاقل أن يجتهد في السعي لإطفائها واتقانها، وحذّر عنها ربنا وقال : ﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ (١) ، وقال في إطفائها : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ (٣) ، فقد ألزمهم الله قيام الحجة على الفريقين، وأما ما كان في علم الله كائن فهو يكون على خلقه، وقد صحت الفتنة في زمن الصحابة وبقت العداوة فيها إلى يوم القيامة، وكذلك الفتن الذي ثارت من بعدهم فيها رحمة للطائعين ونقمة للعاصين وعداوة للباقين ففي كل عصر تجري والله يقول : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤) ، وقال في موضع آخر : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ (٥) ، و ﴿ إن الله لا يُغيرُ ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم ﴾ (٦) ، وإذا رأيت الأمر بين الناس لا يثبت عليهم كلام الصالحون فارحل عنهم وإن لم ترحل وإلا قد نزل بك البلاء كمثلهم .

وأما البلدان القديمة ، فقد دارت عليهن الأفلاك ، بالسعود والنحوس ،

---

(١) سورة الأنفال : ٢٥ .
(٢) سورة الحج : ٤٠ .
(٣) سورة الحجرات : ٩ .
(٤) سورة البقرة : ١٥٥ .
(٥) سورة الإسراء : ١٦ .
(٦) سورة الرعد : ١١ .

وربما سلامة البلد بسبب فيها أحد من المسلمين فإذا رفعه الله بكت عليه السماء بقطرها، والأرض بخرابها، والناس بهلاكها وأحزانها، وقد سمعت رجلاً يقول إن الله خسف بعقول الناس وبقيت أجسامهم يموجون في سكراتهم وبيعهم وشرائهم لا يتذكرون بما أراهم الله من غضبه ولا يخافون من عقابه في آخرته، وسمعت عن قوم أمدهم الله بالنعم فما شكروها فأبلاهم الله بالعلل والجذام، وما نفعهم فعمدوا يقتلون بعضهم غيلة وظاهرا ولم يدخل في قلوبهم الرعب، ولكن سيرة أمرائهم خير من سيرة الأغنياء وسيرة الأغنياء خير من سيرة الفقراء وسيرة الفقراء خير من سيرة الخدم وسيرة الخدم خير من سيرة النساء وسيرة نساء هؤلاء المذكورين خير من سيرة أمراء غيرهم الذين هم في زمانهم إلا من رحمه الله وصلح نفسه ودنياه وآخرته.

قلت له: فسّر لنا الأمر حتى نعرف ضرهم من نفعهم؟ قال: فأما الأمراء فقد مزجوا الحلال بالحرام وفيهم خصال محمودة ومودة في الذين أطاعوا الله ورسوله وأولي الأمر فهم يكرمون الضيوف والمساكين وابن السبيل، وأما الأغنياء فهم أشحاء في أموالهم ويمنعون حق الله والسائل والضيف ولكن من خصالهم أنهم يحصنون فروجهم وبالحلال نساؤهم ويقيمون الصلاة والصيام ويخوضون في الباطل، وأما الفقراء فقد تركوا الصلاة والصيام وامتدت أياديهم وفروجهم على الحرام ليس لهم رغبة في الحلال، زوجاتهم حرام وفي قلوبهم عداوة للبررة الأخيار ولكن من خصالهم تبع لأمرائهم، ويتقون عن أصحابهم العار بدخولهم النار، وأما الخدم فهم أشد قسوة عزوا نفوسهم على مواليهم وزنوا بنساء مخاديمهم جعلوهن كلعبهم في ليلهم ونهارهم ولكنهم للأدب متابعون، وأما النساء

فقد ارتفع من قلوبهن الحياء، محبتهن في الطغاة، ولهن عدواة في المؤمنين ظاهرهن ثياب، وباطنهن ذئاب فخذ حِذرك منهن في جميع الأمور إلا في خصلة واحدة إن عمدن إلى البيع والشراء فمنهن تلقاه الوفاء على التمام، وإن وعدن فلا يخلفن، وباقي الأمراء إن وعد خلف وإن عاهد نكث أكلوا أموال الناس ظلماً فلا يغرك منهم الابتسام، واحصد مالك ونفسك عنهم كالأسد الضرغام، وكثير من الزاد في هذا المقام لأن طاعة الملك العلام لازمة علينا، وأما الأمراء فقد حضرت في شيء من الحصون وسمعت من الضعف والشتم يفيحون به على من حضر، ما لا يرضاه الله ولا رسوله، ثم رأيت من أمير آخر يمكر بالناس ويأكل حقوقهم فلا راد له، فالنساء اللاتي ذكرناهن معاملتهن خير منه، وأمير آخر أمر بقتل قوم عرضوا على مساكنه فليس له حجة معهم طلب هواه بدمار دنياه.

معالجة سلس البول :

وهاك نبذة في الطب لسلس البول عرق مقيبلة الشمس يطبخ على النار إلى أن ينعقد ويشربه ثلاثة أيام، وورق المقيبلة يجعل ضماداً فوق الحبون وهي الدماميل نافع لذلك.

وإذا ورمت البيضة اليمنى من حرارة فدواؤها أن تضمد بجلجلان مطحون معجون بخل كذلك ليالي حتى يبرأ، وورم اليسرى من برودة وتضمد بطحين الحلبة معجوناً بعسل النخيل ليالي حتى يبرأ، ولورمهما جميعاً يطبخ القسط المدقوق ناعماً بالماء حتى تخرج منه الخاصية أو الفلفل الأسود كذلك ثم يجعل في الخل ويطبخ حتى يذهب الماء وينقى الخل فيحل ملحاً بماء في الشمس وتدهن البيضتان بذلك الماء ثلاث مرات حتى

يتركه في كل مرة حتى يجف ثم يدهنه بهذا الدهن ويترك فيه ليلة حتى يعاود العمل حتى يبرأ.

ولسيلان الرطوبة من الأرحام وللتشقق في سائر الجسد، يؤخذ ثلاثة أسهم حناء وسهم حبر ويدق الجميع ويعجن بحليب بقرة صفراء، وأما إن كان من حكة وشقوق بلا رطوبة بالحناء وحده مع حليب البقر ويلخ عليه ثلاثة أيام أو سبعة أيام.

مُعالجة الفلوق في الرجلين :

وللفلوق في الأرجلين يؤخذ حناء وملح وقرط يدبغ به في الشمس حتى يعرق فهو نافع. وبعر الغنم الأبيض الحولي إذا دق جيداً وعجن بزبد البقر ولطخ به التشقق سبعة أيام نافع لذلك.

صفة المُتعلم للرياضات واختباره :

قال ذو الغبراء: سمعت أحداً من المسلمين أراد أن يتعلم الرياضات فسأل عن ذلك فقيل له في الجواب إن أبقانا الله وإياك إلى ثلاث سنين، فإنا نعلمك بعد ذلك فأولها ينبغي للمسلم أن يطهر قلبه ولسانه ويتزيا بزي إخوانه في لباسه، ويترك مقاربة السفهاء ويجعل مقامه مع علمائه وإخوانه وأعوانه.

قال: لما سمع الرجل هذا القول امتثل الأمر ثم اعتبره في موضع آخر فدبره ليشري له ما يحتاج إلى خرج عبيده من السوق وأعطاه دراهم وجعل عليه باطناً رقيباً ثم قبضه دراهم ليتجر بها وقد جعل له النصف من ربحها.

ثم أراد أن يعتبره في موضع آخر وقال لأهله: إن وصل عندك

فلان بن فلان الطفيه بالكلام واطلبيه لنفسك ومرادي اعتباره. فدبره إلى بيته مع أهله ليأتي إليه ثيابه وأن تكون بها البخور والحلول فأخنس هذا إلى بيته وقصد الرجل مع المرأة فرآه واثق في قلبه وأخذ الثياب ولم تقدر عليه المرأة بحيلة، ثم قال له في موضع آخر: إن فلاناً ظلمني وخذ هذا السم واجعله في عيشه فأبى الرجل عن ذلك، ثم قال له: أريد منك حاجة مستورة لنفسي لا لغيري إني بليت بعلة الأنبة وأريد منك المصادقة لتطفئ حرها(١). فقال الرجل: حاشا عن هذا الفعل أفعله أبدا.

الحجب التي يحتجب بها المُتعلم :

فمضت عليه السنة الأولى في الاعتبار، وفي السنة الثانية علمه توريقة وكتبها له وأمره أن يجعلها في نومه على خده اليمين وأن يكون معتزلاً عن الخلق طاهر الثوب والبدن وأن يقول سراً: اللهم إنك حي لا تموت وخالق لم تخلق وعدل لا تجور وواحد لاشريك لك لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، اللهم إني أسألك أن تصلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، يا الله يا عليم يا خبير يا هادي يا مُبين بيّن لي كذا وكذا مهما أردت إنك على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

وفي السنة الثالثة كتب له الإحاطة المنيفة وهي آية الكرسي (٢) وآمن الرسول(٣) إلى تمامها ، و ﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ

---

(١) عفا الله عنك يا ذا الغبراء ، ما كان أغناك عن إيراد مثل هذه الأمور التي لا يقرها دين ولا عُرف.

(٢) الآية ٢٥٥ من سورة البقرة .

(٣) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة .

وَأوْلُوا العِلمِ قَآئِمَاً بِالقِسْطِ لاَ إلَـهَ إلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ (١) ، ويكتبهن في قرطاس مفردة الأحرف متداخلة بعضها في بعض غير متلاحقة واجعل له باباً للمندل إلى المغرب ...

وقفله : بسم الله الرحمن الرحيم ، واجعل واحداً في الأرض وواحداً اجعله على رأسك خوف أن يرجموك من أعلاك فإذا صنعت هذا كنت في أمان الله تعالى. ثم قال له: ويمتنع عن أكل ذوات الأرواح وما خرج من ذي روح وعن مقاربة النساء وأمره بالبخورات الطيبة لثيابه وجسمه وأن يأكل من الطعام ما يقوى به على طاعة ربه وأن يقلل من النوم ويكثر من تلاوة الآيات التي ذكرناها. وعلمه أن يتلو سورة الإخلاص وفيها ثلاثة أسماء من أسماء الله وهو الله الأحد الصمد، وكل له سر مختص به فجعل يتلوهن مدة من السنين فاستجاب الله دعاءه وأخضع له روحانيتها العلوية والسفلية فعاهدوه على طاعة الله ورسوله وفي مصالحه مما يقربه إلى الله تعالى فلما بلغ مراده كتم أمره عن القريب والبعيد ثم تلا هذه الآية في إحياء النفوس : ﴿ وَمَنْ أحيَاهَا فَكَأنَّمَا أحيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ (٢) ، ثم قصد الأمير الأكبر الذي عصى وتجبر وسأله عما في يده من الأمياه والأموال والخزائن فأخبره بما عنده فقال الرجل للأمير: أنا نظرت كنزاً عظيماً وبما في يدك الذي ذكرته لا يكون كعشر معشار ذلك ولا أردته .

فقال الأمير: أنا أريده أتدلني به؟ قال: نعم ولكن على شرط ألا يكون في صحبتك أحد. فقال الأمير: بنفسي أصاحبك إليه أهو بعيد عنا؟ قال: ليس هو كثير في البعد. فلما صلوا العتمة خرج به من البلد مسرعاً وركضوا في السير والأمير طلب الماء ، فقال الرجل : الماء قريب، فوثبوا

(١) سورة آل عمران : ١٨ .
(٢) سورة المائـــدة : ٣٢ .

لطلب الماء حتى وقف الأمير عجزاً عن المشي فقاده الرجل حتى اسودت عليه الدنيا فلم يقدر فطاح مغشياً ووقف معه حتى ردت إليه روحه فقال الرجل: اعلم أيها الأمير أن الماء والكنز قريب، قال: لا أطيق ولا أريده ولكن فما الحيلة. قال: النظر إليك.

فقال له: أنا مثلك مخلوق فلا أملك لنفسي ضراً ولا نفعا ولا أملك موتاً ولا حياة ولكن لعلك تتوب إلى الله تعالى توبة نصوحا ويسلمك الله من عذاب جهنم ويدخلك في جنة المأوى مع أنبيائه ورسله وأوليائه وأصفيائه.

قال: فتاب الأمير إلى الله تعالى واستغفر من جميع ذنوبه واستدان بما عليه من المظالم فجعل الرجل شخطاً في الأرض وحمل الأمير وتخطى به الشخط فنظر الأمير نفسه في بيته وأتى إليه ببارد الماء فسقاه فردت عليه روحه واستقامت جوارحه وسأله عما يجوز له فأتى إليه بالعالم وسأله الأمير عن أمر دينه وبما عليه من الدموم والحقوق فأجابه بأن أمواله مستغرقة، وأنها لفقراء المسلمين فجميع ما حواه كتبه وأحضر العدول وأمرهم بإنفاده في موضعه من جميع ما يملكه من صامت وناطق فنفذوه وخضع التائب للعلماء والمسلمين وأراد الرجل أن يعلمه الرياضة والكيمياء قال: تركنا ما في أيدينا نريد به آخرتنا ولا طاقة لي فيما ذكرت أخاف على نفسي أن لا تحمله فمكث ثلاثة أيام ووجدوه ميتاً في حال سجوده بالمسجد الجامع فغسلوه وصلوا عليه ودفنه المسلمون، ثم رآه المسلمون في نومهم بمحضر رسول الله وأصحابه وهنأه رسول الله بسلامته وأخذه أبو بكر بيده وأقعده مع أمير المومنين عمر بن الخطاب رحمه الله صلى الله عليه وسلم أجمعين .



الذكر الرابع والأربعون :
فيه نصيحة الفلكي للعابد ، وفيه ذكر المصائب وما لهما من القصص والمسائل المذكورة فيها

نصيحة الفلكي للعابد :

قال ذو الغبراء: رأيت صاحبي خاضعاً للفقير والغني، والأمير والدني، والكبير والصغير، ويبتديهم بالمساء والصباح[1]، وعم على الجميع باسم الشيخ، قيل له وكلمة الشيخ خص بها أحد أم للجميع؟ قال: أصلها الكبير السن ووضعها الناس الآن في غير موضعها خصوا بها أهل الأمر، وأنا جعلتها للجميع أصبت فيها لأهلها ووضعت المعلي نفسه بها، ورفعت الدني بها فصاروا كأنهم بمنزلة واحدة، قلت له: فما أرفق للمرء في زمانك به بين حمل السلاح وبين تركه؟ قال: فمن أراد سلامة نفسه وزيادة في جاهه وماله فلا يحمل الحديد الذي للقتال . قلت له: فسر لنا ذلك، قال: أما من قبل الحرامية الذين مرادهم الطمع إن نظروا في طريق المسلمين رجلاً ليس عليه أسلحة ولا كسوة تركوه، وأما الأمراء إن نظروا رجلاً أهمل نفسه عن السلاح قربوه وأمّنوه وجعلوا له الموائد والمنافع والقبض والبسط في تدبيرهم وفي حصونهم، فانظر إلى المتاهم والشيع لا عليهم خوف ولا فزع، وكذلك اللواتيا وعبادة الأصنام أنزلهم الأمراء لحوانج الإسلام فردوا ضباعاً في الأنام، وأما الشجعان والأجاويد والعلماء والكرام، فلا جواب لهم في الكلام إن شكوا نبذوا وإن صبروا قطعوا، وأما الذين يحملون السلاح لهم العطاء القليل حتى يقتلوا أو يقتلوا

(١) أي : بالتحية في الصباح والمساء .

فانظر في زمانك بعقلك لأن زماننا نحن هكذا.

قال ذو الغبراء: حكي لنا عن رجل فلكي حسب لنفسه هل له زوجة؟ وهل له زيادة مال؟ فرأى في الفلك زيادة ماله من دمه، وله زوجة صالحة في يد رجل ثقة ينكحها بالحرام، فتعجب من هذا الأمر وأقام حسابه في المرأة، فنظر في الفلك أنه أخذها الثقة بنكاح مستقيم لا فيه شبهة على أحدهما في ظاهر الأمر، ولكن رآها في الفلك أنها أخته من الرضاعة فجاء الفلكي مع العابد وسلم عليه فرد عليه الجواب، فقال له: ما حاجتك يا صاحب الفلك؟ قال: جئت لأفرق بينك وبين المرأة التي معك وإني نظرت في الفلك فوجدت أنها أختك من الرضاعة .

فلما سمع كلامه غضب عليه غضباً شديداً وكان العابد له قوة في جسمه فقبض الفلكي من رأسه ورمى به في الأرض فطاح على وجهه مغشياً والدم يسيل من رأسه فحمله الناس ومكث ثلاثة أيام ذاهب العقل، فتاب العابد واستغفر إلى الله تعالى وسأل العلماء عن دينه فأوجبوا عليه الدية للفلكي فباع من ماله وحمل الدراهم وقصد العلماء وقاسوا الجراح فحكموا عليه بألف درهم فسلمها للفلكي وقبضها من عنده، فقال أهل العلم للفلكي: ما حجتك في زوجة العابد تريد تحرمها عليه وهل معك في كلامك شهادات؟ قال: نعم فإنه يشهد على نفسه وتشهد عليه أمه والجمال الذي حملهم. قال له: أما أعلمتك أمك بطياحك من الجمل في سفركم في صغرك لزيارة أخوالك أنت وأمك والجمال فلان قد حملكما وطحت أنت من الجمل على أنفك وسال الدم منك حتى أقلتم بالموضع الفلاني، وأقبلت إليكم فلانة أم المرأة حاملة ابنتها وحلبت من ثديها وجعل فيه الزعفران وسعطوك به

وتعبت كثيراً من ذلك حتى خافوا عليك الهلاك، لأن الزعفران يحرق كثير مضر، والجمّال وأمك وأم المرأة كلهم الساعة في الحياة فدبر العلماء للمذكورين وشهدوا كلهم أن هذا صحيح وقبل الفصال وكان فيهم من تقوم بهم الحجة في هذا فأمره العلماء أن يخرجها وشهدوا أيضاً أن اللبن هو الغالب على الزعفران.

وعن امرأة أرضعت صبيين هل يجوز لهما أن يتزوج كل منهما بأم أخيه من الرضاعة؟ قال: جائز لأن المرضعة غير الأمهات.

قال: فأعطى العابد المرأة صداقها العاجل والآجل وخرجت منه بلا طلاق واعتدت منه ثلاث حيض، ثم أخذها الفلكي ومهرها من ديته فاستقام أمر الفلكي ونسل من المرأة ثم تزوج العابد بامرأة أخرى ودخل عليها ومهرها ففي ظاهر الأمر حسنت فيه السيرة وفي الباطن حازت في بيت زوجها رجلاً وامرأة تكسي الرجل من كسوة زوجها والمرأة تكسوها من ثيابها وتعمل لهما الطعام على ما تشتهي نفوسهما، فإذا دخل زوجها إلى البيت أمرت الرجل والمرأة أن يدخلا في المندوس الكبير، رفعه قامة وعرضه باع ونصف فوقفا فيه حتى يخرج الزوج من البيت، فقلَّ ما في البيت وباع العابد من الأصول لإقامة البيت ولم يزل في نقصان الأموال، ثم نزلت بالعابد العلل والأمراض فسأل الفلكي عما به من العلل ونقص الأموال وقلة البركة فقال له الفلكي: اعلم أيها العابد أن لديك زوجة خائنة وهي سيئة الأخلاق قليلة الأرزاق تندر[1] مالك لأهل النفاق.

قال العابد: ما علمت عنها بسوء ولعلك تريد أن تفرق بيننا. قال

---

(١) أي : تخرج .

الفلكي: مرادي أشفيك من البلاء وأظهر لك السر المختفي ولكن على شرط أن تبايعني مندوسك الكبير، قال العابد: هو لك هبة مني، قال: فامض بنا إلى بيتك ونحمله الساعة. فأخذ الفلكي أناساً لحمل المندوس وقصد بهم مسرعاً لبيت العابد وقصدوا المندوس فإذا في المندوس الرجل والمرأة فنظر العابد كسوته في جسم الرجل وكسوة زوجته وحليها على المرأة.

قال: فأخذهما أصحاب الفلكي وقصدوا بهما إلى الأمير فأمر الملك بسجنهما وأوصى لزوجة العابد فسجنهما فطلق العابد المرأة بمحضر الفلكي، فبعد أيام أبرأه الله من سقمه وعرف في قلبه أن الفلكي هو محبه ونصيحه فقام في زمانه يستشيره في أموره وسأله على أن يدله على امرأة صالحة ليتزوجها فمشى به وقت الصباح إلى مسرح الأغنام ونظر له النساء الثيبات والأبكار التي لم يكن لها زوج، فأقبلت إليهم ابنة صغيرة قد نبت ثديها كالجوزة تسوق غنمها وعليها ثياب رثاث وزيها من زي الفقراء ، فأشار عليه الفلكي أن يأخذ تلك الابنة ، فقصد إلى أوليائها وسألهم عنها ، فزوجوه بها ، فمهرها ودخل عليها ، فأقبلت عليه بركة الأرزاق من الأموال والمواشي ونسل منها الأولاد الذكور والإناث ، فبلغ الغاية في آخر زمانه ، وقال الله في كتابه : ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ (١) .

قال ذو الغبراء : حدثني أحد من الأخوان عن رجل لجت به المصائب وسأل مولاه أن يرزقه ولداً ذكرا فاستجاب الله دعاءه وخلق له ولداً ذكراً فأشفق به وجعل له أناساً يحرسون عن الدواب والآبار والأنهار

---

(١) سورة الأعراف : ١٨٨ .

والأهوية المتلفة فقدر على الولد الأمر بحضرة أبيه فطاح في النهر الجاري وساح على أسمة الفلج فأسكره الماء ولم يقدر عليه أبوه إلا بعد ساعة أخرجه فردت عليه روحه فأنشأه الله في أيامه، ثم أراد الولد أن يحمله أبوه إلى الأموال فحمله وقصد به إلى المال وأكل الولد رطبتين وشرب من الماء جرعتين، وصاح بعد ذلك صوتين فخرجت روحه في حجر أبيه في ساعته، فحزن الوالد على ولده ثم قيل لوالد الصبي سألت مولاك فاستجاب لك ومتعك بولدك ورفعه عنك وهو في صدرك فما قدرت على نفعه مالك ألا ترضى بقضائه يفعل ما يشاء بخلقه ، والله تعالى رفع رسول الله وأبي بكر ورثاهما عمر وقال :

ذهبَ الذين أحبهم فعليك يا دنيا السلامُ
لا تذكرينَ العيشَ لي فالعيشُ بعدَهمُ حرامُ
إني رضيعُ وصالِهم فالطفلُ يؤلمُهُ الفطامُ

في الذي لا يعقل ولا فيه روح كالنخيل والأشجار إن أصاب أحدهن شيئاً أما هي تروح وترتعد والذي لا يعقل وفيه روح كالدواب والطير، أما تراهن معكفات على من نزل به الموت، فكيف بالذي يعقل وقد ألزم الله فرضاً بالحفظ لما خوله الله من النعم من مال وأولاد وعبيد وأهل ودواب أن ينفق عليهم، ويكسوهم ويعطف عليهم بالرأفة والرحمة، فاعتادت نفسه على ذلك فتارة ينزل في قلبه الفرح من قبلهم، وتارة ينزل به الحزن مما ينزل بهم من الآلام والأسقام، فكيف إن مات أحدهم؟.

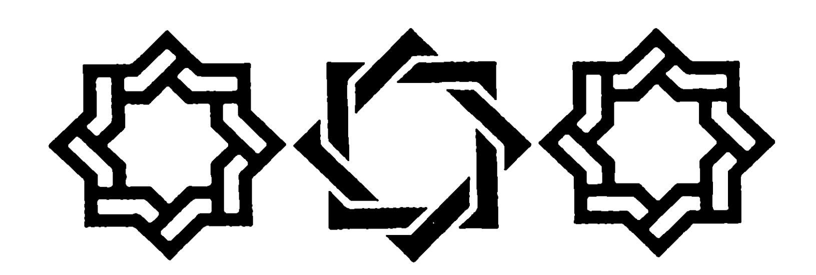
أما يدخل في قلبه الحزن بالفراق ويفقد الإنسان طيراً أو سنوراً لم يره في منزله، فكيف بولد له أما تسمع أن مصائب الأولاد محرقة للأكباد،

فذكر الأموات تخشع منها القلوب، والأولاد مختلفون كل منهم ومحبته وعلى قدر حقه، فالذكور يطمع بهم لإحياء دين الله والذب عن البلد وسكانها، وأما الإناث فهن عورات مستورات والطمع منهن لزيادة النسل وإقامة البيوت وأعمال الطعام والكسوة، فإذا لم تلد النساء الإناث فمن أين تخلق الرجال؟ فلا بد للوالد أن يدعو مولاه بأن يرزقه من الذكور والإناث.

وأما مصائب الزوج والزوجة فمن بعد موت أحدهما ينزل بالباقي الهم والحزن بسبب الانكسار ويحتاج إلى تدبير آخر، وأما بعض المصائب فعاقبتها يفرح بها الوارثون بحصول الميراث لسداد الخلل من غير وجيعة ولا انكسار شيء، وأما مصائب الوالدين فذكر المحبة والإحسان منهما إليه وأنه لو بذل جميع أمواله لأناس لما وجد خصلة واحدة كالإحسان الذي من والديه، وأما مصائب الإخوان والعلماء فتبقي في القلوب حسرات حتى قيل إن موت العالم ثلمة في الأرض لا يسدها شيء إلى يوم القيامة ولا يخلي المصائب شيئاً إلا حدثت بالإنسان شدة أو بلية أو فرح. وأما ذكر الوعظ والزجر فلا يجلوها انظر إن أقيمت الصلاة فليدخل على قلبك الفرح والبكاء في صلاتك حتى يفسدها عليك، ولو أنك قبل الصلاة ذكرت الله وخفت من عقابه وذكرت الموت والجنة والنار ما نفعك عند معارضة الشيطان ولكن محاربته المعارضة إليه، وفي تفسير لا حول عن معصية الله ولا قوة على طاعته إلا بالله العلي العظيم.

قلت له: وإذا ولد مولود وكان الطالع برج القضيمة وربه عطارد في الطالع مع طلوع الفجر والساعة الزهرة وهي في برج العقرب وفي ليلة الأثنين والقمر في منزلة الثريا وزحل في برج الميزان والمريخ في

منزلة الإكليل والشمس حدها في الميزان، والمشتري في برج الأسد ما تقول في هذا المولود؟ فتفسيره يطول به الكتاب ولكن عطارد في بيته وشرفه وهو بيت المولود فدلالة عطارد وأسعد السعود في الأماكن السعيدة وأنحس النحوس في الأماكن النحسة وله دلائل كثيرة في الكتب والقمر في شرفه وهو مدبر الأرض إن فسد فسدت الأرض وما فيها وإن صلح اصطلحت الأرض ومن عليها، وزحل هو النحس الأكبر وهو في شرفه لكن أحرقته الشمس ليس له قوة والمريخ في بيته العقرب له قوة في الحركة الصغرى وهو بيت الأخوة، وسمعت الشيخ ناصر بن أبي نبهان يقول عطارد هو صاحب القوة العظيمة في العلم والطلاسم وهكذا وجدته في الكتب الفلكية والله أعلم بخلقه وتدبيره فإذا أراد الله حياة الأرض أحياها بالعلماء وموتها بموت العلماء، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وعلى أصحابه الأتقياء .



الذكر الخامس والأربعون :
في التجارة ، وفيه قصتان

قال ذو الغبراء: سألت صاحبي عن حرفة بني آدم ما أحسن منها لطلب الرزق؟ قال: من كان معه الماء فهو الأصل الأول الذي لا يشاركه مشارك ولا يحتاج فيه إلى معاناة ولا معونة وهو كالذهب الخالص. قلت له: والنخيل والزرايع[1]؟ قال: إذا لم يكن لها ماء فغلتها لصاحب الماء للقعد[2]، وأما إذا كان لها ماء فتحتاج إلى معاناة ومشاركة كالبيادير[3] ويطمع بها الصديق وتأكل منها الطير والدواب والسباع ويحل بها العطاب في بعض الزمان فهذه عللها. قلت له: والمواشي؟ قال: هي شقاء للنفوس فتارة تنمو[4] ويفرح بها صاحبها وتارة تذهب وتأكلها السباع واللصوص وهي عيد للخصيم يصبح صاحبها وكمن ليس لديه شيء منها.

قلت له: والتجارة؟ قال: هي أضعف مما ذكرته لك مما ترى المبتلى بها من المحن في البر والبحر والحر والبرد والهلاك والخوف، إذ هذا لا بد أن يصيبه في سفره وإلا فالأكثر مطلوبون إلى القتل أما ترى الوقوف أحسن عن التجارة. فإن قلت: لولا التجار ساعون ما الخلق فاعلون، فقلنا لك صحيح لكن ينبغي للتاجر أن يتعلم فنون التجارة مخافة عليه من الخدائع والمكر من الخلق والسلامة في ذلك أن لا يبيع شيئاً إلا يداً بيد

---

(١) أي : المزروعات .
(٢) أي : الاستئجار .
(٣) أي : الفلاحين ، وهم الذين يعملون بالأجرة عادة .
(٤) في الأصل : تنمي .

لأنــه إذا صـار مالـك فـي أيـدي النـاس فهـم الغـالبون عـن صـاحب المـال، والناس على ثلاثة أصناف: فمنهم الآكلون أموال النـاس، ومنـهم يشترون ولا يوفون إلا ما دمت عليهم قائما، ومنـهم لا يشتري إلا إذا كـان فـي يده شيءٍ ولا تحص أمرهم بالتجربـة، ولكـن عليك بكتـاب الفراسـة فإنـك إن حفظتـه ضبطاً ونظرت النـاس تـرَ علامـاتهم ظـاهرة بينـة فـي أجسـامهم فتعرف طبـائعهم، فـإن دخلـت فـي التجـارة فـاحرز سلعتك واعـرف الـثمن واحسب إلى الربح وصحح أولاً مكيالك وميزانك واحذر التطفيف والبخس لأن الله شـدد وحـذر فقـال : ﴿ وَيْـلٌ لِّلْمُطَفِّفِـينَ {١} الَّـذِينَ إِذَا اكْتَـالُواْ عَلَـى النَّـاسِ يَسْـتَوْفُونَ {٢} وَإِذَا كَـالُوهُمْ أَو وَّزَنُـوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (١) ، واحـرز سـلعتك بالأقفـال والحـراس لهـا عـن اللصـوص والأولاد والأهـل وكـذلك الفيران والدواب مهما قدرت، وعليك لحفظها بالدفاتر أن تكتـب مـا تبيعه وتشريه وإن كاريت أحداً فخذ من عنده صكاً بخط من يجوز خطـه وكذلك الدلال اقبض منـه مكتوبـاً لـئلا يذهب مالـك إن نزلـت بهم مصائب الزمـان، ولـم يوصـوا(٢) بـه فيـذهب مالـك، وأحـذرك عـن بيـع الصـبيان والمماليـك والنساء المكارات الفتانات .

وقد حكي لنا عن بعض الإخوان عن بعض التجار اعترضت إليه ثلاث نسوة مرادهن ليأكلن ماله وإن قدرن على خدعته لأنفسهن، فـالأولى اعترضت عليه بجمالها وزينتها كل يوم فمـا قدرت عليـه بحيلـة، والثـانيـة افتخرت بمالها وجعلت تشري من عنده كل يوم من سلايعه وتـذخرها حتـى ذهب مالهـا فلـم تقدر عليـه بحيلـة لنفسـه ولا تخدعـه فـي مالـه ، والثـالثـة

(١) سورة المطففين : ١ – ٣ .
(٢) في الأصل : يوصون .

جلبت له السلائع تبايعه إياها بأقل ثمن مرادها الغفلة لتدخل دكانه فتسرقه فما بلغت مطلوبها، انظر في أمورهن وحيلهن فما قدرن عليه لأنه بصير بأمورهن.

وإذا أردت التجارة فاحذر عن المدح عند البيع أو الذم عند الشراء أو أن تغش السلعة حتى تحلف للبيع، وعليك بالتلطف للناس لأنك محتاج لهم إلا إذا رأيت استحضاراً من أحد فابدأه بالغضب، ولا تجعل بيعين للناس والتجارة في الحلال وترك الحرام ولا يدخلك الطمع في بيع المسكرات، ثم اجعل سلانعك في الأوعية الطاهرة وفي البقعة النظيفة، واحرزها عن الغبار النجس خوف عن الاجتلاب منه، ثم اعرف الجامد من المائع إن أصابته النجاسة مخافة أن يذهب مالك، وأما أنك تبيع النجس للمسلمين، ولا تشتري الرطوبات من أيدي المشركين ولا تصافحهم بالسلام، واحذر في بيعك وشرائك عن جميع الناس إلا ما بان لك صلاحه كالتاجر الذي احترز عن الخلق وعن بيع الصبر واعتبر رجلاً يصل عنده يشري كل يوم بالحاضر لما يحتاج إليه وعلى هذا دأبه ففقده بعض الأيام وظن التاجر أن الرجل نزل به ألم، ومن هكذا وقف عن الوصول عنده فمشى إلى بيته يسأل عنه، فلما رآه سأله عن قلة وصوله فقال الرجل: قلة وصولي بقل ما في يدي .

قال له التاجر : صل عندي كل يوم وخذ كما تأخذ من قبل لا بزيادة عليك حتى تصل ثمرتك . فقال الرجل: وإن لم تصل الثمرة وجاءتها جائحة فمن أين الوفاء لك ؟ فقال له التاجر : أحسن الظن في الله وفينا والآن خذ لما تحتاج إليه . فأخذ الرجل كل يوم حتى وصلت الثمرة وأوفاه حقه وما

بقي في يده شيء فانقطع عنه فقصد التاجر إليه وأمره أن لا ينقطع عنه فأعطاه والرجل يرجو وصول الثمرة فعطبت عليه فأخبر التاجر بالعطاب وانقطع عنه فلما عرف التاجر أن هذا صاحب معاملة حسب زكاة تجارته وحملها فأعطاها الرجل الزكاة وقبضها ثم أوفاه حقه وبقي معه القليل فتمتع به وقال له: لا يعجبني أن تنقطع عني أبدا فجعل يقاسط في أخذه ثم عطبت عليه الثمرة مثل الأولى، ثم أخذ التاجر جملة من الدراهم وقصد الرجل ودفعها إليه من حق الله ثم وافاه منها وبقيت [1] في يده منها شيئاً كثيراً فأمره أن يتجر بها ويأكل منها فعسى البركة تنزل فيها فترك الزراعة وعمل التجارة فأراحه الله من تلك الشدائد .

وقال له : لا تصح التجارة إلا أن يتعلم مسائلها من الأثر قبل الدخول فيها كالرجل الذي ذهبت أمواله فأول ما شرى عند رجل غني ألف جراب بألف قرش وقبض البائع الألف من يدي المشتري وما قلب جربه المشتري فارتفع ثمن التمر فجاء رجل آخر وشراها من عنده بثلاثة آلاف قرش وقلبها المشتري الثاني وأخذ ثمنها البائع فجاء المشتري الأول ليحمل الجرب فوجد البائع ميتاً وخلف أيتاماً ولم يوص له بشيء فذهبت الألف عليه، ثم أراد هذا الرجل أن يسافر فخرج من داره عند طلوع الشمس من يوم الأربعاء في يوم ثمانية وعشرين من شهر شوال وقصد في سفره إلى جهة الشمال فشرى جارية ليستر بها عورته وتخدم له عيشه فدخل عليها قبل الاستبراء وهي بها حمل صح وباعها قبل أن يستبريها، ثم شرى سلعة بالحاضر وباعها بالصبر قبل أن توزن فأخذها صاحب الصبر من البائع الأول ثم ضرب على سلعة أخرى بالحاضر

(١) في الأصل : بقت .

وباعها بالحاضر وأن تكون لـه الفائـدة عشر ثمنـها فجلس فـي مكانـه ولا قبض السلعة ولا وزنت إليه فأعطي الفائدة ، ثم أرسلت عنده دراهم وتجر فيها وأخذ منـها ربحـاً كثيراً ، ثـم سلف رجلاً بلا وزن للدراهم ومـن غير شرط معلوم فلمـا حضرت أوان حصادها عطبت الثمرة فدين صـاحبه من عنده أحسن من تلك السلعة أعني الثمرة المذكورة والمتسلف أعطاه حقه منها ، ثم قصد التاجر إلى الفلاة وضرب بتفقه صيداً ومـات قبل أن يذبحـه فباعه على المسلمين وأخذ بثمن الصيد حباً ورمى به في بكار[1] حبه، ثـم وجد شحلوباً[2] ميتاً في دبة الحل[3] فباع الحل في السوق بلا شرط أن فيه نجاسة، ثم كارى جمالاً فمات المكتري الذي معه الجمل وكان الجمل لغيره وخلف أيتاماً ، ثـم رأى رجلاً يزنـي بامرأة فقـال لـه : يـا هذا لا تفعل هكذا وزوجه ابنته .

ثم شرى أرضاً وبها قبور فنطلها هـي والقبور وبـاعها بثمن كبير، ثم شرى سماً وحملتـه الفيـران[4] من صرتـه ورمت بـه فـي بركـة السكر وجمع السكر كلـه للوزن فباعـه علـى أحد من تجار البحـر وشروه أنـاس شتى من عند ذلك التـاجر وتفرق فـي البلدان فكل من أكل مـات من ذلك السكر، ثـم بـايع النـاس سلعته بالمصـابرة فمـنهم أفلسوا ومـنهم مـاتوا وخلفوا أيتاماً ومنهم فقدوا فلا صح حكم من حـاكم فـي أموالهم ليأخذ حقـه وما بقي ممـا فـي يده إلا قليل ، فقصد الرجوع إلى داره فكسبه الحراميـة وأخذوه أسيراً فأعجبتـهم صورتـه وكان في الحراميـة رجل تـهيم فـي نفسـه

---

(١) أي : مخزن .
(٢) أي : سحلية .
(٣) الدبة : الوعاء ؛ والحل : الزيت .
(٤) في الأصل : الفيارين .

فأعجبه الرجل وأخذه عن قسمه من المال فلما وصل به إلى عند ضرب عموده هم بالرجل يريد أن يطفئ له شهوته من فرجه فأبى الرجل التاجر فصلب عليه وكسر منه يده ورجله وجعله يطحن له الحب فنزلت به العلل والأمراض وخاس جسده فرحل عنه التهيم فمكث التاجر مدة من الزمان في تلك السيوح يأكل من ورق الأشجار كالأغنام ويشرب من الموارد ففي بعض الأيام رأى عيناً مرة وشرب منها وغسل جسمه وثيابه فأبرأه الله من العلل الظاهرة ببركة ذلك الماء وبقت في جسمه علل باطنة فقام على رجليه ومشى بهما قاصداً إلى داره فلما وصل داره وجد أولاده وزوجته هالكين من الدنيا فبكى بكاءً شديداً فعمد يتصل بأهل العلم وسألوه عن سفره وأخبرهم بما وقع عليه في سفره فألزموه التوبة إلى الله تعالى فتاب وندم على ذنبه ورأى في نومه يقرأ سورة ألم نشرح في ليلة تسع وعشرين من رمضان وقرب من المعلم فكتب له هذه الأبيات شعراً :

ثق بالذي خلقَ الخلائقَ كلهمْ ... فهوَ اللطيفُ بعبدهِ والمحسنُ
لا تخشَ ضيق الرزق فهوَ موسعٌ ... ومسببٌ إن كنت ممنْ يوقنُ
إن كنت تطلبُ راحةَ وسعادةً ... ومن الأمور الصالحاتِ تمكّنُ
وتكون أسعدَ أهل عصرك كلهمْ ... ومن الشدائدِ والمضرةِ تأمنُ
فعليك باسم اللهِ جلّ جلالهِ ... فيه لك السرّ العظيمُ البيّنُ
قل يا كريم ويا رحيمُ ففيهما ... سرّ عظيمٌ نفعهُ متبينُ
تقرأهُ ألفاً طاهراً في خلوةٍ ... بالليل حينَ تنامُ عنكَ الأعينُ
يأتيك آتٍ في منامكِ ملهماً ... لك ما يسرّ بهِ التقّي المؤمنُ
يلقي إليكَ إشارةً تُكفى بها ... يسرُ اليسار وبعدها لا تحزنُ

قال : فداوم الرجل في تلاوة هذه الأسماء، فلما قدم عيد الفطر على الناس أعطوه مما ألزمهم الله من فطرة الأبدان ، ثم حملها على كتفه [1] ليبيع الحب في السوق فلما أقبل عليه الليل آوى إلى كهف من الجبل ليكنّ [2] جسمه من البرد وجعل ناراً ليصطلي بها فثار به غول فأخذ ناراً ليستضيء بها فمشى إلى نحو الغول فدخل به غاراً والرجل في طلبه فنظر الرجل في ذلك الغار سبائك من الصفر والذهب كثيراً فأخذ منها فلما أصبح الصباح قصد إلى السوق وباع الحب وقصد مع الصانع وأعطاه السبائك وأدخلها النار وشهد له بها أنها من الذهب الخالص ، ومشى إلى الصفار وشرى منه السبائك فرجع إلى الغار وأخذ منه ما أراد ووجد أكسيراً في الغار هو الذي يقلب الصفر ذهبا ، فرجع إلى داره ونزلت به حمى الجدري وطلع به جنبه كله، داخله وخارجه فأبرأه الله من كل علة كانت في جسده لأن الجدري لا يبقي بعده علة إلا مثل الجذام فصارت علة الجدري شفاء له، وأخذ من تلك السبائك لما يحتاج لنفسه وأنفق منها على إخوانه وتزوج من بنات عمه وقام في مسجده يتلو آيات ربه وتزود من دنياه لآخرته فهذا سر أسماء الله الحسنى لمن تلاها في اليقظة والمنام وصلى الله على محمد خير الأنام وعلى آله وصحبه الكرام والتابعين لهم من الأئمة والأولياء الكرام .

۞۞۞

---

(١) في الأصل : كاتفه .

(٢) أي : ليحمي .

الذكر السادس والأربعون :
في قصة ابن الملك وحليمة سيدة نساء المتأخرين

قال ذو الغبراء : ذكر لنا عن أمير أطاحه [1] المرض، وقال لولده: اسمع بني: إن الأمير إذا شرب المسكرات وأحب أهل الهوى وطلب الزنا أذهب الله ملكه وحاله، وأحذر أن يقع عليك في زمانك كما صح على ابن الملك. فقال له: وما قصته؟ فقال: له قصة طويلة ولكن نأتي لك طرفاً منها في آخرها فهذا ابن الملك عشق امرأة تسمى حليمة وأرسل إليها عجوزاً حيزبوناً لتأتي بها[2] إليه، فلما وصلت عندها وسلمت عليها قالت لها : أرسلني إليك ابن الملك بحديث مستور عن الناس وأريد أن أحدثك بكلامه، وخفت منه إن لم أبلغك أن يعذبني ويقلع عيوني ويسجنني ويقول أنه فيه ود إليك، ويريد قربك ولقاءك، وإنه ليعطيك من الأطعمة ما تشتهي نفسك، ومن اللباس والحلي ما تقرّ به عينك، والوعد بينكما في الجبل المرتفع بعد هجعة الناس حتى يكون أمركما مستورا، وأريد الجواب مما يؤلف بين الأحباب ويشفي من القلب الالتهاب .

فقامت حليمة قياماً من الغيظ والتفكير في الأمور الأخروية والدنيوية[3] ، وما الصلاح لها ولأهلها من النار والعار، ومن[4] المكائد والهلاك من عداوة الملوك فألهمها الله في قلبها باللقاء إليه وقالت

---

(١) في الأصل : أطاح به .
(٢) في الأصل : لتأتيها .
(٣) في الأصل : الأخراوية والدنياتية .
(٤) في الأصل : وعن .

حليمة للقهرمانة: اعلمي أماه بأني امرأة سحّاية[1] وما سبق مني مقاربة الرجل، وأخاف من هزة أعضائي أن لا أقدر منع ريح جوفي وأكون في حجره وإني في خجل ولا تحضر إلي شهوة لقلبي، ولكن على شرط وعهد يكون بيننا أن لا يسألني في نفسي عند اللقاء في الليلة الأولى .

فأعجبها الدردبيس[2] كلام المرأة، وأسرعت عند ابن الملك وأخبرته عن كلام حليمة فدخل في قلبه السرور فأعطاها من العهد والميثاق عن الفجور فلاقت بينهما العجوز في تلك الليلة، فلما رآها سلّم عليها وابتدأها بالكلام، فقال لها: كيف يدخل في قلبك الخجل وأنا أريد لقاك، واشتهي نظرك فأطلقي لسانك ومدي نظرك بالرغبة، ويدك باللمسة وأنا مرادي أن أقبض بأناملي نهديك، وأقبّل وجنتيك، وأمص شفتيك حتى أتجرع بأطراف لسانك وألمس عجزيك وأذوق العسيلة منك، وألفك في صدري حتى تقوى أعضائي وإحليلي، فما أحسن وجنتيك! وأدعج عينيك وأصغر أذنيك وأحمر شفتيك.

فقالت له: اعلم سيدي بأن نطقك ونظرك وحسبك وكرمك قد فاق[3] الناس وانتهى إلى الغاية وأنا جئت إليك[4] وفي طاعتك ومودتي في قربك ولا زلت أدافع شهوتي من ذكرك وحسن صورتك وكل من جرى ماء شبيبته على وجهه، فنفسي تحب لقاءه وجماعه وخاصة أنت سيدي ومولاي بعد المولى العظيم الغفور الرحيم ولكني في خوف من أهلي وبنات عمي تعيرني وعند الناس تذهب محاسني والصالحات من أسمائي

---

(١) أي : خجول .
(٢) أي : العجوز .
(٣) في الأصل : زيادة على .
(٤) في الأصل : معك .

حتى أتبدل في قلوبهم من الخلاص إلى النحاس، ومن النور إلى الظلمة، ومن العلو إلى النزول.

ويقول الناس بالأسماء الخبيثة واللعينة والقبيحة والخالية والزانية والخاطئة والفاسقة والحاملة والفادعة وأختارت لنفسها شهوة ساعة وباعت طيبة الدنيا والآخرة، واسمها انتقل عن الشجرة الطيبة إلى الشجرة الخبيثة فيقولون ضاع الشرف والحسب فبنس باسمها حليمة فخفت هذه الأمور فإن كان لك حيلة عن مثل هذا فبيننا المراجعة وقامت عن مجلسهما قاصدة إلى بيتها فجلس ابن الملك يفكر ساعة .

ثم أرسل إليها العجوز بالليلة الأخرى بالمراجعة في مكانهما فقالت لها: على عهد بيني وبينه أن لا يكلفني في هذه لأني حائضة وخوفي من الاثابة. فأعطاها العهد فوصلت عنده فقال لها: نحن الملوك لنا سطوات ونقمات وتخاف منا الناس حتى يبدلوا سيئاتنا حسنات، وكلما عملنا الشر أظهروا لنا الخير، فلا يدخل في قلبك الهلع ولا الفزع، وبوحي[1] إلي بجسمك في شبابك حتى نتمتع باللذة والشهوة لأنها خلفك، وأخلاقك حسنة، ولا يبلغ اللذات إلا الجسور في الأمور، ولا يملك النفوس إلا الملوك، وأنا الفارس المشهور، لا تسمعي القيل والقال في محافل النساء والرجال.

ثم قالت له : أما الذي ذكرته من محاسني ففيه العيوب الكثيرة ظاهرها طيب وباطنها ضعيف، ولو أني أخبرتك بذلك لنفرت عني وحفرت التراب على وجهي فأولها شعر الرأس الطويل الأسود فيه القمل والصيبان ثم يتبدل من السواد إلى البياض، وأما الأذنان فتخرج بخورات

---

(١) في الأصل : وبيحي .

الرأس لهما لزجة .

وأما العينان ووسعهما وبياضهما وسوادهما فإنه يخرج منهما دمعاً محرقاً ويدبدب عليهما هذا في صحتهما، وإن أذهب الله نورهما فلا فائدة فيهما، وأما الأنف وضيقه وطوله فإنها تخرج منه رائحة الطعام خبيثة ومخاطاً كريهاً، وأما حمر الشفتين فيخرج جميع ما في الفم عليهما، وأما حمرة اللثة وبياض الأضراس فقد سكن فيها الدود والسوس يفنيها ومخرج البصاق والنخاع والنجيع والبخورات الضعيفة تخطف[1] عليهما، وأما تدوير النهدين وحمرتها كمثل الرمانتين، فإنه يخرج اللبن منهما ويأذيني من هنونته[2] في ثيابي، وأما الأنامل والكفان فإني أصنع بهن الحلو والمر وأنال بها النجاسات والقاذورات، وأما خموصة البطن فباطنه يهرك الطعام الحلال وتبرز له حراماً نجسا وتكفي خروج الريح الخبيثة منه في كل ساعة فإن تعسر خروجها أخربت البطن وتتابعت العلل، وأما القبل الذي فيه اللذة فهو مسلك للبول ودم الحيض المنتن ودم النفاس، وأما كبر الأعجاز فإنه يخرج من بينهما الغائط وغش البطن، وأما الأقدام فلا زلت أكثر الأوقات أمشي بها في النجاسات والقاذورات والتراب، وأما البياض والسمان فهو من عند الله ويخرج منه العرق والصنان، ولو أني لا أكرره بغسل الماء في الليالي والأيام وجعلت له الدهن والكحل والروائح والبخورات الطيبة وإلا صار جسمي أنتن من جيفة؛ لأن أصلي من نطفة مذرة وفي يومي حاملة العذرة، ويكفي تغيير الجسم بالحميات والأسقام.

ومما تعجبت أنت من محاسني فإن أخرج الله روحي من جسدي فأنت وجميع المحبين تدفنوا الجسم والصورة في باطن الأرض في الظلمة

---

(١) أي : تمر .

(٢) أي : رائحته .

والوحشة ، وتأكلها الرمة والدود ، أيدخلك الشك في هذا ، وأنت تراه صباحاً مساءً ، والله (عَجَلَّ) يقول : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (١) ، و ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢) ، وقال ربنا : ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (٤) ، ﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٥)، ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٦)،و ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾(٧)، ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ (٨)، ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ (٩) ، ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ (١٠) ، ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾(١١)،﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾(١٢) ، ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (١٣) ، ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ (١٤) ، و ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا

---

(١) سورة آل عمران : ١٨٥ .
(٢) سورة القصص : ٨٨ .
(٣) سورة البقرة : ٢٨١ .
(٤) سورة البقرة : ٤٨ .
(٥) سورة البقرة : ٢٠٣ .
(٦) سورة الجمعة : ٨ .
(٧) سورة النساء : ٧٨ .
(٨) سورة لقمان : ٣٤ .
(٩) سورة الزمر : ٤٢ .
(١٠) سورة ق : ١٩ .
(١١) سورة الزخرف : ٦٦ .
(١٢) سورة ق : ٤٢ .
(١٣) سورة السجدة : ١١ .
(١٤) سورة ق : ٢٠ .

هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (١) ، ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾(٢)،﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ {٤٣} خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ (٣) ، ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ (٤) ، ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ {٦} خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ (٥)، ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ {٦٩} وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٦) ، ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (٧) ، ﴿ وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً ﴾ (٨) ، ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾ (٩) ، ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾ (١٠) ، ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ {١} يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (١١) ، ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا {١} وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ (١٢) ، ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ {١١} وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ {١٢} وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْويهِ {١٣} وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾ (١٣) ، ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ {٨٨} إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (١٤) ، ﴿ يَوْمَ التَّلَاقِ {١٥} يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا

---

(١) سورة الزمر : ٦٨ .
(٢) سورة يس : ٥١ .
(٣) سورة المعارج : ٤٣ ـ ٤٤ .
(٤) سورة ق : ٤ .
(٥) سورة القمر : ٦ ـ ٧ .
(٦) سورة الزمر : ٦٩ ـ ٧٠ .
(٧) سورة إبراهيم : ٤٨ .
(٨) سورة إبراهيم : ٢١ .
(٩) سورة القمر : ٤٦ .
(١٠) سورة غافر : ٥٩ .
(١١) سورة الحج : ١ ـ ٢ .
(١٢) سورة الزلزلة : ١ ـ ٢ .
(١٣) سورة المعارج : ١١ ـ ١٤ .
(١٤) سورة الشعراء : ٨٨ ـ ٨٩ .

يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ {١٦} الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾(١) ، ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً ﴾ (٢) ، ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً {٢٥} الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً {٢٦} وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾ (٣) ، ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً ﴾ (٤) ، ﴿ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً {١٧} السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً ﴾ (٥) ، ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ {٩٨} وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ (٦) ، ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٧) ، ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٨) ، ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩) ، يوم يشهد ﴿ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٠) ، ﴿ وَيَومَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ {٢٧} وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١١) ، ﴿ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (١٢) ، ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً {٢١} وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً {٢٢} وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى {٢٣} يَقُولُ يَا لَيْتَنِي

---

(١) سورة غافر : ١٥ ـ ١٧ .
(٢) سورة المزمل : ١٤ .
(٣) سورة الفرقان : ٢٥ ـ ٢٧ .
(٤) سورة الفرقان : ٢٢ .
(٥) سورة المزمل : ١٧ ـ ١٨ .
(٦) سورة هود : ٩٨ ـ ٩٩ .
(٧) سورة الأنبياء : ٤٧ .
(٨) سورة المجادلة : ٦ .
(٩) سورة النور : ٢٤ .
(١٠) سورة فصلت : ٢٠ .
(١١) سورة الجاثية : ٢٧ ـ ٢٨ .
(١٢) سورة الحج : ٤٧ .

قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي{٢٤} فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ{٢٥} وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾(١)، ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ {١} لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ {٢} خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ {٣} إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً {٤} وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً {٥} فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّاً ﴾ (٢)، ﴿ الْحَاقَّةُ {١} مَا الْحَاقَّةُ {٢} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ (٣)، ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ {٦} تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ {٧} قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ {٨} أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾ (٤)، ﴿ الْقَارِعَةُ {١} مَا الْقَارِعَةُ {٢} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ {٣} يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ {٤} وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ (٥)، ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ ﴾ (٦) .

﴿ فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى {٣٤} يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى {٣٥} وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى {٣٦} فَأَمَّا مَن طَغَى {٣٧} وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {٣٨} فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (٧)، ﴿ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ (٨)، ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (٩)، ﴿ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (١٠)، ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ {٦٠} وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١١) .

﴿ فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ{٣٣} يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ{٣٤} وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ{٣٥}

---

(١) سورة الفجر : ٢١ ـ ٢٦ .
(٢) سورة الواقعة : ١ ـ ٦ .
(٣) سورة الحاقة : ١ ـ ٣ .
(٤) سورة النازعات : ٦ ـ ٩ .
(٥) سورة القارعة : ١ ـ ٥ .
(٦) سورة المعارج : ٨ .
(٧) سورة النازعات : ٣٤ ـ ٣٩ .
(٨) سورة القيامة : ١٣ .
(٩) سورة فصلت : ١٩ .
(١٠) سورة الشورى : ٧ .
(١١) سورة الزمر : ٦٠ ـ ٦١ .

وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ {٣٦} لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ {٣٧} وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ {٣٨} ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ {٣٩} وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ {٤٠} تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ {٤١} أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ (١) ، ﴿ وَاخْشَوْا يَوْماً لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (٢) ، ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ {١٥} لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ (٣) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٤) ، ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ (٥) ، ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ (٦) ، ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ {٧١} فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾(٧)، ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً (٨)، ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ {٣٠} ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ {٣١} ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ ﴾ (٩) ، ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ {٧١} قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى

---

(١) سورة عبس : ٣٣ ـ ٤٢ .
(٢) سورة لقمان : ٣٣ .
(٣) سورة الزمر : ١٥ ـ ١٦ .
(٤) سورة التحريم : ٦ .
(٥) سورة القمر : ٤٨ .
(٦) سورة التوبة : ٣٥ .
(٧) سورة غافر : ٧١ ـ ٧٢ .
(٨) سورة الإنسان : ٤ .
(٩) سورة الحاقة : ٣٠ ـ ٣٢ .

الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (١) ، ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ {٧} تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ {٨} قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ {٩} وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٢) ، ﴿ انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ {٣٠} لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ {٣١} إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ {٣٢} كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ {٣٣} وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ {٣٤} هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ {٣٥} وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ {٣٦} وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ {٣٧} هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ {٣٨} فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾ (٣) ، ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (٤) .

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ (٥) ، ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ (٦) ، ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ (٧) ، ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ (٨) ، ﴿ مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ {١٦} يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (٩) ، ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ {٦} لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ (١٠) ، ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ {٤٣} طَعَامُ الْأَثِيمِ {٤٤} كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي

---

(١) سورة الزمر : ٧١ ـ ٧٢ .
(٢) سورة الملك : ٧ ـ ١٠ .
(٣) سورة المرسلات : ٣٠ ـ ٣٩ .
(٤) سورة هود : ١١٩ .
(٥) سورة ق : ٣٠ .
(٦) سورة النساء : ٥٦ .
(٧) سورة فاطر : ٣٦ .
(٨) سورة هود : ١٠٦ .
(٩) سورة إبراهيم : ١٦ ـ ١٧ .
(١٠) سورة الغاشية : ٦ ـ ٧ .

البُطونِ {٤٥} كَغَلْيِ الحَمِيمِ {٤٦} خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الجَحِيمِ {٤٧} ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الحَمِيمِ ﴾ (١) ، ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الحَمِيمُ {١٩} يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالجُلُودُ {٢٠} وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ {٢١} كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ ﴾ (٢) ، ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ (٣)، ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً ﴾ (٤) ، ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ العَذَابِ ﴾ (٥) ، ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ (٦) ، ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا المَوْتَ إِلَّا المَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الجَحِيمِ ﴾ (٧) ، ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ {٨} فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ {٩} وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ {١٠} نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ (٨) ، ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى {١٥} نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى {١٦} تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴾ (٩) ، ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الجَحِيمِ ﴾ (١٠) ، ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ (١١) ، ﴿ فَسُحْقاً لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (١٢)، ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ﴾ (١٣) ، ﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ {٢} يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ {٣} كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الحُطَمَةِ {٤} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحُطَمَةُ {٥} نَارُ اللَّهِ المُوقَدَةُ {٦} الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ {٧} إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ {٨} فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ (١٤)، ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي

---

(١) سورة الدخان : ٤٣ ـ ٤٨ .
(٢) سورة الحج : ١٩ ـ ٢٢ .
(٣) سورة المؤمنون : ١٠٤ .
(٤) سورة الكهف : ٢٩ .
(٥) سورة غافر : ٤٩ .
(٦) سورة الزخرف : ٧٧ .
(٧) سورة الدخان : ٥٦ .
(٨) سورة القارعة : ٨ ـ ١١ .
(٩) سورة المعارج : ١٥ ـ ١٧ .
(١٠) سورة المائدة : ١٠ ، ٨٦ ؛ سورة الحديد : ١٩ .
(١١) سورة الملك : ٥ .
(١٢) سورة الملك : ١١ .
(١٣) سورة الكهف : ١٠٢ .
(١٤) سورة الهمزة : ٢ ـ ٩ .

لهَبٍ وَتَبَّ {١} مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ {٢} سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ (١)، ﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ {٢٢} ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ {٢٣} فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ {٢٤} إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ {٢٥} سَأُصْلِيهِ سَقَرَ {٢٦} وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ {٢٧} لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ {٢٨} لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ {٢٩} عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ (٢) ، ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ (٣) ، ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٤)، ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {١٢} يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ (٥) ، ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ {٧٣} وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ {٧٤} وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦)، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً {٣٠} أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ (٧) ، ﴿ مُّتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ

---

(١) سورة المسد : ١ ـ ٣ .
(٢) سورة المدثر : ٢٢ ـ ٣٠ .
(٣) سورة النساء : ١٤٥ .
(٤) سورة الأعراف : ٥٠ .
(٥) سورة الحديد : ١٢ ـ ١٣ .
(٦) سورة الزمر : ٧٣ ـ ٧٥ .
(٧) سورة الكهف : ٣٠ ـ ٣١ .

إستَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ (١)، ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ (٢)،﴿ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ {٤٤} يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ {٤٥} بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ {٤٦} لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ {٤٧} وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ {٤٨} كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (٣)،﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ (٤)،﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ (٥)،﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ (٦)، ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ (٧) ، ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ (٨)، ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ (٩)، ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ (١٠)، ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ {١٧} بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ {١٨} لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ {١٩} وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ {٢٠} وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ {٢١} وَحُورٌ عِينٌ {٢٢} كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ {٢٣} جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {٢٤} لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً {٢٥} إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً {٢٦} وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ {٢٧} فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ {٢٨} وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ {٢٩} وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ {٣٠} وَمَاء مَّسْكُوبٍ {٣١} وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ {٣٢} لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ {٣٣} وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ {٣٤} إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً {٣٥} فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً {٣٦} عُرُباً أَتْرَاباً {٣٧} لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (١١) ، ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ {٢٢} عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ {٢٣} تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ {٢٤} يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ {٢٥} خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ {٢٦} وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ {٢٧}

---

(١) سورة الرحمن : ٥٤ .
(٢) سورة الرحمن : ٧٦ .
(٣) سورة الصافات : ٤٤ ـ ٤٩ .
(٤) سورة الرحمن : ٥٨ .
(٥) سورة الرحمن : ٧٤ .
(٦) سورة الرحمن : ٦٢ .
(٧) سورة الرحمن : ٦٦ .
(٨) سورة الرحمن : ٦٨ .
(٩) سورة الرحمن : ٧٠ .
(١٠) سورة الرحمن : ٧٢ .
(١١) سورة الواقعة : ١٧ ـ ٣٨ .

عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (١) ، ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً {٥} عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ﴾ (٢) ، ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً {١٣} وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً {١٤} وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا {١٥} قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً {١٦} وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً {١٧} عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً {١٨} وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً {١٩} وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيرا {٢٠} عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ﴾ (٣) ، ﴿ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (٤) ، ﴿ أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ (٥) ، ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {٧١} وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {٧٢} لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (٦) ، ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {١٩} مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ (٧) ، ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ {٢٢} يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ {٢٣} وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ (٨) ،

---

(١) سورة المطففين : ٢٢ ـ ٢٨ .
(٢) سورة الإنسان : ٥ ـ ٦ .
(٣) سورة الإنسان : ١٣ ـ ٢١ .
(٤) سورة الزمر : ٢٠ .
(٥) سورة محمد : ١٥ .
(٦) سورة الزخرف : ٧١ ـ ٧٣ .
(٧) سورة الطور : ١٩ ـ ٢٠ .
(٨) سورة الطور : ٢٢ ـ ٢٤ .

﴿ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى ﴾ (١) ، ولهم جنات النعيم، وجَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ ، وجنة الخلد التي أعدت للمتقين، والذين يذكرون لهم دار السلام، ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢) ، ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ {٢٣} سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٣) ، ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ {٣٤} الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ (٤) .

اعلم يا ابن الملك لا تغتر بزينة الحياة الدنيا فإن قلت إن فيها المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمركوب، فأقول إن خير المأكول العسل، وهو من ذرق ذبابة وخير المشروب اللبن وهو يخرج من بين فرث ودم، وخير الملبوس الإبريسم ويعمله دودة، وخير المركوب الخيل وفيها تقتل سادات الملوك والمنكوح مبال في مبال، فلما قرأت حليمة عليه الذكر سكت فقالت له: يا سيدي مرادي الرواح، فأذن لها، ثم قال ابن الملك للقهرمانة: أئتني بها بكرة في الحصن فإن لم تطاوعني في نفسها قتلتها، فلما أصبح الصباح دخلت العجوز على حليمة وقالت لها: سيدي يريدك أن تصلي معه إلى الحصن في هذه الساعة وإن لم تسمحي له ليقتلك فما جوابك ؟ فقالت : أما في الحصن فلا أقصد إليه للحرام ولكنه إن أرادني في نفسي فالوعد بيني وبينه في الفلاة بالوادي النازل الأكبر الذي ..... (٥) عن

(١) سورة السجدة : ١٩ .
(٢) سورة التوبة : ٧٢ .
(٣) سورة الرعد : ٢٣ ـ ٢٤ .
(٤) سورة فاطر : ٣٤ ـ ٣٥ .
(٥) كلمة غير واضحة في الأصل .

أعين الناس حتى نكون في الخلوة، وأقرب إلى بلوغ الشهوة، ويصل بنفسه لا تكوني في صحبته لأني أستحي منك. فرجعت العجوز مسرعة بالجواب مستبشرة بلذيذ الخطاب فأخبرت ابن الملك فسرج على حصانه وأخذ سلاحه ولامة حربه وركب من مقامه فرآها في الموضع المذكور متزينة له بالحلي والحلل فهبط عن حصانه وفرش لها فراشه وأقبل إليها فقالت:

فلا تنسَ ذكرَ القبرِ فإنك زائـرُهْ عشيـةَ يـومٍ أو غـدَاةَ تـباكـرهْ

ثم قالت له: معشوقي ورأفة في روحي مهلاً يا سيدي أريد منك حالةً واحدةً. فقال لها: اطلبي. قالت له : إن جامعتني وحملت منك حملاً فيقال في ولدي نغلاً مرقوطاً [1] وأنا أريد أفتخر به منك وأعطني الدشتة له حتى أقول له وللناس هذه دشتة[2] أبيك فالبس لباس آبائك على خراقك.

فأعطاها إياها وتركتها على يمينها وقبضها فمالت إليه كأنها عود بان، أو قضيب خيزران فقالت له: أحيي جسمي قبل موتنا فضمها على صدره فقبضته بيدها اليسرى على ظهره وأخذت الدشتة بيدها اليمنى وضربته على كبده وشقت غوضه[3] اليمين فخر على وجهه ميتا، ثم أقبلت إلى الحصان فعقرته وقتلته فقصدت إلى بيتها فتراكم السحاب ولمعت البروق وسجت الرعود على رؤوس الجبال فنزل المطر وسالت الأودية فحمل الوادي الحصان وابن الملك فما وجد عنهما خبر ولا قَصٌ لهما أثر. فهذا ما ضربناه من المثل في حليمة كمريم ابنة عمران وامرأة

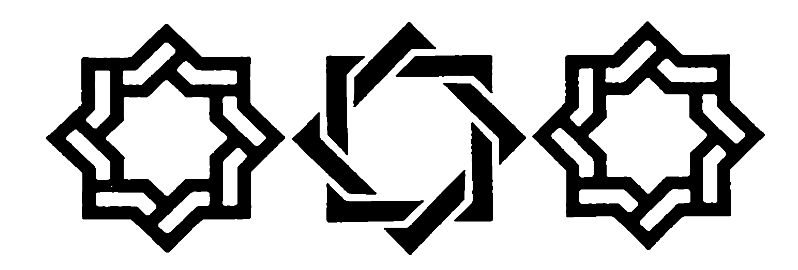
---

(١) أي : لقيطا .

(٢) أي : الخنجر .

(٣) أي : جنبه .

فرعون وآسية بنت مزاحم وفاطمة الزهراء وأمهات المؤمنين وإن كانت في الفضل دون ذلك، ولكن عندنا في قلوبنا هي سيدة نساء المتأخرين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي المصطفى الأمين وعلى آله وأصحابه الأنصار والمهاجرين والتابعين إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين .



الذكر السابع والأربعون :

قصة الرجل المبتلى بالعيلة في البلد القبيبة[1] وعمد في التضرع إلى الله بالأدعية ففرج الله عنه بعد الشدة باليسر والنعم

قال ذو الغبراء : حدثني صاحبي عن رجل فقير ابتلي في شبابه، وأراحه الله في اكتهاله، ومن قصته أن لديه والدين فالوالد أخلع[2] والأم عمياء، وله زوجة صالحة ومعها والدان قاصران وقد نسلت له زوجته سبعة أولاد من الذكور، ومسكنه في بلدة قبيبة الأرزاق، والساعي لها قليل، بعيدة عن البلدان، فاحتار الفقير دليله، وضاقت به الأمور؛ لأنه لا بد للإنسان من عمل يستعين به لأمر دينه ودنياه .

ثم صحت سرقة في بلده فاتهم بها هذا الفقير وسجن ، فقرأ فاتحة الكتاب مائة شرف فرجعت السرقة من عند سارقها فأخرج الفقير من السجن فنفعه الله بتلاوة الحمد، ثم قام يدعو الله بهذه الأسماء العظيمة: يا الله يا رب يا رحمن يا رحيم يا مالك يا محيط يا قدير يا عليم يا حكيم يا تواب يا بصير يا واسع يا بديع يا سميع يا كافي يا رؤوف يا شاكر يا إله يا واحد يا غفور يا حليم يا قابض يا باسط يا حي يا قيوم يا علي يا عظيم يا ولي يا غني يا حميد يا وهاب يا نصير يا دائم يا سريع يا رقيب يا حسيب يا شهيد يا عفوّ يا مُقيت يا وكيل يا كفيل يا لطيف يا قدير يا خبير

---

(١) أي : الضيقة .

(٢) أي : أشل .

يا مُحْيِ يا مُمِيت يا نعم المولى ونعم النصير يا حفيظ يا قريب يا مجيب يا قوي يا مجيد يا ودود يا فعّال لما يريد يا كبير يا متعال يا منّان يا خلّاق يا صادق يا وارث يا باعث يا كريم يا مبين يا حق يا نور السموات والأرض، يا هادي يا فتّاح يا فاطر يا غافر يا قابل يا شديد العقاب يا ذا الطول يا رزاق يا ذا القوة يا متين يا بر يا مليك يا مقتدر يا باقي يا ذا الجلال والإكرام يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا قدُّوس يا سلام يا مؤمن يا مُهَيْمن يا عزيز يا جبار يا متكبر يا خالق يا بارئ يا مصوّر يا مُبدئ يا معيد يا أحد يا صمد ويقرأ هذه الأبيات شعرا:

إذا ضاقتْ بكَ الأحوالُ يوماً	فثقْ بالواحدِ الفَرْدِ العليِّ
فكمْ للهِ من لطف خفيٍّ	يدُقُّ خفاهُ عن فهْمِ الذكيِّ
وكمْ يسرٍ أتى من بعدِ عسرٍ	ففرجَ كربةَ القلبِ الشجيِّ
وكم أمراً تساءُ به صباحاً	فتأتيكَ المَسَرّةُ بالعشيِّ
توسلْ بالنبيِّ، وكلُّ عبدٍ	يغاثُ إذا توسَّل بالنبيِّ

ثم يقرأ بالأسحار هذه الأبيات :

يا مَنْ يرى ما في الضمير	أنتَ المعدُّ لكل ما يتوقعُ
يا من يرجّى للشدائد كلّها	يا منْ إليهِ المشتكى والمفزعُ
يا من خزائنُ رزقِهِ في قولِ كنْ	امنن فإنَّ الخيرَ عندَك أجمعُ
مالي سوى قرعي لبَابك حيلةً	ولئِن رُدِدْتُ فأيُّ بابٍ أقرعُ
من ذا الذي أدعو وأهتفُ باسمهِ	إن كان فضلُكَ عن فقيرك يمنعُ
مالي سوى فقري إليكَ وسيلةً	بالافتقار إليكَ فقريَ أدفعُ

حاشا لجودِكَ أن تخيِّبَ راجياً ... الفضلُ أجزلُ والمواهبُ أوسعُ
ثم الصلاةُ على النبيِّ وآلهِ ... ما دامَ عبدٌ في رجائِكَ يطمعُ

وتارة يقرأ هذه الأبيات :

هنيئاً لمن أمسى وأنت حبيبُه ... ولو أنَّ لوعاتِ الغرامِ تذيبُهْ
وما ضرَّ عبدٌ أن يبيتَ ومالُهُ ... نصيبٌ من الدنيا، وأنت نصيبُهْ
فطوبى لعبدٍ أنتَ ساكنُ سرِّهُ ... ولو بانَ عنهُ إلفُهُ وقريبُهْ
فإن تكن عنه راضياً في طيِّ عيبهِ ... فما ضرَّهُ في الناسِ من يستعيبُهْ
عُبَيْدُكَ في بابِ الرجا متضرعاً ... إذا لمْ تُجبْهُ أنتَ فمنْ ذا يجيبُهْ
فيا علةً في الناسِ أنتَ شفاؤها ... ويا مرضاً في القلبِ أنت طبيبُهُ

قال : فلقي رجلاً في طريقه الجائز وسأله عن البلد فقال : داري قبيبة ورزقي فيها قليل. فرحمه وأتى إليه بطعام فأعطاه إياه وحمله إلى عيلته فرجع إليه وقال له: ألا تنفعني بشيء من الأدعية؟.

فقال له : أما دعوت الله بسورة الواقعة التي علمها عبد الله بن مسعود بناته حين قال له عثمان بن عفان في مرضه: أعطيك لبناتك. قال له: قد علمتهن سورة الواقعة وكفى بها عمّا في يدك. فهذا هو الدعاء مع السورة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أنت المقصود إليه بكل حال وأنت المشار إليه بكل معنى يا الله يا الله يا الله، العظيم شأنك القديم إحسانك الظاهر برهانك، الواضح بيانك، ما أعظمُ شأنُك؟ وما أعدلُ إحسانُك؟ (قال الشيخ ناصر: ما أعظم وما أعدل لا يجوز بالفتح بمعنى التعجب ويجوز بالضم بمعنى النفي وذلك بمعنى ليس أي

ليس أعظم من شأنك وعلى هذا القياس) الرب الواحد بقدرتك، يخضع كل شيء لعظمتك ويذلّ كل شيء لعزتك، ويصغر كل شيء باتساع رحمتك، يا من كلم موسى تكليما وأراه الآيات برهاناً عظيما، اللهم يا الله يا الله يا الله إني أسألك باسمك وبسورة الواقعة.

(قال الشيخ ناصر : يقول أدعوك باسمك وأتوسل إليك بحرمة سورة الواقعة) : ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ {٢} خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ {٣} إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً {٤} وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً {٥} فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّاً {٦} وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً {٧} فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ {٨} وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ {٩} وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ {١٠} أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ {١١} فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ {١٢} ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ {١٣} وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ {١٤} عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ {١٥} مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ {١٦} يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ {١٧} بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ {١٨} لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ {١٩} وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ {٢٠} وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ {٢١} وَحُورٌ عِينٌ {٢٢} كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ {٢٣} جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {٢٤} لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً {٢٥} إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً ﴾ ، اللهم اجعلني يا الله يا الله يا الله من أصحاب اليمين ولا تجعلني من أصحاب الشمال : ﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ {٤٢} وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ {٤٣} لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ {٤٤} إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ {٤٥} وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ {٤٦} وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ {٤٧} أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ {٤٨} قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ {٤٩} لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ {٥٠} ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ {٥١} لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ {٥٢} فَمَالِؤُونَ مِنْهَا

البُطونَ {٥٣} فشَاربُونَ عَلَيْهِ مِنَ الحَمِيمِ {٥٤} فشَاربُونَ شُرْبَ الهِيمِ {٥٥} هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّين {٥٦} نَحْنُ خَلقْنَاكُمْ فَلوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ .

اللهم اجعلني يا الله يا الله يا الله من المصدقين بكلماتك ، وأفض علينا من خيراتك وبركاتك ، وعطائك وأرزاقك ، يا من هو رزق كل أحد عليه ، ومصير كل شيء إليه ، اللهم يا الله يا الله يا الله اغنني بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك حتى لا أرجو أحداً غيرك ، ﴿ أفَرَأيْتُم مَّا تُمْنُونَ {٥٨} أأنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أمْ نَحْنُ الخَالِقُونَ {٥٩} نَحْنُ قدَّرْنَا بَيْنَكُمُ المَوْتَ وَمَا نَحْنُ بمَسْبُوقِينَ {٦٠} عَلَى أن نُّبَدِّلَ أمْثالكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ {٦١} وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأةَ الأولى فَلوْلَا تَذكَّرُونَ ﴾ ، اللهم اجعلني يا الله يا الله يا الله من الذاكرين واجعلني من الذين يتبعون سنة نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) واغنني بفضلك عمن سواك استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه اللهم يا حميد يا حميد يا ودود يا شكور أسألك أن تغنيني بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك ، ﴿ أفَرَأيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ {٦٣} أأنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ {٦٤} لوْ نَشَاء لجَعَلْنَاهُ حُطاماً فَظلتُمْ تَفكَّهُونَ {٦٥} إنَّا لمُغْرَمُونَ {٦٦} بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ {٦٧} أفَرَأيْتُمُ المَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ {٦٨} أأنتُمْ أنزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ أمْ نَحْنُ المُنزِلُونَ {٦٩} لوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أجَاجاً فَلوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ .

اللهم اجعلني يا الله يا الله يا الله من الشاكرين لنعمتك ولا تجعلني من المحرومين من جنتك بحرمة كتابك الذي أنزلته على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) اللهم يا الله يا الله يا الله إني أدعوك باسمك المرتفع الذي تكرم به من شئت من أوليائك وتهبه لأصفيائك أسألك أن تأتيني برزقي ما

تقطع به علائق الشيطان إنك أنت المنان القديم الإحسان ونجنا من النار، ﴿ فَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ {٧١} أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ {٧٢} نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِّلْمُقْوِينَ {٧٣} فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ ، أسألك اللهم ، بحرمة اسمك الأعظم ، أن تأتيني برزقي ، بحرمة من : ﴿ عِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) ، ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾ (٢) .

اللهم بحرمة ف ج ش ث ظ خ ز اللهم يا فرد يا جبار يا شكور يا ثابت يا ظهير يا خبير يا زكي يا الله أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس اللهم يا الله يا الله يا الله نور بنور من عندك تبهجني به بين عبادك ، يا إلهنا وإله كل شيء لا إله إلا الله الموجود أقسم على رزقي تقضني به عن عبادك : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ {٧٥} وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ {٧٦} إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ {٧٧} فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ {٧٨} لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ {٧٩} تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {٨٠} أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ {٨١} وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ {٨٢} فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ {٨٣} وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ {٨٤} وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ {٨٥} فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ {٨٦} تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، اللهم اجعلني يا الله يا الله يا الله من المصدقين بك وبملائكتك وأنبيائك ورسلك اللهم يا الله يا الله يا الله بحرمة هذا الدعاء عندك أن تسخر لي أمر هذا الرزق وأن تعصمني من الحرص والتعب في طلبه وكثرة التدبير والشح

---

(١) سورة الأنعام : ٥٩ .

(٢) سورة الطلاق : ٣ .

والبخل بعد حصوله اللهم اجعلني سبباً لعبوديتك ومشاهداً لربوبيتك ، اللهم نور بذلك أمري ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل منها واهدني إلى صراط مستقيم ﴿ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأمُورُ ﴾ (١).

اللهم يا رازق المقلين، ويا أكرم الأكرمين، ويا أجود الأجودين، ويا أرحم الراحمين، ويا رب العالمين ، اللهم ارزقني رزقاً طالباً غير مطلوب وغالباً غير مغلوب ، اللهم يا ربِّ بحرمة هذا الدعاء عندك إن كان رزقي في السماء فأنزله، وإن كان في الأرض فأخرجه، وإن كان بعيداً فقربه، وإن كان قريباً فأتني به، وإن كان قليلاً فكثِّره، وإن كان كثيراً فبارك لي فيه، إنك رؤوف عطوف برزقك لطيف بخلقك، ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {٢٦} تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢).

بسم الله الرحمن الرحيم الكافي ، بسم الله الرحمن الرحيم الغني ، بسم الله الفتاح، بسم الله الرزاق لا إله إلا أنت الكريم الوهاب ذي الطول لا إله إلا أنت المتفضل تفضل علينا يا الله بما تفضلت على أوليائك المقربين، ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ {٨٨} فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ {٨٩} وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ {٩٠} فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ {٩١} وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ {٩٢} فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ {٩٣} وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ {٩٤} إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ {٩٥} فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ ، اللهم يا الله يا الله يا

(١) سورة الشورى : ٥٣ .
(٢) سورة آل عمران : ٢٦ - ٢٧ .

الله إني أدعوك باسمك العظيم يا كافي يا غني يا فتاح يا رب اجلب لي الرزق حيث كان ويسر لي الرزق من كل مكان بقدرتك وسلطانك إنك على كل شيء قدير، اللهم يا من ستر القبيح وأظهر الجميل ولم يؤاخذ بالجرائم ولم يهتك الستر يا عظيم العفو يا كريم الصفح يا حسن التجاوز يا واسع المغفرة يا باسط اليدين بالرحمة، يا مقيل العثرات يا سيدي ومولاي يا غياثي ورغبتي أسألك لا تبتليني ببلية في الدنيا ولا في الآخرة ولا تشوه خلقتي بالنار يا أرحم الراحمين يا سامع كل شكوى يا عظيم المنة أسألك اللهم بحرمة اسمك العظيم الأعظم المخزون المكنون الذي إذا سألت به أعطيت إن كان يا مولاي سبق في أم الكتاب فإني محروم مقتر على رزقي فامحُ يا مولاي من أم الكتاب شقائي وحرماني، واكتبني عندك من السعداء الأبرار وارزقني رزقاً حلالاً واسعاً من خزائن رحمتك لأنك قلت وقولك الحق: يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ، فإنك قلت: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ وأنا دعوتك فإنك لا تخلف الميعاد، إلهي هذا مقام العبد الذليل على باب الملك الجليل اللهم لا تردني من هذا الدعاء خائبا وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما عدد ما ذكروه الذاكرون وغفل عنه الغافلون صلاة لا تنقطع أبداً ، والحمد لله رب العالمين .

دعاء لفك الأسير من أسره :

قال: فلما علمه لهذا الدعاء قال له: التمس الرزق من أهله من البلدان الواسعة فإنك تجد من سكانها الأغنياء والرحماء، قال: فوادع أهله وقصد في الطريق فلقي ناساً وسألوه عن اسمه ونسبه وقبيلته فأخبرهم فقبضوه للقتل وقالوا له : إن لنا دم معكم .

فقرأ الدعاء الذي يفلت الأسير من أسره وهو هذا الدعاء : يا لا تراه العيون، ولا تخالطه الأوهام والظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث ، ولا تفوته العواقب، عالم بمثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار لا تواري منه سماء سماء ولا أرض أرضا ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره استكانت لعظمته جوامع الأمم وتذللت لهيبته السموات والأرضون، أسألك أن تجعل خير أعمالي خواتمها وخير أيامي يوم ألقاك وخير ساعتي ساعة الفراق من دار الفناء إلى دار البقاء التي تكرم فيها من أحببت من أوليائك وتهين فيها من أبغضت من أعدائك ثم أسألك اللهم في عاجل الدنيا عافية جامعة وفي الآخرة مناً منك طويلا يا ذا الجلال والإكرام اللهم من أرادني فأرده ومن كادني فكده ومن بغي علي تلفي فأهلكه ، اللهم فك عني من رجل من نصب لي حده، وأطف عني نار من شب لي وقده ، واكفني هم من دخل علي همه، وادخلني في درعك الحصين من شر خلقك أجمعين ، واكفني مكر الماكرين، واحمني في سترك الواقي يا من يكف كل شيء، اكفني أمر الدنيا وصدق ظني بك وفرج عني المضيق ولا تحملني ما لا أطيق أنت إله الحق والحقيق يا مشرق البرهان يا قوي الأركان يا من هو بكل مكان وصل اللهم على محمد وآله واحرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يرام، وارحمني يا أرحم الراحمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أدعية للجلب وللمريض :

قال: فلما تم من قراءة الدعاء فلتوه من كفاته وسلمه الله منهم وقصد في طريقه، فعرض على امرأة من البادية فسألته عن غنم لها

ذهبت فلجت عليه أن يجلبها إليها فقرأ سورة الضحى، ثم قال لا إله إلا الله بها قامت السموات لا إله إلا الله بها يكشف البليات، لا إله إلا الله بها يرد ما فات لا إله إلا الله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين، اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اللهم اجمع بين البادية وغنمها، فإنك تعلم ما لا أعلم بحرمة النبي المنتخب محمد سيد العجم والعرب إنك على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فكرر القراءة سبعة أشراف – وهذا يحتاج إلى خيط كلما قرأ شرفاً فاعقد عقدة حتى يتم سبع عقد ويجعله في مكان مظلم أو يجعل عليه حجر - فأقبلت إليهما الغنم وأخذته المرأة لتغديه بالعيش مع الفرقان وأخبرت قومها بقصتها فأقبل إليه أصحابها وسألوه عندهم مريضاً فكتب لهم حرزاً وهو هذا : اللهم أنت في السماء إله وفي الأرض إله، لا إله فيهما غيرك وأنت جبار من في السموات، وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك وحكم على من في السموات وحكم على من في الأرض لا حكم فيهما لغيرك وأنت مالك من في السموات ومالك من في الأرض لا مالك فيهما غيرك قدرتك في الأرض كقدرتك في السماء سلطانك في الأرض كسلطانك في السماء أسألك يا الله يا رحمن يا رحيم إنك على كل شيء قدير أن تبرئ وتعافي حامل هذا الكتاب. فأعطاهم إياه وحمله المريض وكتبه محواً فشربه وأبرأه الله .

ثم سأله رجل آخر أن سيفاً كان عنده وسرق عليه ويريد له حورة فقال: اللهم إن الأرض أرضك والسماء سماؤك والبر برك والبحر بحرك وما فيهما والأرض لك، اللهم اجعل الأرض وما حوت على سارق سيف فلان بن فلانة أضيق عليه من سم الخياط وأخذت سمعه وبصره وعقله

وجميع جوارحه : ﴿ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ﴾ ، فكرر يتلو هذا الكلام حتى حس السارق بألم الموت في جميع أحشائه وأعضائه وأوصى بجميع ما عليه من الحقوق ثم أقر بالسيف وطرّش[1] به إلى صاحبه في تلك الساعة حتى رجع السيف إلى صاحبه.

ثم قال رجل آخر : قد ذهبت ناقتي مذ سنة، فقال الفقير: يا حفيظ مائة مرة وتسع عشرة مرة. وقال: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [2] ، فتلا هذه الآية مائة وتسع عشرة مرة. قال : فرجعت الناقة إلى صاحبها ونفعه البداة فأقبل إليه الرزق لما بعد عن داره فطرش بالمنفوع لأهله ثم مشى عنهم في طريقه.

وأراد أن يختفي عن أعين الناس فقرأ الطهاطيل وهذه كما ترى: فهطيطيل نههططيل جهلططيل لخهططيل لمقفنجل فجش ثطخر فقج مخمت اللهم احجبني من كل شر وضر ومن شر كل ذي شر، يا لطيف يا لطيف (١٤) مرة إنك على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وعلى صحبه وسلم. قال: فاختفي عن العيون حتى أوصله الله البلد الواسعة وهي دار السلطان المعظم، وهي بندر العرب فآوى ودخل المسجد الجامع وقت صلاة العتمة وجلس فيه حتى صلت الناس القائمين فيه وخرجوا وعمد الإمام ليطفئ السراج ويشد الأبواب ليقفلها ، فرأى الرجل وسأله عن حاله ، فأخبره بقصته فقصد إمام

(١) أي : أرسل.
(٢) سورة لقمان : ١٦ .

المسجد إلى البيت ودبر إليه خادمه بالطعام والشراب والكسوة والفراش والسلاح فلما وصل إليه الخادم، قرب له الموائد فأكل وشرب ما طاب له ولبس الكسوة وفرش ونام إلى صلاة الصبح فأقبلت الجماعة إلى الصلاة ونظروا الرجل في المسجد، فقاموا إليه بالمصافحة إجلالاً له فأخبرهم إمام المسجد بقصته وقال لهم : كيف معكم لهذا الرجل- أخذهم خفيه لا في وجهه - فقالوا له : الأمر إليك أنت ابتدأ ونحن نقتفي. فقال لهم الإمام: إن رجع أنا أندبته للسفر في المركب الفلاني فهو له من عند الله .

فقال غيره كذلك أو أزيد، فكل من حضر من أهل اليسر أعطى كل بقدره فصار له ألوفاً مؤلفة وهو لا يدري بذلك. فقام الإمام وقال للفقير: قم إلى البيت نقصد للغداء فأكلا ما طاب لهما، ثم سأله عن عدد أهله واسم بلده وكم بعدها وفي أي أرض فأخبره بذلك، فقصد إمام المسجد للسوق وسأل عن الجماميل فحمل عشرة من الجماميل من الطعام والكسوة والسمن والحل والبزار والفرش، وكتب خطاً لأولاد الرجل على لسان أبيهم بعد السلام واصل إليكم حمل عشرة جماميل بما يسره الله لكم الساعة وإن شاء الله لتصل إليكم غير هذا بعد حين وكونوا قريري الأعين والسلام عليكم من والدكم. فبعد أيام سمع السلطان بقدوم الرجل إلى البلد وبما وهبه التجار فدبر (السلطان) إلى إمام المسجد وصاحبه أن يكون في صحبته فقصدا إلى الملك وسأل (الرجل) مولاه في طريقه أن يسخر له قلب الملك، فلما وصلا إلى حصنه استأذناه للدخول فأذن لهما وحيّاه بتحية الملوك فرحب بهما وسأله (الملك) عن حاله فأخبره أن له عيلة، وبلدته قبيبة وجاء يلتمس الرزق من البلد الواسعة. فقال له الملك: طب نفساً وقر عيناً، مرادك السكون عندنا أم الرجوع إلى وطنك؟ فقال: مرادي السكون.

فقال: تريد أن تصل بنفسك إلى أهلك أم تقف عندنا وندبر لهم. قال: أحسن وصولي بنفسي لأنهم عورة وليس عليهم كسوة. فقال الملك للوزير: حمل إلى القصر الفلاني الفرش والأرز والتمر والحطب والسمن والبزورات وكل ما يحتاج لإقامة البيت من الماء والخدم، ثم وهب له من أحسن الخيل ولأولاده، وأمر العسكر والفرسان والجماميل بحمل الماء والطعام والعيال، وكتب له من السوق بما يريد من الكسوة له ولأولاده، ومن الرفاهية والرحظ يأخذ ما يريد، وزود السلطان الجميع وقصد بهم إلى بلده فلما وصلوا داره قصد إلى بيته فرأى أهله وأولاده على زي الأغنياء ولم يعلم هو بما أرسل إليهم فحمد الله تعالى وأخذ أولاده ليصافحوا الناس ثم رجعوا إلى دار السلطان واستقروا في القصر فوصلَ عيال السلطان عند أهل الرجل حتى يتعرفوا بهم ويواصلوا إلى حصنهم، فجعلت له الفرائض والموائد المعلومة ، وأعطاه التجار بما جعلوه له ، فتجر بالمال ونما وصار أعظم من التجار ، ثم أراد أن يسافر في صحبة التجار ، فاستأذن الملك ، فأباح له المسير ، فوادعه وودع أهله ، وجاء إلى السفينة وتحصل فيها ، وقال : ﴿ سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ (١) ، فلما جرت بهم قال : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) .

قال: وسكن البحر فقرأ سورة يس إلى تمامها ثمانين شرفاً فهبت لهم ريح طيبة حتى وصلوا البندر المقصود وقال : ﴿ رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً ﴾ (٣) ، ثم أقاموا في البندر وباعوا سلعهم بالفوائد العظيمة ولكن القابض فيها من

(١) سورة الزخرف : ١٣ ؛ في الأصل : (الحمد لله) ، بدل : (سبحان) .
(٢) سورة هـود : ٤١ .
(٣) سورة الإسراء : ٨٠ .

الجبابرة المتمردين الظالمين فأخذ عليهم كثير من العشور [١] ، فقصد المسافرون إلى الظالم ليخفف عنهم ، فلما وصلوا عنده لم يقدروا عليه بحيلة ، ثم اشهدوا عليه أصحابه أنه ظلمهم وما سامحهم ، فرجعوا إلى المنزل .

فقام الرجل يدعو عليه بهذا الدعاء : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله المحمود المعبود الصمد المقصود ، ذي الكرم والجود والعطاء والجود ، والفضل المورود ، أنت العزيز الباقي والحافظ الواقي ، لك العز والبقاء في الأرض والسماء ، وما بينهما وما تحت الثرى ، أنت الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء ، فلك الأسماء الحُسنى والأمثال العلى ، إليك يفزع المجهود ، ويرجع المطرود ، تجير من استجار بك ، وتحفظ من لجأ إليك ، وترشد من أطاعك ، وتعز من اعتز بك ، تؤمن الخائف وتنصر المظلوم وتعطي المحروم ، فلك الحمد كثيراً ؛ اللهم إني أصبحت وأمسيت على فنائك وقمت على بابك ، أنتظر منك الرحمة وإجابة الدعوة ، هربت إليك من شر عملي وكبائر ذنوبي ، فليس لي وسيلة إلاَّ أنت ، ولا ملجأ ولا منجى منك إلاَّ إليك ، سبحان وبحمدك ؛ اللهم صل على ملائكتك المُقربين، وعلى حملة عرشك أجمعين ، وعلى أنبيائك والمُرسلين ، وعلى أهل الاستقامة في الدين ، وسلم عليهم أجمعين ؛ اللهم إني أسألك أن تكفني مكر الماكرين ، وجور الجائرين ، وكيد الكائدين ، وحسد الحاسدين ، وعِناد المُعاندين ، وبغي الفاجرين ، وتملق المُنافقين ، وختل الراصدين ، ونفاق المُرائين ؛ اللهم حصني بحصنك الحصين ، وعزني بعزك الرصين، وصلني بحبلك المتين ، واحمني بسُلطانك القاهر ، وأفض عليّ من فضلك الغامر ، وادفع عني شر الأشرار ، وكيد الفساق والغدار ، والكهنة والسحار ، والمردة والضرار ، وأعذني اللهم من شر كِتاب سبق ، ومن

---

(٣) الجمرك ، أو الضريبة .

زوال النعمة وتحول العافية ، وسوء العاقبة وحلول النقمة ، ومن هوى مردي وقرين ملهي وجار مُؤذي ، ومن نصب واجتهاد يُوجبان العذاب ، هربت إليك ، وتوكلت في جميع أموري إليك ؛ اللهم إني توكلت عليك ، وأسلمت نفسي ووجهت وجهي إليك ، إيماناً وثقة بك وتوكلاً عليك ، فمن أرادني بسوء من قريب أو بعيد ، أو حُر أو عبد ، بيده أو بلسانه فادحره ؛ اللهم صدّه عنا ، واكفنا شره ، وعجّم لسانه ، واجتز بنانه ، وزلزل أركانه، وعطل مكانه ، وذل سُلطانه ، واقطع دابره ، واشغل خاطره ، وانكس هامته ، واقصم قامته ، وقلل عدده ، وبدد أنصاره ، وفرق شمله ، واقطع جرثومته ؛ اللهم لا تجعل له بيتاً يُؤويه ، ولا مالاً يُغنيه ، ولا باباً يُواريه ، ولا صاحباً يُواليه ، وشرده في البلاد ، وافعل به كما فعلت بثمود وعاد ، ﴿ وفرعون ذي الأوتاد {١٠} الذين طغوا في البلاد {١١} فأكثروا فيها الفساد ﴾ ؛ اللهم صب عليهم سوط عذاب ، وأعذني اللهم من شر ظالم غشوم ، وجبار حطوم ، تصدهم عني وتمنعي عنهم ، إنك مُحيط بالعبيد ، فعّال لما تريد يا ذا العرش المجيد ، ويا ذا البطش الشديد ؛ اللهم إني أصبحت وأمسيت في جوارك ممتنعاً ، وبأسمائك الحُسنى عائذاً يا رب العالمين ، قد قلت وقولك الحق ولك الملك : ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ ، وأنا أدعوك فإنك لا تخلف الميعاد ؛ إلهي هذا مقام العبد الذليل على باب الملك الجليل ؛ اللهم لا تردني من هذا الدعاء خائباً يا رب العالمين ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي ، وعلى آله وصحبه وسلم .

قال : فثبت يتلو هذا الدعاء سبع ليالي ، وفي الليلة الثامنة تراكم السحاب وهبت الرياح وسبح الرعد بحمده ، ولمعت البروق في الحصن ، فصار دكاً خالياً مما كان فيه ، فلما أصبح الصباح ورأى الناس ذلك خافوا على نفوسهم من الغضب والغرق ، ثم قصدوا أكابر البلد مع التجار ،

وسألوهم أن يسألوا مولاهم التخفيف عنهم ، فسأل مولاه ، فخفف الله عنهم ، وأعطوهم ما أخذه الجبار عليهم ، ثم أعطوهم عهداً مكتوباً أن لا يأخذوا عليهم عشر لتجارهم ، لهم ولذريتهم من بعدهم ، فأخذوا منهم العهد والميثاق والمكتوب .

قال ذو الغبراء : كثرت السرقة في بلدنا ، فسألت الله تعالى في الليل بهذا الدعاء ، فالسارق بلى أحد من جيرانه بصفرية يقول أخذت عليه .

فقال له الجار : ابليتني بها ، ولا بد من الناس أن يدخلوا بيتي وبيتك ، فأبى التاهم ولم يعذره الناس ، ودخلوا بيته فوجدوا الصفرية في بيته وليست مسروقة منه ، ووجدوا في بيته طماعة الناس المسروقة عليهم ، فصلبوه ومات بساعته .

رجع إلى قصته : فلما أرادوا الرجوع إلى بلدهم ، أخذوا العهد أن تكون الحشمة لكل من سافر من بندرهم ، وأوصوا بذلك على أولادهم وأولاد أولادهم ، ثم أعطوهم الهدية ، واشتروا ما أرادوا من السلع ، وحملوها إلى المراكب وركبوا ، فسارت تجري بهم في البحر حتى اضطرب البحر وهاجت الريح وخافوا على أنفسهم من التلف ، فقام يدعو بهذا الدعاء : بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم يا علي يا عظيم يا حليم يا عليم ، أنت ربي وعليك حسبي فنعم الرب ربي ، ونعم الحسب حسبي ، تنصرني وأنت العزيز الرحيم ؛ اللهم إني أسألك العصمة في الحركات والسكنات والإرادات والخطرات ، ومن الشكوك والظنون والأوهام الساترة للقلوب ، ومن مُطالعة الغيوب ، فقد : ﴿ ابتلي المُؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً [١١] وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا

الله ورسوله إلاّ غروراً ﴾ ، فثبتنا وانصرنا وسخر لنا هذا البحر كما سخرت البحر لموسى ، وسخرت النار لإبراهيم ، وسخرت الجبال والحديد لداؤود ، وسخرت الريح والشياطين لسُليمان ، فسخر لنا كل خير هو لك في الأرض والسماء والملك والملكوت وبحر الدنيا والآخرة ، وسخر لنا كل شيء ، يا من بيده ملكوت كل شيء ؛ كهيعص ، كهيعص ، كهيعص ، انصرنا ، فإنك خير الناصرين ، وافتح لنا فإنك خير الفاتحين ، واغفر لنا فإنك خير الغافرين ، وارحمنا فإنك خير الراحمين ، وارزقنا فإنك خير الرازقين ، واهدنا ونجنا من القوم الظالمين ، وهب لنا ريحاً طيبة كما هي في علمك ، وانشرها علينا من فضلك وخزائن رحمتك ، واحملنا بها حمل الكرامة مع السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة ، إنك على كل شيء قدير ، اللهم يسر لنا أمورنا ، وجميع الراحة لقلوبنا وأبداننا ، والسلامة والعافية في ديننا ودُنيانا ، وكن صاحباً لنا في سفرنا ، وخليفة على أهلنا ، واطمس اللهم وجوه أعدائنا ، وامسخهم على مكانتهم ، فلا يستطيعون مضياً ولا يرجعون ، ولا يستطيعون المضي ولا المجئ ، ﴿ ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون {٦٦} ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مُضياً ولا يرجعون ﴾ ، ﴿ يس {١} والقران الحكيم ﴾ ، إلى قوله (سبحانه وتعالى) : ﴿ فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ .

شاهت الوجوه ، شاهت الوجوه ، ﴿ وعنت الوجوه للحيّ القيوم وقد خاب من حمل ظلماً ﴾ ، طس حمعسق ﴿ مرج البحرين يلتقيان {١٩} بينهما برزخ لا يبغيان ﴾ حم حم حم حم حم حم حم الأمر جاء النصر فعلينا لا ينصرون ﴿ حم {١} تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم {٢} غافر الذنب

وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلاّ هو إليه المصير ﴾ ، بسم الله بابنا ، تبارك حيطاننا، يس سقفنا ، كهيعص كفايتنا ، حمعسق حمايتنا، ﴿ فسكيفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾ ، ستر العرش مستور علينا ، وعين الله ناظرة إلينا ، بعون الله وحوله لا يقدر علينا ، ﴿ والله من ورائهم محيط [٢٠] بل هو قرآن مجيد [٢١] في لوح محفوظ ﴾ ، ﴿ فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين ﴾ ، ﴿ إن وليي الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾ ، ﴿ حسبي الله لا إله إلاّ هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾ ، ﴿ حسبي الله لا إله إلاّ هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾ ، ﴿ حسبي الله لا إله إلاّ هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾ ، بسم الله العظيم ، الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم ، يا الله ، يا نور ، يا حق ، يا مُبين ، اكسني من نورك ، وعلمني من عِلمك ، وفهمني منك ، وسمعني منك ، وانصرني بك ، إنك على كل شيء قدير ، والحمد لله رب العالمين .

قال : فسكن البحر من الاضطراب ؛ وإن كُتب هذا الدعاء حرزاً ، فهو بليغ .

قال : لما هبت الريح الطيبة تباشروا بالخير حتى وصلوا دارهم ، والملك ينظر إليهم ، فلما نزلوا جعل لهم الموائد للفرح والسرور ، وأخبره التجار بما جرى عليهم في سفرهم ، وبما صنع صاحبهم ؛ فقال الملك للرجل : نحن أعطيناك القوت والكسوة ، وأنت جعلت لنا الهيبة والحشمة لنا ولمن بعدنا ؛ فانظروا أيها المسلمون فيما صنعوا ، وأطيعوا الله ورسوله ، وصاحبكم هذا وأولاده ، فيما يأمر به وينهى عنه ، فإنه له عندي الجائزة الكبرى ، فمن أطاعه فقد أطاعني ، ومن عصاه فقد

عصاني وحل عليه غضبي ، فهذا قولي في حياتي ، وأوصيت به على أولادي من بعد وفاتي ؛ فعاش الرجل في زمانه في أحسن سكنة وأطيب معيشة .

فيا أيها الواقف على الكتاب ، اعلم أن كل من دعا الله تعالى ، أراده للدنيا أو للآخرة ، فالله يستجيب له دعاءه ، ولكن الإجابة ليس متى أرادها العبد ، ولكنها متى أرادها المولى .

وقد حكي لنا عن رجل مسلم أراد صيد البحر فرمى بشبكه في البحر وقال : بسم الله ، فما صاد شيئاً ؛ ورجل كافر يعبد وثناً ، فرمى بشبكه في البحر وقال : باللات والعُزى ، فصاد صيداً كثيراً ، ثم سأل أحد من الرسل مولاه ، فأجابه الله : أما الكافر فأعطيناه في الدنيا ، وأما المُسلم فأخرنا إجابته للآخرة .

قال ذو الغبراء : حدثني أحد أن أناساً يجعلون غلة أموال ويوصون لقراءة القرآن فيجتمعون في الصحراء يقسموه في قراءته وبعد تمامه يقرأ أحدهم دعاء تصديقة القرآن في ذكر أوائل السور الذي صنفه ابن نباتة، وتارة يدعون بدعاء التصديقة الذي مبتداه صدق الله العظيم ذو الآلاء وصدق جبريل أمين السماء. وصنف أحد من أهل العلم دعاء ابتدأه اللهم اجعلنا ووالدينا ومشايخنا ومعلمينا وإخواننا في الدين ٠٠٠ فلما قرأه عليهم أعطاه الذين حضروا أربعمائة محمدية ثم سمع الملك بذلك فدعا بالرجل المصنف للدعاء فقرأ عليه فأعطاه الملك ألف محمدية وجعل له فريضة معلومة لما تكفيه هو ومن يعوله وحفظ هذا الدعاء الرجل المبتلى بالعيلة وسار إلى الحج وقرأه بحضرة سلطان الحرمين فلما أتم أعطاه ألف محمدية وجعل له تاجاً على رأسه في عرفة والمشعر ومنى

وبين الصفا والمروة وفي البيت المحرم وفي مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأعزه الله وعظمه الناس فوهبوا له الأموال ما لا تحمله البغال بفضل الله الكبير المتعال فهذا هو الدعاء المذكور لأحد من السواحل شافعي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم اجعلنا ووالدينا ومشايخنا ومعلمينا وإخواننا ووالديهم وجميع المسلمين، من عباد الله الصالحين المفلحين المنجين الفائزين البارين الناعمين الفرحين المستبشرين المسرورين المطمننين الآمنين الذي لا خوف عليهم ولا هم يحزنون برحمتك يا أرحم الراحمين صدق الله العظيم وبلغ رسوله النبي الكريم ونحن على ما قال ربنا وولينا وسيدنا ومولانا وخالقنا ورازقنا وباعثنا ووارثنا ونصيرنا ومن إليه مصيرنا وولي النعمة علينا من الشاهدين وله من الذاكرين والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدون إلا على الظالمين وصل اللهم على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه المنتخبين وعلى جميع الملائكة والنبيين والمرسلين إن ربنا حميد مجيد الحمد لله الذي حمد في الكتاب نفسه واستفتح بالحمد كتابه واستخلص الحمد لنفسه وجعل الحمد دليلاً على طاعته ورضى بالحمد شكراً له من خلقه ، الحمد لله بجميع محامده الموجبة لمزيده المؤدية بحقه المقدمة عنده المرضية له الشافعة لأمثالها ونسأله أن يصلي على سيدنا محمد وعلى آل محمد بأفضل الصلوات كلها وأن يحبوه بأشرف منازل الجنان ونعيمها وشريف المنزلة فيها ، اللهم إنك أحضرتنا ختم كتابك الذي عظمت حرمته وجعلته مهيمناً على كل كتاب أنزلته وقرآناً أعربت فيه عن شرايع أحكامك وفرقاناً فرقت به بين حلالك وحرامك وكتاباً فصلته لعبادك تفصيلا ، ووحياً أنزلته على قلب نبيك بالحق تنزيلا ،

وجعلته نوراً تهدي به من ظلم الضلالة باتباعه، وشفيعاً لمن أنصت بفهم التصديق إلى استماعه، وميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه ، وضوء هدى لا تختبئ الشبهات نور برهانه، وعلم نجاة لا يضل من قصد سُنَّته، ولا تنال يد الهلكة من تعلق بعروة عصمته ، اللهم فإذا بلغتنا خاتمته، وحببت إلينا تلاوته، وسهلت على حواشي ألسنتنا حسن إعادته، فاجعلنا يا رب ممن يتلوه حق تلاوته، ويرعاه حق رعايته، ويدين لك باعتقاد التصديق بمحكم بيانه، ويفزع إلى الإقرار بمتشابه آياته والاعتراف بأنه من عندك تعارضنا الشكوك في تصديقه ، ولا يختلجنا الزيغ عن قصد طريقه .

اللهم كما جعلت قلوبنا مذللة تحمله وعرفتنا منك شرف فضله، فاجعلنا يا رب ممن يعتصم بحبله ويأوي من الشبهات إلى عصمة معقله، ويسكن في ظل جناح هدايته ويهتدي بتبلج أسفار ضوئه ويستصبح بشعلة مصباحه ولا يلتمس الهدى من غيره، اللهم وكما نصبته علماً للدلالة عليك، وأنهجت به سبيل من نزعاته إليك، فاجعله وسيلة إلى أشرف منازل الكرامة، وسبباً للنجاة في غربة القيامة ، وسلماً نعرج فيه إلى محل السلامة، وذريعة نفزع بها إلى دار المقامة، اللهم اجعله لنا في ظلم الليالي مؤنسا، ولأقدامنا عن نقلها إلى المعاصي حابسا، ولألسنتنا عن الخوض في الباطل من غير ما آفة محرسا، ولجوارحنا عن اجتراح السيئات زاجرا، ولما طوت الغفلة عنا من تصفح اعتباره ناشرا، حتى توصل إلى قلوبنا فهم عجائب أمثاله وزواجر نهيه التي ضعفت الجبال عن احتماله، اللهم واجبر به خلتنا من عدم الإملاق، وسق إلينا به رغد العيش وخصب السعة في الأرزاق، واعصمنا به من هفوة الكفر ودواعي النفاق،

وجنبنا به الضرائب المذمومة ومداني الأخلاق، حتى تطهرنا من كل دنس بتطهيره، وتقفوَ بنا آثار الذين استصحبوا بنوره ولم يلههم الأمل فيقطعهم بخدائع غروره، اللهم وكما أكرمتنا بختم كتابك، وندبتنا إلى التعرض إلى جزيل ثوابك وحذرتنا على لسان وعيد أليم عذابك، فاجعلنا يا رب ممن يحسن صحبته في مواطن الخلوات، وينزّه قدره عن مواقف النميمات، ويحل حرمته عن أماكن الوثوب عليه من المنكرات، حتى يكون لنا في الدنيا عن المحارم ذائدا، وإلى النجاة في غربة القيامة قائدا، ولنا عندك بتحليل حلالك وتحريم حرامك شاهدا، وبنا على خلود الأبد في جنات عدن وافدا، اللهم وسهل به على أنفسنا عند الموت كرب السياق ، وعن الأنين إذا بلغت الروح التراق، وتجلى ملك الموت صلى الله عليه وسلم لقبضها من حجب الغيوب؛ وقيل: من راق وذاق لها من زعاف مرارة الموت كأساً مسمومة المذاق، ورماها عن قوس المنايا سهم وحشة الفراق، ودنا من الرحيل إلى الآخرة ، وصارت الأعمال قلائد الأعناق، وكانت القبور هي المأوى إلى ميقات يوم التلاق، اللهم وبارك لنا في حلول دار البلى وطول الإقامة بين أطباق الثرى، واجعل القبور بعد فراق الدنيا خير منازلنا، وافسح لنا بالقرآن العظيم ضيق مداخلنا ، ولا تفضحنا يا مولانا في حاضر القيامة بموبقات الآثام، واعف عنا ما ارتكبنا من الحرام ، وارحم بالقرآن العظيم في موقف العرض عليك ذل مقامنا ، وثبت به عند اضطراب جسور جهنم يوم المجاز عليها زلة أقدامنا، ونجنا به من كرب يوم القيامة وشدائد أهوال يوم الطامة وبيِّض به وجوهنا إذا اسودَّت وجوه العصاة في موقف الحسرة والندامة ، اللهم واطل به صلاح ظاهرنا، واحجب به خطرات الوسواس عن صحة ضمائرنا، واغسل به درن قلوبنا، وموبقات

جرائرنا، وانف به وجود الشكوك عن صدور سرائرنا، واجمع به متنايبات أمورنا، واشرح به صدورنا، واكسنا به في حلل الأمان في نشورنا، وأطل به في موقف القيامة جذلنا وسرورنا، اللهم واحطط به عنا ثقل الأوزار، وهب لنا به حسن شمائل الأبرار، واقف بنا آثار الذين قاموا لك به آناء الليل وأطراف النهار، حتى توجب لنا به فوائد غفرانك، ومواهب صفحك ومغفرتك ورضوانك، يا أكرم من سُئل، وأوسع من جاد بالعطايا، طهِّرنا بكتابك الكريم من دني الخطايا، وهَبْ لنا الصبر الجميل عند حلول الرزايا، وامنن علينا بالاستعداد عند نزول المنايا، وعافنا من كل مكروه ما يقع به محذور البلايا يا كريم .

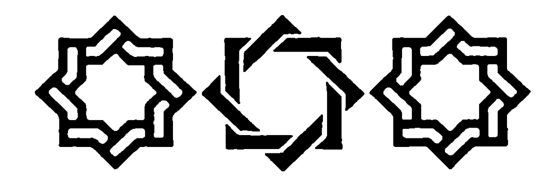
أتراك تغل إلى الأعناق أكفاً تضرعت إليك واعتمدت في صلاتها راكعة ساجدة بين يديك، أو تقيد بأنكال الجحيم أقداماً سعت إليك، وخرجت من منازلها لا حاجة لها إلا الطمع ولرغبة فيما لديك، مناً منك عليها سيدي لا مناً منها عليك، بل يا ليت شعري أتراك تصم بين أطباقها أسماعاً تلذذت بحلاوة تلاوة كتابك الذي أنزلته وتطمس بالعمى في ظلم مهاويها أبصاراً بكت إليك خوفاً من العقاب، وفزعاً من الحساب، أما وعزتك وجلالك ما أصغت الأسماع حتى أصدقت ولا أسبلت العيون واكف العبرات حتى أشفقت، ولا عجت الأصوات إليك بالدعاء حتى خشعت، ولا تحركت الألسن ناطقة باستغفارها حتى ندمت، على ما كان من زللها وعثارها فيا من أكرمنا بالتصديق على بعد أعمالنا من شواهد التحقيق، أيدنا اللهم منك يا رب في هذه الساعة المباركة الشريفة المعظمة عند ختمة القرآن بالعصمة والتوفيق اللهم وآنس وحشتنا بطاعتك يا مؤنس الفرد الحيران في مهامه القفار ، وتداركنا بعصمتك يا مدرك الغريق في لجج البحار ،

وخلصنا بلطفك من شدائد تلك الأهوال والأخطار، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد النبي المختار، وعلى آله الطيبين الأخيار، صلاةً تغبطهم بها من حضر الموقف يوم الدين، وصلِّ اللهم على آبائه وإخوانه من المرسلين، وعلى أتباعه وأشياعه من الموحِّدين، وعلى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وعلى أبينا آدم وأمنا حواء ومن ولِدا من المؤمنين، وعلى الصحابة والتابعين وتابع التابعين من أول يوم إلى يوم الدين، وعنا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين، وهَبَ الله لنا ولكم سوالف الآثام، وعصمنا وإياكم فيما بقي من الأيام، وتقبَّل منا ومنكم الصلاة والقراءة والصدقة والصيام، وأحلنا وإياكم برحمته دار السلام وتلقى سادتنا وأمواتنا وأموات المسلمين بالاتحاف والإكرام والإجلال والإعظام والإنعام، وصلى الله على سيدنا محمد خير الأنام وعلى آله الخيرة الكرام مصابيح الظلام وأفضل التحية والسلام وسلم كثيرا والحمد لله رب العالمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وهذا دعاء التصديق الذي ذكرناه : بسم الله الرحمن الرحيم ، صدق الله العظيم ذو الآلاء، صدق جبريل أمين السماء ، وصدق محمد سيد الأنبياء، ونحن على ما قال ربنا ونبينا من الشاهدين وبه مؤمنين ونشهد أنه القرآن العظيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، اللهم صلِّ على سيدنا محمد علم الهدى ومعدن الجود والكرم وبحر الندى وإمام أهل الفضل والاقتداء، وصلِّ يا رب عليه صلاة دائمة أبداً سرمدا، اللهم اجعل القرآن العظيم لقلوبنا نورا وهدى، ولهمومنا وغمومنا

جلاءً من كل صدا، وكفارة لذنوبنا ما خفي منها وما بدا، اللهم ارزقنا به عيش السعداء ، وأنلنا به منازل الشهداء، واجعلنا ممن اهتدى به فهدى، وانصرنا به يا الله على جميع الأعداء، اللهم اجعله لنا عندك ذخرة وعدة، ونجنا به يا الله إذا انقطعت المدة وآنسنا به يا الله في الخلوة والوحدة ، اللهم أعطنا بها الفوز الأكبر، وقنا به فتنة نكير ومنكر، وأعطنا به الأمان في الحشر، ونجنا به يا الله وجميع المسلمين مما نخاف ونحذر، اللهم سهل به طريقتا وسمِّح به أمورنا، وأجزل به أجورنا، ووسع به من الحلال أرزاقنا، وطهر به من الدنس أخلاقنا، وانصرنا به يا الله على من ظلمنا و تسلط اللهم علينا بذنوبنا من لا يرحمنا.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولأولادنا ولعلمائنا ولمعلمينا ولمشائخنا ولإخواننا في الدين ولعامة المسلمين، واختم بخير فضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد النبي ، وعلى آله وصحبه وسلم ، رب ارحمني وارفعني وانفعني بالقرآن العظيم ، وبارك لي في الآيات والذكر الحكيم ، ﴿ وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾ ، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم ، ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون [١٨٠] وسلام على المرسلين [١٨١] والحمد لله رب العالمين ﴾ .



الذكر الثامن والأربعون :

فيه مما ينبغي لقارئ القرآن والأثر والشعر والخطب من الآداب والتعليم ، وفيه دلائل لمصالحهم عن الخطأ

آداب الخطيب والأديب وقارئ القرآن :

قال ذو الغبراء: جلست يوماً في حلقة الذكر فأقبل رجل وسلم عليهم، وهنأهم بقدوم العيد فردوا عليه بالتهنئة، فقال الرجل سأخبركم عن رجل من أصحابنا شرى خطبة من السوق وقرأها لنا في عيدنا هذا ونفرت عنه الخلق فأول من نهض المعلم إذ ليس قبل الرد في لحنه، ثم نهض الأمير ومن معه لما سمعه يترضى فيها لأحد من أعدائه، ونهضت عنه النساء من ضعف صوته، وحاكته الولدان بمغافاته ومابقي معه إلا قليل من الناس. وقال بعضهم أبياتاً رويت عن علي بن أبي طالب والله أعلم أنها عنه شعراً :

والله والله مرتين لحفر بئرٍ بإبرتين
وكَسْح أرض العراق جمْعاً صافية بريشتين
ونزفِ بحرين طاميين إلى صعيدٍ بمنخلين
وغسل عبدين أسودين حتى يكونا أبيضين
ولا مقامي مع لئيم أملأ منهُ طرفة عين

فأجابه رجل ، وقال له : العلم عزيز لدى أهله ، فلا تضعوه إلا في موضعه ، ولا تتكلموا به حتى تتعلموا مداخله ومخارجه .

ومما ينبغي لقارئ القرآن العظيم أن يكون معتزلاً عن الناس الذين مرادهم ذكر الدنيا، وإن كان في المسجد فليتخذ فيه مكاناً معلوماً متأخراً عن القبلة وعن خطف[1] عباد الله للصلاة، وإن أراد أحدكم أن يقرأ القرآن في محفل الناس أو في سفر قد لزمته صحبتهم، فليقرأه سراً ويرتله ترتيلا إن كان جهراً لا يقطعه تقطيعا، ويثقل المثقل ويخفف الذي خفف ويشبع مده ويقصر مقصوره ويكون طاهر الثوب والبدن؛ لأن القرآن عظيم فحقيق أن يعظم .

وأما قراءة الأثر إذا لم يكن في النحو بصر، فليقرأه سراً بنفسه، وأما إن كان متعلماً وأراد الجماعة منه القراءة للنفع، فلا يجفوهم ولكنه إن قرأ لهم فليسلك في قراءته ويجعلها كموج البحر يتبع بعضها بعضا المسائل .

وأما المتعلم الشعر إذا كان له صوت حسن، فليقرأه للخلق جهرا وأكثرهم لاستماع الصوت راغبين وإليه متجالسين، ومن أموالهم للشاعر نافعين، ولكن متى أمروه بالشعر فلا يقف متمنناً؛ لأن نفع الدرس له، وهم مستمعون وإن وقف استثقلوه .

وأما قارئ الخطبة فعليه أن يعلم شروطها كما حكي لنا عن رجل وصل إلى المعلم يريد أن يتعلم الخطبة للرفعة فقال المعلم له: إن بلاك الله بالعلل فأكرم طبيبك، وإن أردت أن تتعلم فأكرم معلمك وللخطبة شروط يعرفها العاقل الكيس اللبيب، قال: فلما سمع كلام المعلم قصد إلى بيته ورجع إليه مسرعاً بالهدايا من الكسوة والأطعمة والأحلية ومن صرف

---

(١) أي : مرور .

الفضة مائة محمدية فأعطاها المعلم فاستر المعلم به وقال له : ﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ (١) و ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) ، ثم قال المعلم لصاحبه: إذا أردت أن تخطب بالناس فاختر من الخطب الوعظية الذي صنفها صاحبها من اللغة العربية، واجتهد في تصحيحها مع عالم الأمة وكررها حتى تكون فيها سالكا وأسهل عليك لحضور قلبك وتعظيم ربك ويكن أمرك مع السلطان سالكا وعليك بالكسوة الحسنة والورع والهيبة. وقال له: ولا تغفل عن السواك لتنظيف فمك من البصاق. وقد أوصى بذلك الرسول وفيه اثنا عشر من الخصال المحمودة، وأكل السفوف مثل الزنجبيل والسكر والفلفل مدقوقاً ناعما فهذا يفتح المناسم ويقمع الرطوبات الفاسدة من الرئة والدماغ وسيلان الدمع والزكام، ومن أراد تصفية صوته يأخذ فلفل وخيل وخردل سوداء ويدق الجميع ويعجن بعسل ويأخذ منه كل يوم مثل البندقة أو بندقتين ويأكله، وفي تحسين الصوت الزبيب والتين والصمغ والحلبة والتمر واللوز خصوصاً ، وقصب السكر وشراب العسل ، كله يحفظه ويحسنه .

فإذا بان للإنسان صلاح صوته وسلك فيها عن التوقف والمغافاة وامتد نظره إلى حروفها وإعرابها وعرف منها المقصور والممدود والثقيل والخفيف فليجد في قراءتها، وأنا مما أحبه لك أيها الولد الشفيق أن تتعلمها حتى تحفظها وحرف في قلبك خيرمن ألف حرف في كتابك إن

(١) سورة النمل : ٨٩ ؛ سورة القصص : ٨٤ .
(٢) سورة البقرة : ٢٦١ .

كان لك حفظ . فقال الولد : أما إن سألت عن حفظي فأقرأ الاسم والكلمة ألف شرف ثم أكررها في قلبي ألف شرف حتى أحفظها . فقال المعلم: وهذا من الحفظ الكثير للطالب الراغب؛ لأنه لو تعلم الإنسان كل يوم وليلة لعاش في زمانه فقيها، أما تنظر إلى الحصون العالية مثل الجبال الراسية يرفعها الباني حصاة بعد حصاة أو طفالة[1] تتبعها طفالة، وكذلك حفر الأفلاج في الأرض السهلة والصعبة ضربة تتبعها ضربة والمسافر يمشي إلى أقصى البلدان خطوة تتبعها خطوة، وكذلك الناسخ يكتب حرفا حرفا ويجتمع من نسخه كتباً مجلدة حتى لا تحملها الإبل، وكذلك أعمال الكسوة مثل القطن والصوف انظر في صنعته من دقتها من أولها إلى آخرها حتى تنتهي ، سافر بها في الفلك من البر إلى البحر ثم إلى البر ، وكذلك غرس النخيل والزروع واجتهاد الناس في عملهم مع حصاده يجمعونه تمرة بعد تمرة، وحبة تتبعها حبة ثم تجتمع مثل الجبال فمن، طلب شيئاً واجتهد وجدَّ، وجد فهذا دليل من التأنيس من المعلم للمتعلم. ثم علّمه الخطبة لعيد الفطر ونذكرها في موضعها ثم المعلم أخبر السلطان بالولد وحفظه للخطبة فلما أصبح عيد الفطر وأخرجت فطرة الأبدان على من لزمته إلى مستحقها، قرب لهم السلطان الغذاء فأكلوا ما طاب لهم وتغسلوا وتوضأوا ونووا في خروجهم للجبان للموعظة والتذكرة ولإحياء السّنّة، فصلى بالناس المعلم وأمر الولد بقراءة الخطبة فقرأها بقلب، شجي وصوت وعظي، فسالت دموع العيون على خدود المسلمين، وأثنى فيها على سلطانه وعلى كافة المسلمين فأهدى إليه السلطان ألف حرف وخلع عليه كسوته وسلاحه والتجار كل منهم مد بيده عليه وحمل بالهدايا إلى بيته

---

(١) أي : لبنة .

ومشى إلى مقامه مع أهله بالفرح والسرور راجي رحمة ربه الغفور .

قال ذو الغبراء : فهذه صفة الملوك الكرام. قال صاحبه: صحيح ما قلت هذا من أخلاق الكرام ولكنه ما بلغ مع غيره؛ لأن أحداً من الأئمة قصد إلى حج بيت الله الحرام وصحبه كثير من أصحابه وحملهم في زادهم وجميع ما يؤول عليهم حتى وصل عرفة، وجمع صلاة الظهر والعصر في وقت الأولى، ثم خطب بالناس بالخطبة الذي نذكرها في الكتاب وقاموا في الدعاء حتى غربت الشمس وطلع سواد الليل فرجعوا إلى المشعر وجمع بين الصلاتين في المشعر في وقت الآخرة وليلة المشعر فضيلة الدعاء وصلى بالناس صلاة الصبح، وقصد إلى منى ورمى جمرة العقبة وحلق وقصد إلى مسجد الخليل لصلاة عيد الأضحى فصلى بالناس قبل الاستفتاح فلما فرغ من صلاته لم تحضره خطبة فنادى في المسلمين هل عندكم خطبة عيد الأضحى؟ فسكتوا فدخل في قلب الإمام الحزن فقام غلام له بالقبلة قد جرى على وجهه ماء الشبيبة فقال له : لا تحزن أيها الإمام أنا حفظت منك الخطبة التي خطبت بها في العيد الماضي .

فقال : اقرأها لنا قبل الافتتاح والذباح لأنه مأمور بها في هذا العيد في أول الوقت لقوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾[1] ، فنهض الغلام وقرأها بحسن صوته ونغمة وما سمعها إلا مرة واحدة ونكتبها في موضعها فلما تم الغلام قال له الإمام : بارك الله فيك لا عدمتك الأعلام والكرام فأعطاه ألف حرف وجعل له فريضة ومعلماً وزوجة وخادمة وقصراً يجري فيه نهرا ، فتعلم وتفقه في كل فن لأن له العلم أوعية والخزائن لا يدرك إلا من خصه الله بسرها وعرف مخرجها وحلالها من

---

(١) سورة الكوثر : ٢ .

حرامها . اعلم أن العلماء مختلفون فمنهم علمه كالجرية الغزيرة تجري لا يعتريها نقصان، ومنهم كالماء المجتمع فيطلق فيجري بقوة ويذهب مع قلة المطر . وعلى الإنسان أن يجتهد في طلب العلم قبل فوات العلماء وكن ممتثلاً لقول الشاعر :

علمي معي حيثما يمَّمت يتبعني صدري وعاءٌ لهُ لا بطنُ صندوق
إن كنتَ في البيتِ كان العلمُ فيهِ معي أو كنتُ في السوق كان العلمُ في السوق

هذه خطبة عيد الفطر :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد، الحمد لله الواسع عطاءه ، الساطع بهاءه ، الواقع قضاءه ، الذي لا يراد في حكمه ولا يراجع ، ولا يضاد في ملكه ولا ينازع ، ولا يعارض في مراده ولا يمانع ، ناصر من تحقق بنصره ، وذاكر من تعلق بذكره ، ومهلك من تجبر بكفره ، ومدرك من خالفه وفسق عن أمره ، الذي لا تعزب عنه الأسرار، وكل شيء عنده بمقدار، ذلك الله الذي لا إله إلا هو العزيز الغفار .

الله أكبر الله أكبر ، الحمد لله مؤلف الأشياء بلا اقتداء ، ومصرف القضاء بلا اعتداء ، ورافع السماء بغير عمد في الهواء ، وساطح الأرض على تيار الماء ، الذي زم من خلق بالعدل والإحصاء ، وعم من رزق بالبذل والإعطاء ، وعلم دبيب النملة السوداء ، على صفاء الصخرة الصماء تحت جلابيب حندس الظلماء ، وبهر أهل الجد والتحصيل بعجائب تأليفه ، ومطمع العاملين في رحمته، ومدخل الخائفين منه قصور

جنتـه ، ذلـك الله الجبـار العظـيم، القهـار القـديم، الغفـار الـرحيم ، الستار الحليم، الفتاح العليم ، الجواد الكريم ، سبحانـه لا إلـه إلا هو العزيز الحكيم.

الله أكبر الله أكبر الله أكبـر، الحمـد لله الـذي سبح كـل شـيء بحمـده، وعم كل شيء بسعة رفده، الذي لم يخل منه مكان، ولم يعدمـه أبـداً زمـان، الذي عظم أن تحيط به الأوهام، وعز فلا يدرك ولا يرام، سبحانـه لا إلـه إلا هو ذو الجلال والإكرام، أحمده والحمد غاية من شكر، وأذكـره ذكـراً كثيراً كما أمر، وأنزهه عن قول من جحد به وكفر، وأسلم لأمره تسليم من ابتلى فصبر، حمداً أستجر به مضمون وعده ، وأطلب به جزيـل رفـده، واستنزل به البركات من عنـده، وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شـريك لـه، شـهادة عبده وابن عبده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الـوفي بعهـده، الصـادق في وعده، الموضح سبيل قصده، الذي قدح الله شهاب الإيمان بزنده، وفل حـد الشيطان بحـده، وأيـده بحزبـه وجنـده، صـلى الله عليـه وعلـى آلـه من بعده، مـا قهقـه سـحاب برعـده، ودار فلـك بنحسـه وسـعده، أرسـلـه والكفـر زاخـر تيـاره، قـاهر جبـار، متظـاهر منـاره، متطـاير شـراره، عـامرة ديـاره، متظاهرة أنصاره ، فأخرس الله بمحمد (صلى الله عليه وسـلم) شقاشـقها ، وأخنس بـه منـافقهـا ، وبـوأه مفـالقهـا ، وأوطـأه مفـارقهـا ، وجـذع بسلطانـه معاطسـهـا ، وقمـع بأعوانـه أبالسـهـا ، وكشـف بغرتـه حنادسـهـا ، واختطـف بأسرتـه فوارسـها ، حتى أطلع الإسلام رأسه، وأوقع بأعدائـه بأسـه ، صـلى الله وملائكته عليه ، وعلى من ناصره وهاجر إليه ، صلاة متصلة بلا فنـاء ولا انصرام ، ولا تحد بعد الشهور والأعوام .

الله أكبـر الله أكبـر الله أكبـر ، لا إلـه إلا الله والله أكبـر ولله الحمـد ،

عباد الله إن يومكم هذا يوم عظيم، وعيدكم هذا عيد كريم، يوم عظّم الله قدره وشرفه، وميزه من الأيام وعرفه، يوم الزينة والعيد، يوم الفضل والمزيد، يوم اجتماع القريب والبعيد، يوم الندم والاستغفار، يوم التوبة والاعتذار، يوم رجاء العفو والغفران، واستجاب الدرجات والرضوان، يوم ختم الله به شهر رمضان، سيد الشهور والأزمان، وافتتح به شهور حج بيت الله الحرام، أحل لكم فيه الطعام ، وحرم عليكم فيه الصيام ، فرب داخل في الشهر لم يبلغ آخره، وآمل حضوره لم يكن حاضره، فحقيق على من حافظ على هذا الشهر وصومه ، أن يصونه عما يؤدي إلى هدمه، وعلى من قصر فيه أن يتلافى تقصيره بحسن الاستغفار للآثام والأوزار، فارفعوا إلى الله حاجاتكم، واسألوه طلباتكم، فإنكم تسألون كريماً يسمع، لا تمله كثرة الدعاء والتضرع، ولا يبرمه كثرة السؤال والتخشع ، قد بلغنا في بعض الأخبار ، عن النبي المُختار (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله الأبرار ، ما أظلم ليل أو أشرق نهار، أنه قال: " إذا كان يوم الفطر قامت الملائكة بأمر الله الكبير المتعال، فينادون بأحسن مقال، يا معاشر المسلمين ، إنكم أمرتم بصيام هذا الشهر فصمتم، وندبتم إلى قيامه فقمتم، اخرجوا تنجزوا موعد ربكم ، وتنصرفوا من المصلى مغفور لكم"، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " إذا كان ليلة الفطر بث الله الملائكة في الأرض ينادون، يا أمة محمد البشير النذير اخرجوا إلى رب كريم قدير، يقبل منكم القليل اليسير، ويعطيكم الجزيل الكثير، ويغفر لكم الذنب الكبير، إنه بعباده لطيف خبير، فإذا برزوا إلى الصحراء باهى الله بهم الملائكة، فقال ملائكتي أما ترون عبادي فرضت عليهم صيام شهر رمضان فصاموه لي ، وندبتهم إلى قيامه فقاموا لي ، وعمروا فيه مساجدي ، وتلوا فيه

كتابي ، وحصنوا فيه فروجهم ، ثم خرجوا يتقربون إليّ في مصلاهم ، أشهدكم أني جعلت حظهم عن الصيام والقيام في الجنة رضاني عنهم " (١) .

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، فعظموا رحمكم الله ما عظم لله من شأنه، واعرفوا قدر علوه ومكانه، وأخرجوا للفقراء المسلمين زكاة أبدانكم، طيبة بها أنفسكم، تبقى مع الباقيات الصالحات لكم، وتكون نماء في الصالح من أعمالكم، وهي إن تسألوا عنها فإنها صاع من تمر أو زبيب، أو بر أو ذرة أو حليب، أو صاع مما تأكلون، ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ، يخرجها الغني عن نفسه وعمن يعول، من الأحرار والعبيد ، والإناث والفحول .

الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله والله ولله الحمد ، أوصيكم عباد الله ، ونفسي بتقوى الله ، فإن تقواه يوجب لكم كريم المآب، وجزيل الثواب ، فتمسكوا بأقوى سبب من تقواه ، وكونوا ممن يراقبه ويخشاه ، تأمنوا مكر الله فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ؛ عباد الله ، استقيموا على سنن الهداية والسداد ، وتجانبوا الفجور ، وإظهار البدع ، ومُنكرات الأعياد ، وخذوا لمراضي الله أهبة الاستعداد ، واحذروا من خطوات الشيطان أشد الحذر .

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، وباينوا سبيل الجور والطغيان، وانتهوا عن شرب الخمور واقتحام العصيان، واحفظوا ألسنتكم عن فحشاء الكلم وقول البهتان، وتسببوا في إيصال المعروف وابتداء الاحسان، وصدوا النفوس عن ارتكاب ما نهى الله عنه وزجر .

---

(١) شعب الإيمان : ج٣ ، ص٣٣٦ .
(٢) سورة النحل : ٤٣ ؛ سورة الأنبياء : ٧ .

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، وعليكم بصلة الوالدين والأرحام، والزموا التودد بإطعام الطعام، وإفشاء السلام، واخفضوا جناح الحنو والشفقة للفقراء والضعفاء والأيتام، وقفوا عند قوله لنبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ (١)، وعنه (صلى الله عليه وسلم) ، أنه قال : " ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقّر كبيرنا ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر " (٢) ، وأئتمروا بما أمركم الله به من الطاعات، وانزجروا عما نهاكم الله عنه من المخالفات، وبادروا باغتنام القرب واستبقوا الخيرات، وأقيموا الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر .

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، ودعوا الربا؛ لأنه موجب للفقر والنقصان، واحذروا البخس في المكيال والميزان، فهو سبب القحط والحرمان، وأحسنوا عشرة من تعولون من الزوجات والأولاد والأخوان، والأرقاء والخدم والجيران، واجتنبوا مظالم الخلق وتبعات البشر، فأئتمروا أيها السامعون لأوامره، فالسعيد من أئتمر، واجتنبوا نواهيه ومظالم البشر.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، وإياكم والغيبة والزنا، واحذروا النميمة فمالها إلا الخزي والعمى، ولا تطمعوا بطول الأجل وفسيح المنى، فإن الأجل أقرب والعمر أقصر.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، اعلموا عباد الله أن ممر الليالي والأيام، ومكر الشهور والأعوام، ينذران بانقضاء الأعمار، ويؤذنان

---

(١) سورة الضحى : ٩ – ١٠ .
(٢) الترمذي : ٤/١٩٢١ .

بخراب الديار، ويقربان البعيد، ويبليان الحديد ، ويهدمان المشيد، ويوهنان الجليد، حكمة جارية بمقدار، وسنَّة ماضية على اقتدار، وقدرة تعجز عن تحصيلها فطن أولي الأفكار، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

الله أكبر الله أكبر، أيها الناس الزموا التقوى يلزمكم وقارها، واحتموا الدنيا يحتمكم صغارها، وأموا سبيل الهدى فقد وضح منارها، وجرموا ظهر المنى فقد جد بكم عثارها، وانظروا بعيون الهمم، في مصارع من غبر من الأمم، أين الذين فوقهم الزمان دره، وجنبهم الحدثان كره، فعمروا الدنيا عمارة آمن من غدرها، ونفذ أمرهم في برها وبحرها، حتى اقتعدوا منها مقاعد الشرف، وتمهدوا منها مماهد اللطف، وصدقوا كواذب أمانيها، ولم يرمق المعاطب في مهاويها، قلبت لهم عين فراتها أجاجا، وأمرتهم على آفاتها أفواجا، فيا أيها الحلال منازل الراحلين، والوارد مناهل الأولين، لقد هتف بكم هادم اللذات فأسمع، وجاءكم عارض الشتات فأقلع، وأثخن فيكم سيف الممات فأوجع، وسعى إليكم فيلق الآفات فأسرع، وأنتم معتمون بعمائم الآمال، الساترة بينكم وبين حواتم الآجال، حتى كأن الموت على غيركم كتب، أو كان الحق على سواكم وجب، فأعجب بها غفلة شاملة، ونقلة عاجلة، أنذرتكم الأيام هجومها، وأرتكم في غيركم محتومها، فبادروا عباد الله وأبواب العمل مفتوحة، وساحات المهل مندوحة، قبل قطع الوتين، ورجع الأنين، ورشح الجبين، ومعاينة المسلط الأمين، قبل نزول الأمر العظيم، وعويل الحريم، ووله اليتيم .

الله أكبر الله أكبر، فانتبهوا رحمكم الله من رقدة الغافلين،

وتأهبوا للعرض على أسرع الحاسبي ، في يوم تنسف فيه الجبال، وتركع منه الرجال، وتوزن فيه الأعمال، وتشيب من هوله الأطفال ، وتخرج الأرض ما فيها، وتهطع الأموات لداعيها هنالك أزفت الآزقة، ورجفة الراجفة ، وتطايرت الكتب، وكشفت الحجب، وانشقت السماء، وانتثرت الكواكب ، وعظمت المصائب، وضاقت المذاهب، وأظلمت المشارق والمغارب ، وبدت العورات، وانسكبت العبرات، وخشعت الأصوات، وعددت الجنايات، واحتد الخصام، واشتد اللزام، وطاشت الألباب، وخضعت الرقاب، ووضع الكتاب، وحرر الحساب، واستوى فيه العبيد والأرباب، وحشر العالم في صعيد، وقالت جهنم هل من مزيد ، فيومئذ أكدت المطالب، وانسدت المذاهب ، وضاقت الأنفاس ، ونطقت الحواس، وارتجت الأرض بمن عليها ، ونزلت الملائكة إليها ، ونادى المنادي بجمع الخصوم، واقتص الظالم من المظلوم، ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ [1]، فياله من موقف ما أكربه ومشهد ما أصعبه وطريق ما أشقه وصراط ما أدقه ويوم ما أثقله وحاكم ما أعدله وظالم ما أخذله وسجن ما أكضه وسجان ما أفضه لا يرحم من بكى، ولا يسمع المشتكى، قد نزع الله الرحمة من قلبه ، فالويل كل الويل لمن كان من حزبه .

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، أوصيكم عباد الله وإياي بتقوى الله، فإنها عروة مالها انفصام، وذروة مالها انهدام، وقدوة تأتم بها الكرام، وجذوة تضيء بها الأفهام، من تعلق بحبلها حمته من محذور العاقبة، ومن تخفف بحملها وقته شرور كل نائبة، وأحذركم دار فرقة مالها ائتلاف، وقرار حرقة مالها انصراف، وأماني رجعة مالها إسعاف،

---

(١) سورة طه : ١١١ .

فارفضوا رحمكم الله من الأعمال ما يقربكم منها، وانهضوا في استعمال ما يبعدكم عنها ، فإنها المصيبة الجامعة لأهل الدوائر ، والعقوبة الواقعة بأهل الكبائر، يالها دار انقطع من الرجاء رجاء حلالها، وامتنع من البقاء بقاء نكالها، شعار أهلها الويل الطويل، ودثارهم البكاء والعويل، وسرابيلهم الخزي الوبيل، ومقيلهم الهاوية فبئس المقيل، تقطع الحميم منهم أمعاء طالما أولعت بأكل الحرام، وتضعضع منهم أعضاء طالما أسرعت في اكتساب الآثام، قد أبهمت عليهم الأوقات، وحلت بهم المثلات، فجلودهم مجددة للعذاب ، ووجوههم مسودة بسوء الحساب، والزبانية يدخلون عليهم من كل باب، يقولون لا مرحباً بكم أبتم شر مآب، كم كبت حصائد الألسن وجوهاً في الجحيم، وأسلمتهم إلى تجرع الجحيم، وأسكنتهم دار الأحزان والهموم، يالها دار لا يفك أسيرها، ولا يوقر كبيرها، ولا يرحم صغيرها ، ولا يجبر كسيرها، ولا يخمد سعيرها ، لباس أهلها الحديد ، وشرابهم فيها الصديد، وعذابهم فيها جديد، والفرح منهم بعيد، قد شملهم الإياس، وحل بهم الإلباس ، لا يرحمون إن بكوا ، ولا ينظرون إن شكوا، قد أعرض الله عنهم غضبا، واشتدت النار عليهم كلبا، وطحنتهم بنغيصها زفيرا ولهبا ، فالويل لهم شعار، والخزي لهم دثار، والخذلان لهم مرابط، والرحمن عليهم ساخط ، لا ملجأ لهم إلا إليها، فبعداً لهم ما أصبرهم عليها، فكفوا رحمكم الله نفوسكم من أسر هذه الدار بصون ألسنتكم، وأحرضكم رحمكم الله بحفظها، ولا تحرموها من الجنة حظها، فإن الندم لا ينفع عند الفوت، والاعتذار لا يسمع بعد الموت، جعلنا الله وإياكم ممن طهر قلبه ولسانه ، وأخلص لله سره وإعلانه ، وجعل المسلمين إخوانه وأخدانه، وأعطاه يوم الفزع الأكبر أمانه، وأبعدنا وإياكم

عن دار غضبه، وأسعدنا وإياكم بإتيان ما أمرنا به ، إن أحلى ما أنصت لترديده ، وأولى ما أخذ بوعده ووعيده ، كلام مبدئ الخلق ومعيده ، ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ {٣٦} وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (١) .

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله الله أكبر ولله الحمد، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ {١٣١} وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {١٣٢} وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ {١٣٣} الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) ، الذين قمعوا النفوس بسياط الإشفاق، وقطعوا الأطماع بسيوف الإملاق ، وقمعوا الأهواء بذكر يوم التلاق ، ونهنهتهم أنفسهم القدسية على الوفاء بالميثاق، اولئك الذين وخدت بهم مطايا الهمم، مرقلة تحت جلابيب الظلم، حتى أناخت بهم في رياض الحكم، فهم بأفياء أشجارها يتظللون، وبنسيم أنوارها يتعللون، تسمع لقلوبهم من خوف مولاهم وجيبا ، ويبدي لهم اشتياقهم إليه زفيراً ونحيب ، قد جعلوا ذكره من الدنيا نصيبا، ولم يجدوا لدائهم سواه طبيبا، رمقوا العواقب بعين البصيرة ، وخرقوا الغياهب بالأفكار المنيرة، وجافوا الجنوب عن المهاد الوثيرة، وغسلوا الذنوب

---

(١) سورة فاطر : ٣٦ – ٣٧ .

(٢) سورة آل عمران : ١٠٢ .

(٣) سورة آل عمران : ١٣١ – ١٣٤ .

بفيض الأدمع الغزيرة، وصححوا معاملة عالم الإعلان والسريرة، فأعاضهم قرر العين القريرة، وأنالهم رغائب النعم الخطيرة ، وتوجهم بتيجان الكرامة، وزوجهم بالحور العين في دار المقامة، دار وأي دار، معدومة الغيار، مباحة للصفوة الأخيار، قد كوشفوا بحقائق سرائر الاختيار، وتبوَّؤا منازل الشهداء والأبرار، والجنة تناديهم قد أفلح المؤمنون الأخيار، ﴿ وَالمَلائِكَةُ يَدْخُلونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ {٢٣} سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار ﴾ (١) .

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد، يا أيها الناس يمموا الحلال فاطلبوه، واتركوا الحرام فلا تقربوه، ولقد قال (صلى الله عليه وسلم) : " كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك من أصحاب القبور " (٢)، فاتقوا وأجملوا في الطلب، واعملوا للمنقلب، ونافسوا في طيب المكتسب ، وتمسكوا من التقوى بأقوى سبب، فإنكم في دار حلوها مر، وصفوها كدر، وأحلامها تغر وأيامها تمر، وآفاتها تكر ، وعواقبها لا تسر ، فلا تتخذوها عباد الله مقرا، وقد جعلها الله لكم ممراً ، وبادروا بلحاق التوبات ، فإن الله يعفو عن السيئات، جعلنا الله وإياكم ممن تمسك بالدين ، واعتصم بحبل الله المتين ، وصدق بكتبه وملائكته والنبيين والمرسلين، ألا وإن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته المسبحة بقدسه ، وأتى بكم أيها المؤمنون من عباده تعميما ، وقال مخبراً وآمراً لكم تكريما ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الرعد : ٢٣ – ٢٤ .
(٢) البخاري : ٦٠٥٣/ ٥ ؛ ابن حبان : ٦٩٨ / ٢ ؛ الترمذي : ٢٣٣٣ / ٤ .
(٣) سورة الأحزاب : ٥٦ .

اللهم صلّ على محمد النبي الأواب، المظلل بالسحاب، المذكور في الكتاب، خير ماشٍ على التراب، اللهم صلّ على محمد صاحب الانشقاق، المحمول على ظهر البراق، المعرًج به إلى السبع الطباق، اللهم صلِّ عليه صلاةً تقرّ بها كل عين، وتملأ ما بين الخافقين، سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، اللهم وارضَ عن شيخ الأبرار، ومعدن الوقار، وثاني اثنين إذ هما في الغار، ذي الرأي الوثيق ، المكني بالعتيق ، أبي بكر الصديق، اللهم وارضَ عن صاحب الفتوح، المشبه بنوح، الإمام الفاروق ، قامع أهل الكفر والفسوق، القانت الأواب، المقدم في الأصحاب ، الناطق بالصواب، حليف المحراب، أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب، ورضي الله عن بقية الصحابة أجمعين، وعن المؤمنين من جملة الانصار والمهاجرين، وزوجات النبي أمهات المؤمنين، وتابعيهم وتابعي تابعيهم إلى يوم الدين .

اللهم صل على ملائكتك المقربين، وعلى حملة عرشك أجمعين، وعلى أنبيائك والمرسلين، وعلى أهل طاعتك أجمعين، اللهم اجعل إماماً للأولياء، ووليّاً للأتقياء، وعالماً للأصفياء، ورئيساً للأقوياء، وخليفتك في الأرض من بعد الأنبياء ، وأهلاً للإمامة ، وموضعاً للكرامة ، وسيداً لأهل الاستقامة، ذي العهد الوفي، والوجه البهي ، والخلق المرضي، والدين الحقيقي، اللهم اجعله إماماً للمسلمين، ونظاماً للمؤمنين، وقدوة لمن تمسك بالدين، اللهم وأدم وجوده، ونور بنورك سعوده، وثبت أركانه على الدوام، وبوأه في العقبى خير منزل ومقام، اللهم انصره بملائكتك المقربين، الذين أنزلتهم يوم بدر مسومين، وأعززت بهم الدين، وأيدت بهم سيد المرسلين، اللهم انصر جيوش المسلمين وسراياهم ومرابطهم

حيث كانوا، وأين كانوا من بر أو بحر ، وافتح لهم فتحاً يسيرا ، واجعل لهم من لدنك على عدوك سلطاناً نصيرا ، اللهم حبب إلينا الإيمان ، والبر والإحسان ، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، اللهم ارفع عنا الغلاء والوباء ، والعرض والمرض ، والفحشاء والمنكر والقحط والفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، من بلدنا هذه خاصة ، ومن بلدان المسلمين عامة ، إنك على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

هذه خطبة عيد الأضحى :

بسم الله الرحمن الرحيم الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، وأعظم وأقدر، وسلطانه أقهر، وبرهانه أبهر ، وأفضاله أوسع وأكثر ، ونواله أعز وأوفر ، يقدر ولا يقدر، يدبر ولا يدبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، فلكبريائه يحق التعظيم والتكبير، ولعلو علانه يجب التبجيل والتوقير، وبجوده وكرمه يليق المدح والثناء الكثير، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ (٢) ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، له الفضل العظيم، والطول العميم، والبر الحادث والقديم ، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، سبحانه لم يتخذ في ملكه شريكاً ولا عديلا، ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً {٤٢} سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً {٤٣} تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ

---

(١) سورة النحل : ٩٠ .

(٢) سورة الشورى : ١١ .

تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ (١)، الحمد لله مبدئ النسم وخالقها، ومنشئ النعم ورازقها، ومتبع سوابقها بلواحقها ، كل ذلك عنده خزائنه ، ولديه أماكنه ومعادنه، وتحت أمره متحركاته وسواكنه، وبقدرته قوامه ونظامه ، ومنه إبداؤه وإنشاؤه، وبيده إبقاؤه وإفناؤه، أفغير الله ترجون، أم سواه تشكرون ، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ (٢) .

الحمد لله الذي لا يحيط بمعرفة ذاته الأفكار، ولا تلحظه لواحظ الأبصار، ولا تدركه خواطر الأخطار، ولا تخفى عليه خوافي الأسرار، الأول قبل أوائل الأدهار، والآخر بعد أواخر الأعصار، والدائم بعد أوائل الأكوار، والمكور الليل على النهار، والمحيط علماً بالفلك الدوار، والعالم بغزر مياه البحار، والمحصي مثاقيل وزن رمل القفار، والمدرك عدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه ليل وأشرق عليه نهار، الحمد لله الذي أنار البصائر لتلامع سنا بهجة التوحيد، وآنس وحشة السرائر بصحة اليقين من ملابس حضرة التجديد، وأيد القلوب بقوة الإيمان عن ضعف كنه مدافع التفريد، فهو المحمود على سوابغ نعمائه، والمشكور على تواتر آلائه، والمستحق تعظيم كبريائه، والمتفرد في طول عليائه، والمتعزز بظاهر أسمائه، والمستوجب من عباده جزيل ثنائه، المعبود في أرضه وسمائه، ذي الجود والكرم، والحل والحرم، والدوام الأقدم، والآلاء والمواهب والقسم، والملك الأدوم، والفعال الأكرم ، بارئ النسم، ومنشئ الأمم، ومنشر الرم، وفاصل الحكم، وخالق الأنوار والظلم، لا يطئ عرشه أبداً أقدام، يعلم تغطمط البحر العجاج، في غياهب الليل الداج، وما يختلج

(١) سورة الإسراء : ٤٢ – ٤٤ .
(٢) سورة النحل : ٥٣ .

في الأمواج، لأنه غير محتاج، لا إلى شورة مشير، ولا إلى تدبيرة وزير، فسبحانه من عالم قدير، سميع بصير، يعلم ما تخفي السرائر والضمير، كان ولا مكان، ولا ظل ولا أوان، ولا إنس ولا جان، ولا أرض ولا بنيان، ولا حسيس ولا عيان، ولا انسطاح ولا جدران، ولا ماء ولا طوفان، ولا لجج ولا جريان، ولا خراب ولا عمران ، ولا جنة ولا نيران، ولا دهر ولا زمان ، ولا وهش و لا هوان، فتعالى الله الفرد السبحان القاهر السلطان، الخالق الرحمن، الذي لا يشغله شأن عن شان، يا من خلق السماء ظلمة وعمى، وابتدع بقدرته من الظلمات الضيا، وأنشأ بمشيئته من الضياء الهواء، واستخلص بلطفه من الماء الرواء، وأدار الفلك في العلا ، والشمس والقمر في الذرى، وزين السماء الدنيا بمصابيح الضيا، وأظهر من صلب آدم الورى، وجعل الألم والشفاء، وخلق الداء والدواء، وعلم ما يختلج في قلب النملة السوداء، في الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، فقدر لها الرزق والغذاء، وقدر الأشياء كما يشاء، يا من سخر السحب الماطرات ، وأجرى الرياح العاصفات، وأخطف البروق اللامعات، وأحصى الأحياء والأموات، ونجّى عباده من البحار الزاخرات، وحافظهم في البراري المقفرات، الذي لا تحيط الأفكار بمعرفة ذاته، .. يا من لا تخفى عليه سرائر اللغات، يا من تفرق من هيبته الملوك العاتيات، وتسبح بحمده النجوم الزاهرات، والمحيي بقدرته العظام الباليات، والجامع بتدبيره جميع الشتات، والقائم لخلقه بالكفايات، والعالم بسر الخفيات، الذي علا فارتفع عن الشبهات، والذي عرشه فوق السبع السموات، الذي دبر وخلق، ورفع السموات بلا عمد ولا علق، وسطح الأرضين على الماء فأطبق، وأجرى النيرين في الفلك فأشرق، وأظلم الليل فأدجى وأغسق، وأجرى الأبحر فأدفق، وأنزل القطر على الحب فأربى وفلق، وساق الغيم

سوقاً فأرعد وأبرق، وقدر المقادير ففتق ورتق، وجعل الأشياء من الأشياء فتعلق، وصور الخلق في الأرحام فرزق، وحاسب عباده بنفسه فرفق، ووهب لهم من الموبقات فأعتق، وزجر عنهم من الجن من طرق، وجعل المردة من هيبته تتفرق ، وعوذنا عنهم بما نطق ، فقال عز من قائل وصدق : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ {١} مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ (١) ، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ {١} مَلِكِ النَّاسِ {٢} إِلَهِ النَّاسِ {٣} مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ (٢) الذي فسق .

الحمد لله بكرة وأصيلا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، موفق كل حسنة، ودافع كل بلية، وغافر كل خطيئة، ونشهد أن محمداً عبده المخصوص بإثبات الكرم والحسب، ونبيه المنصوص على فضله في الدين والكتب، ورسوله المقدم بصميم المجد على سادة العجم والعرب، ذلك محمد بن عبدالله بن عبد المطلب، صاحب لواء الحمد في يوم المعاد، والمقام المحمود للشفاعة عند قيام الأشهاد، صلوات الله وتبجيله وإعظامه ، عليه وعلى من اتبعه من المؤمنين وسلامه .

الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أيها الناس ، إن يومكم هذا يوم عظم الله قدره ، وأعلى في الأيام ذكره ، وهو النور الأزهر ، والحج الأكبر ، خصه الله بشعائره ، وشرفه بمآثره ، واختاره على الأيام ، وأبان فضيلته للأنام ، يوم حرام ، من أيام عظام ، في شهر حرام ، يوم ابتلى الله فيه خليله ، وفدى فيه من الذبح سليله ، حيث أراه في المنام ذبح ولده إسماعيل ، وهداه إلى أحسن التأويل : ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء

---

(١) سورة الفلق : ١- ٢ .
(٢) سورة الناس : ١ - ٤ .

اللَّـهُ مِنَ الصَّـابِرِينَ ﴾[1]، فشـد أكتافـه لمـا أعلمـه ، وتلـه للجبـين بعدما أسلمه، وأمد المدية على نحره، مخلصاً لله في عزيمة أمره ، وشد وطأته عليه فلم يرفق، وفاضت بوادر عبراته فلم يشفق ، وفي قلبه لوعات متواترة ، وروعات متناظرة، وللوحوش من حولهما عجيج ، وللملائكة من رزئهما ضجيج، وللأرض من تحتهما وجيب، وللسماء من فوقهما نحيب، فلما رأى الله صبرهما فيما ابتلاهما ، كشف ضرهما ، وناداه أرحم الراحمين ، ﴿ أَنْ يَـا إِبْـرَاهِيمُ {١٠٤} قَـدْ صَـدَّقْتَ الرُّؤْيَـا إِنَّـا كَـذَلِكَ نَجْـزِي الْمُحْسِنِينَ {١٠٥} إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ {١٠٦} وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[2]، يوم جعله الله خاتم الأيام المعلومات من العشر، ومفتتح الأيام المعدودات من النفر، يوم دعا إلى مشهده الله الرحمن، ونزل بتعظيمه القرآن ، وقال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[3].

فاحضروا رحمكم الله فيه لصلاتكم بوقار وسكينة، وأجمل هيئة وزينة، واحمدوا رباً بلغكم هذا اليوم العظيم، والعيد الأكبر الكريم ، وضحوا بعد رجوعكم من مصلاكم ، وكبروا الله على ما هداكم ، وتقربوا إلى الله بذبائحكم ، وعظّموا شعائر ربكم، واجعلوها من أطيب ذخائركم، واستشعروا التقوى في ضمائركم ، ليس يقبل الله من الأعمال إلا ما كان خالصا ، فإنه يقول سبحانه: ﴿ لَن يَنَالَ اللَّـهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّـهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾[4]، وعليكم بالسليمة الأعضاء، اللحيمة القرناء، الشحيمة

---

(١) سورة الصافات : ١٠٢ .
(٢) سورة الصافات : ١٠٤-١٠٧ .
(٣) سورة الحج : ٢٧ .
(٤) سورة الحج : ٣٧ .

العينـاء ، وإيـاكم وتقريـب العـوراء والعرجـاء، والعجفـاء والشـرقاء والخرمـاء ، وكـل ذات عيب فاضـح، ونقـص واضـح، واختـاروا السمان، وحسـان الألـوان ، وغـالوا فـي الأثمـان، البدنـة عن سبعة، والبقـرة عن سبعة، والشاة عن واحد، وسوقوها إلى المنحر سوقاً رفيقا، وأعدوا لها مرهفاً رقيقا، ولا ذبح إلا بعد الصلاة، والسنة في الأضاحي إحداد الشفرة، واستقبال القبلـة، والتكبير والتسمية ، ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١).

وكبـروا الله مـن يـومكم هـذا إلـى ثالـث أيـام التشـريق، واشـكروه يمددكم بالتأييد والتوفيق، ووسعوا على فقرائكم، ومـا ملكت أيمـانكم، مـن عبيدكم وإمـائكم، وكونـوا بالأخيـار مقتدين، وفـي مقاصد الرشد مهتدين، وعن سبيل الغواية معرضين، ولثواب الله متعرضين .

فيا معشر الإخوان من المسلمين، اسمعوا مني وعوا، واستبقوا الخيرات قبل أن تتصدعوا، فرب مستمع خير من خطيب، ورب مبلغ خير من قريب ، اعلمـوا أنكـم خيـر أمـة أخرجـت للنـاس ، وأن الله قد ألبسكم أفضل اللباس، وهو لباس التقوى، ليقيكم برحمتـه مـن مضلات الأهواء ، فاعملوا وجاهدوا وتعاونوا على البر والتقوى، وتساعدوا واتقوا الله حق تقاته، واحذروا منه يوم ملاقاته، وامروا بالمعروف وأنتمروا به، وتنـاهوا عن المنكر ولا تعملوا به، واعلموا أن الله يعز من يشاء بطاعته، ويذل من يشاء بمعصيته.

وأوصيكم عبـاد الله وإيـاي بتقـوى الله ، فإنهـا الجـواز إلـى درج النعيم ، والمجاز عن درك الجحيم ، وأحثكم على الصلاة فإنها بـاب الملـة،

---

(١) سورة الحج : ٣٦ .

وحافظة النحلة ، وعلى الصيام فإنه جنة من العذاب ، وسبيل إلى الثواب، وعلى أداء الزكاة فإنها حق في أموالكم معلوم، وفرض في دينكم محتوم، وعلى حج البيت فإنه يسلب الفقر، ويجلب الوفر، وعلى صلة الرحم فإنها مثراة في المال، ومنسأة في الآجال، وعلى حق الجار، فإنه زاد ليوم الافتقار، وعلى صدقة السر فإنها تكفر الخطايا، وتنفي بغتات المنايا، وتجنبوا الكبائر، واحذروا الجرائر، ولا تقربوا الزنا فإنه يظهر الفاحشة، ويورث طول الحساب والمناقشة، ولا تبخسوا المكيال والميزان، فقد جاء فيهما وعيد من الرحمن، ولا تشربوا المسكرات، فإنها تضاعف السيئات، ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ ﴾ (١) ، فالقتل من الموبقات، المحبطات للحسنات، ولا تأكلوا الربا فإن ربحه خسران، وزيادته نقصان، وتجنبوا مال اليتيم، وأحسنوا قضاء الغريم، واحذروا المظالم، فإنها ظلمات لا يجليها إلا القضاء، ولا يكشفها إلا الأداء، ﴿ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (٢) ، فإن الطاعة حبل الله المتين ، وصراطه المبين، واعتصموا الدعاء لخواصكم وعوامكم، في منصرفكم ومقامكم، فإنكم لا محالة على الله قادمون ، وبين يديه موقوفون ومحاسبون ، ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (٣) .

عباد الله ، أوصيكم وإياي بتقوى الله وحده ، والعمل بما عنده ، وأحذركم الموت المفرق بين الروح والجسد، والوالد والولد ، حتى لا يبقى على الأرض أحد ، بينما المرء مشغول بدنياه ، لا يعمل فيها لأخراه ، حتى

---

(١) سورة الإسراء : ٣ .
(٢) سورة النساء : ٥٩ .
(٣) سورة البقرة : ٢٨١ .

هجم عليه هادم كل لذة، ومنغص كل شهوة، ومورث كل حسرة، فلا يرحم طفلاً لصغره، ولا شيخاً لكبره، فغارت عند ذلك المشهد منه العينان، وتقلصت منه الشفتان، فامتسك اللسان، وبسط بناناً وقبض على بنان، وترادف عليه النزع بشدة السياق ، وناح أهله للغيبة والفراق ، وثقل عليهم لبثه بعد كرامته وإعزازه، واستوحشوا من قربه فأسرعوا في جهازه، وبادروا به إلى حفرته وقراره، وتركوه متحلياً بعمله، فيا طول حسرته وخساره، متفرداً بالظلماء ليس فيها أنيس ، قد فقده الأخ والجليس، في شدائد الأهوال، إلى يوم الحشر والسؤال ، يوم ينادى بالخلائق، هلموا للعرض على الخالق، فكيف بك أيها العبد الذليل، إذا وقفت بين يدي الجليل ، فوبخك على انتهاك المحارم، وركوب المآثم، فقال لك عبدي ألم أغذك بالنعم ، وألاطفك بالكرم، بارزتني بالمعاصي وأنا أنظر إليك ، وأخفيتها عن خلقي فسترتها عليك، وأنا أقرب إليك من حبل الوريد، وكنت أهون الناظرين عليك، أيها الشاب أما اتقيت، أيها الكهل أما ارعويت، أيها الشيخ أما استحيت، بارزتني فيه بالذنوب، وأنا علام الغيوب، أما لو أذنت للسماء لحصبتك، أو أذنت للأرض لابتلعتك، يا عبد السوء ألم أتقرب إليك بالنعم والمنائح، وتباعدت عني بأعمال القبائح، يا عبد السوء أم توعظ فلم تقصر، أم تذنب فلم تستغفر، أو ظننت أني لا أسمع ولا أبصر، بلى قد كنت بالمرصاد، من جميع العباد ، فالحذر الحذر عباد الله ، من قبل أن يقال لذوي الألباب والعقول، ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾(١) ، أيها الناس كيف إذا وضع الميزان ، ونشر الديوان ، ومد الصراط على

---

(١) سورة الصافات : ٢٤ – ٢٦ .

متون النيران ، وينادي المنادي: إلا قد سعد فلان ، وشقي فلان ، ذلك يوم كرهت الأمراء فيه سلطانها، ورفضت الملوك فيه أجنادها ، وغشيت القلوب بسكراتها، وذرفت العيون بعبراتها، والحوامل ألقت ما في بطنها ووضعت، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت، وفرجت السماء فانقدت ، وكورت الشمس فاسودت، وانكدرت النجوم فتناثرت، واندكت الجبال فتسايرت، وزلزلت الأرض فبدلت، وأهملت العشار فعطلت، وشققت القبور فبعثرت ، وبعث الأموات فنشرت، وأزلفت الجنة فأدنيت، وبرزت الجحيم فسعرت، ونشرت الصحف فقرئت، وجاءت الحفظة فشهدت، وأقرت الجوارح فنطقت ، ووجفت القلوب فخفقت، ووفيت كل نفس ما عملت، وهبطت الملائكة نازلين، وقاموا صفوفاً خاضعين، ووقف الخلق على ركبهم جاثين، وجيء بالنبيين والمرسلين، والخصماء المتظلمين، وقضى بينهم رب العالمين، هنالك الفوز للمطيعين، والعز للمتقين، والأمن للخائفين، والقرب للسابقين، والأجر للصابرين، والعفو للتائبين .

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله الله أكبر ولله الحمد، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (١) ، ﴿ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٢) ، التي أوقد عليها ألف سنة فابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة فاحمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة فاسودت، فهي الآن سوداء مظلمة، منتنة مدلهمة، إذ يؤتى بها تقاد بأزمتها وأغلالها، وسلاسلها وأنكالها، تسمع لها تغيظاً وزفيرا، ولها تلهباً وهديرا، فعند ذلك تفتح

---

(١) سورة لقمان : ٣٣ .
(٢) سورة البقرة : ٢٤ .

أبوابها، ويساق إليها أصحابها، فتصيح بهم صيحة عظيمة، فيتساقطون في قعرها ثاويين، وعلى وجوههم منكبين، لا يقال لهم عثرة، ولا يرحم لهم عبرة، إن استغاثوا فلم يغاثوا، وإن استجاروا لم يجاروا، وإن نادوا لم يجابوا، وإن بكوا لم يؤجروا، يقولون : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ {١٠٦} رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ {١٠٧} قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ (١) ، مساكين أهل النار عن الجنة محجوبون، وعن الرحمة مبعدون، وفي جهنم مكبوبون، ومع الشياطين مغمومون، مقيدة أرجلهم، مغلولة أيديهم، منكشفة عوراتهم ، متغيرة ألوانهم، منطمسة أعينهم، ساقطة ألسنتهم، ذاهبة أبصارهم، مسودة وجوههم ، طافية أنوارهم، مشغوفة قلوبهم ، طويلة أحزانهم ، أشقياء ينادون بالويل والثبور، يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديد ، يا مالك قد حل بنا العذاب الشديد، يا مالك قد سال منا الصديد، يا مالك قد ذابت منا الجلود، يا مالك قد تمزقت منا الخدود ، يا مالك قد تقطعت منا الكبود ، يا مالك قد أكلت النار عظامنا، وقطعت قلوبنا ، فاسقنا شربة نبرّد بها أجوافنا، فيسقيهم مالك شربة من الحميم ، قد انتهى فيه حر العذاب الأليم، إن بلغ الوجوه تمزقت الخدود، وذابت من حره الأمعاء والكبود، وقال عز من قائل : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً ﴾ (٢) .

الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، عباد الله : ﴿ سَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ {١٣٣} الَّذِينَ يُنفِقُونَ

(١) سورة المؤمنون : ١٠٦ – ١٠٨ .
(٢) سورة الكهف : ٢٩ .

فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [1] ، الذين أطاعو إلههم، وخالفوا أهواءهم ، طوبى لهم مغفرة ورزق كريم .

عباد الله فانتبهوا من هذه الرقدة، قبل سكون دار الوحدة ، فالناجي يومئذ غانم، ورائد إلى النعيم الدائم ، في جنة ذات ألوان ، وسرر وحجال وأرائك وظلال، عن يمين وشمال، وفاكهة مثمرة، وأشجار مخضرة، قد سكنوا القصور، وتوشحوا بالنور، يلبسون الحرير، فمنهم على سرير، ومنهم على نجب يطير، يتبخترون في الجنان، على الأرائك والوالدان، في ظلال متصلة، ونعيم مفضلة ، وأثمار لهم متهدلة، وأشربة الرحيق لهم مختمة، وأنهار من خمر مسنمة، وعلى ولي الله يومئذ سبعون ألف حجاب، فطوبى لهم وحسن مآب، ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ {٢٣} سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [2] ، ثم إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه ، وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، وأتى بكم أيها المؤمنون من عباده تعميما، فقال مخبراً وآمراً لهم تكريما، ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [3] ، فأجيبوا الله عباد الله إلى ما دعاكم ، وصلوا على من به الله هَداكم .

اللهم صلِّ على محمد الهادي إلى الجنة ومسائلها، اللهم صلِّ على محمد المحذر من النار ومهالكها، اللهم صلِّ على محمد قامع ملوك الكفر

---

(١) سورة آل عمران : ١٣٣ ـ ١٣٤ .
(٢) سورة الرعد : ٢٣ ـ ٢٤ .
(٣) سورة الأحزاب : ٥٦ .

وممالكها، اللهم صلِّ على محمد إمام الأبرار، وسمام الفجار، وشفيع الأمة إلى الجبار، وصلِّ عليه وعلى آله البررة الأخيار، وعلى الخليفة من بعده المختار، صاحبه وأنيسه في الغار، الموصوف بالكرم والإيثار، ومورد أهل الردة موارد الصَّغار، السابق إلى شرف التصديق، وموازر الرسول في حال السعة والضيق، أهل الخلافة ومستحقها بالتحقيق، إمام البررة أبي بكر الصديق، وعلى من سبقت الدعوة بإسلامه، وأذن الله بفضله وإكرامه، وأمر بإظهار الدين بعد انكتامه، وخضعت الأبطال لهيبته وإقدامه، الذي نشر في الآفاق فاشتهر، وردع العصاة لإقامة الحدود وزجر، ونهى عن المنكر وبالمعروف أمر، العادل الفاروق أبي حفص عمر ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجات النبي أمهات المُؤمنين ، والتابعين وتابع التابعين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم صلِّ على ملائكتك المقربين، وعلى أنبيائك والمرسلين، وعلى أهل طاعتك أجمعين ، من أهل السموات وأهل الأرضين ، اللهم إنا نسألك لبلدك عُمان، وغيرها من الأمصار والبلدان، أن تظهر فيها دعوة المسلمين، وسنة نبيك الأمين، وأقم فيها أحكام العدل، وقو فيها أهل الورع والفضل، وطهرها من الفساد والجهل، وأعلُ فيها كلمة أهل الصدق، الداعين إلى الحق، واختر لها إماماً مرضيا، عدلاً صالحاً تقيا، نزيهاً عن الطمع وليا، يعمل بقول المسلمين، ويعادي المردة المجرمين، اللهم أصلح أئمتنا، وقضاتنا وولاتنا وولاة أمورنا، ووفقهم للعمل بما يرضيك، إنك سميع الدعاء ، ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

اللهم انصر جيوش المسلمين ، وسراياهم ومرابطهم وأحراسهم

---

(١) سورة الحشر : ١٠ .

وأطـرافهم، حيـث كـانوا وأينمـا كـانوا مـن مشـارق الأرض ومغاربهـا، وانصرهم نصراً عزيزا، وافتح لهم فتحاً يسيرا، واجعل لنـا ولهم علـى عدونا وعدوك سلطاناً نصيرا، اللهم واحفظ حجاج بيتك الحرام، والزائرين لقبر نبيك محمد عليه السلام ، وبارك لهم في النفقة، واحملهم على اللوح والظهر والقدم، حتى تبلغهم حرمك وأمنك سالمين، آمنين غانمين، ثم أتم حجهم ونسكهم، وافتح لنا من الخير كما فتحت لهم، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنـا من القـانطين، اللهم ارفـع عنـا الغلاء والوبـاء والعرض والمرض والفحشاء والمنكر والقحط، والفتن ما ظهر منها وما بطن، من بلدتنا هذه خاصة، ومن بلدان المسلمين عامة، إنك على كل شيء قدير، اللهم اجعل مجتمعنا هذا مجتمعاً مرحوما، وتفرقنا من بعده تفرقاً معصوما، ولا تجعل اللهم فينا شقياً ولا محروما ، واجعلنا ممن آمن بك فهديته ، واستعان بـك فأعنته، واستجار بك فأجرته، اللهم أجرنا من النار، اللهم أجرنا من النـار، اللهم أجرنا من النار، فإنها بئس الدار، وبئس المثوى وبئس القرار، اللهم إنـك أمـرت المـؤمنين مـن عبـادك بالسـعي فـي هـذا اليـوم، فأجابـت هـذه العصابة دعوتك، وسارعوا إلى أمرك، يبتغون رضاك، ولا يريدون سواك، فلا تخيب سعيهم إليك، وأعطهم ما طلبوا لديك، وامنن اللهم على من غـاب أو ظهر من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات بعفوك وغفرانـك ورحمتك يا أرحم الراحمين، ﴿ ومِنهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَـا آتِنَـا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّار ﴾[1]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَـاء ذِي الْقُرْبَـى وَيَنْهَـى عَنِ الْفَحْشَـاء وَالْمُنكَـرِ وَالْبَغْـيِ يَعِظُكُـمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2]، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها السامعون .

---

(١) سورة البقرة : ٢٠١ .

(٢) سورة النحل : ٩٠ .

هذه خطبة عرفة :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله على يوم الحج الأكبر، ويوم عرفات ويوم المشعر، وعلى كل نور من الله يزهر، في كل محفل ومنبر، وموقف أمر الله فيه أن يذكر، ويهلل ويكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله الله أكبر ولله الحمد، نحمده على كثير نعمانه، ونشكره على تتابع آلانه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً (صلى الله عليه وسلم) عبده ورسوله ، عبد أراد الله إرشاده ، وسبقت له من الله السعادة، فخصه الله برسالاته ، وأحكامه وآياته ، وشرفه بالكتاب والتنزيل، وعضده بجبرانيل وميكائيل ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن والاه، كما اختاره لإقامة دينه وارتضاه ، فاتقوا الله عباد الله ، ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) ، جعلنا الله وإياكم من الآمنين ، وقال عز من قائل : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ {٢٧} لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ {٢٨} ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (٢).

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، اللهم إن هذه عشية من عشيات رحمتك، وساعة من ساعات مغفرتك، قد ترحم فيها التضرع والبكاء، وتجيب فيها الدعوة والنداء، أتتك وفود الحجاج، وجاءتك من كل مسلك ومنهاج، وقطعوا الأودية والفجاج، وركبوا اللج والأمواج، ابتغاء

---

(١) سورة آل عمران : ١٣٣ .

(٢) سورة الحج : ٢٧ – ٢٩ .

رضوانك، ورجاء غفرانك، وعمارة لكعبتك، وإجابة لدعوتك، وإعظاماً لطاعتك، قصدوا من لا تكثره الحاجات، ولا تشتبه عليه اللغات، ولا تأخذه غفلة ولا سنات، يسألون الصفح عنهم ويدعون، ويأملون القبول منهم ويرجون، يا سميع الدعاء، يا جزيل العطاء، يا جميل البلاء، يا عزيز الجلال، يا منيل النوال، يا كريم الفعال، يا عظيم الملك والسلطان، يا عميم المن والإحسان، يا من لا يزيد في جوده كثرة عطائه، ولا يضيق عن جوده رحيب فنائه، ولا يطرد عن بابه طلاب رجائه، ولا يرجع بالخيبة من عنده أهل رجائه، ولا يشقى بدعائه أهل دعائه، وأنت غايتنا التي إليها المنتهى، ومطلب حاجتنا التي ليس لنا عنها غنى ، فاجعل آمالنا صادقة، وأعمالنا إليك صاعدة، وأكداحنا إليك نافعة، وحاجاتنا بالنجح من عندك راجعة، وحلاوة ذكرك بقلوبنا واقعة، يا كريم إنا عبادك بك لائذون، ولرحمتك منتظرون، لا غنى لنا عن رفدك، ولا عوض لنا عن قصدك، فإن منعتَ ، فإلى من غيرك نفزع ، وبمن نشفع ، وبمن نطمع ونسمع ، وأين نذهب وإلى من نرجع ، من ذا الذي يفتح بابه، ويرفع حجابه، ويجزل ثوابه، من ذا الذي ينادي في ظلمة الليل، من يسأل فأعطيه، ويستهدي فأهديه، أنت ذاك يا جواد، وأنت ذاك يا رب العباد، إلهنا لا يزيد في ملك انتقامك منا، ولا يوهي سلطانك عفوك عنا، وها نحن عبادك بين يديك، قد هربنا منك إليك، ودلتنا العواطف منك عليك، فنحن في الذنوب نسبح، ونعوم بأثقالها فيها ونكدح، قد علت الرقاب فأذلتها، وجثمت على الصدور فأثقلتها، وخالطت الآمال فطولتها ، ونحن خائفون أن تذهب الأعمار، وينزل بنا سوء الأقدار، ونحن في أبعد أمل وأطول، وأغر ما كنا عليه وأغفل، إذ المنية بنا واقعة، ولأيامنا قاطعة، ولخدودنا صادعة، وهذا يوم النوال، والوقت الذي نمد إليك فيه الآمال، وقد حضرنا بين يديك، وبسطنا

أيدينا الخاطئة إليك، نسألك أن تعفو عنا وتصفح، وتجود لنا وتسمح، وتأذن لأبواب السماء أن تفتح، وأن تقينا شر ما خلقت وبرأت وذرأت، وشر ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وشر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم، اللهم ارزقنا من العلم أنفعه، ومن العمل أرفعه، ومن القول أصدقه، ومن اليقين أوثقه، ومن الخير أكمله، ومن الصبر أحمله، ومن الحلم أعدله، ومن التقى أدومه، ومن الهدى أعظمه ، ومن العيش أنعمه ، ومن النظر أحزمه، ومن الرجاء أعظمه، ومن الخلق أكرمه، ومن الرحمة أكملها، ومن النعمة أسهلها، ومن العاقبة أجملها، ومن العبادة أفضلها ، اللهم قنا شر المضجع، وبلغنا حسن المرجع، وآمنا عند الجزع، وثبتنا عند معاينة هول المطلع، ولا تفضحنا على رؤوس الأشهاد في ذلك المجمع .

اللهم قد سعينا إليك بالذنوب، ما قدمنا وما أخرنا في اللوح المكتوب، فهو ينتظرنا ونحن ننتظر الرحمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، اللهم رجاؤنا مما ننتظره، وآمنا مما نحذره، ولا تؤاخذنا بما قدمنا، واغفر لنا ما أجرمنا، وهب لنا من حسن اليقين ما يسهل به علينا انتظار المنية، وارزقنا جميل الظن ما نتيقن به بلوغ الأمنية، واكفنا ظلم الظالمين، وحقد الضالين، اللهم أعطنا ثواب الأوابين، وأجزنا جزاء المحسنين، واحشرنا مع المتقين، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، اللهم لا تضلنا في حال من أحوالنا، واستعملنا فيما ترضى به عنا، واجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيرا، وأتم علينا تمام نعمتك، وصل لنا دوام العصمة بك، وقنا من تحول النعمة، إنك ذو وفاء وذمة، اللهم فما آتيتنا من حسن فاجعله في زيادة، وما بقي من أعمارنا فاجعله في عبادة، وارزقنا الخير والبر حتى نبلغ من جزيل ثوابك أفضل الجزاء، ثم لا ننصرف من مجلسنا

إلاّ وقد غفرت لنا الذنب العظيم، وتجاوزت عنا يا كريم .

اللهم إنا قد وجدنا مناهل الرجاء لك مترعة، وأبواب الاستجابة لمن دعاك مفتّحة، والاستغاثة لمن استغاث بك مباحة، وحوانج من قصدك منجحة، وألفينا بدعائك موضع الإجابة، بأسمائك ندعو ونخطب، وإحسانك نبغي ونطلب، فيا من عليه خطايا وذنوب، وشمس حياته قد أخذها الغروب ، فما أقسى قلبه بين القلوب ، إن لم يتب في هذا الوقت فمتى يتوب .

واذكروا إخوانكم في هذه الساعة، وفي هذه الليالي بحسن الطاعة، كم ماشٍ على الأقدام، وراكب على الأنعام، يرجو جزيل الإحسان في هذا العام، وكلهم يتضرع بالتلبية والدعاء، هذا قد طاف وهذا قد سعى، أولئك وفد الله وحجيج بيته، ومجيبو دعوته، والمسارعون إلى مغفرته، يباهي الله بهم ملائكته، وينشر عليهم رحمته، ويكتب لهم الحسنات، ويعفو لهم عن السيئات، ويعلم ما يفعلون، مثلوا أنفسكم كأنكم بينهم، إذا كأنكم معهم، وقوموا على الأقدام مثلهم، واسألوا مولاكم فقد كفاكم، ومن جزيل ما أعطاهم أعطاكم، وافقوهم بالتلبية بلفظ لبيك، اللهم لبيك واجعل تضرعنا بين يديك، إنك على كل شيء قدير، ثم إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه ، وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، وناداكم أيها المؤمنون من بين عباده تعميما، فقال مخبراً وآمراً تكريما، ﴿ إِنَّ اللَّـهَ وَمَلَائِكَتَـهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[1] .

اللهم صلِّ على محمد إمام الأبرار، وسمام الفجار، وشفيع الأمة إلى الجبار، وصلِّ عليه وعلى آله البررة الأخيار، من المهاجرين والأنصار، وعلى الخليفة من بعده المختار، صاحبه وأنيسه في الغار،

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٦ .

الموصوف بالكرم والإيثار، ومورد أهل الردة موارد الصغار، السابق إلى شرف التصديق، ومؤازر الرسول في حال السعة والضيق، أهل الخلافة ومستحقها بالتحقيق، إمام البررة أبي بكر الصديق، وعمن جهر بالإسلام، وأباد عبدة الأصنام، واستفتح الأقاليم بالصمصام، الناسك الأواب، حليف المحراب، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وعن بقية الصحابة أجمعين، وعن المؤمنين من الأنصار والمهاجرين، وعن زوجات النبي أمهات المؤمنين، وتابعيهم وتابعي تابعيهم إلى يوم الدين، وعنا معهم يا أرحم الراحمين، وارض اللهم عن إمام الأولياء، وولي الأتقياء، وخليفتك في الأرض بعد الأنبياء، الإمام العدل الوفي ، صاحب القلب الخفي، فلان بن فلان الفلاني ، اللهم ثبت أركانه على الدوام، وبوأه في العقبى خير منزل ومقام، وأحله من العلياء غاربها، وملكه مشارق الأرض ومغاربها، واجعل الملائكة من أنصاره وحزبه، ومكنه في الأرض تمكين الوارثين، واقمع به رؤوس المردة الفاسقين، واجمع به شمل المؤمنين، وأظهر به دعوة المسلمين، اللهم واحصد أعداءه حصدا، وأحصهم عددا، وبددهم بددا ، ولا تبق منهم أحدا ، حيث كانوا وأين كانوا من بر أو بحر، واجعله ومن والاه في الأمن راتعا، ولجميع الفضل والخيرات جامعا ، وجميع من عاداه بالذل والصغار خاشعا، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين.

اللهم ارفع عنا الغلاء والوباء، والعرض والمرض والفحشاء والمنكر، والقحط والفتن، ما ظهر منها وما بطن، من بلدنا هذه خاصة، ومن بلدان المسلمين عامة، إنك على كل شيء قدير، اللهم قد علمت فاغفر، وقد سمعت فاستجب، وما أنت له أهل فافعل ، آمين رب العالمين، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وسلم عليه وعليهم أجمعين، إن أفصح المقالة بيانا، وأصحَّ الدلالة برهانا،

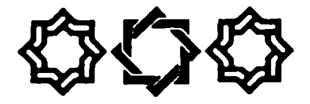
كلام سيدنا ومولانا ، ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً {٢٥} الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً ﴾(١) ، ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٢) .

قال ذو الغبراء: ينبغي للخطيب أن يخطب قياما، وبوجهه إلى الشرق مستقبلا، ويكون وعظياً ويرتل القرآن ترتيلا، وقيل ينبغي أن تكون الخطبة أقصر من الصلاة، وخطبة عيد الأضحى أقصر من عيد الفطر، وفي عيد الأضحى تكون الصلاة مع شروق الشمس في البطاح، وعيد الفطر يؤخرها إلى وقت الضحى، ومتى جاءهم الخبر الصحيح بالهلال في آخر رمضان فليخرجوا فيه إلى الجبّان .

وقال الشيخ علي بن ناصر :

كفى عظةً لو صادفتْ قلب خاشع ... ولو سمعتها في الورى أذن سامع
ولكنْ عموا عنها وصموّا سوى بنا ... قليلَ أناسٍ من قريب وشاسع
فيا ربِّ اجعلْ كلَّ موعظةٍ لنا ... من القاسيات العمي أنفعَ نافع
فإنك أهل أن تعافي وتبتلي ... وتعفو وترجى في الرخا والفواجع
وصلِّ على خير الأنام محمد ... وصفوتِك الهادي لخير الشرائع

قال الشيخ حميد بن محمد بن رزيق : الأحسن أن يقول : (إلى القاسيات) ؛ وفي موضع قال : (أن تعافي من البلا).



(١) سورة الفرقان : ٢٥ – ٢٦ .
(٢) سورة النحل : ٩٠ .

الذكر التاسع والأربعون :
فيه ذكر بعض العُلماء والأئمة ، وحكم استهلاك أموال سيف بن سُلطان وبني النبهاني ، وتحريم بيع الخيار

أخبار عن بعض عُلماء عُمان :

قال ذو الغبراء : رأيت في زماني الشيخ العالم عامر بن علي بن مسعود العبادي ، والشيخ ناصر بن أبي نبهان ، وأبا نبهان العالم الرباني جاعد بن خميس الخروصي ، وسمعته يثني على أخيه في الله الشيخ سعيد بن أحمد الكندي .

وقيل : إن في زمن الشيخ حبيب بن سالم أمبو سعيدي ، الذي حضر مع الإمام بلعرب بن حمير اليعربي ، وأراد الإمام منه ومن حضر معهم من أهل العِلم ، أن يكتبوا مال الهالك سيف بن سلطان اليعربي ، وحكموا باستهلاك ماله ، لإتيانه العجم الذين قتلوا وأهلكوا أهل عُمان، وبعض أهل العلم لم يحضروا معهم وأنكروا عليهم .

والشيخ حبيب بن سالم ، أخذ العِلم عن الشيخ سعيد بن بشير الصبحي ، والشيخ سعيد أخذ عن عُلماء زمانه ؛ وأما الشيخ محمد بن عبد الله بن جمعة بن عبيدان ، يرفع عن الشيخ العالم التقي صالح بن سعيد بن زامل الزاملي ، يرفعه عن الشيخ الولي محمد بن عُمر بن مداد ، عن الشيخ الفقيه عبدالله بن محمد القرن ، عن الشيخ أحمد بن مداد ، وهو الذي سُئل عن العُلماء ، وكتب أسماءهم ومواتهم[1].

---

(١) يقصد : وفياتهم .

بيع الخيار أو بيع الإقالة ويطلق عليه العوام الرهن :

وهاك بيان في ذكر بيع الخيار اجتمع المشايخ العلماء الأتقياء القدوة مداد بن عبدالله بن مداد العقري النزوي، والفقيه عبدالله بن محمد ابن سليمان بن عمر النزوي، والقاضي أبو غسان وورد بن أبي غسان البهلوي، وعمر بن زياد البهلوي، ومحمد بن أبي الحسن بن صالح بن وضاح المنحي، وجماعة ممن حضره من أهل العلم والبصر عند الإمام العادل الكامل العاقل محمد بن إسماعيل بن عبدالله بن محمد الحاضري بقرية نزوى، وطالعوا الآثار المسنودة عن العلماء الأخيار المسنودة عن سيد المرسلين الذي نزل عليه الروح الأمين بالوحي من رب العالمين فوجدوا أن بيع غلة الخيار حرام، فحكم الإمام ومن ذكرت من المسلمين بتحريمها وبفساد البيع الخيار لأنه أقرب للتقوى وأسلم من البلوى لقوله (عليه السلام) : " من أجبى فقد أربا "(١)، وهذا الحكم نهار يوم الأربعاء من شهر جمادى الآخر من شهور ثماني وعشرين سنة وتسعمائة سنة.

ثم سألت الشيخ العالم ناصر بن أبي نبهان [عن هذه المسألة فقال:](٢) إن هذه مسألة مما يجوز فيها القول بالرأي وإجماعهم على استحسان رأي لا يكون إجماعاً على الدينونة يلزم غيرهم العمل به إلا من رأى الأقرب إلى الحق هو رأيهم، وأما من رأى الحق خلاف ذلك، فعليه أن يعمل بما رآه أنه هو أقرب إلى الحق، ولكن البيع الخيار في الأموال لا يجوز مع من أجازه إلا أن يكون قاصداً أنه الأصل لا لطلب الزيادة بالغلة وقد استعمله والدنا، رحمه الله، مع قصده بهذا واستغله ولم يرد الغلة

---

(١) مجمع الزوائد: ج٩، ص٣٧٥، الآحاد والمثاني: ٢٧٠٨/٥، المعجم الكبير، ج٢٢، ص٤٨.
(٢) ما بين القوسين إضافة من عندنا ليستقيم معنى الكلام.

وينظر في ذلك.

الخلاف في صلاة الجمعة :

وكذلك أهل عُمان فقد اجتمع أشياخهم في زمانهم على صلاة الجمعة في البلدان في قرى عُمان قد ابتدعوا في عصرهم وما اقتفوا بالعُلماء الذين مضوا قبلهم، وأما الذين من بعدهم فقد تركوها إلا عند الإمام يصلونها، وأما في صحار فإنها ثابتة عندهم في كل عصر لأنها من سابعة الأمصار تصلى الجمعة فيها خلف الفاجر والبار.

الحكم في أموال بني نبهان :

وهذا ما وجدته بخط الشيخ العالم النحرير محمد بن عبد الله بن مداد:

بسم الله الرحمن الرحيم ، قد صح عندي وثبت أن جميع الأموال والأملاك التي خلفها السيد مظفر بن سليمان بن نبهان، عن ولده سليمان وشركائه ثم خلفها سليمان كلها قد استهلكت بضمانات الديون التي جنياها من مظالم الناس المجهول منهم والمعلوم لأن قد استغرقها الدَّيْن وصار حكم ذلك للإمام، فكل من أصح بينة على دينه فله قسطه بما أوجبه الحق في حكم الله. كتبه الفقير لرحمة ربه عبدالله بن مداد يوم السبت لثلاث عشرة ليلةٍ بقيت من شهر صفر سنة تسع وثمانين وثمانمائة.

وعن الشيخ محمد بن علي بن عبد الباقي : بسم الله الرحمن الرحيم ، في عشي الأربعاء لسبع خلون من شهر جمادى الآخرة من سنة سبع وثمانين وثمانمائة سنة هجرية نبوية محمدية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام ، أقام الشيخ القاضي المجاهد سيف الإسلام وقطب عُمان

أبو عبد الله محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج محمد بن عمر بن أحمد ابن مفرج ، وكيلاً لمن ظلم من المسلمين من أهل عمان الذين ظلمهم السادة الملوك من آل نبهان من لدن السلطان المظفر بن سليمان بن المظفر بن نبهان إلى آخر من ظلم من نسله وولده وولد ولده الملكين سليمان بن سليمان وحسام بن سليمان وكذلك أقام أحمد بن صالح بن عمر بن أحمد بن مفرج وكيلاً للملوك المقدم ذكرهم، فقد صح عندنا ذلك فقضى أحمد بن صالح محمد بن عمر جميع مال آل نبهان من أموال وعروض ونخيل وبيوت وأسلحة وآنية وغلل وتمر وسكر وجميع مالهم كائناً ما كان من ماء وبيوت ودور وأطوي وأثاث وأمتعة قضاء ثابتاً واجباً، وقبل محمد بن عمر هذا القضاء للمظلومين من أهل عمان من غاب منهم أو حضر وكبر منهم أو صغر للذكور منهم والإناث فصارت هذه الأموال بالقضاء الكائن الصحيح للمظلومين قد جهلوا معرفتهم فصار كل مالٍ مجهول ربه للإمام أعزه الله ونصره في إعزاز دولة المسلمين والقيام بها، وكل من أصح حقه وأثبته فهو له من أموالهم ويجرى له بقسطه إن أدرك ذلك وإن لم تدرك التجزية ولم يحط بها فذلك النصيب نصيبه غير معلوم والمجهول للفقراء والإمام يقبض الأموال المعينة وأموال الفقراء ومال من لا رب له ويجعله في عز الدولة للمسلمين، فقد صح هذا القضاء والحكم فيه فمن بدله بعدما سمعه، فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم . كتبه وحرره الفقير لله تعالى المضطر إليه محمد بن علي بن عبدالباقي بيده حامداً موحداً مصلّياً مسلماً مستغفرا .

شهد بجميع ذلك أحمد بن صالح بن عمر بن أحمد بن مفرج ، وكتب بيده شهد بما في هذه الورقة محمد بن عمر بن أحمد بن مفرج

وكتب بخط يده . سألني الإمام المعظم محمد بن إسماعيل عن أموال بني نبهان وحوز المسلمين لها ممن تقدم من الأئمة مثل عمر بن الخطاب بن محمد فهذه الحجة أجازوها وأحلوها للإمام عمر بن الخطاب فجعلت تنتقل من إمام إلى إمام إلى يومنا هذا ولم يعب أحد ذلك وكان في ذلك الأوان جملة من العلماء الأتقياء البلغاء العظماء والحق أحق أن يتبع وما بعد الحق إلا الضلال كتبه أحمد بن صالح بن عمر بن أحمد بن مفرج .

بسم الله الرحمن الرحيم ، ليعلم الواقف على كتابي هذا من جملة أحكام المسلمين أولي الفقه في الدين بأن قد شهد عندي الثقتان العدلان الوليان وهما الوالد عمر بن زياد بن أحمد وعمر بن يمان بن محمد شهادة لله تعالى مؤتلفة غير مختلفة بأن الإمام العدل الرضي عمر بن الخطاب النزوي (رحمه الله) حاز جميع الأموال التي بعمان المنسوبة بالتسمية لبني نبهان حازها لبيت مال المسلمين وعز دولتهم وذلك بعدما حكم بها حكام المسلمين من أهل عمان لبيت مال المسلمين ولعز دولتهم فحازها لبيت مال الله تعالى ولعز دولة المسلمين إلى أن انقضت إمامته رحمه الله، هذا ما شهدا به عندي بعد أن طلب منهما الإمام العدل بركات ابن محمد بن إسماعيل أعزه الله تأدية هذه الشهادة فأجزت شهادتهما وأثبتها وحكمت بما شهدا به من أموال المذكورين في هذا الكتاب لبيت مال المسلمين، ولعز دولتهم لا يرثها وارث إلى يوم القيامة، وكانت صحة هذه الشهادة منهما والحكم مني بذلك في ضحى نهار الثلاثاء خامس شهر صفر سنة ثماني وأربعين سنة وتسعمائة سنة هجرية نبوية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام، وكتبه وصح معه عبد الله بن عمر بن زياد بن أحمد بيده، وكذلك حكم الإمام محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن

محمد بن إسماعيل حكم في أموال بني رواحة الداخلين في الفتنة يوم قادوا سليمان بن سليمان ويوم قادوا مظفر بن سليمان إن الذي اجترحه سليمان وولده صار ضمانة على من أقادهم وذلك يوم الأحد لثلاث ليال خلون من شهر شعبان سنة تسع وتسعمائة سنة وأثبتوا حكم العلماء في حضرة عبدالباقي بن محمد بن علي، ومحمد بن سليمان بن محمد بن عمر، وأبو القاسم بن شايق بن عمر، وأبو القاسم محمد بن سليمان، وسعيد بن زياد، ومداد بن عبدالله بن مداد ، وغسان بن ورد، ومحمد بن عبد الله بن مداد ، وعباد بن محمد، وخالد بن سعيد بن عمر، ومحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عبدالرحمن ، وأحمد بن خليل بن أحمد .

وأما الإمام محمد بن سليمان في زمن العالم محمد بن علي بن محمد بن عبد الباقي وزياد بن أحمد، والإمام أبا الحسن خميس بن عامر في زمن سليمان بن أبي سعيد وولداه محمد وصالح ابن الوضاح، ومداد وولده عبدالله وعمر بن أحمد وورد بن أحمد بن مفرج ورجب بن سليمان.

من قصيدة ابن هاشم لمدح شيخه ابن مداد :

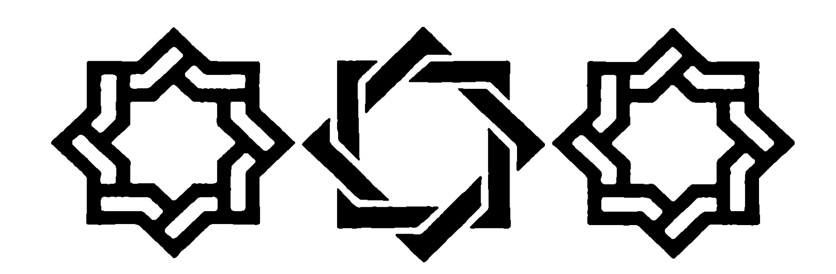
ويشربُ بولَ الإبلِ والرسلِ للوبا   وأما ابنُ مداد فقد قال فيه لا
تصحُّ رواياتُ الرسولِ حفظتُه   يفرق شفاها عنه في جملة الملا
جزى الله عنا الخيرَ من بحر   لنا كان عند الظماء ورداً ومنهلا

وقال عبدالباقي بن محمد بن علي يذكر شيخه والأطباء:

بقراطُ مفلوجاً مضى لسبيلهِ   ومبرسماً قد مات أفلاطونُ
وكذا أرسطاليسَ مسلولاً مضى   أيضاً وجالينوسهم مبطونُ

وأبو عليٍّ هالكٌ في شجةٍ ومَعَ الحذاقةِ ساورتُه منونُ
ما إنْ دواءُ الداءِ إلا بالذي إن قالَ للمعدومِ كنْ فيكونُ
وكذاكَ عبداللهُ ماتَ ميبَّساً ولسانهُ في حلقهِ مخزونُ
وهو الحكيمُ ولا حكيمَ كمثلِهِ تاهتْ به يومَ الفخار مزونُ
ذاك ابنُ مدّاد الفقيهُ المرتضى علم أغرُّ مهذبٌ مأمون
علامة في دهره فهامة بحر العلوم مطهر مصونُ
فلتبكِه منا محاجرُنا دماً ولتدر أدمعَها عليهِ عيونُ
فعليه رحمةُ ربهِ وسلامِهِ ما ناجى ورْق في الوكور جنونُ
فاذهبْ عليكَ من المهيمِّن رحمةً واعلم بأني بعدك المحزونُ

وأما أهل عُمان ، فقد اجتمع عُلماؤهم الذين يفتون بالرأي ، ثلاثمائة عالم ، في المائة التي بعد الألف من الهجرة النبوية الإسلامية .



الذكر الخمسون :

في العقل وزواله ودواؤه، وفيه قصيدة في الرمل، وقصيدة في الفلك وإحاطة للنفس، وقصيدة في سر أسماء الله الحسنى، وقصيدة في النحو من نظم الشيخ ناصر بن أبي نبهان

أسباب ذهاب العقل ودواؤه :

قال ذو الغبراء : سألت صاحبي عن ذهاب العقل ما سببه؟ قال: أما العقل فزواله من كثرة خروج الدم، ومنه ما يكون من كثرة الغم، ومنه ما يكون من حرارة الجوف والصفراء والسوداء، ومنه ما يكون من غلبة الدم، وذلك في الذي لا يخرج الدم على سنته في السنة مرة واحدة، ومنه ما يكون من رطوبة في الرأس أو يبوسة، فالذي يكون من كثرة خروج الدم فعليه بالغذاء الطيب، ويرد الدم أكل الطعام بالسكر والعسل والحلاوات، والذي من كثرة الغم فدواؤه بالتزويج والفرح، وأما الذي من حرارة الجوف فدواؤه بالشربة وأكل الرمان وأكل الزبيب يرد العقل ويعصمه، وأما الذي من كثرة الدم فدواؤه إخراج الدم، وأما الذي من رطوبة الرأس أو يبوسته، فإنه يستعطي للرطوبات و يعطش عطشاً كثيراً مائة عطشة أو أقل، ثم بعد ذلك يسعطُ بالسمن، ثم بعد أيام يسعطُ لبن الزنج السود، وإن عُدِمَ، فلبن النساء ومرارة الديك، ويأكل لحم الديك السمين بخبز البُرّ، ويشرَب دسمه.

وصفة للسوداء : يُؤخذ مخ ساق شاة سوداء سمينة ، أو جاعدة

سوداء سمينة ، ويُسحق بالعنبر الأشهب ، ويُذاب العنبر والمخ بالنار حتى يختلطا ، ويُترك حتى لا يكون حاراً ، ويُستعط به ويقعد به، وينفذ البر واللحم السمين يطبخ بالزيت ، ويُؤكل بخبز البر حاراً ، ويُطعم حلوى السكر الصافي الحسن ، وتكون حلوى نضيجة (نافع إن شاء الله تعالى) ، ولا يجعل في الحلوى والسعوط كافوراً فإنه بارد لا يوافق هذا بعد الشربة وسعط الزبدة إن قدر عليهما جميعاً وإلا دووي بلبن الزنجية الغتماء، وقيل سعوط الكافور الرياحي ولبن المرأة ينفع من الجنون.

وصفة سعوط للصرع وللسوداء مرارة الديك الأبيض وعندي أنه ما كان من دجاجة سوداء نافع ويجعل في لبن زنجية سوداء ويسعط به ثلاثة أيام، ويأكل الديك السمين بخبز بُر ثلاثة أيام نافع إن شاء الله تعالى.

وصفة شربة لوجع الظهر ولكل علة تكون في البدن خذ خمسة اسهم سكر وخمسة أسهم عسل النحل وخمسة أسهم لوز وخمسة أسهم ريزن ونصف سهم كافور يدق الجميع ويجعل بنادق أو أقراصاً ويؤكل منه على الريق كل يوم خمسة دراهم نافع إن شاء الله تعالى.

قصيدة في عِلم الرمل :

قلت لصاحبي : أجبني بقصيدة جامعة في علم الرمل وحكمه وسعده، ونحسه وطبعه وحروفه ؛ قال : هذه القصيدة التي وجدتها توافق لكلامك وهي كما ترى :

بدأتُ في النظم بسمِ اللهِ مذّكرا		والحمد للهِ ربِّ العالمين يرى
ثم الصلاةُ على المختار سيدِنا		والآلِ والصحبِ ما هبَ الصبا
يا سائلي عن بيوتِ الرملِ مبتغياً		علماً جليلاً لنظم الرملِ مختصرا

أعطيك تسكينَ سكناها وأحرفها السعدَ والنحسَ ثم الأنجمَ الزهرا
وبعدُ أعطيك أحكاماً محققةً من علمِ أشكالِ ما فيها وقد سترا
فالضاحكُ سعدُ نجم المشتري ولهُ بيتُ الحياةِ وافٍ حرفهِ زبَرا
والداخل القبضُ سعدٌ شمسُهُ طلعت حرفاه كض وبيتُ المالِ قد شهرا
والخارج القبضُ نحسٌ بيتُ أخوتِه حرفاه لغ ونحمِ الرأسِ منه يرى
جماعة حرفُها ميمٌ وممتزج عطارد بيتُه الآباءُ قد عمرا
وكوسجُ نحسِ مريخ وأحرفُه طاءٌ وذالٌ وبيتُ النسلِ قد دبرا
وعقلةٌ زُحَلُ نحسٍ ونونُ لها حرفُ وبيت مريضٍ والعبيدِ شرى
انكيسُها زَحَلٌ وأحرفُها بصٌ وبيتُ زوج المرءِ قد ظفرا
وحمرةُ نخس مريخٌ وأحرفُها جيمٌ وقافٌ وبيتُ الموتِ فيه طرا
بياضُها قمر سعدِ وممتزجٌ حرفاه، ويحكي بيتُه السفرا
ونصرةٌ خرجتْ والشمسُ تسعدُها في بيتِ سلطانِها هشُ الحروفِ ترى

وهذا من قول الشيخ جاعد بن خميس :

عجبتُ للجبان وقبضِ دخولِهِ وقبضِ خروج من جماعةِ أفراح
ومن عقل انكبس وحمر أبيض ونصرا خروج في دخول كالصلاح
وعتبى خروج في طريق دخولِها بجمع تقيٍّ الخدِّ في رومِ أرباح
فهذي هي الأشكال جاءَ سكونهُا على ما رأى الحبر الزناتي يا صاح
فردَّ إلى القاضي جميع أمورَها فأحامها تأتيكَ في نهج إيضاح

قال الشيخ ناصر : الرمل مثل الفلك حذو النعل بالنعل ؛ لأنه مُركب على الكواكب والبروج والبيوت والأشراف والهبوط والوبال والقران والوصال والاتصال والانفصال والنظر والمقابلة والمخاتلة والتربيع

والتثليث والتسديس والأوتاد والذي يليها والسواقط والجدود ، إلى غير ذلك .

قصيدة في علم الفلك للشيخ المزيني :

قلت له : أخبرني بقصيدة في الفلك ؛ فهذه القصيدة من قول الشيخ بقية عُلماء الفلك عَليّ بن راشد المزيني شعراً :

نظمتُ لكمْ في العلمِ قولاً مبيِّنا	لعلم منكمُ طالبَ العلمِ إن طلبْ
وينظرُ في قولي بعينِ مجرّبٍ	وجودةِ فهمٍ حين يَسعى بلا تعبْ
فأوّل قولي إن أتاكَ مسائلاً	يريدُ سؤالاً في الأمور بلا ريبْ
فانظرْ إلى البرج الذي هو طالعُ	تجده بلا شك هناك ولا ريبْ
فإن كانَ ربُ البرج فيه فإنّهُ	يسائل عن عمرٍ ونفسٍ وعن سببْ
وإن كان ثانيهِ عن المال سائلاً	بما هو فيه في السلامةِ والعطبْ
وإن كان ربُّ المالِ ينظرُ بيتَهُ	يرد سريعاً بالكمال ولا عجبْ
وإن كانَ لم ينظرْ وفيه نحوسةٌ	فلا يُرتجي ردٌ ولو جدَّ في الطلبْ
وللثالث الأخوانُ يا صاح والذي	يريدُ مريدُ القربِ في الأفق إنْ ركبْ
وللرابع الإرثُ المخلّف للفتى	من النخلِ المفسول والزرعُ والذهبْ
وفي حكمِه بيتُ العواقبِ كلها	إذا ما أتى الأمرُ الذي يعتري العربْ
وذلك للآباءِ نعتٌ مبيَّنٌ	فهذا الذي قد بان يا صاح في الكتُبْ
وفي الخامس الأولادُ والرسل والهدى	وبنتُ الملاهي وهو مال للكلب
وللسادس الأمراضُ أو كلّ ما ذهبْ	يكون عسيراً في سقوطِ وفي نصبْ
وبيتُ المواشي والعبيدُ جميعُها	وبيت الجواري والخساسةِ واللعبْ
وإن كان فيه النحسُ ليس يرى له	نصيب يرجى في الزمان ولا أربْ

وفـي السعـد يأتي عاجـلاً لبـلادِهِ بعيد أناس من حبيب ومن نسَب
وللسـابـع الأزواجُ والخصمُ يـا فتـى ومشتركاتٌ والحكوماتُ في العرب
فإن كـان ربُ الخصمِ ينظر بيتَـه تجدْه قوياً ليسَ في قولنا عتب
وإن كـان لم ينظرْ فلا عونَ عنـدهَ وليسَ يرجى للخصيمِ معاً طلب
وبيت الشقا والغمِّ والهمِّ والبكـا هو الثامنُ المنعوتُ للعجمِ والعرب
وللتاسـع الأسفارُ والديـنُ والتـقى ورؤيةُ حلمٍ والمعاشُ الذي تحبَ
وفـي العاشر السلطانُ والعزُّ عنـدَه وللجاهِ والعلياءِ والمجدِ والرتب
وذلـك بيـتُ الأمهـاتِ حفـظتُــه وأخبرني عن ذلكَ الأمر من طلبْ
ويتلـوه بيتُ المالِ والسعدُ والرجـا وكل صديقٍ في الأنامِ ومن يحبْ
ويتلوه للأعداء والسجنُ والشقـا وبيت الدواهي والمشقة والتعبْ
فذلـك بـيـتُ والـثـانيَ عَشَـرَ الـذي حوى كلَّ نحسٍ ليسَ في القول من كذَبْ
فدونكُهـا قـد أكملـتْ علمنـا الـذي حوتـهُ الأطبا والفلاسفةُ النُّجبُ
وعلمـاً قـريبـاً في العقـولِ منالُــه بعيداً على أهلِ السفاهةِ واللعبْ
فيـا طالـبَ العلمِ الذي أصبحَ الورى يديرونَهُ من جملةِ السبعةِ الشهبْ
لقد كان إدريسُ النبيُّ ارتقـى بــهِ إلى الغايةِ القصوى وأدركَ مَنْ طلبْ
ونـاظمُهـا العبـد الفقيـرُ بـن راشـدٍ من اللهِ يرجو العفوَ من حرةِ اللهبْ

قال ذو الغبراء : ينبغي للإنسان إذا دخل في العلوم لا يغفل ساعة عن ربه الذي خلقه ورزقه ، ويسأله في كل صباح ، أن يعينه ويحجبه عن شر خلقه .

ويقول إذا أصبح الصباح : بسم الله الرحمن الرحيم ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أقول على نفسي وعلى ديني وعلى أصحابي وعلى أولادي وعلى أهلي وعلى إخواني وعلى مالي، وعلى من أحاطت به شفقتي ومن

يتعلق بي، وعلى أموالهم وأدياتهم ألف ألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، بسم الله، الله أكبر الله أكبر الله أكبر أقول على نفسي وعلى ديني وعلى أصحابي وعلى أولادي وعلى أهلي وعلى إخواني وعلى مالي وعلى من أحاطت به شفقتي ومن يتعلق بي وعلى أموالهم وأدياتهم ألف ألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أقول على نفسي وعلى ديني وعلى أصحابي وعلى أولادي وعلى أهلي وعلى إخواني وعلى مالي وعلى من أحاطت به شفقتي ومن يتعلق بي وعلى أموالهم وأدياتهم ألف ألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، بسم الله على نفسي، بسم الله على روحي، بسم الله على أولادي، بسم الله على أهل بيتي، بسم الله على أموالي، بسم الله على أصحابي، بسم الله على من أحاطت به شفقتي، بسم الله على من يتعلق بي، بسم الله على ما أعطانيه ربي.

بسم الله رب السموات والسبع ورب الأرضين السبع ورب العرش العظيم، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، بسم الله خير الأسماء، بسم الله في الأرض والسماء، بسم الله افتتح، بسم الله اختتم، الله الله ربي لا أشرك به شيئا، الله الله الله لا إله إلا الله، الله عز وجل أعظم وأكبر وأكرم وأقدر مما أخاف وأحذر، بك اللهم أعوذ من شر نفسي ومن شر غيري ومن شر كلما خلقت يا رب وذرأت وبرأت، وبك اللهم أعوذ من شرورهم وأدرأ في نحورهم وأقدم بين يدي وأيديهم.

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ قل هو الله أحد {١} الله الصمد {٢} لم يلد ولم يولد {٣} ولم يكن له كفواً أحد ﴾ ، ومثل ذلك عن يميني وعن أيمانهم ، وعن شمالي وعن شمائلهم ، مثل ذلك من أمامي ومن أمامهم،

ومثل ذلك من خلفي ومن خلفهم ، ومثل ذلك من فوقي ومن فوقهم ، ومثل ذلك من تحتي ومن تحتهم، ومثل ذلك ما أحاط بي وبهم ، ومثل ذلك مما أحطنا به ، اللهم إني أسألك لي ولهم بخيرك من خيرك ، الذي لا يملكه غيرك ، اللهم اجعلني وإياهم في عبادك وعياذك، وأمنك وحرمك وحرزك، وكنفك من كل شيطان وسلطان، وإنس وجن وجان، وحاسد وباغ وساحر وماكر وكائد ومعاند ومفسد وسبع وعقرب وحية وظالم وجائر ، ومن كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ، حسبي الرب من المربوبين، حسبي الخالق من المخلوقين، حسبي الرازق من المرزوقين، حسبي الساتر من المستورين، حسبي الناصر من المنصورين، حسبي القاهر من المقهورين، حسبي الذي هو حسبي، حسبي من لم يزل حسبي، حسبي الله ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير ، حسبي من جميع خلقه ، ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾[1]، ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً {٤٥} وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً ﴾[2]، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾[3]، يقولها سبعا من حد قوله فإن تولوا، ثم تتفل عن يمينك ثلاثاً، وعن شمالك ثلاثاً، وثلاثاً من خلفك، وثلاثاً من قدامك، ومن واظب على قراءته بكرة وعشية لم يستطع أحد أن يتعرض عليه لا من أهل الظاهر ولا من أهل الباطن لأن هذه الإحاطة منيعة وفيها أسرار جليلة هكذا وجدته عن قومنا.

---

(١) سورة الأعراف : ١٩٦ .

(٢) سورة الإسراء : ٤٥ – ٤٦ .

(٣) سورة التوبة : ١٢٩ .

وهذه القصيدة من قول الشيخ أحمد بن محمد بن عيسى اليريسي وهي دعاء :

بدأتُ باسمِ اللهِ والحمدُ أولاً ... على نِعَمٍ لمْ تحصَ فيما تنزلا
فمنها ثناءٌ للإلهِ بنفسِهِ ... على نفسهِ إذ ليسَ يحصيه من تلا
ومنها صلاةُ اللهِ ثم سلامُه ... على المصطفى سرِّ الوجودِ مكملا
ومنها إذا حلَّ امرؤٌ ما أهمَّه ... تلاوة أسماءِ الإلهِ إذا خلا
فنسألكَ اللهمَّ أمناً ورحمةً ... وعفواً جميلاً دائماً متفضلا
من الله أرجوهُ وشيكا معجَّلا ... فبالأمنِ يا رحمنُ لا تبقِ مؤجلا
وكن يا رحيماً راحماً ضعفَ قوتي ... ويا مالكاً كن لي نصيراً مؤمَّلا
ويا ربِّ يا قدّوسُ كنْ لي منزِّها ... من الشرِّ سلّم يا سلامُ مبدلا
ويا مؤمنُ هَبْ لي أماناً مسلّماً ... وستراً عميماً يا مهيمِّن مسبلا
أزلْ يا عزيزَ الذل عني فلم أزلْ ... بعزِّك يا جبارُ مكفيَ مجملا
وأصغرُ وضع ذي الكبرياءِ متكبرٌ ... ويا خالقُ اجعل لي عن الخلق معزلا
ويا بارئَ الأنفاس قد بتُّ مبرءً ... بكَ، السقمَ مني يا مصوّر زوّلا
سألتك يا غفارُ عفواً وتوبةً ... وبالقهر يا قهارُ خذْ من تحيّلا
وهَبْ لي يا وهّابُ علماً وحكمةً ... وللرزق يا رزاقُ كن لي مسهِّلا
وبالخير يا فتاحُ فافتحْ وبالهدى ... وبالعِلم كن لي يا عليمُ مفضّلا
ويا قابضُ اقبضْ روحَ كلِّ معاندٍ ... ويا باسطَ النعماءِ زدْني تجمُّلا
فعزِّ قدريَ يا معزُّ معززاً ... مذلُ وكنْ للظالمين مذللا
ويا خافضَ اخفضْ قدرَ كلِّ معارضٍ ... ويا رافعَ ارفعني على رغمِ من قلى
سمعتُ دعاني يا سميعُ فكن إذاً ... بصيراً بحالي راحماً متقبلا
إلى حكم أشكو ظلامة معتدٍ ... هو العدل كم أردى ظلماً وجندلا

لطيفٌ بحالي راحمٌ لشكيتي | خبيرٌ بضعفي إنْ تضايقتُ خللا
وما زلت أهفو والحليمُ مستَّرُ | وربي عظيمُ العفو إنْ زغتُ أمهلا
غفورُ أقلْ واغفرْ ذنوبي وعثرتي | شكورٌ فوالي الشكر قلبي المغفَّلا
وأعلِ مقامي يا عليٌّ فلمْ أزلْ | بكبرك قدري يا كبيرُ مبجّلا
حفيظٌ لروحي لا يؤدك حفظها | مُقيتُ فكن للقوتِ يا ربِّ مرسلا
ذمامك حسبي يا حسيبُ فأخمني | وأنتَ جليلٌ كنْ لقدري مجللا
كريمُ العطايا إلهي أجزل عطيتي | رقيبٌ على الأعداء بكفي إذا كلا
دعوتُ مجيباً أمره، متقبلاً | كثيرَ العطايا واسعَ الجودِ مجزلا
وأنت حكيمٌ يا إلهي فعافني | ودودُ فكنْ للودِّ في القلبِ منزلا
مجيدٌ فمجِّدْ شرخ ذكري لذي | ويا باعث ابعث جيش نصري مهرولا
شهيدٌ على قومي بما كان منهمُ | فيا حقُّ خذْ بالثار منهمْ وعجّلا
وأنتَ وكيلي يا وكيلُ عليهمُ | فحسبي إذا كان القويُّ موكّلا
متينٌ فمتِّنْ قوتي وتولّني | فمن يا وليُّ أولى لي منك بالولا
حمدتُ حميداً لم يزلْ متفضّلاً | ومُحصي لمن عادى مُبيداً ومخذلا
يدان بجود منكَ يا مبدئَ العطا | وأنتَ معيدٌ كلَّ ما فات أو خلا
ومحيي فوسّعْ لي حياةً نفيسةً | مميتٌ فعجِّل موتَ خصمي منكِّلا
ويا حيُّ أذهِبْ موتَ قلبي فلم أزلْ | بذكركَ يا قيُّوم ما دُمْت موصلا
ويا واجدُ أوجِد لنا كلَّ بغيةٍ | ويا ماجدُ امجد لي وكنْ ليَ معولا
ويا واحدُ ما لي سواكَ مفرّجٌ | ويا صَمَدُ فرِّج وقلْ همَّك انجلى
ويا قادُر أهلكْ عدوِّي بكيدهِ | ومقتدرُ ردَّ الكذوبَ المقوّلا
ولا زالَ ذكري يا مقدّرُ في العلا | وذكرُ عدوي يا مؤخّر أسفلا
إلى السبق قل يا أول أنت أول | ويا آخر اختم لي أموت مهللا

وأظهر إلهي الحق إنك ظاهر | ويا باطن نكل لمن كان مبطلا
ويا ولي أصلح ولاة الأنام إذ | يصيرون يا متعال بالعدل في العلا
ويا بَرُّ اغمرني ببرِّك واكفني | زوالاً ويا توّابُ تُبْ وتقبَّلا
وجدَّ واعفُ عني يا عفوُّ تفضّلا | ومنتقمٌ ربي انتقمْ لي من العدا
ومنتقمُ ربي انتقم لي من العدا | وجد واعف عني يا عفو تفضلا
وكن لي رؤوفاً يا رؤوفُ ومستشفعاً | ولا زلتُ لي يا مالكَ الملكِ مَعْقِلا
وأفرغ عليَّ ذا الجلال جلالةً | فجودُك بالإكرامِ مازال مهطلا
ويا مقسطُ ثبِّتْ على القسطِ نيتي | ويا جامعُ اجمعْ ليَ رضى سائرَ الملا
غنيٌّ فوار الفقرَ عنيَ بالغنى | ومغني فأعذبْ لي القناعةَ منهلا
ويا مانعُ امنعني عن السوءِ وأحمني | ويا ضارُ كنْ للحاسدين منكلا
ويا نافعَ انفعني، بعلمك وأهدني | ويا نورُ كنْ للنور في القلبِ مشعلا
إلى الحق يا هادي اهدني ببدائع | من العلم يدنيني يا بديع التوصلا
وأبق الهدى في القلب يا باقياً وكن | لعلم النبي يا وراث لي موصلا
على الرشد ثبِّت يا رشيد عزائمي | على الصبر هب لي يا صبورُ التجملا
بأسمائك الحسنى دعوتك سيدي | وجئت بها يا خالقي متوسلا
ومبتهلاً ربي إليكَ بفضلِها | وأرجو بها كلَّ المرادِ مؤمّلا
فقابلْ إلهي بالرضى منك واكفني | صروفَ زماني مكثراً ومقللا
وجد وارحم واكف وانصرْ عليَّ | وتبْ واهدِ وأصلحْ كلَّ شيء تخللا
وبعدُ فأسماءُ الإلهِ كثيرةٌ | وأعظمُها الحسنى لمن قد تأمَّلا
لها قائلٌ يا ذا وكررْ تلاوةً | ترى كلَّ شيءٍ صارَ سهلاً مسهلا
وكن يا إلهي مستجيباً دعائيا | وأجزل لنا النعماءَ منكَ تفضلا
وصلِّ إلهي بكرةً وعشيةً | على المصطفى ما جُنَّ رعدٌ وجلجلا

وبـارك وسلـم إلـهي بكرةً وعشيةً   على المجتبى خيـر الأنام مفضـلا
وأعطهِ يـا ربٌّ الوسيلـةِ وأجــزه   بأفضـل ما تجـزي نبيـاً ومـرسـلا
كـذا الأنبيـا والآلُ والصحبُ كلهمْ   وبـعـد فـحـمــدُ الـلـهِ ختمـاً وأولا
وأسـأل ربـي أن يـثـبـت ديـنـنـــا   عـلـيـنـا ويـعـفـو مـنـةً وتـفـضـلا

قال ذو الغبراء : عتب عَليَّ صاحبي لما رأى هذا الكتاب ليس فيه نحو للإعراب ، وقال : ألم تسمع إلى قول الخليل بن أحمد النحوي :

فـإذا نطـقـت فـلا تكـن لـحَّـانـــةً   فـيـظـلُ يسخرُ من كلامِك معـربُ

وقال غيره محمد بن صالح بن محمد :

إن الذي ما له في النحو معرفـةٌ   لسانُه إن تلا القـرآن يضطـربُ
لو كنتَ تعلم ما في النحو من شرفٍ   لكان دمعُك شوقـاً فيـه ينسكبُ
قمْ فاطلبِ النحوَ يا مغروراً ومجتهداً   فالفخرُ بالنحو مقروناً كذا الأدبُ
من علمـهِ كلَّ علمٍ يستفادُ بـــهِ   فلا يشابـهُـهُ درٌّ ولا ذهــبُ

قصيدة في النحو للشيخ ناصر بن أبي نبهان :

قلت له : أخبرني به حتى أستدل بـه . قـال اطلب القصيدة المؤخرة التـي ألفهـا شيخك وإمامـك لمـذهبك العـالم الفقيـه نـاصـر بـن أبـي نبهـان الخروصي، وهذه القصيدة كما ترى :

الـحـمـد لـلـهِ وصـلــى ربـــــي   عـلـى الـنـبـيِّ وآلـه والـصَـحْـبِ
يـا سـائـلـي أرجـوزة فـي الـنـحـو   مـخـتـصـر الجرجانـي فيها أحويِ
إن الـكـلامَ مــا يـفـيـد والـكـلـمْ   اسـمٌ وفـعـلٌ ثُـم حـرفٌ يـنـقـسـمْ

بأل وتنوينٍ ومِنْ وبالندا تبين الأسماءُ منها كالهدى
والفعل في اشتقاقِهِ يبيِّن بالأمر قد ....
وكل ما ليستْ لهُ علامة كهلْ وبَلْ، حرفٌ هي العلامة
واجرر بكسر انصب بفتح وارفع بضمةٍ واجزمْ بتسكين وع
والفعل ماضٍ وأمر والمضارعْ كجاء زيد قمْ أخي نبايعْ
وافتحْ وحيدَ الماضي منه آخرا تقول زيدُ جاءَ سارَ شاكرا
والقوم ساروا كلهمْ وراغوا عن رشدِهم بغيِّهم فراغوا
أيضاً وراع القومَ وأراغا اثنان عبداً منهما فراغا
وقالت النسا لنا قد سرْنَ فقلتُ ما يضركم دغهُنَّ
وأي حروف الاعتلال تحذف في الأمر للفريد قوم فاعرفوا
كفُلْ بتسكين ونادِ قولوا لي ليسعَ ما يرضى به الرسولُ
وهاكَ للأسماءِ والمضارعْ عواملاً أتتْ على تنازعْ
نسخةً للجرجاني قد نظمتَ مانةَ عاملٍ وفيه زدتَ
فالمعنوِّي ياءُ واللفظي قسم سلا سماعي أو قياس قد رسمْ
مضارعُ أوله ونونُ ألفْ ويا وتاء تأنيث ليس يختلفْ
وافتحْ مضارعاً تسمي فاعله غيرَ الرباعي ماضياً أوائلُهْ
وقوعه بموقع الاسمِ وع عاملُ معنويٌّ يا مستمعي
من ناصبٍ وجازمٍ إذا خلا آخرُه ارفعْه قولاً مجملا
وتلو ذي ولا وما وألفاً جوابُ موجب كذا رووا
وإنه جاءَ فيه مبتدا فيرفعُ وفي جوابِ الشرطِ أيضاً فاسمعوا
وانصب بلام معنى كذا بأنْ حتى وكي كيلا وأو وإذا ولنْ
وانصب بفاءٍ في جواب النفي والعرض والأمر معاً والنهي

وهل متى أنى وكيف أولا ... بسببٍ وإن على استئناف لا

تقول لا تبغي البذي فشد ما ... ليتك ذا تعصي الهوى فتغنما

والواو كالفاء إن تكن بمعنى مع ... لا تكرم الخل وتظهر الطمع

لا تعصِ مولاك تفزْ مستمعي ... لا تعصِ مولاك تعذبْ اسمع

ويفعلانُ تفعلين فافهموا ... يحذف نون نصبُها كي تعلموا

واجزم بلا إن قلت فعلاً ناهيا ... ولام أمر لم أصاحب لاهيا

واجزم بأن إنما بلا مراءِ ... كذا بمن في الشرط والجزاء

وما وأنّى أيُّهم وأينَ ما ... ومثلها أمثالها كحيثُ ما

إذاً ومهما، وإذا لمْ ومتى ... متى تُقمْ يوماً يقمْ هذا الفتى

إنْ بعدَ تسكينِ وجزمِ أل أتى ... فاكسرْه يا أخي فقُلْ مَنِ الفتى

وتفعلان تفعلين كافعلوا ... بحذف نونِ جزمُها لم تجهلوا

والابتداء عاملٌ في المبتدأ ... ومعنويٌّ حكمُهُ ذا لاهتدى

أعلامٌ أو إشارةٌ أو نكرةْ ... معرفةٌ أو صفةٌ ومضمرةْ

وكلُّ إسمٍ إن عراهُ ناصبٌ ... وخافضٌ فالرفعُ فيه واجبُ

فارفعْ بُنيَّ المبتدا والخبرا ... تقولُ: زيدٌ قائمُ أو آخرا

أيكما وأين كيف أما ... بعد ولا تكسرها كسر اما

أين زيد جالس يعلم ... بالرفع والنصب تصح فافهموا

عسى ولولا كاد وما ولا ... كرب أو أوشك خذه مجملا

والاسم مع هيهات صاح يرفع ... سرعان أو شتان أيها اسمعوا

نعم الصبور خالد في الوجل ... ومثلها أنواعها في العمل

أنواع نعم بنس ساء حبذا ... بنس الغلام عبد عمر ذا الأذى

أخبار إن أسماء كان يرفع ... والأخوات مثلها تتبع

ويخفض الاسم الصحيح اسم كم   أو حرف جر والإضافة القسم

حروف واو وباء بالله   والله أي والتاء في تالله

والكاف ثم اللام ثم الياء   بها بني تخفض الأسماء

ومن ومذ ومنذ في حتى إلى   وعن على حاشا عدا رب خلا

من بعد هذا جر بعد واضمم   في عليه كذاك قيل فافهم

وبالإضافة غير أي ثم مع   وعند مثل دار زيد المتبع

وانصب بما خلا وليس ذا الهدى   مستثنياً بها كذاك ما عدا

وانصب بإلا إن تكن من موجب   مستثنياً بها كذا ذا الأدب

ناد بأ وأي وياء وثم أيا   هيا غلام زيد كن مهتديا

انصب بها منكراً منادى   وفي المضاف مثله قد جادا

وانصب بواو إن تكن بمعنى مع   نحو سرت ويريد المتبع

وانصب بلا اسماً أتى منكرا   وارفع بلا وانصب إذا تكررا

وما ظننت خالداً لنيما   حسبته علمته حليما

كذا جعلت ورأيت خلت   زعمت أيضاً مثلها وجدت

والا غراها زيداً كذا إليكا   ودونك الزيدين أو عليكا

رويداً زيداً ثم بله حيهل   فحيها زيداً كذاك في العمل

بالعشرات إن تميز تنصب   وفي الآحاد ها تزاد يوجب

ذا المذكر وقيل تزاد ها   في العشر للمونث يا ذا النهى

أيضاً وعندي منوان رطبا   مائة من عنده أيضاً عنبا

وانصب بكم مستفهماً وإن أتى   تعجب فمثله يا ذا الفتى

تقول كم عبداً هنا أخا الهدى   وما أحق الكافرين بالردى

ككم كأن إن تكن مستفهما   بها ومثلها كذا قد رسما

وتنصب الاسماء بأن ولعل | كأن ليت إن لكن وعل
إن الإله ربنا عظيم | إن العلي واحد كريم
وإنما إلهكم عز وجل | وإن للإله منة وفضل
وتنصب الأخبار يوماً إن أتت | جواب فعل مخبر فماافتأت
أخبار كان بات أمسى أصبحا | أضحى وليس ظل ذا مابرحا
ما انفك ما دام كذاك لم يزل | كصار زيد عالماً بلا جدل
ما فتئ افهم وكليس لا وما | تقول ما محمد مجترما
ما بال زيد قائماً ومالكا | وما شان مثلها وبالكا
وأخبار نعم بئس ساء حبذا | نعم علي طاهر من القذى
والحال والأخبار صاح تنصب | والنصب أيضاً في الظروف يوجب
أسماء أجزاء الزمان حوسب | واسما الأماكن الظروف تنصب
فالحال جاء خالد عبوسا | والرف يوم السبت خلف موسى
اسما الجهات الست صاح تنصب | بفي كزيد فوق سطح يكتب
قم السماعي والإضافة انقضى | والحال دونك القياسي ذا الرضى
فالفعل والمفعول عي والفاعلا | ونحو مقتول رأيت القاتلا
فاعله إن لم يسم يرفع | مثاله أنفاس عمر تنزع
مفعول فيه انصبه وارفع فاعلا | فيه كموسى أكرم على الفاضلا
وينصب التحذير إن تكررا | الله الله أخي كن حذرا
وانصب بني المصدرا ملتزما | كاضرب يزيد صاح ضرباً مؤلما
نصبت ضرباً وهو صاح المصدرا | ولك طوعاً فيه فعل مضمرا
سحقاً وتباً لهم أهل الردى | وانصب كزيد جنته روم الندا
وقل علي اضرب أشد الضرب | اشد مصدر وهو بالنصب

والصفة المشبهة الأفعال مثنى وجمعاً بكل حال
فحسن وجهاً وحسنونا وحسنات مثل يحسنونا
وكل اسم صاح هو منون إذا اندرجت قائلاً ينون
فهذه مع الاصناف سبعة من نسخة الشيخ وقد وتسعة
وذو أو فوه أو فن حم أب فذا أخوه عن أبيه يكتب
وذا أخوك من أبيك ذو عطا وفاك صنه صامتاً عن الخطا
كذا حموك وهنوك بالألف اصبهما واخفض بيا لا يختلف
وافتح خطاب الكاف للمذكر واكسر مع المونث المشتهر
وقل رأينا علمه من فهمه ونفسه ذا زهدها عن حلمه
ونحو قالت لك مسلمات إن السموات العلى آيات
فتاء جمع سالم مونث تكسر بما ينصب ولا تكترث
زيدان ذا رفع من الزيدين خفض فعيه وانصب اليدين
بالمهتدين فاز مقتدونا أضحى وأمسى الكل متقينا
ونون ما ثنيته مكسور ونون جمع فتحه مشهور
وتحذف النونان في الإضافة نحو نظرت حاضري الضيافة
وحيث نحن مسن عن وموسى يفعلن يا قاصي عيسى
والعطف والبيان أعرب والبدل والوصف والتأكيد أعرب الأول
أبو علي خالد بن عمرو مهذب مهيب في الأمر
وخالد أو زيد ثم غانم أصحابنا بل عامر وسالم
للعطف لكن لا واو وأم وبل والواو أيضاً بعدها إما وهل
رتب بثم إن يكن منفصلا والفا لمعطوف وأن متصلا
وإن ضمير في كلام دخلا إعرابه على الضمير قد حلا

كالحمد لله العلي انصب وارفع مقدراً أعني أو الضمير
وتفتح الأسماء التي لا تنصرف بما يجر الاسم وهي تختلف
من جمع أو مؤنث ومن صفة معدول أو فعلان ثم المعرفة
وعجمة تركيب أو كالفعل أماكن واصرف مضافاً خل
نحو دنانير على قياس دراهم الخماسي والسداسي
عصى وسحراء ترى حسناء وشهداء ثم أنبياء
أجل أو أبيض أو أحيمرا ثلاث أو رباع أو أخضير
سكران أو زهرة مصراً ورجل أو سحرا صرفها بأل إذا دخل
عثمان إسماعيل معد يكربا أحمد أو يزيد ثم تغلبا
ونسب والجمع والتصغير على الصبي ضبطه عسير
والجمع والتصغير صاح والنسب يعربها مثل الفريد من عرب
وصغر الاسماء كالذيّا كذا أنيسيان واللتيّا
أيضاً بويب جمعه أبواب وفي نييب جمعه أنياب
فعيل أو فعيل فعويل ثم فعيعيل كذا فعيعل
أوله يضم حكماً وجبا عن الثلاث الاسم قل أو ربا
فتيّ أو فليس أو نويرة شويهة يدية جويرة
غزيل سعيد شويكر جويهر أسيود جعيفر
مصيبيح مفيتيح خماسي وقل زعيفران في سداسي
خماسي منه رابع قد مدا نحو دنينيراً فتى قد كدا
وقل سريحين كذا مصباح فقل مصيبيح كذا مفتاح
وصغر الأصل من المزيد نحو سكيران بلا تجريد
ثم الثقيل والمزيد فاعرفوا سألتمونيها الثقيل يحذف

تقول في سفرجل سفيرج وقل سفيريج كذا نويرج
منطلق مطيليق مجترح مستخرج مدحرج دحيرج
تغير بعض الحركات الجمع وبالربا والوكس فيه وضع
لقلة أو كثرة قد ذكروا أوزانها ما بعدها لا تحصروا
أبوابنا أو سقف أو جدر أسيافنا عشر سيوف أكثر
فعلة لقلة وأفعل أفعلة أفعال خيل أخيل
فيلة أو صبية أو أكلب أسخلة أثواب ثم أثوب
بكثرة عن بعض ذي جمعاً يفي كأرجل وعكسه نحو الصفي
وع الثلاثي إذا لم يطرد أفعل فيه قل بأفعال يرد
لكثرة فعول ثم فعلة فعلان أفعل معاً وأفعلة
فلوس أو ضروس أو جنود كعوب أو كبود أوأسود
فعل صحيح لامه ظهران ذكران أو صردان أو قيعان
فعل صحيح لامه قل قردة أو قرطة أو ردحة أو عردة
حيان أو أعمدة أو رغفان قليل جاء غزلان أو إخوان
وفعل كلب صح عيناً أذرع ذراع في وزن وتأنيث فعوا
قل أرغفة أو أعمدة أو أقدلة ابنة أرمة كأفعلة
وفعل فسادس وفعل فسابع أو فل أو فعل
قل قضب أو عمد أو حمر مضاعف قل ذلل أو سرر
أو غرف أو كبر أو صغر أو كسرا أو حجج أو شرر
ثم فعالي عاشر فعائل ثم فعاليل كذا فعالل
كراسي قل برادي أو شمائل ضمائر صحائف رسائل
دينار أو دهليز أو عصفور فقل عصافير لنا طيور

براثن زناج جعافر قنابر مساجد عساكر

وقل مفاتيح وقل مفاتح كذا مصابيح وقل مصابح

وبعدها فعال أو فواعل ثم فعالي قد وعاها الفاضل

فعل صحيح لام قل جبال غير مضاعف كذا جمال

ثم رأو رقاب أو كلاب قصاع أو ضياف أو ذناب

رياح أو أمراض أو كرام عطاش أو طوال أو ندام

طوابع جواهر قواصع فواطم جوانص صوامع

صواهل وشذ صاح فارس وسابق سوابق فوارس

صحراء اسم جمعها صحارى عذراء وصف جمعها عذارى

وفعلا وأفعل وفعل فعال أو فعلاً لمنه يعقل

صحيح لام من فعيل بخلا غير مضاعف كذاك عقلا

وأنبياء أو أشداء قُوَّمُ صحيح لام وبتاء صُوَّم

قوام أو مرضى وجرحى قتلى هلكى وزمنى الجمع فيها فعلى

قل فعلة أو فعلة أفاعل وفعل بيات أو رسائل

وفاعل صحيح لام فعلة غير مضاعف تقول كملة

فعلة قضاة قل أفاضل حمر وخضر ويعيها العاقل

ما بعدها الثقيل منه فاعرفوا سألتمونيها المزيد يحذف

تقول في سفرجل سفارج وقل سفيريج كذا نوارج

مداع في مستدع قل الأدد الندد يلندد يلادد

يبقى الذي عليه دل فاعرفوا وحيزبون الياء منه تحذف

سردد علادد سرتدا سراند علاند علندا

فهذه أوزانها جمعتها وبالمفاعيل لها أتينها

وقس ببعض بعضها غلمان غلام في جدار قل جدران
وبعضها ليس لها قياس هي السماعي قد وعاها ناس
قل غرفات يا فتى في غرف بالتاء كالخيرات صاح فاعرف
طلح وسدر أسد ثم رطب لوز وأمبا ثم تين وعنب
في الاسم ياء زد بني في النسب وكسر ما قبلها حتماً وجب
من غير تخصيص لوزن فعل في كسر قبل الياء يا ذا الفضل
لاءي لاوي أيضاً لوي كمي كمي فعي وجوي
وحيوي طووي طاءي شذ وقل طيبي ثم راءي
وأخوي ويدي يدوي يدان أيضاً أبوان أبوي
أختي ابنتي صاح بنت وأخوي بنوي أخت
وشوي لشية صفي في صفة أو عدة عدي
والأصل وصف ثم أبلي وتمري كرسي علي
مكي وتاء وقل حمراوي ألف تأنيث كذا صفراوي
ونحو عليا وكساء خيروا قرأ أبي أيضاً حمزي أشهر
وجهني حنفي فاعرفوا وعدوي الياء منها حذفوا
عقيل أو طيور أو قليلة فقل طويل وكذا جليلة
مركب باخِر قد نسبوا ويعضها بأول قد أوجبوا
زيدان أو زيدون قل زيدي فرضي أو أنصار أنصاري
وفعل فعال عن يا فاسمع أعني كذا مع فاعل بناء
كطعم بقال أوه يامر ظلأم للمرء لديه تاجر
وشرحه يطول نظمي مختصر فاطلبه من شرحي المفيد قد حصر
وغير ما ذكرته محررا هو شذوذ بنقل قررا
والنحو بحر واسع الأكناف نعم بعيد القعر والأطراف

جوابكم هذا أهيل المكتب عما سألتم عنه للتهذب
ومن يرى عيباً به يسده جل الذي لا عيب فيه وحده
أحمد ربي يا إلهي صل سلم على النبي والصحب أهل

تمت ، وقد عرضت على كثير من فحول الشعراء العُلماء بالوزن فلم ينكروا على وزن بيت منها لمن عرف قراءتها بترك تنوين منون وتسكين محرك وتحريك ساكن وإسقاط قراءة ألف وإشباع فتحة وضمة وكسرة؛ حيث يحتاج الوزن إلى ذلك كما هو كذلك موجود في ألفية ابن مالك ولها شرح مختصر وفي الشرح نسخة الجرجاني نصاً حرفاً حرفا من غير تغيير له إلا الترتيب فاعرف ذلك وبالله التوفيق .

الأرجوزة وأصول العروض :

بيان : وقال في شرح آخر هذه الأرجوزة نصه كما ترى في فصل آخر في ميزان الأراجيز: اعلم أني وجدت كثيراً يقرأ أرجوزة ابن مالك ويحرفها عن ميزانها وربما كذلك من يقرأ هذه الأرجوزة مثل منظومة ابن مالك في الصرف فكل ذلك من قلة معرفتهم بميزان الشعر.

بيان: أما المستعمل من المفاعيل لهذه الأراجيز التي هي ألفية ابن مالك وملحة الإعراب والعمريطية، وهذه الأرجوزة تارة على وزن مفاعلن بتسكين ثالثه وخامسه، وتارة على وزن فاعلتن بتسكين ثانيه وسادسه وتارة على وزن مستفعلن بتسكين ثانيه وهو السين ورابعه وهو الفاء وسابعه وهو النون، وتارة على وزن فعلتن بتسكين خامسه لا غير وهو آخره ولكن فعلتن لا يأتي إلا في أول المصراع أو آخره وإن جاء في الوسط فلا بد من مد حركة أوله حتى يصير فاعلتن أو مد ثالثه حتى يصير مفاعلن .

بيان : وأما آخر كل مصراع فاعلتن أو مد، فقد يكون بجزء من هذه الأربعة وقد تكون على وزن فعولن بتسكين ثالثه وخامسه وقد يكون على وزن مفعول بتسكين ثانيه وثالثه ولا يكون فعولن ولا مفعول إلا في آخر المصراع ولا يعدو هذه الأجزاء الرجز المستعمل فاعرف ذلك.

بيان: ويجوز أن يكون أحد المصراعين أطول من الآخر نحو قول الحريري:

ونوعه الذي عليه يبنى اسم وفعل ثم حرف معنى

فوزن الأول مفاعلن مفاعلن فعولن سبعة عشر حرفا ووزن الآخر مستفعل مستفعلن فعولن ثمانية عشر حرفا.

بيان: ومعرفة الوزن لا يعتبر إلا المحرك والساكن والمحرك هو المضموم والمفتوح والمكسور والساكن معروف مثاله ون وع ه ل مفاعلن مفاعلن ل ذ ي ع ل ي مفاعلن ه ي ب ن ا فعولن، فانظر حيث تجد محرك الميزان يحاذيه حرف محرك من النظم وحيث ساكن من الميزان تراه من حروف البيت ساكناً ولا يعتد إلا بما تنطق به اللسان مثل الألف من آلة التعريف لا يعتد به والحرف المشدد من بعد حرفين الأول ساكن والثاني محرك كما رسمناه في كلمة الذي فاعرف ذلك، وكلما تجده في قراءتك لهذه الأرجوزة على خلاف ما ذكرناه فهو من تغيرها فارددها إلى ما ذكرناه وبالله التوفيق .

وهذا ما وجدناه مكتوباً وكتبه الفقير إلى الله عبده راشد بن سالم الخصيبي النزوي بيده :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى حضرة الشيخ الثقة العالم الفقيه

الرضي النزيه رباني الأمة وكاشف الغمة ضياء الزمان ومصباح أهل عُمان ناصر بن السيد أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي سلمه الله إن شاء الله من كل مكروه وبعد: ما تقول شيخنا فيمن أراد أن يشتري عند الذين يتعلمون العلم في شيء من المساجد في النهار ولم يكن وقت صلاة وهم تارة يقرأون وتارة يتحدثون بأمور الدنيا أيجوز لمن أراد أن يشتري ويعمل السفة وهو رجل فقير؟ أم لا يجوز له ذلك ومحجور عليه العمل في المسجد؟ عرفني وجه الجائز في هذا المعنى مأجوراً إن شاء الله تعالى، وأنا قد أرسلت سؤالاً غير هذا سابقاً ولم يصلني جواباً ولعله لم يصل من عدم المحافظة وذلك من الفقير إلى الله تعالى خلفان بن محمد بن سالم بن نعمان، سلم لنا على كافة من شئت بلا إلزام ومن لدنا الأخ علي بن سليمان وكافة الجماعة .

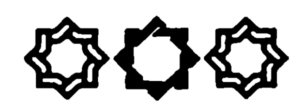
الجواب : إن الجلوس في المساجد لأجل التهيء لصلاة الجماعة فيها واستماع قراءة الكتب الجائز قراءتها أو لذكر الله تعالى وما أشبه ذلك مع ملازمة صلاة الجماعة في ذلك من الفضائل إن اعتقد به ذلك لله تعالى .

وجائز له أن يعمل في قعوده فيها الأعمال الخفيفة مثل السفة لسعف النخيل، وخياطة ما سفه، وفتل الحبال لذلك ومثل خياطة الثياب وفتل الخيوط وعمل شباك الطيور بالخيوط، وشباك السمك وما أشبه هذه الأشياء الخفيفة ، والكلام الحلال المُباح في المساجد يجوز باللطف ، وإن كان في أمور الدنيا مما لم يأت فيه نهي، والنهي نهي كراهة لا تحريم مثل ما روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " جنبوا مساجدكم صبياتكم ومجانينكم ونشد ضالتكم وبيعكم وشراءكم وسل سيوفكم "، فمثل هذا على الجهل لو فعله جاهل وفي نفسه أن كلما علم به أنه نهي عنه (صلى الله عليه وسلم) لانتهى عنه ولكنه لم يبلغ فلا يبلغ به إلى هلاك،

ولو علم ولكنه احتاج إلى ذلك وفعل ولم يكن على استهزاء بنهي النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يهلك، وإن كان البيع لا يثبت فلا يبلغ إلى ما ذكرناه مع صلاح النية في ذلك إن كانت على الحق والصدق ظاهراً وباطناً.

وأما الكلام بمقدار مالا يشين بالمسجد، فما لم يأت فيه نهي مخصوص ولو كان في أمور الدنيا مما هو جائز بلا اختلاف أن لو كان في غير المساجد، فلا بأس وكان أكثر كلام والدي في المسجد في أمور الدنيا من أخبار الناس وأما الإكثار المكروه إن يكن كلام من فيه حتى يصير لكثرتهم في ذلك مثل بقية مقامات العوام ولكلامهم فيها وكذلك رفع الأصوات إلى حد لا يليق بالمسجد أو على سبيل المراء، وكثرة ترادف أصواتهم وكلما صار إلى ما لا يليق به فهز المكروه الذي تركه لا شك أولى لأنه مما ينزل بدرجات فضلهم إلى حطيط الدرجات وما دام ذلك بمقدار ما هو لا يشين بالمسجد فلا بأس هو، وكان والدي يرفع صوته ينادي من أراد من أولاده في أمر بعينه إذا اضطر إلى ذلك وهو عالم وعليه السكينة والوقار وله هيبة شديدة ورزانة بالغة جداً وتباعة شديدة فلله دره، فافهم وقس كما ذكرناه جميع ما لم نذكره.

وذكرت أنك أرسلت إلي قبل هذه مسألة ولعلها لم تصلني فالله أعلم وعليك السلام وسلم لنا على الشيخ العالم الولي الثقة العدل علي بن سليمان العزري وعلى العمومة ناصر وعبدالله وولده محمد بن خلفان الكندي والنجار وغيرهم من الأصحاب من المحب لكم ناصر بن جاعد بن خميس الخروصي ونقلته من خط يده .



الذكر الحادي والخمسون :

في صفة علائم للمريض فعلامات البثور لظهورها في بدن الإنسان، وآخره في الفلك في معرفة الغائب أنه ميت أم لا وكيف وما السبب لموته

أعراض الأمراض :

قال ذو الغبراء : رأيت الناس أمراضهم مختلفة، وطالعت في الكتب ووجدت في الأحوال المنذرة بالأمراض فإذا تغير حال من أحوال البدن الصحيح عن طبعه، أنذرت بمرض مثل شهوة الطعام إن زادت أو نقصت أو تحركت قبل وقت العادة أو بعده أو مال إلى الأطعمة لم تجربها عادته أو استلذ ما كان لا يستلذه أو تغير ما كان يبرز من البدن وكذلك الأحلام إذا قلت أو كثرت.

وإذا حدث بالإنسان خفقان دائم شديد أنذر بالموت فجأة فليبادر بالفصد والإسهال.

وإذا حدثت بحوحة في الحلق أو حمرة في الوجه كمدة أنذرت بالجذام فينبغي أن يفصد ويستفرغ بالأفثيمون والغاريقون ويمتنع مما يولد المرة السوداء كالعدس.

وإذا كثر البهق الأبيض في البدن دل وعسر علاجه أنذر بمرض، وإذا كثرت الدماميل أنذر ذلك بخراج سيحدث فافصده واسقه الهليلج وامنعه اللحم والأغذية الحارة.

وإذا دام الصداع بالكهول دل على نزول الماء في العين، وإذا رأى

الإنسان كأن بقاً أو ذباباً أمام عينه فقد حدث الماء في العين، فلينق دماغه ومعدته بحب الأيارج ويمتنع مما يولد السوداء.

وإذا عرض الاختلاج في الوجه كثيراً دل على حدوث اللقوة لأن الاختلاج يكون من فضل بلغمي وريح محتقنة في عضل الوجه فإذا انصب هذا الفضل إلى عضل الكفين أحدث اللقوة فلينق لما يخرج البلغم ويدهن الوجه بدهن المصطكي.

وإذا عرض الاختلاج في جميع البدن أنذر بتشنج لأنه يكون عن امتلاء في العصب.

وإذا عرض الخدر للإنسان كثير أنذر بالفالج.

وإذا عرض الكابوس للإنسان أو كثر به الدوار فإنه ينذر بالصرع لأنه إنما يكون من خلط غليظ بلغمي يغلب على البدن، فلينق بما يخرج البلغم.

وإذا عرض امتلاء مفرط وثقل في الرأس وكدر الحواس أنذر بسكتة، لأنها إنما تكون عن امتلاء الدماغ فضولاً غليظة فإذا كثر انصب إلى الرطوبة فسدتها فكانت السكتة. وإذا تزعزع دماغه عن ضربة أو سقطة أصابه على المكان سكتة.

وإذا بدأ به أول مرضه صداع أو وجع في الفؤاد ثم امتد عليه المرض ذهب عقله.

وإذا احمرت عروق العين وغلظت وانتفخ الوجه ثم عرض صداع من ذلك أنذر بالبرسام فليتدارك بالفصد والإسهال.

وإذا رأيت الوجه مبتهجاً والجفن الأسفل منتفخاً أنذر بالاستسقاء فقلل الغذاء أو لطفه وامنعه من الحلاوة ولاسيما ما عمل بالدقيق والنشا.

وإذا عرض بالإنسان هم وخبث نفس من غير سبب أنذر بالوسواس السوداوي لأن الفم وخبث النفس يحدثان عن المرة السوداء فلينق بالفاريقون والأفثيمون.

وإذا كان الإنسان تعرض له النزلة كثيراً أنذرت بربو وذات الرئة أو قروح تحدث فيها وفي القصب، ولا سيما إن كان صاحب ذلك نحيفا وصدره ضيقاً فلينق بحَبِّ الصَّبر والأيارج.

وإذا نفث صاحب الجنب المدة ولم ينق في أربعين يوما فإن أمره يؤول إلى السل.

وإذا كان البراز إلى البياض أنذر بيرقان.

وإذا دامت بالإنسان حرقة البول أنذرت بقروح في المثانة والقضيب فليستعمل الأغذية المبردة المرطبة كماء الشعير يدهن باللوز وبزر البقلة وينقع فيه طبيخ القرع بالسكر ويشرب ماءه.

وإذا رسب بالبول رمل أنذر بحصى يتولد في الكلى وينبغي لأن يستعمل الرياضة المعتدلة قبل الغذاء ويمتنع من إكثار الغذاء لاسيما الأغذية الغليظة. وإذا رسب في البول ما يشبه المرداسنج أنذر بحصى يحدث في المثانة فيمنع من الهرايس والحررايات ويستفرغ بما يسهل البلغم ويدر البول.

وإذا حدث بالحامل استطلاق البطن عليها دل على أنها تسقط لأن

قوى الجنين تنقص عند الاستطلاق فإذا ضمر الثدي أسقطت.

وإذا عرض للصبيان حمى حادة وكانت طبيعتهم مختلفة وعرض لهم سهر وبكاء كانت ألوانهم سائلة إلى الحمرة والكمودة والخضرة، فإن ذلك يدل على تشنج يعرض لهم والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه.

صفة البثور وعلى ما يستدل بها :

وعددها أربع وعشرون ومن علامات البادية على العليل الدالة على موته بعد مدة معينة وهي من أقسام الفراسة إذا يستدل المتوسم برؤيتها على ما دلت عليه.

يقول بقراط في كتابه المنسوب إليه قال: إذا كان في وجه المريض ورم لا يوجد له مس، وكانت يده اليسرى على صدره غالباً، فاعلم أنه يموت بعد ثلاث وعشرين ليلة من ظهور تلك العلامة ولاسيما إذا كان في أول مرضه يعبث بمنخريه كالحاك لهما والمدخل أصبعه في أحداهما. وقال: إذا كان في ركبتي المريض أمراض شديدة والعرق نزحه ببدنه كثيراً مع ذلك فإنه يموت بعد ثمانية أيام من بدو ذلك به، وقال: إذا كان العرق الذي في الرقبة الذي يولد النوم غير اللون، فإن المريض الظاهر عليه يموت بعد اثنين وخمسين يوماً من ظهورها أو قال من يوم مرض وعلامة ذلك أيضاً أن يعطس عطساً شديداً.

وقال: إذا كان على اللسان بثرة مثل الذباب الذي على بدن الكلب أو كحبة الخروع، فإنه يموت من يومه ويكون هذا المريض في مرضه يشتهي الأشياء الحارة يعطيها.

وقال : إذا كان على الأصابع بثرة صغيرة سوداء شبيهة بحبة

الكشي أو حضر كذلك، فإنه يموت بعد يومين من ظهورها ولاسيما إذا كان في مدة مرضه ثقيل اليدين قليل الحس بهما.

وقال: إذا كان على إبهام اليد اليسرى بثرة قد ظهرت صغيرة حاشية بقدر حبة الباقلة كمدة اللون لا توجعه فإنه يموت بعد ستة أيام من ظهورها، وآية ذلك أن يكون في أول مرضه يختلف اختلافاً كثيراً بإفراط.

وقال: إذا ظهر في الأصبع الوسطى من الرجل اليمنى بثرة صغيرة لونها كلون حلا الصاغة وهو الطرطير، فإن صاحبها يموت بعد اثنين وعشرين يوماً من ظهورها وآية ذلك أن يكون شديد الشهوة للأشياء الحريفة من أصل مرضه إلى آخره. وقال: إذا كان أظفار الأصابع كمدة اللون إلى الزرقة وظهر في الجبهة بثرة رمبة فإن صاحبها يموت بعد أربعة أيام وآية ذلك أن يكون شديد العطش ليلاً ونهارا. وقال: إذا كان في إبهام الرجل حكة شديدة وكان الوجه كمداً فإنه يموت في اليوم الخامس بعد مغيب الشمس لا سيما إذا كان في بدو مرضه يبول بولاً مدرارا.

وقال: إذا ظهر على جفون المريض ثلاث بثرات إحداهن سوداء والأخرى كمدة والثانية شقراء فإنه يموت بعد سبعة عشر يوماً من ظهور البثرات، أو قال: من بدأه مرضه وآية ذلك أن يكون كثير البصاق من بدو مرضه. وقال: إذا كان على إحدى جفون العينين من المريض بثرة كالحلزونة النية المجسة كمدة اللون فإن صاحبها يموت مبدأ ظهورها إلى يومين وآية ذلك أن يكون كثير النوم من مبدأ مرضه يستغرق استغراقا.

وقال : إذا سال من منخري المريض ماء يضرب لونه إلى الشقرة ونظر في يده اليمنى بثرة لا تؤلمه، فإنه يموت بعد ثلاثة أيام من ظهورها سيما إذا كان في بدو مرضه لا يشتهي الطعام ولا يلتذه. وقال: إذا ظهر في

فخذ العليل الأيسر حمرة شديدة طولها ثلاث أصابع فإن المريض يموت ذلك بعد خمسة وعشرين من أول ظهورها أو قال من مبدأ مرضه وآية ذلك أن يشتهي البقول والخضروات بقوة ويكون في بدو مرضه كثير حكة الجسد.

وقال: إذا كان خلف الأذن اليسرى من العليل بثرة سوداء ظهرت بغتة فإن صاحبها يموت بعد أربعة وعشرين يوماً من ظهورها به، أو قال من مبدأ مرضه ولا سيما إذا كان يشتهي الماء البارد شهوة عظيمة ولا يكاد يروى. وقال إذا كان خلف الأذن اليسرى بثرة حاشية مثل الحمصة، فإن صاحبها يموت بعد عشرين يوماً من مرضه في مثل تلك الساعة التي ظهرت فيها عليه، وآية ذلك أن يكون كثير البول في أول مرضه مدراره. وقال: إذا كان خلف الأذن اليمنى من العليل بثرة حمراء حارة الملمس يجد منها كلذع النار وهي بقدر الباقلاء، فإن صاحبها يموت بعد سبعة أيام من مرضه بها وعلامة ذلك، وآيته أن يتقيأ في مبدأ مرضه قيئاً كثيرا . وقال: إذا كات تحت اللحية بثرة حمراء في عظم الباقلة المصرية، فإن صاحبها يموت في اليوم الثاني والخمسين من مرضه بها وآية ذلك أن ينفث بلغماً كثيرا في مرضه ذلك .

وقال: وقد يعرض لبعض الناس وجع في الحشفة زائد على الحد ثم يظهر بها بثرة كمدة اللون أو يظهر في المرفق مثلها فإن صاحبها يموت في اليوم الخامس من ظهورها، وآية ذلك أن يشتهي شرب الخمر شهوة شديدة. وقال: إذا كان على الحاجب الأيمن بثرة كمدة اللون ولا توجع صاحبها فإنه يموت بسبعة أيام من مرض بها قبل طلوع الشمس، وآية ذلك أن يكون كثير التثاؤب في أول مرضه.

وقال: إذا كان في الإبط الأيسر بثرة كمدة اللون وهي بقدر السفرجلة فإن صاحبها يموت لمضي خمسة عشر يوماً من مرضه، وآية ذلك أن يعرض له في بدو مرضه نوم كثير. وقال: إذا كان على الكف بثر كثير أسود مؤلم صاحبها، فإنه يموت بعد مضي ثمانية وعشرين يوماً من مرضه ذلك، وآية ذلك شدة شهوته الأطعمة الباردة المزاج.

وقال: إذا كان على الصدغ الأيسر بثرة شقراء تظهر بغتة ويجد في عينيه حكة شديدة مستمرة فإن صاحبها يموت بعد أربعة أيام من حدوث ذلك به. وقال: إذا كان في وسط الرأس مرض أسود شبيه بالجوزة قدر ذلك غير مؤلم فإن صاحبها يموت إلى أربعين يوماً من مبدأ حدوث ذلك به، وآيته أن يعرض له في مبدأ مرضه سبات. وقال: إذا كان في الصدر ورم أسود كالبيضة، فإن صاحبه يموت بعد ثمانية أشهر من مبدأ ظهورها ، وآية ذلك أن يأخذه في مبدأ مرضه الحصر وعسر البول. وقال: إذا كان تحت الرقبة بثرة وفي الجفن الأسفل من العين اليسرى بثرة بيضاء فإنه يموت ذلك المريض بها لإحدى عشرة ليلة من ظهور ذلك، أو قال : شدة شهوة المريض إلى الحلو والله أعلم بالصواب. تمت وصايا أبقراط في البثور وهي خمسة وعشرون علامة.

الحساب بالفلك في الشخص الغائب أحي هو أم ميت :

قال صاحب ذي الغبراء: كان لي أخٌ في الله أشدد به أزري وأشركه في أمري، فابتلاه الله بعلة الجذام وخرج عني وقطع البحر ثم وصلت مكاتيب منه أنه قائم بأرض السواحل، ثم بعد ذلك وصلت من عنده كتب وخطوط بجدة وهي بندر الحرمين، فبعد ذلك وصلت أخبار من أعلام الناس أنه ميت، وأن أهل العلم لم يقبلوا الأخبار إلا بالشهادة الصحيحة.

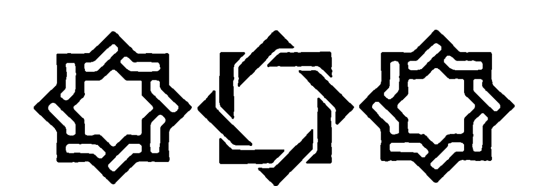
فقلت لذي الغبراء: لعلك تخبرني بشيء من الفلك حتى أستدل به على صحة خبره أنه ميت أم لا.

فأجابني أنه لا ينفعك علم الفلك بمعرفة موته حتى يحكم به في علم الشريعة، وأما إن أردت الغوص في شيء من أبواب الفلك فإذا سألت عن إنسان حي هو أم ميت فانظر إلى صاحب الطالع والقمر، فإن كان في الرابع من الطالع أو في بيت الموت فهو ميت أو محترقين في هبوطهما أو في موضع صاحب بيت الموت فإنه ميت، فإن وجدت أحدهما كذلك فاطلب الشهادة من السعود والنحوس وفي نظرهما إلى رب الطالع من المقابلة والتربيع .

اعلم أن صاحب الطالع في الرابع راجعاً أو في هبوطه راجعاً أو منصرفاً أو يدخل في الاحتراق فهو ميت، وكذلك إن كان تحت الأرض أو يتصل بكوكب راجع تحت الأرض، وكذلك أيضاً إذا كان في القمر وصاحب الطالع منحوساً، وكذلك إن كان صاحب الطالع من النحوس أو كان مع نحس أو في تربيع الشمس ومقابلتها، فإما إن كان على خلاف هذه الصورة وهو وصاحبه مسعوداً، وإن كان يرجع عن درجة بيت الموت، فإنه لم يمت، ثم انظر إلى الطالع والقمر أيهما أقوى واستدلت به على موته، فإن كان تحت الشعاع الشمس، فإنه مات من الحرارة ووجع خفي، وإن كان في آخر برجه، فإنه مات موتة سوء لأنه عند ذلك في موضع محترق. وهذا إذا كان أحد هذه الكواكب الخمسة وإن لم يكن الدليل من الشمس بهاتين الحالتين وكان منحوساً وزحل في الحمل أو في مثلثته، فإنه سقوط من مكان مرتفع، وإن كان في الثور أو في مثلثته من زحل وأما مثلثته فإنه مات من قبل سوء أصابه أو مرض سوداوي أو برسام أو برودة أو يبوسة ، فإن كان في الجوزاء أو مثلثتها وهو في وسط السماء، فإنه وقع عليه جدار أو وقع هو من موضع مرتفع، وإن كان في وتد

الأرض، فإنه يقع من موضع علي مرتفع مثل بنيان أو نخلة أو شجرة، وإن كان في السرطان أو مثلثته فإنه مات من غرق أو مبطوناً إلا أن يكون زحل صاعداً، فإنه إن كان زحل صاعداً دل على أنه مات بالقولنج. وإن كان نحسه المريخ والمريخ في الحمل أو في مثلثته فإنه مات من أرجل الدواب أو أكلته السباع، وإن كان في الثور أو في مثلثته، فإنه وقع من موضع مرتفع أو وقع عليه شيء فقتله، وإن كان في الحوت أو في مثلثته فإنه قتل بالسيف إلا أن يكون المريخ في وسط السماء، فإنه مات مصلوباً، وإن كان في السرطان أو في مثلثته فإنه مات من الماء أو نكبه دور الماء.

واعلم أن الدليل إذا اجتمع عليه النحسين جميعا كان سبب موته من وجع الدم والقيح ، فإن اجتمع عليه الشمس والمريخ مات محترقاً بالشمس، وإن كان القمر مع المريخ مات في الحريق وسقط بعض أعضائه ، وإذا كان القمر ممتلياً وهو في تربيع المريخ أو مقابله والشمس مع الرأس أو الذنب، فإنه مات في حرب أو مع جماعة من الناس. واعلم أن النحسين الذين يدلان على الموت إذا كانا في الطالع كان سبب موته من مرض هاج عليه في جسده فأكل أكثره. وإن كان في الثاني من الطالع كان سبب موته من المال والأخوان والجند والأحرار ، وإن كان في الثالث أو التاسع فإن سبب موته من الأذيان والكلام والأخوة والأقرباء ومن يقع عنده مقامهم، وإن كان في الرابع كان سبب موته من الأرضيين أو من الآباء أو من شيء قديم وكذلك قيل في بقية البروج والله أعلم وبالغيب أدرى وأحكم وبمن صلى وسلم .



الذكر الثاني والخمسون :
في وصية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه عند موته ، وفي وصية الإمام ناصر بن مرشد (رحمه الله) لخليفته سُلطان بن سيف ، وفي ترغيب العِلم

وصية الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه عند موته:

قال صاحب ذي الغبراء: سمعت أخي ومحبي في الله يروي عن عبدالله بن مسعود أنه قال: إذا أتيت أهلك فمرها فلتصلي ركعتين ثم خذ برأسها وقل اللهم بارك لي في أهلي وبارك لأهلي فيّ وارزقهم مني وارزقني منهم واجمع بيننا ما جمعت في خير وفرق بيننا ما فرقت في خير . ويروي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، أنه قال : " إذا أعطيت العفو والعافية في الدنيا والآخرة فقد أفلحت "[1] .

وعن علي بن أبي طالب أنه قال: لما نزلت "إذا جاء نصر الله والفتح" مرض النبي (صلى الله عليه وسلم) فما لبث أن خرج إلى الناس يوم الخميس وقد شد رأسه بعصابة فرقى المنبر فجلس عليه، مصفر الوجه تدمع عيناه، ثم دعا بلالاً فأمره أن ينادي في المدينة أن اجتمعوا لوصية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإنها آخر وصية لكم فنادى بلال فاجتمع صغيرهم وكبيرهم وتركوا أبواب بيوتهم مفتوحة وأسواقهم على حالها حتى خرجت العذاري من خدورهن ليسمعوا وصية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى أحاط المسجد بأهله والنبي (صلى الله عليه وسلم) يقول وسعوا لمن وراءكم، ثم قام النبي (صلى الله عليه وسلم)

---

(١) ابن ماجة : ٢/٣٨٤٨ ؛ وأحمد : ٣/١٢٣١٣ .

يبكي ويسترجع ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على الأنبياء وعلى نفسه (صلى الله عليه وسلم) ، ثم قال : أنا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم العربي الحرمي الذي لا نبي بعدي ؛ أيها الناس اعلموا أن نفسي نُعيت، وحان فراقي من الدنيا واشتقت إلى لقاء ربي فواحزني على فراق أمتي ماذا يلقون من بعدي، اللهم سلم سلم، أيها الناس اسمعوا وصيتي وعوها واحفظوها وليبلغ الشاهد منكم الغائب فإنها آخر وصيتي لكم ، أيها الناس قد بين الله لكم في محكم كتابه ما أحل لكم وما حرم عليكم وما تأتون وما تتقون فأحلوا حلاله وحرموا حرامه، وآمنوا بمتشابهه واعملوا بمحكمه واعتبروا بأمثاله ، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال اللهم هل بلغت.

أيها الناس ، إياكم وهذه الأهواء الضالة المضلة البعيدة من الله والبعيدة من الجنة والقريبة من النار وعليكم بالجماعة والاستقامة فإنها قريبة من الله وقريبة من الجنة بعيدة من النار، ثم قال اللهم هل بلغت ، أيها الناس اللهَ اللهَ في دينكم وأماناتكم، اللهَ اللهَ فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم مالا يطيقون، فإنهم لحم ودم وخلق أمثالكم ألا من ظلمهم فإني خصمه يوم القيامة، والله حاكمهم اللهَ اللهَ في النساء أوفوا لهن مهورهن ولا تظلموهن فيحرمكم حسناتكم يوم القيامة اللهم هل بلغت .

أيها الناس ، قوا أنفسكم وأهليكم ناراً، وعلّموهم وأدبوهم فإنهم أعوان وأمانة ألا هل بلغت ، أيها الناس أطيعوا ولاة أموركم فيما أطاعوا الله ولا تعصوهم وإن كان عبداً حبشياً مجدعا فإنه من أطاعهم فقد أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاهم فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى الله تعالى، ألا لا تخرجوا عليهم ولا تنقضوا عهودهم

اللهم هل بلغت ، أيها الناس عليكم بحب أهل بيتي وعليكم بحب حملة القرآن وعليكم بحب علمائكم لا تبغضوهم ولا تحسدوهم ولا تطعنوا فيهم ألا من أحبهم فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغضهم فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله اللهم هل بلغت، أيها الناس عليكم بالصلوات الخمس وإسباغ وضوئها وتمام ركوعها وسجودها اللهم هل بلغت، أيها الناس أدوا زكاة أموالكم، ألا من ترك الزكاة[١] فلا صلاة له، ألا من لا صلاة له فلا دين له ولا صوم له ولا حج له ولا جهاد له اللهم هل بلغت ، أيها الناس إن الله فرض الحج على من استطاع إليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على أي حال شاء يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً إلا أن يكون به مرض حابس أو منع من سلطان جائر ألا لا نصيب له في شفاعتي ولا يرد حوضي اللهم هل بلغت ، أيها الناس إن الله جامعكم يوم القيامة في صعيد واحد في مقام عظيم وهول شديد في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم اللهم هل بلغت ، أيها الناس احفظوا ألسنتكم وبكوا أعينكم، وأخضعوا قلوبكم وأتعبوا أبدانكم وجاهدوا عدوكم، واعمروا مساجدكم، وأخلصوا إيمانكم وانصحوا إخوانكم وقدموا لأنفسكم واحفظوا فروجكم وتصدقوا من أموالكم ولا تحاسدوا فتذهب حسناتكم، ولا يغتب بعضكم بعضا فتهلكوا ، اللهم هل بلغت .

أيها الناس لا تظلموا فإن الله لطالب لمن جار وعليه حسابكم وإليه إيابكم وإنه لا يرضى منكم بالمعصية، أيها الناس إنه من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، أيها الناس إني قادم

---

(١) ليست بالأصل .

إلى ربي وقد نعيت إلى نفسي فأستودع الله دينكم وأمانتكم والسلام عليكم معشر أصحابي وعلى جميع أمتي والسلام ورحمة الله وبركاته ثم نزل ودخل المنزل فما خرج بعدها (صلى الله عليه وسلم) .

وصية الإمام ناصربن مرشد :

وهذه وصية الإمام : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله إمام المسلمين ناصر بن مرشد بن مالك إلى حضرة الولد الحبيب المساوي بين القريب والبعيد والي الإمام سلطان بن سيف بن مالك، أما بعد: يا ولدي أوصيك ونفسي بتقوى الله تعالى فإنه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، اجعل التقوى يا ولدي نصب عينيك، وأسكنه قلبك واعلم أنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا خشية له، ولا مآل لمن لا رفق به ، أصلح لله سريرتك وعلانيتك بطاعته .

واعلم يا ولدي أنك إن تمسكت بالحق أنزلك الحق منزل أهل الحق يوم لا يقضى بين الناس إلا بالحق ولا تخف في الله لومة لائم، وإياك أن تغرنك الدنيا يا ولدي فإنها دار من لا دار له، ومآل من لا مآل له، حلالها حساب وحرامها عقاب، والدنيا دار تقلب وزوال وانتقال، وتصرّم واضمحلال، وتنقل من حال إلى حال، فالقلوب عليها والهة، والعيون إليها شاخصة، والنفوس لها عاشقة، وهي لأزواجها قاتلة، فلا الباقي بالماضي معتب، ولا الآخر بالأول منزجر، ولا الجاهل بالعاقل مزدجر، وكل في بحرها غريق، فطوبى لمن خلع الدنيا فنجا، ورجا منها ما رجا، ما همه بالليل إلا الخوف والخشوع، جاث على ركبتيه يتضرع إلى الله في فكاك رقبته، وأما النهار فمقبل على شأنه، فكرته في الحساب، ورغبته في

الثواب، فهو إذا فرح الناس محزون، وإذا ضحك الناس مشجون، الخوف شعاره، والهم دثاره، فطوبى له غداً من محبوب مكرم، وولي معظم.

وأوصيك يا ولدي بخصال أولهن أن تخشى الله في الناس، ولا تخش الناس في الله، وأن يكون خير قولك ما صدقه الفعل، وأحبب لرعيتك ما تحبه لنفسك وأهلك، ولا تخف في الله لومة لائم، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك إن ذلك لمن عزم الأمور، ومهما كان لأحد من المسلمين إليك حاجة فلا تشتغل عنها بنوافل العبادات، فإن قضاء حوائج المسلمين أفضل، وعليك بالرفق برعيتك، فقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : " كل والٍ لا يرفق برعيته لا يرفق به يوم القيامة " ، ولا تطلب رضا أحد من الناس بمخالفة الشرع قريباً كان أو بعيدا ، واشكر الله تعالى على هذه المنزلة التي أنزلك الله فيها وأمكنك من أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتنصف الظالم من المظلوم، وهو من أفضل الأعمال، وجميع الأعمال مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كتفلة في بحر، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) .

واعلم يا ولدي أن الظفر بالأمور المستعصية مع كتمان السر وملازمة الطلب ومداومة الصبر، ووسع صدرك وخلقك للناس لا سيما لأهل الدين والذي تجري عليه إمارتك، واجعل رعيتك عندك في الإنصاف سواء، وجانب الجهل واصطنع الصبر والفضل، واعمل بالعدل وأنزل كل أحد منزلته، واجعل رعيتك كل منهم يقول إنه القريب عندك، وتفقد عمالك ومن توليه على عمل كيف سيرتهم وحالهم في الناس ولا تكن غفولاً عجولا، وتعاهد رعيتك فإنك قد ركبت في الخطر الجسيم، فاتق الله وإذا غضبت فلا يخرجك غضبك من الحق ، وإذا رضيت فلا يدخلك رضاك في

الباطل، وأكثر من مشاورة إخوانك وشاور في جميع أمورك الذين يخافون الله تعالى .

قال صاحب ذي الغبراء: وجدت عن الزبير بن بكار كان يقول كتب إلي أبي يقول: يا بني العلم خير لك من ميراثك من أبيك، فاطلبه واخدم أهله فإنك إن استغنيت كان لك جمالا، وإن افتقرت كان لك مالا، وأنشد:

تعلَّم فإنَّ العلمَ زينٌ لأهلِهِ وأفضلُ ما أدَّبت نفسكَ بالعلم

قال: وكتب رجل إلى أخيه: إنك أوتيت علماً أنار الله به قلبك، فلا تطفئن نور علمك بالذنوب فتكون في ظلمة يوم يسعى أهل العلم بما آتاهم الله فتكون من الخاسرين.

وقال : أربعة لا تشبع من أربعة : عين من نظر، وأرض من مطر، وعلم من أثر، وأذن من خبر .

فتأمل أيدك الله هذا الكلام بحضور ذهن وشاهد عقلك، وكذلك المواظبة على المفترضات من الصلوات الخمس والجماعة عليها باللباس وأداء ذلك في المواقيت وأداء ما فرض الله عليك من جملة الحدود والحقوق واللوزام فعليك بالورع الحاجز من كل شك وشبهة لأنه يقال لو كان علم الرجل حمل جمل، ما نفع إلا بدين خالص وعمل صالح وأنشد:

إذا أنتَ لم تدرِ ولا أنت بالذي يسائل من يدري فكيف إذاً تدري
ومن عجب الدنيا بأنك جاهلٌ وأنكَ لا تدري بأنكَ لا تدري

فالله المستعان .

صفة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) :

قال ذو الغبراء : سألني بعض الأخوان ، عن صفة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فهذا ما وجدته : بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم قال مولاي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: يا علي ما من عبد مؤمن ولا مؤمنة يكتب صفتي هذه ثم يضعها في بيت لا يقرب ذلك البيت شيطان ولا سلطان جائر ولا يصيب ذلك البيت بلاء ولا وباء ولا علة ولا عين حاسد ولا سحر ساحر ولا غم ولا هم ولا هدم ولا عرض ولا خوف ولا غرق، ولا تصيبهم مصيبة أبدا ولا يزالون بالفرح والسرور ما دامت صفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ذلك البيت أو المنزل الذي يسكن فيه ومن قرأها أو سمعها فكأنما حج حجة أو أعتق رقبة وصرف الله عنه شر الدنيا والآخرة، ولو قرأها على مريض عوفي ببركة محمد (صلى الله عليه وسلم) .

أخبرنا محمد بن الحسين الأنصاري عن مكحول عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقال : قال علي (كرم الله وجهه) : اعلم يأبا هريرة أن محمداً رسول الله رب العالمين، وخاتم النبيين، وقائد الغر المحجلين، وسيد جميع الأنبياء، والمرسلين، رؤوف بالمؤمنين، شفيع المذنبين، أرسله إلى كافة خلقه أجمعين ، كما قال الله (تبارك وتعالى) في مُحكم كتابه المبين : ﴿ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾(١) ، صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، واللواء الحمد الممدود، والشفاعة يوم اليوم الموعود والمشهود، إمام هاشمي ورسول قرشي، ونبي حرمي مدني أبطحي تهامي، أصله آدمي، وفرعه نزاري،

(١) سورة الأحزاب : ٤٠ .

وحسبه إبراهيمي، ونسبه إسماعيلي، ولسانه عربي، وبقعته حجازي، وشخصه علوي ، ونوره قمري ، إمام الثقلين ، لا بالطويل الذاهب ، ولا بالقصير الداني ، أبيض اللون مشرب بالحمرة، أقنى الأنف، أدعج العينين، أزج الحاجبين، أشعر الذراعين، براق الجبين، أكحل العينين، باسط اليدين، عظيم المنكبين، شطن الكفين، قامته ما بين القامتين، إذا قام مع الناس عمهم في القيام، وإذا مشى معهم كأنه سحاب مظلل بالغمام، متعلق كالغمام نبي الحرمين، مسيح القدمين، صاحب قاب قوسين، نبي الرحمة، وشفيع الأمة، سراج الظلمة، وعالي الهمة، طلق البنان، فصيح اللسان، جميل الذكر، جليل القدر، طيب العرق، حسن الخلق، جميل الخلق، حديد الطرفين، لا حجاب له جمال الأنام، حلو الكلام، ركن الإسلام، بدي السلام رسول الله الملك العلام، مفرد البدائع، ومظهر الشرائع، ناسخ الملل، وفائق الدول، كثير الحياء ، واسع الصدر، دائم الذكر والبكاء، خاتم البر ، أمين السماء ، جزيل العطايا، لم تعبه ثقلة، ولم تزدره مقلة، وأخبر الذنب عن رسالته، والضب عن نبوته، وقام البراق إجلالاً بحرمته ثم عاد إلى أركانه كهيئته، ونبع الماء من أصابعه حين احتاج العسكر إلى منافعه، وكلمه الحصى بيده، ونطقه الرضيع نطقاً لأنه رسول مرتضى حقا قائم بأمر الله، موقن بوعد الله، مشمر في عبادة الله، مستسلم لمرضاة الله، ساتر العورات، قامع الشهوات، غافر العثرات، كاتم المصيبات، صوام النهار، قوام الليل، ناصر البررة، وكاسر الفجرة ، وقاتل للخوارج والكفرة، سهلاً عند المصافحة، عدلاً عند المقاسمة، سباقاً عند المعاملة ، شجاعاً عند المقاتلة، مفلج الثنايا، قليل الضحك، كثير التبسم، قليل التنعم، سجيع الترنم، رزين العقل، عفيف النفس، مدور الوجه، رجيل الشعر، شديد السواد كأنه الليل البهيم، شعره نازل متصل إلى شحمة أذنيه، وله

شعرتان في جسده كأنهما المسك الأذفر لم يكن على جسده سواهما، أطيب الناس ريحاً، واسمح الناس كفا، وإذا سلم عليه رجل وصافحه وجدفي كفه رائحة المسك ثلاثة أيام ليلاً ونهارا دائماً، وإذا اشتكى عليه أحد عليه عطشان وجد في برد كفه على كبده وهو ريان، وإذا أصبح مسح رأس الصغير أو اليتيم فيجد عليه رائحة الفردوس ثلاثة أيام ليلاً ونهارا، وإذا رأيته جالساً في صحن المسجد فكأنه القمر المنير ووجهه يتلألأ ليلة البدر (صلى الله عليه وسلم) ، جعله الله تعالى رسولاً كريماً رحيماً وسيماً قسيماً، وفي عينيه دعج وفي أشعاره وصف، وفي صوته سهل، أحور أكحل أزج أرعن وفي عنقه وصدغيه شتع ، وفي قدميه إلى قرن أذنيه نوران ، وفي لحيته كتاب ، وبين كتفيه مكتوب فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وقد سماه الله تعالى اسمه الماحي لأنه يمحي السيئات في الدنيا والآخرة ، واسمه عاقب لأنه آخر الأنبياء وبه يعاقب الله المخالفين، واسمه قاسم وبه يقسم أهل الجنة وأهل النار، واسمه حاشر لأنه يحشر الناس على أثره، واسمه رشيد لأنه يرشد الناس إلى الخيرات بطرقاته، واسمه مبيض لأنه يبيض الله وجوه المسلمين غداً في عرصات يوم القيامة، واسمه مبارك لأنه يبارك الله وجوهاً على من لا يخالفه، واسمه في السماء أحمد لأنه أموره محمودة، واسمه في الدنيا محمد لأنه محمود عند الله وملائكته ومن آمن به، واسمه بشير أنه يبشر بالجنة، واسمه نذير لأنه ينذر الناس من النار، واسمه سراج لأنه سراج لأمته، واسمه المرتضى لأن الله تعالى غداً يرتضيه يوم القيامة عنك نار جهنم في امته، وأنزل عليه القرآن، وعظمه وأظهر الاسلام ونصح أمته وعبد ربه حتى

أتاه اليقين، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

وقال عبدالرحمن ناصر بن أبي نبهان: إن في هذا الكلام دلالات تدل على أنه من لفظ قومنا وأكثره صحيح وفي بعضه نظر والله أعلم.

ما قاله الشُعراء تقريضاً لهذا الكِتاب :

وهذا مما قاله الشيخ راشد بن سعيد بن جاعد بن خميس الخروصي ، لما تصفح هذا السفر ، قال فيه شعراً :

خطرت عليّ كواكب الأبرار فتكشفت لي غوامض الأسرار
لما قرأت مؤلفاً أربابه عدد النجوم تضيء بالأنوار
ووجدت فيه عجائباً وغرائباً تجلي الصدا من غامض الأفكار
من كل فن من علوم أولي النهي فوجدتها فيه بنص البار
وقواعد الاسلام فيه ركبت بحقائق القرآن والآثار
وغرائب الأخبار في تأليفه ممزوجة بشرائع الجبار
والطب مع علم الحساب وكل ما يشفي السقام وسائر الأخطار
ما شاهدت عيناي سفراً مثله كالشمس تعلو جملة الأسنار
كالشمس في الآفاق يشرق نورها وضياء هداهم في الأمصار
وبه دياجير الغماء تكشفت وبه تناهت أوجه الأقمار
وبدوره قد أقبلت أيامها وتكاملت في رابع الأعشار
والسعد متصل به ومقابل ووباله والنحس في الإدبار
فتكامل التوفيق مع تأثيره بالسعد والإقبال والإيثار
نعم المؤلِف والمؤلَف شاعر بجواهر الأخبار والأشعار

طوبى مؤلفه الذي قد أحمدت ... أفعاله مع جملة الأحبار
فتكاملت أخلاقه وصفاته ... محمودة مع منشىء الأشجار
وهو الفتى المحمود إن حمي الوغى ... في ذات مولاه لنفي العار
متوشح بقناعة وتعفف ... مع هيبة وسكينة ووقار
يطمو على البحر المحيط نواله ... كالوبل يخصب جملة الأقطار
ذاك السري اللوذعي خميسنا ... يوم الوغى من راشد الأنصار
أنشاه مولاه على طاعاته ... مع رجوة ومخافة من نار
وكذاك ميزان الهدى متعادل ... مع ربه في حملة استغفار
يوم اطمأنت بالرقاد جنوبنا ... هو يتلو أسماء العلي الغفار
والله ما شهد البصير كمثله ... متوشحاً بحقائق الأسرار
دهش العقول لما نضى في شعره ... يشفي القلوب عجائباً للقاري
وعليه مني ألف ألف تحية ... تشفي الكروب من الفؤاد الضار
وختمت قولي بالصلاة على الذي ... قد خصه الرحمن بالأنوار

وهذه الأبيات لحميد بن محمد بن رزيق :

صديق كثيف الطبع خصم المؤلف ... وإلف شريف الطبع خدن المؤلف
رقيق الحواشي عارف كل عارف ... بتصنيفه للصحف غير مصحف
ومن لك بالحر الذي هو بالهدى ... نماه ذكاه عن قذى المتقشف
كمثل خميس حين أودع سفره ... طرائق يستزري جناس المطرف
تظل بأدماح عياظ رياضه ... بريف وإبهاج ترف برفرف
به كل علم قد يرى كل عيلم ... جواهره تزهي بكل مشفف
له الله من سفر تضيء سطوره ... بدريه يفتر كل مشنف

وكم قصة فيه بها كل من به حرارة الأم من الوجد يشتف
وكم حكمة فيه تشير بسرها على أن لقماناً بها لم يشرف
ويوحي بسر معلن أن ربه لأسرار علم الحرف غير محرف
وللشرع فيه مبزغ متوقد بنور جلي مخطف غير مخطف
وللطب فيه ما لسقراط من يد أيادي الحلولي المتكيف
ألا مثله فليعلم الحبر أنه خبير بما في كل سفر ومصحف
فما ضره أن فاه بالجهل خامد وقال أرى ما فيه غير مفوف
فحسب الذي لم يدر مما من البهي به أنه يحكي بقول مضعف
فتى راشد أنت الرشيد في الوغى مثقب أكباد العدى بالمثقف
كفاك علاك المستشف بضونه عن المافت الداجي بوجه التغظرف
فلا زلت غيثاً تقصف الخصم في الوغى ترعد رؤوم باهر متقصف

وللشيخ علي بن ناصر التنوفي :

بني عبرة هنيتم بابن راشد لقد صار بينكم خير راشد
وأضحى بكم بدراً سنياً سماؤه .مضيناً بكم في مظلمات المقاصد
تصادق أهل العلم بالحب نفسه وكان لهم من خير خل مساعد
ولولاه ما كان السرور بخاطري ولا مونل للصالحين الأماجد
فكم سلوة من كل هم وكربة به نلتها ما بين قاص وشاهد
سألت إله العرش عفواً ورحمة إليّ وإياه وكل مجاهد
ويهدي كلانا للهدى من صراطه ويعصمنا من ختل غاوٍ معاند
وصلى إله العرش في كل نسمة على المصطفى رب الوفا والمحامد

ولناصر بن صالح العدوي البهلوي :

نمقت كل فضيلة في كاغد وفرائداً فاقت سلالة راشد

وعلوت ذروة كل عالٍ بـــاذخ بقريحـة تـزجي العلوم وقـائـد
وأتيت فـي فـن النظـام مـواعظـاً وفوائداً فـي الـشرع خير فـوائـد
ووضعت من قصص ومن مثـل ومن غزل ومن مدح لأهل محامد
وعن الـرواة غـرائبـاً وعجـائبـاً لم تـوَت في تأليف صحفة ماجد
فتركتهـا مجمـوعـة منظومـــة مرسومـة مرقومـة في الكـاغـد
أودعتها سفـراً هديت بـه الـورى كالشمس تشرق في بروج فراقـد
وخصصته فاشتـقت مـن أسمـائـه بشفا القلوب من الكروب مساعد
هو سلوة المحزون إن حزن امرؤ وإذا تغشـم فـهـو أفضـل قـائـد
بستان علـم قـد تـفـنـن واحتـوى ما يـحـتـويـه مـجـاهـد والـواقـد
يـكـفـيـنـنـا فـخـراً أوان زمـانـنـا لخـمـيس راشد وهو خير مجاهـد
فـالـلـه يمنحـه النعيـم ولـم يـزل بـهـداه يـرغـم كـل غـمـر حـاسـد
ويـداه لـلـفـقـراء جـوداً هـامــلاً وعلـى البغـاة لظى وكل معانـد

وله ـ أيضاً ـ العدوي البهلوي :

كتاب جلا كرب القلوب من الصدا هو القطب في كل العلوم على القطب
لـه شرف سامٍ علـى كل كوكـب كذلك ذا يسمـو علـى جملـة الكتب

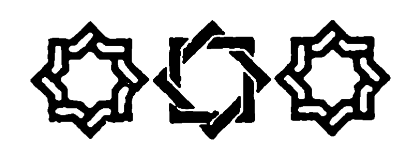
وقال مُؤلّف الكِتاب :

كنيت ذا الغبراء من خالص التـرب وآدم صـلـصـال فـخـار للنـسـب
بليت بـداء العسر مع قلـة الفهـم شفـاه أبي بالعلـم منه وبالضـرب
فأرث لي سعداً وأحيا به جسمـي وشافهـت أهل النظم والفقه والطب
وألفت ما أفتوا بـه مـن علـومهـم وقلت من الأخبار في الشرق والغـرب
كتابا شفا داء القلـوب من الكـرب هـو البحر قد حاز العلوم على الكتب
فلا يسأم القاري إذا ما تلا ذكـرا علـى حلقـة الأحباب والرسد واللـب

فيا طالباً انظر إليه تجد به ... الذي جميع تبغيه فهو ينبي
وكم دعاء فيه سراً إذا قري ... وسر جمادات وحيوان والأب
وكم قصة فيه جلت قلب مظلم ... وكم حكمة جاءت من البعد والقرب
وكم أذن أصغت إليه بسمعها ... لأصلح دنيا بعد دين بلا عجب
وكم طالب العراريد سعده به ... وكم عدة فيه لذي العز والرتب
وكم حرفة يحيا بها قلب صانع ... وكم فيه تدبير مع الأكل والشرب
وكم عالم يحوي كتاباً معظماً ... ومنه أخذنا ما يروق وما يسبي
فقال لي الأخوان أسعى إلى النشب ... فقلت لهم ما لي كتابي شفا قلب
وأبوابه عدا كما عاش أحمد ... وإتمامه ذكر النبي مع الصحب
وتابعهم والتابعين من الورى ... هموا حملوا علماً وديناً عن النبي
فمن بصر النقصان فيه الخطا ... فإصلاحه فيه الأجور مع الرب
ويا غافر اغفر ذنوبي إنني ... مسيء مقر باكتسابي للذنب
ويا رب فارزقني شفاعة أحمد ... لسنته أقفي بدين وبالحب
وصل إلهي على النبي ... وآله والأصحاب يا غافر الذنب

ولعبد الله بن حميد :

كتاب شفا القلوب به شفاء ... ومن داء الكروب به دواء
تضمن من فنون العلم مالا ... يكيف عدها قاف وراء
هو السفر الذي جمع المعاني ... بتصنيف أنار لنا ضياء
فنحو ثم طب ثم فقه ... وتصريف ومن لغة رواء



الذكر الثالث والخمسون :

فيه قصص ، وشيء من المنافع للناس من قول العلماء بالنظم والنثر ، وقصيدة لقسمة الأقربين ، وقصيدة في المواريث من قول الشيخ عامر بن سليمان الريامي الأزكوي ، وفيه بحور الشعر وما يجوز للشاعر إذا اضطر في ذلك

قصص فيها عبرة :

قال صاحب ذي الغبراء : جلست يوماً في حلقة الذكر وسمعت منهم كلاماً يذكرون فيه شيئاً عن المساجد: أن من أخذ من أموالها أصابته مصيبة في جسمه أو في أمواله أو في أولاده من ساعته فعجز عن ظلمها الجبابرة المتجبرين، وأهل الشجاعة المتمردين، واللصوص المتزندقين والصبيان في مالها اللاقطين فصارت لها هيبة عن مساجد أهل الذكر والعباد والصالحين، وكل من دخل فيها نجساً أو على ضعف، سمع كلاماً أو قعقعة حتى يخرج منها، ومن أخذ شيئاً على غفلة أو خطأ ورده فيبرأ من ساعته، وإذا أصر مات في يومه، ومن حلف عليها حانثاً أصابه القصص[1].

قال رجل من المسلمين: قصدت يوماً إلى السوق فعارضني كلب في الطريق فقتلته ورميت عليه الحجارة، فعرضت عليه بعد سنة زمان فوجدت عنده المجامر والثياب، ثم عرضت عليه بعد ذلك فوجدت قد بنيت

---

(١) أي : العقوبة .

عليه قبة، وسألت عن ذلك فقيل لي إن هذا قبر شهيد ويقتص من الظالم للمظلوم.

ثم ذكر أحدهم قصصاً جارية عن اللصوص قال: فعمد اللص إلى مقام الوالي ودخل عليه في بيته والأبواب مقفلة والعبيد عليها محرسة، فأخذ اللص كثيراً ثم قصد بين الوالي وزوجته ونام، فتارة يؤخر الوالي عن الفراش وتارة يؤخر الزوجة حتى أخذ الفراش عنهما، فانتبها وأقبل الوالي إلى العبيد، فألظوا النار فإذا هم باللص مقبل إليهم وارتفع عنهم في الجدار وخرج من الباب وهم ينظرون إليه فركبوا الخيل وجدوا في أثره فتارة يقف يصيح عليهم، وتارة يحث في السير حتى نزلوا في مقامه فرأوا فيه داء الفيل، له رائحة منتنة فاحتارت قلوبهم فجاءوا إلى أميره وأخبروه عن اللص.

فقال الأمير: هذا رجل سقيم مذ زمان، فقال القاص: هذا هو صاحب الأثر ولكن لا أقول إلا كما تنظروا له. فرجعوا عنه فلما مشوا عنه غسل أرجله وكأنها لم يكن فيها ألم. فقيل له: كيف صنعت بها؟ قال: كلما جئت سارقا دهنت الرجل بعرق فتورم بالحال وجعلت عليه شيئاً منتنا كأنه صديد يخرج منها.

وقيل لبعض اللصوص في مرضه لعلك تتوب إلى الله تعالى. قال: لا يكون مني هذا، وجعل يقول لأولاد الناس افقشوا الأجلة من السواقي حتى تلعبوا بالماء، وارموا بالقدور وكلوا اللحم منها، واشربوا اللبن والسمن، وخذوا ثياب آبائكم وارموا بها في النار، فإنكم تنظرون لهيبها.

وقيل لأصحاب تتن ومزمار وريشة لعلكم تتوبون من أفعالكم،

فقالوا نريد التتن في فمنا مع خروج روحنا، والريشة والمزمار لنوصي بها أن يكونا في قبرنا. فقلنا لهم صحيح قول المسلمين إن الزمّار في الدنيا يهذي به في مرضه ويقوم من قبره والمزمار في فمه، وقارئ القرآن في زمانه يقرأه في مرضه ويقوم يقرأه من قبره، وكذلك المؤذن ينطق بالأذان عند قيامه من قبره وكل امرئ على ما عود نفسه اعتادت تهذي به في يقظته وفي نومه وفي مرضه وفي مقامه من قبره وهذه حركة الإنسان من حركات الفلك.

بيان: وجدنا في الكتب أن الزهرة والمريخ إذا اجتمعا واقترنا في برج فإن ذلك يدل على العاقبة في الدنيا وعلى الفجور والطغيان ويكون الدلالة لذلك البرج، فتخوفت على بهلا لما فيها من الباطل وقلت في نفسي انظر إلى أحكام كواكب الفلك في حين تذكري للبلد حيث قلت إن حركات المرء مرتبطة بحركات الفلك؛ لأن حركات نفسي في تذكري للنظر إلى ما بصها كذلك التي من حركات الفلك بحركات النفس، فإذا الزهرة والمريخ يقترنان في برج الجوزاء فعلمت أنه سيصيبهم مما أمرت فيها امرأة الأمير محمد بن سليمان أهل اللهو واللعب فيها بالليل والنهار عند تضيقه لأولاده وقد أعطاهم الموائد والدراهم وصنعوا المنكر في مقام أهل الأمر والنهي فأعوذ بالله من متابعة النفس على الهوى وأقول على ما صنعوه سيحل بهم غضب من الله ومن تابعهم فيهوي به هويتهم فقد ماتت المرأة الآمرة باللهو وأخذت الغنم من البلد قبل أن تمضي السنة وأصابهم الذل والنكبات الخارقة عن المعتادة.

وعلى المرء أن يمشي بعقله وينظر بنوره والله خبير بسره

وعلانيته في مسكنه. ثم قلت لصاحبي يجوز للمرأة أن تشعر للناس جهرا؟ قال: سمعت الشيخ ناصر يقول: إن صبيّة بجانب الباطنة سمعها تقرأ وكل من سمع صوتها من الناس لم يستطع أن يجاوز فذهبت عليهم الصلوات عن أوقاتها فمنعت من ذلك.

وقال: سمع ناصر والده الشيخ جاعد بن خميس يقول أنه سمع امرأة تنشد الشعر في مكة الشريفة ويتجالب الناس يستمعون صوتها فينقضون صلاتهم ويستمعون صوتها وهي في حين ذلك تقشر البن وتستعين بذلك عن التعب. فقلت لناصر: يجوز ذلك للنساء؟ قال: إن من المنهي أن ترفع النساء أصواتهن بحيث يسمع ذلك الرجال حتى قيل إن الأحسن أن لا يبتدين الرجال بالتسليم ولكن لا يبلغ بهن ذلك إلى هلاك في الوجهين؛ لأنه قيل إذا سلم عليهن رجل يرددن عليه السلام رداً يسمعه، ولو لم يجز لهن رفع الصوت لم يجز لهن على كل حال. وقد اشتُهر أن الرجال يسألون النساء في أمر دينهم من أهل المعرفة منهن ولم يأت تحريج في فتواهن لهم، ولكن مما يدل على جوازه إظهار أصواتهن للرجال والله أعلم. انتهى.

وسُئِل أبو نبهان عن بحور الشعر؟ فقال: عددها ثلاثمائة وستين بحرا كل بحر له ضرب من العود.

قال ذو الغبراء: حكي لي عن امرأة تنشد الشعر فقلت لصاحبي لعلنا نقصد إليها ونستفيد من عندها من كلام العرب فقال صاحبي: هذه امرأة تنشد الشعر الذي فيه فائدة. فقلت له: اقصد بنا فلما مشينا في الطريق أصابنا المطر فرأيته أخذ قبضة من تراب طاهر قبل أن يبتل من

القطر وقرأ عليه اللهم إني قبضت قبضة من ترابك لأحبس بما أنزلته من سحابك بحرمة، ما أنزلته في كتابك، قرأه ثلاث مرات، وهو يذر التراب على رأسه فرأيت السيل حواليه وما مسّه من المطر شيء بقدره الله تعالى.

ما يُقال عند فتح القفل إذا ضاع مفتاحه :

ثم سمعت رجلاً يناديه ويقول له قد ذهب مفتاح القفل علينا وأريد منك أن تفتح لنا قفلنا فسمعته قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي وقال: اسلس اسلس بإذن الرحمن انفتح بخاتم سليمان بن داود (عليهما السلام) فكرر عليه القراءة وهو يجر القفل حتى انفتح بقدرة الله تعالى، وسمعنا صوت المرأة تنشد هذه الأبيات التي عن ابن حجر شعرا:

خذ حروفاً هن نور في الغطط ... خمس هاءات وخط بعد خط
وهميزات إذا أعددتها ... هن سبع لم تجد فيها غلط
ثم واو ثم هاء بعده ... ثم صاد ثم ميم في الوسط
تلك أسماء عظيم قدرها ... فاحفظ النص وإياك الغلط
تبرأ الأسقام والداء الذي ... عجزت عنه الأطباء النمط
وبها تدفع عن حاملها ... كل سحر وبلاء وسخط

هـ هـ هـ هـ // عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ عـ

ثم أنشدت هذه الأبيات:

ثلاث عصي صففت بعد خاتم ... على رأسها مثل السنان المقوم

وميم طميس أبتر ثم سلم ... إلى كل مأمول وليس بسلم
وأربعة مثل الأنامل صففت ... تشير إلى الخيرات من كل مغنم
وهاء شقيق ثم واو منكس ... كأنبوب حجام وليس بمحجم
فذلك اسم الله جل جلاله ... إلى كل مخلوق فصيح وأعجم
فيا حامل الاسم الذي جل قدره ... توق به كل المكاره تسلم

وهذا الوفق العظيم للإمام الغزالي ، وهي تسعة حروف عددية في وفق ثلاثي ، وله سر عظيم في سرعة العمل ، فمن عرف معناها ظفر بالاسم الأعظم ، وأصلها هذه : أ ب ج د ، هـ و ز ، ح ط ، قد رتبها الغزالي في هذا الوفق الثلاثي ، وبين كيفية أعماله في هذا المنظوم المُبارك إن شاء الله تعالى ، وهذه صورته بعينها ، نفعنا الله به :

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

ثم أنشدت المرأة هذه الأبيات :

عجبت لتسعة أبيات مسطرة ... قد رتبت لمعان سرها العدد
في كل بيت من الأبيات خص بها ... فاحسب تجده صحيحاً ما به عتد
اثنان يتلوهما تسع وأربعة ... وسبعة خمسة بعدها عدد
وبعد ذاك ثلاث ثم ستتها ... وواحد وثمان صح ذا السند
وكل ناحية فاحسب ترى عجباً ... إذا عددت وجدت العد يطرد

حروفها بطد من بعده زهج ... وبعدها واح أسرارها مدد
فهذه أحرف أسرارها عجب ... يكفيك ربي بها من شر ما تجد
وقد كساها إله العرش منفعة ... لحامل قد ثوى في بطنها الولد
اكتب لها مفردات بعد بسملة ... تأتي به سالماً لا مسكها نكد
وللمحب إذا صد الحبيب به ... جمعاً وإن كان في الحب مبتعد
فاكتب له مزوجات الاسم إن لها ... في العالمين فعالاً ليس ينجحد
ومن أراد دخولاً في حوائجه ... على الملوك فتقضى عندما يرد
فاكتب له مفردات الاسم إن له ... قد يلتقيه ولا يبقي له جلد
وافتح به القفل والمقراض ثم به ... ينجو من السجن من ضاقت به العقد
وفرق الجمع إن وافيت قسمته ... في شقفة من حماء الأزب صلد
فاكتب عيها من الأعداد مفردة ... في يوم نحس من الساعات مجتهد
وحلها بمياه قد حوت وسخاً ... من الأنام فلا يبقى إذاً أحد
واقتل به النفس إن أحكمت قسمته ... في طالع الليث والتنين مبتعد
بخنجر الذكر يجلو في حرارته ... فاليابس الحتف فيه صح قد وجد
فإن أحد يشكو مضرته ... وشر وهو كالنيران يتقد
فخذ رصاصاً من الصياد واسبكه ... واكتب عليه زهج واح معاً بطد
وادفنه في قبر ميت لا زيار له ... يعود أبكم لا يفهم له أحد
ومن له غائب يرجو الوصال له ... في سرعة فخفيف إنه برد
اكتب له في تراب الرجل مزوجة ... واحرص على دفنه في موقد يقد
واكتبه في كفك اليمنى وأوم به ... لمن تحب يأتي وهو منعقد
وإن أتتك النساء تشكو بتر دم ... فإنه جيد ما مثله تجد
بادر إليها بخفاش لتذبحه ... في جفنة طاهر ما مسها نكد
واكتب على ثوبها من دمه بطد ... زهج واح فإن الدم ينطرد

وإن أتيت بمعقود فإن له ... عندي وحقك عاجل يجد
خذ بيضة من دجاج يومها ولدت ... اكتب عليها حروف الزوج مجتهد
وخلها تشتوي في النار يأكلها ... فإنه يفترسها مطلق العدد
وإن أردت الخفي أن ترى أبداً ... في العالمين ولم يظفر به أحد
فاقصد إلى النهر في يوم له طلل ... واعمد إلى الضفدع الصفر التي
فتنتقص أربعاً تكفيك جلدهم ... فسر وبادر إلى نحوه قصد
وادبغهم بدباغ الملح ثم بهم ... كحل يوافق في أكحالك الثمد
فهذه أحرف بانت فضائلها ... على تمام وفيها النفع والرشد
وفي منافعها خمس وأربعة ... وسبعة وثمان لم يلد أحد
ثلاثة في ثلاث سرها عجب ... فيها وفي كبدها الأيام تنفرد
قسها على عدد الأيام عشرتها ... بعد الثلاثين فيه صح ذا السند
بالله يا مالك الاسم الجليل إذا ... ملكته لا تملكه إذاً أحد
واعلم بأنه علماً قد حوى شرفاً ... على العلوم وفيه للورى رشد
أردناه لنحفظه ... يطيعه الطير والأوحاش والفهد
يا غانص البحر يبغي الدر من صدف ... بدورة الفلك الأشار ينجحد
إن الإله الذي سواك من علق ... يرعى لك اللطف وهو الواحد الأحد

قصيدة في كيفية قسمة وصية الأقربين :

ثم أنشدت من قول الشيخ الرشيد عمر بن سعيد البهلوي في وصية الأقربين شعراً :

يا سامعين ما أقول فافهموا ... وصية للأقربين تقسم
بنو البنين أولا فاستمعوا ... وما سفل من نسلهم واجتمعوا

والثاني الأجداد يا إنسان أربعة والثالث الأخوان
ونسلهم والرابع الأعمام يشركهم أخواله الأرحام
للخال سهم وله سهمان أعني بذاك العم يا إخواني
كذلك الأولاد أيضاً مثلهم كانوا ذكوراً أو إناثاً كلهم
يعطى الولد كنصف سهم الوالد فقس على ما قلت كل واحد
والخامس الأجداد للأبوين والسادس الإخوان للجدين
والخال للآباء عم فاحكم وعم خال للنساء فافهم
والقسم فيها نصفها للأول وربعها للثاني لا تطول
والثمن للثالث بالترسيم ونصفه للرابع الحميم
وربع ثمن أصلها للخامس وثمن ثمن أصلها للسادس
ونصف ما يبقى يكن للسابع ومثله نصف سهمه للتابع
وكل فرع ناقص عن أصله بنصف سهم من يكن من قبله
وإن يكن من لا يرثه كثروا فقسم والحق أبلج أنور
هذا إذا ما اتفقوا في العدد في الدرجات الكل فافهم واقتد
وإن تكن أعدادهم مختلفة ولم تكن أحوالهم مؤتلفة
فقسهم ثانية وأعدل وأعط الذي من فوق ظهر الأسفل
لو كثروا وصفهم جميعا وأعط الذي من بعدهم سريعا
كل امرئ يعطى كنصف الأول كانوا قليلاً أو عديد الخردل
وإن بقي شيء لمن بعدهم في درجة ثالثة إن بدهم
كل امرئ منهم ربيع الدرهم أو دانق في قول عدل محكم
وإن بقي شيء من الدراهم لا ينقسم بين ذوي المقاسم
فلتشتر الجت به واقسمه وضعف الأقرب منه واطعمه

وقطعها يا صاح ربع الدرهم أو دانق أو دانقان فاعلم
ومن يمت منهم يكون سهمه لمن يرثه فهو ذاك حكمه
أما الذي يموت قبل قسمها وقد ولد من بعدها لا يجمها
وكل معدوم يقم مكانه من هو وراه فاغترف بيانه
والحظ للأنثى كمثل الذكر فقس على هذا جميع البشر
هذا اختصار للذي لا يعلمُ والمصطفى صلوا عليه وسلموا

قصيدة في الميراث للشيخ عامر الريامي :

وبعد هذا ، أنشدت هذه المنظومة المعروفة : بالدر المنتقا وسلم الارتقا [1] ، وناظمها الشيخ عامر بن سُليمان بن محمد بن خلف بن حسن بن محمد الريامي الإزكوي :

أرى الدهر لا يصفو اللذيذ وبعدك [2] ولكنه للحلو بالمر يعقب
يشوب الرخا مضاً وبؤساً نعيمه وما راش يبريه سريعاً ويسلب
فدع عنك يا مغرور دنياك لا تشم بروقاً لها إن أومضت فهي خلب
فكم مزدهي فيها تجاهل قدرها تجر ذيول الغي تيهاً ويسحب
وألهاه جمع اللهى فيها مفاخراً يباهي بما تحوي يداه ويكسب
يروح ويغدو كالبهيمة همه اختلاباً لما يأكله فيها ويشرب
كأن لم تكن أيدي الليالي يكفها سهام [3] المنايا في البرية تنشب
وأغفله التسويف جم حمامه ففاجأه وهو الخاذل المتوصب
أترجو بأن تنجو وأنت أسيرها وفي شرك البلوى إلى أين تهرب

(١) تم مُقابلة القصيدة هنا بنفس القصيدة التي طبعت في مطبعة النصر بنابلس .
(٢) في الأصل : (وبعدت) .
(٣) في الكتاب المطبوع : نبال .

وتسري بك الأيام وشكاً سريعة | وفوق مطاها أنت تلهو وتلعب
فما هذه دار يدوم قرارها | ولكنها غول تخون وتخلب
أفق ويك واصرم عنك حبل وصالها | فما هي إلا ظلة سوف تذهب
ولا تغترر لو سالمتك خطوبها | فمكر وإن الدهر بالناس قلب
تزود من التقوى تنال سلامة | ومن يتق الرحمن ينجو وينجب
وسعيا العلم الشريف فإنه | سلاح لمن عاداك بل هو أهيب
وليس كمثل المال ينمو لخازن | ويمحق بالتبذير أو حين يخرب
وطع أمر مولاك الكريم ونهيه | ولا تركب العشوا فإنك تتعب
وطهرن ثوباً قد تدنس قبل ما | يغلق باب التوب عنك ويحجب
واعتقد التخليص مما اجترحته | ومن كان ذا عسر فيوصي ويكتب
وإن مات ذو دين فيقسم ماله | لديانه لو ذو الأراثة يغضب
ومما بقي بعد الديون فحكمه | ثلاثة أجزاء وذاك مرتب
فجزء لما أوصى به من تنصل | وجزآن للوارث في الحكم ينهب
وإن كان فوق الثلث أوصى فإنه | يحاصص فيه والحسود مذبذب
ومن ثلث مال الميت قد قيل كفنه | وتحنيطه عند الوصية أوجب
ومن مال رب الدين تسعة أذرع | بذلك أنباني الضياء والمهذب
ولا تعط وراثاً وصية ميتهم | ولو أنهم بالويل صاحوا وأصخبوا
وإن شئت أن تعرف أولي الفرض عدهم | إن كنت ذا فهم وللعلم تطلب
فأربعة ذكرانهم ثم ضعفهم | نساء كأمثال البدور وأعجب
فبنت وبنت بن وأم وجدة | وزوجته للدمع تذري وتسكب
ومن أبويه أخته ثم من أب | ومن أمه أخت لها الثغر أشنب
وزوج وأب ثم جد وبعده | أخوه من الأم الشفيق المحبب

وأما سهام الفرض إن كنت سائلاً فستة أقسام وبالآي كوكب
وذلك سدس ثم ثلث وضعفه وثمن وربع ثم كالضعف تحسب
فسدس لبنت الابن مع بنت صلبه وجدته والجد إن كان لا أب
وأخت أبيه مع شقيقته لها لتكملة الثلثين سدس موجب
وسدس لأخ الأم أو أخت أمه وللأب عند النسل سدس فيوهب
وللأم سدس المال إن كان عنده نسول وإخوان عن الثلث تحجب
وإن لم يكن نسل ولا أخوة له فاحكم بثلث المال للأم حوشب
وأخوته من أمه الثلث حظهم لهم بينهم شرع هنالك ينهب
فإن لم تجد للخالصين حقيقة فإن لهم في الثلث حق ومطلب
وأمثاله أم وزوج وأخوة من الأم عند الخالصين تأهبوا
فللزوج نصف المال والأم سدسها وفي الثلث حق الخالصين موجب
لذكرانهم مثل الإناث ولا نرى يفضل بعض فيهم لو تألبوا
إذا كان في حكم الكلالة لا له نسول(١) وأجداد دنووا أو تقربوا
وثلثان كل المال فرض بناته وإلا بنات الابن من بعد أقرب
ولأخوات الأب ثلثان ماله إذا ما عد من الخالصات مرتب
ونصف لبنت الصلب أو بنت ابنه وخالصة أو من أب يا مسيب
وللزوج نصف وهو إن لم يكن لها نسول وما بالحق غيم وغيهب
وعند وجود النسل ربع لزوجها وربع لها منه إذا النسل غيب
وزوجته مع نسله الثمن حظها ولو أنها باتت تنوح وتندب
وعند خليصات الفتى لا لأخته من الأب شيء ما تكلم معرب
كذلك بنت الابن عند بناته إذا لم يكن أخ لهن فيعصب

(١) في الكتاب : ولاد .

وليس لبنت الأخ إرث وعمة أقاسوه أهل العلم إذ فيه أطنبوا
ويحجب آب المرء جداً وأخوة وجدته مع أمه تتجنب
وبنت وبنت ابن وبنت ابنة وابن لإبن ابن ابن مؤدب
وأخت له أيضاً وبنت أخ له فاثنا عشر تصحيحها حين تضرب
فنصف لبنت الصلب ثم سديسها لبنت ابنه يا من يعيب ويعتب
وعمته سهم وسهم لأخته وسهمين يحوي كفه المتخضب
ويعصب من حاذاه أو كان فوقه ولا شيء للسفلى مع العم مصعب
وأما أصول الفرض سبعة أضرب ثلاثة منها هي للعول تجلب
وأربعة قل لا تعول وإن تكن بذاك جهولاً فاستمع يا مدرب
فثلث وباقي أصله من ثلاثة ومن بعده التربيع إن كنت تطلب
فنصف وباقي ثم ربع وما بقي وثمن وباقيه أخو العلم أهيب
وإن كان عند النصف سدس فعوله إلى عشرة ما فوق ذلك مهرب
كأختين من أم وأختين من أب وزوج وأم وهي تبكي وتنحب
وإن كان لا أم وتلك كأصلها إلى تسعة عالت وبالحق أصوب
وإن كان عند الزوج أخت لأمه وأختان من آب وسعيك معجب
يكن سدسها ثمن على ذا قياسه وإن كان عند الزوج أخت وتنسب
إلى أمه مع أخت أب فقل كذا يكن عولها من سبعة حين تحسب
وإن كان عند السدس ربع فضوعفت وسبعة عشر عولها أو يقرب
كأم وأختين لأم وزوجة وأختين أيضاً من اب تتكاءب
وإن لم تكن أماً إلى خمسة عشر تعول فافهم ما أشير وأضرب
وعند بنات الميت زوج وجدة ثلاثة عشر عولها وهو أقرب
وتبلغ عشريناً وسبعة عولها إذا كان فوق الثمن سدس مركب

كبنتين مع أب وأم وزوجة وذلك أقصى العول ما لاح كوكب
وللأم عند الزوج والأب ثلث ما تبقى ولا كالحق حصن ومذهب
وإن كان جداً أو أخاً كان حظها من المال ثلث الأصل يا متعتب
وهاك أولي العصيب ابن ونسله وإن سفلوا أولى به ثم أوجب
ولا شيء عند الخالصين لإخوة من الأب قس هذا لعلك تنجب
ونجل شقيق المرء ليس بوارث عند أخيه من أب حين ينسب
ومن عمه بن الأخ أولى بإرثه على ذاك تقفوهم جميعاً وتحسب
ولا عصبات في النساء سوى مع البنات خوات المرء في ذاك أحسب
وأما أولوا الأرحام دونك فاستمع فهم درجات أربع سأرتب
فأولهم نسل البنات ونسلهم ونسل بنات الابن يا متسبب
ومن كان أدنى منهم فهو وارث وليس لمن أنأت عن الميت مأرب
وأمثاله بنت بن وبنت وابنة لابنة ابن الميت من هو أقرب
جدير به بنت بنة الابن إرثه وذلك بالتنزيل والجهل أصعب
وإن هم تساووا فيه ثم تكاثروا فيقسم شرعاً بينهم حين يوهب
وأمثاله بنت ابنة ثم تسعة ذكور لأخرى فاستفد يا مقرب
فعشرة أجزاء كأمثال رؤوسهم أناثهم مثل الذكور إذا حبوا
إذا انقرضوا نسل البنات ونسلهم ولا شارخ منهم وشيخ حدودب
فاحكم لبنت الأخ أو ابن أخته وإن سفلوا ما رجع الصوت مطرب
وتعطيه كلاً منهم إرث من به تعلق لو ماتوا وفي اللحد غيبوا
وأمثاله ابن لأخت شقيقه وبنت أخ أيضاً من الأب تندب
فقل لهما نصفان يقسم بينهم على مثل هذا في القياس تصوب
وابن أخي أم وبنت أخي أب فمن ستة ما عن إلهك يعزب

لابن أخيه سدسه ثم ما بقي — فذاك لبنت الأخ حق موجب
ثلاث بنات من لثلاث تفرقت — خوات له من ستة ثم تقلب
إلى خمسة رداً عليهن هكذا — يكون على التنزيل والصدق أطيب
وإن لم تجد من نسل إخوته معاً — فانظر إلى الأجداد من هو يحجب
كمثل أبي أم وما كان فوقه — وآب لأم الأب للميت ينسب
أبو أم آب مع أبي آب أمه — أرى آب أم الآب بالقرب يغلب
وأم أبي أم وأم أم أمه — فأم أبي أمٍ عن الإرث تهرب
وكل يرث من كان يورث نجله — ينزلوا بطناً بعد بطن ويجلب
ومن بعدهم خالاته ثم خاله — وعمته والعم للأم ينسب
فثلثان للعمات والعم حكمه — والخال والخالات فالثلث أوجبوا
كعشرة أخوال وعشرين عمة — تصح ثلاثيناً لهم حين تحسب
على حسب أعداد الرؤوس سهامهم — إذا لم يكونوا من جهات تشعبوا
كعم لأم ثم عمة من أب — كذلك في الأخوال يا متأدب
فتبلغ اثنينا وعشرة ضربها — فافقه لها إن كنت للعلم تطلب
فسهم لخال الأم ثم ثلاثة — لخالته في الحكم ذاك مبوب
وعم لأم حاز سهمين حقه — وعمته الباقي لها حين توهب
كذا حكمهم مع نسلهم ثم نسلهم — فقسهم على هذا عداك التأوب
ولا يرث المملوك حراً وماله — لسيده ما حال بالدهر قطرب
وليس يرى مالاً يوقف ما خلا — لإبنٍ وأمٍ أو أبٍ يا مهذب
وليس لذمي إراثة مسلم — ولا مسلم من مشرك قط يوجبُ
وقاتل خطأ لا له من إراثة — وإن كان عمداً فهو شتى وأعطب
وقاتله بالحكم عند قصاصه — يرثه على هذا أولوا العلم أذهبوا

وفي الـرد عنـد القسم كـل يـنالـه   سوى الزوج والزوجات ما ساغ مشرب
مسـائـلـه من سـتـة فـاسـتـمـع لـهـا   تـقـاس ومن لا يـتـبـع الـحـق يتعب
إلى واحـد يـنـحـط من لدن خمسة   كـخـالـصـة مـع أخـوة الأم تـنـحب
فثلـث ونصف خـمـسـة تلك ردها   وليس كمثل الحق والصدق مذهب
وأخت أب مـع أخـت أم فـسـدسـهـا   يـكون بها أربعاً وذو الجهل أخيب
وإن زوجة كـانـت فمن ستة عشر   عـلـى ذا يقـاس الرد ما سح صيب
وأم وأخـويـن لأم فـردهـا   ثـلاثـة أجـزاء عـلـيـهـم تسيب
واثـنـا عـشـر إن كان زوجة عندهم   تـصـح لـهـم والـدهـر فـيـه تـقلب
وجـدتـه مـع أخـت أم يـكـن لـهـا   من المال عنـد الرد في النصف مطلب
وإن مـات لـم يـتـرك سـوى جدة له   فـتعطـى جمـيـع المال إذ هي أوجب
وإن كـان عنـد الـرد زوج فـأعطه   كـمـثـل الـذي لـلـوارثـيـن مـوجب
كـأخـت لأن ثـم زوج وجدة   فـأربعة صحت لـه النصف يقلب
وهاك إذا مـا شـئـت قـسـم فـريضة   فـانظـر إلى وارث مـن هـو يشجب
إن كـان ذا سـهـم لـه أو عصابة   هناك بـحـق الحق والجهل يذهب
وأمـثـالـه ابـن وبـنـت وزوجة   ثـمانـيـة في رؤوسهم حين تحسب
فذلـك عـشـرون وأربـعـة يـكـن   لـزوجـتـه ثـمـن وبـالـذكـر أصـوب
ويـقـسـم بـاقـيـه فـثـلـث لـبـنـتـه   وثـلـثـان للأبـن الـذي هـو يـعـصب
وست بـنـات والـبـنـون فـسـبـعة   وأربـع جدات اخـتـصـاراً يـقـرب
كما عدد الجدات خمس رؤوسهم   فـأربـعـة فـي بـيـتـه يـا مـهـذب
فـأربـعـة سـدس لـجـداتـه كـما   على رؤوسهم أصل الفريضة تضرب
وكل ابـنـة مـنـهـن سـهـم وضعفه   لـذكـرانـهـم والـلـه فـي الأمـر يغلب
وأمـا إذا مـال لـم تـوافق رؤوسهم   سـهـامـهـم فـالـضـرب سـهـل يـقلب

كخمس بنات ثم ابن وجدة ... وأربع زوجات فافهم تصوب
فذلك اثنان وسبعون عدها ... وست منين ما عن الحق مهرب
لجدته اثنا عشر بعد مائة ... يتم لها سدس من المال أشهب
وأيضاً ثمانون وأربعة فقل ... لزوجاته ثمن لهن فينهب
وكل ابنة ستون من بعد ستة ... واثنان ثم الضعف للأبن يوهب
وأما حساب القسم في متناسخ ... فميز فإن الناس ليث وثعلب
وعند انقراض الوارثين فأبتدي ... بمسألة الأولى وذو الجهل متعب
وأعدل إلى الثاني واحفظ سهامه ... فإن وافقت وإلا إلى الضرب تقلب
فتضرب في الأولى الأخيرة هكذا ... على مثله يجري الحساب ويصحب
وإن كانت الأولى يوافق أصلها ... لتركته الثاني جزت يا محبب
وأمثاله ابن وبنت وزوجة ... وزوجته أودت وللموت ترقب
وقد خلفت أخاً وأختاً فأكتفي ... بضرب من الأولى وما التبر أسرب
وفي حكمه الخنثى إذا البول استوى ... من مخرجيه يبتدي حين يسكب
يكون له ما للإناث كنصفه ... وما للذكور النصف مع ذاك يجلب
وأمثاله ابن وخنثى وابنة ... فمن تسعة والعلم أحلى وأعذب
فأربعة للأبن ثم ثلاثة ... لمشكلهم والبنت سهمين توهب (١)
وبعض يرى من أربعين قياسها ... على مبلغ الحالين والجهل غيهب
وإن كان زوج عندهم هاك ضربها ... فأربعة فيما انتهت حين تحسب
وإن كان عماً ثم خنثى وزوجة ... فاجعل لها أصلين يا متطبب
فاضرب باثنين ثمانية وقل ... كذلك في حالين والضرب أقرب
فتلك ثلاثون واثنان بعدها ... عداداً وعين الخصم بالدمع تسكب

---

(١) في الكتاب : له ، وكذا سهمين للبنت توهب .

فستة منها يحتوي العم قسمه وأربعة للزوجة الغيد تسلب
وعشرون للخنثى واثنان فوقها نصيباً من الوجهين حين يبوب
ولا يثبت الإقرار من أي فرقة على أن للأخرى شريكاً يهلب
وإن كان في حظ المقر مشاركاً فيثبت والآماق بالدمع تخضب
وأمثاله إخوان أنكر بعضهم بإقرار أخت وهو يلجي ويثلب
ففي حال إقرار وإنكار عشرة تصح لهم والحمق شؤم مخيب
لناكرها نصف وذلك خمسة وسهم لها خمس المقر يوجب
وإن غرقوا قوم أمت من تريده وأحي الذي للميت يدنو ويقرب
وتصنع بالباقين ما أنت صانع وتحي الذي أوديته يا مقرب
ولا تعط ميت من إراثة ميت لقد جاءه من بعضهم حين نوبوا
ولكن له الميراث من أصل ماله ففكر فإن الفكر للمرء مركب
فهاك فخذها واتخذها سليمة من الزيغ والتمويه والمين أعيب
جمعت بها التأصيل في الإرث نبذة كي يستدل الطالب المترغب
مسائلها في الفرض إن أنت شمتها تلح كأسطار اللألي وأعجب
تلقفتها عن عالم في روانها ومن حكم التنزيل والنص أنجب
ولست بها أبغي ريـاءً ومفخراً ولا فخر إلا بالتقى وهو منصب
ولكنني أرجو من الله رحمة بذلك في يوم يكبكب مذنب
لعل إله العرش يغفر زلتي ويرحمني والله معطي وموهب
لأني ارتكبت الموبقات جراءة وجررت ذيلاً بالبطالة أسحب
أطعت الهوى حتى هوى بي من الهوا سكرت به والسكر بالعقل يلعب
فما فقت إلا والشباب تصرمت غضارته من ذاك والرأس أشيب
وصلى على المختار والآل بعده إله السما ما دام شرق ومغرب

قال صاحب ذي الغبراء : أعجبني إنشاد هذه المرأة وقربت منها

وقلت لها: من أعلم الناس وأفصحهم؟ فقالت: أعلم العلماء وأفصح الشعراء الشيخ أحمد بن النظر. قلت لها: وأبو الطيب؟ قالت: هو أقوى شعراء الإسلام نظماً على الخصوص في الشجاعة دون غيرها، ولكن لا يخلو كلام المخلوق من عيب ومن معاب عليه والذي لا عيب فيه كلام الله لا غيره ولكني أنا آتيك بحجة للمتنبي من أصحابه بإدحاض المدح الذي فيه، انظر واقرأ في كتاب "أنوار الربيع في أنواع البديع" فيه جميع أنواع البديع وما يمدح فيه من شعر ونثر وما قد ذم وما يمدح فتجد فيه مدح المتنبي وعيوبه في شعره.

ثم قالت: وقد حكي لي أن في زمن المتنبي ملكاً عظيم فقصد إليه المتنبي وذلك الملك صاحب قبض في حق الله، فلما علم المتنبي أنه قاصد إليه وأنه في زمانه هو فصيح العرب فخاف منه إن لم يكرمه على ما يرد أن يهجيه فقال في مجلسه: من بالذي يرجع المتنبي عنا؟ فقال له واحد من العلماء يسمى الحاتمي: أنا أوصيك إليه وأرجعه إن شاء الله تعالى. وكان لذلك العالم محبة عظيمة في المتنبي وجمع أشعاره، ومدحه في زمانه ويقول العالم إن المتنبي في زماننا ما أفصح منه أحد فقصد العالم الكبير إلى المتنبي فلم يرد عليه السلام ووقف على كرسيه ولم يرد نظره إلى العالم وجعل ما مثله في الأرض رجلاً عزيزا ليخضع له فتعجب الناس ووقف العالم خجلا بين القوم، وعاهد الملك برجوع المتنبي فقام يفكر في نفسه وقال: عجباً لمن رفع نفسه في غير محلها لم أره قد بلغ فضيلة يرفع نفسه بها إلى هذه الحالة بعلم من العلوم خص بها دون غيره حتى يرفع نفسه على العلماء ما سمعنا عنه أن لديه علم الفلاسفة حتى يفتخر به على الخلق، ولا سمعنا عنه أن عنده علم الكيمياء حتى يغتني عن

الناس وليس عنده علم الرياضات والسيمياء حتى يبلغ أين يريد من الأرض كلمح الطرف، ولا سمعنا عنه أن له درايه في علم الأبدان حتى يحتاج له الملوك والشجعان، وليس له نسب في الأبطح حتى يفتخر بنسبه، ولا سمعنا عنه إن لديه علماً في تفسير القرآن حتى يفتخر به على المفسرين، ولا عبارة في الرؤيا حتى يعبرها على المخلوقين، ولا عنده علم الشريعة الذي يهتدي به وينجو به عند ربه ويعلو به في مجالس العلماء والكبراء وما علمنا غير أنه شاعر ويسرق أشعار الناس في شعره.

فإن ادعى أنه من الفصحاء فنعم إنه فصيح ولكن سبقوه بالفصاحة الجاهلية وتركيبهم في الكلام أعجب وهو يقتدي من علمهم فسار الفخر لهم، وإن كان ركب شعره على النحو فهو صحيح ولكن علماء أهل النحو أعلم، وإن كان تركيبه في علم البديع فأهل البديع أعلم منه، وإن كان تركيبه في المعاني الذي أتى به ربنا في القرآن معجزة لأهل الجاهلية، فالعلماء بالقرآن ومعانيه وتفسيره أعلم من المتنبي، وأنا آتي بعيوب المتنبي في شعره، والذي سرقه في شعره البيت الفلاني عن فلان والبيت الذي في قصيدة كذا عن فلان الفصيح، فنكت عليه من شعره وقد سماه كتاب (التنكيت) فقال هذا فخره لغيره وقد سبقه بالفضل فيه، وإن كان هو في شعره مستقيماً وبما بقي فالفخر له أما يستحي لنفسه عند العلماء الذين ذكرهم أينظر الملوك إليه فخجل المتنبي من إظهار ما نكت عليه، وأقبل يقبل يديه، ويعتذر إليه وأقر على نفسه بعيب ما نكت عليه وقال نفسي كذبت وما أنا إلا شاعر ورفيع مع قليل العلم قال له شاعر ولكنك سابق ومسبوق وإنه ليضرب بك المثل عند المتأخرين فرجع المتنبي عن دار الملك.

قصيدة في أبحر الشعر :

قلت لها: أريد أن أتعلم أبحر الشعر. قالت: أما الشعر فهو من اللغة العربية، ويحتاج أن تعرف الكلام في الإعراب وأصله باللغة تصريفه، يعرب وسطه، والنحو يعرب آخر الكلمة، لأن أوله لغة ووسط الكلمة صرف وآخرها نحو والشعر لغة ونحو وصرف وبديع ومعاني وقوافٍ، وفيه ركب على موازين كل بحر بميزانه وجامعها بيتين:

وأبحر شعر الناس ستة عشر ... وضابطها بيتان كن لي سميعها
طويل مديد والبسيط ووافر ... وكمل وهزج ورجز ورمل سريعها
ومنسرح خفف وضارعه اقتضب ... ومجتث قارب خب تأخذ جميعها

وهاك عن ابن كرابا شعراً :

طويل بدا هجران من كنت أهواه ... أذاب فؤادي والتصبر أفناه
فعلون مفاعيلن فعولن مفاعيلن ... ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
مدمن بالتقا خاف البوسا ... هجره والبعاد والتعيسا
فاعلات مفاعلن فاعلاتن ... إن قارون كان من قوم موسى
بسطت في أملي إني أداهنهم ... خوف من الشرطى أن أعاينهم
مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن ... فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم
ووافر حظ شعر في مديد ... على رغم الأعادي والحسود
مفاعلتن مفاعلتن فعولن ... ألا بعداً لعاد قوم هود
كمل السرور لنا وصار مقيما ... بالمصطفى خير الورى تكريما
متفاعلن متفاعلن متفاعلن ... صلوا عليه وسلموا تسليما

هـزجـتـم يـا مـنـى الـنـفـس عـن الأوطـان والأنـس
مـفـاعـيـلـن مـفـاعـيـلـن كـأن لـم تـغـن بـالأمـس
والـرجـز الـمـوزون إذ يـحـرر تـقـطـيـعـه بـيـن الـورى يـكـرر
مستفعلن مستفعلن مفعلا يـا أيـهـا الـذيـن آمـنـوا اصـبـروا
رمل الـرمل بـه مـن رمـل لـذة لـلـمـجـتـنـي والـمـجـتـلـي
فـاعـلاتـن فـاعـلاتـن فـاعـلـن والـذي أطـمـع أن يـغـفـر لـي
سـريـع بـحـر قـد شـداه الـحـكـيـم كـرر عـلـى سـمـعـي بـه يـا نـديـم
مـسـتـفـعـلـن مـسـتـفـعـلـن فـاعـلـن ذلـك تـقـديـر الـعـزيـز الـحـكـيـم
بمنسرح الشعر يضرب المثل ممـا تـراهـم عـن الـهـدى نـكـل
مـسـتـفـعـلـن مـسـتـفـعـلـن فـعـل فـأصـابـهـم سـيـئـات مـا عـمـلـوا
خـف لـمـا أردت أشـد الـخـفـيـفـا لـذ فـي مـسـمـعـي وكـان ظـريـفـا
فـاعـلات مـسـتـفـعـلـن فـاعـلات إن كـيـد الـشـيـطـان كـان ضـعـيـفـا
ضـرعـنـا بـه جـهـارا وبـتـنـا بـه سـكـارى
مـفـاعـلات فـاعـلات إنـي آنـسـت نـارا
اقـتـضـب حـيـن سـبـا مـهـجـتـي وربـا
فـاعـلاتـن مـفـتـعـلـن مـالـه ومـا كـسـبـا
مـجـتـث عـنـقـي ألـفـا فـي الـقـلـب مـنـي عـشـقـا
مـسـتـفـعـلـن فـاعـلات الـلـه خـيـر وأبـقـى
تـقـارب تـقـارب بـهـي إذ يـصـلـي جـهـاراً بـهـي إن يـكـن رأى غـي جـهـلـي
فعولن فـعـولـن فـعـولـن فـعـولـن إنـي آنـسـت نـاراً لـعـلـي
خـبـب الـشـعـر إذا يـشـار إلـيـه ممـن شـذاه وحـظ عـلـيـه
فـعـلـن فـعـلـن فـعـلـن فـعـلـن وجـاءه قـومـه يـهـرعـون إلـيـه

تـدارك إلـيـه مـدى الـمـادحـيـنـا وأرتجـي أن تكون في الصالحينـا
فـعولـن فـعـولـن فـعـل فعسى أن يكـون مـن المفـلحيـنـا
إلـه هـذا الـورى حـكـيـمـا وجـوده لـم يـزل عـلـيـمـا
مستفعلـن فـاعـلـن فـعـول سـبـحـان مـن لـم يـزل عـلـيـمـا

وكل بحر له شعب كثيرة انظر البحر وأبياته مصراع الأول والثاني والثالث والرابع فإنها تدخل في القضية في المحرك والساكن.

قال الشيخ العالم الفقيه ناصر بن أبي نبهان: وتقاطيع الوزن من فعولن ومفاعيلن وغيرها من التقاطيع بحور منها حذف بعض الحروف في تقاطيع كل بحر، وقد أشار هذا الناظم بهذه الأبحر إلى بعض ذلك باختلاف ما يأتيه في نظمه عن وزن تقاطيعه ومثال ذلك في بحر الطويل قوله: أذاب فؤادي حذف الخامس الساكن من فعولن إلى فعول وهو أذاب والوزن هو أن يكون حروف البيت متحركة حيث تحركت وتسكن حيث سكنت، والمتحرك هو المفتوح والمكسور والمضموم، ولكن لكل بحر شعباً كثيرة ومثال ذلك قوله في الكامل صلوا عليه فوزنه مستفعلن لا متفاعلن وقد يجوز التغاير في تقاطيعه بين متفاعلن ومستفعلن وقس على هذا فيما تجده مختلفاً عن وزنه من نظمه وغير نظمه من الشعر الكامل الوزن لأنه من شعبه التي هي وجوهه ، وكل حرف مشدد أو منون فهو من حرفين وكذلك حروف الإشباع هو داخل في الوزن، وما لا يظهر في النطق من الحروف فلا وزن له مثال ذلك الرحمن الرحيم في الألف واللام لا يدخلان في الوزن إلا أن يكون الألف محركاً والراء راءان الأول ساكن والآخر محرك بالفتح لأنه حرف مشدد مفتوح حين عرف بالألف واللام والألف من الرحمن الذي بعد الميم داخل في الوزن ، وكذلك الإشباع مثل

قول والدي في منظومته التي سماها حياة المهج قوله :

تبين أخي في الله قولي فإنني | على النصح في ذات الإله مع العتبى

فمدة اللام الثانية من اسم الإله التي هي قبل الهاء داخلة في الوزن وهي ألف إشباع ومدة اللام من اسم الإله التي هي قبل الهاء داخلة أيضاً في الوزن وإشباع الهاء بالياء من اسمه تعالى الله داخلة أيضاً كما هي في السجع وإن لم يكتب ذلك في الخط فقس على جميع ذلك في وزن كل شعر منظوم بأبحره.

رجع: قالت : ويجوز للشاعر صرف ما لا ينصرف، ومد المقصور وغير ذلك وهاك بيان ذلك من الفريدة المرجانية من نظم أحمد بن مانع بن سليمان بن مداد شعراً :

وليس على من ينظم الشعر في الذي | أتى صرفه إن جره حرج ولم
يروا فيه من بأس عليه إذا اختشى | زحافاً لذي الإقواء إن زل أو أثم
وليس عليه في اضطرار إذا أتى | بقلب وإبدال الذي عكس ما نظم
ويقصر ممدوداً وقيل له إذا | يمد كمقصور إذا ضل أو غشم
ويحف أعجاز الأسامي مرخماً | لغير نداء فيه إن شاء يسترم
ولو زاد في الإعراب حرف لمشبع | فليس عليه أحنة قط من حرم
وتنصب بالفا كل ما كان موجبا | ويقطع موصولاً ويوصل منحسم
وتقديم عطف قد يجيزونه له | لذي حذف تنوين ويا هي إذا يشم
ويحذف نوني من ولكن معاً كذا | الذين وباء في الذي حين ينتظم
ونون الذين حذفها جائز له | وواو هو أيضاً لمحذوفها لفم
وتأنيث تذكير وبالعكس جوزوا | له مثل حق الثقل والعكس يابن عم

فلا بأس فيه لا ولا تعله لدي　　　لذي القول في الإعراب ما كان كالفحم

وقال عبد العزيز بن سرايا الحلي ، فيما قيد به حدود القوافي الخمسة :

حضر القوافي في حدود خمسة　　　فاحفظ على الترتيب ما أنا واصف
متكاوس متراكب متدارك　　　متواتر من بعدها مترادف

وله :

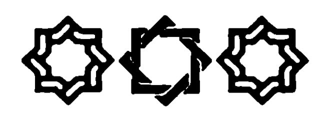
بحر القوافي في حروف ستة　　　كالشمس تجري في علو بروجها
تأسيسها ودجيلها مع ردفها　　　وروتها مع وصلها وخروجها

وقال ـ أيضاً ـ فيما قيدوا حركاتها الستة على الترتيب :

إن القوافي عندنا حركاتها　　　ست على الترتيب
رش وإشباع وحذف ثم تو　　　جيه ومجرى بعده وتعاد

وقال في تفسير زحاف الشعر :

زحاف الشعر قبض ثم كف　　　بهن الأحرف تفص
وجبر ثم طي ثم عضب　　　وعقل ثم إضمار ووقص
وساير ما عدا علل طوار　　　له في الشعر أمكنة يخص



الذكر الرابع والخمسون :

أوله في الفلك ، ثم حكايات وأمثال ، ومسألة في الفالج ودوائه ، وفي التزويج وتوفيقه من الرمل والفلك ، ومسائل في الحج للنساء ، وترغيب السفر ، وآخره في اللغة

في عِلم الفلك :

قال صاحب ذي الغبراء: رأيت ذا الغبراء ينظر هلال الشهر لحج الله الأكبر، وسمعته يقول: الله أكبر الله أكبر الله أكبر اللهم إني أدعوك أن تفتح لي أبواب الخير بحرمة المواقيت والمشعر، وإنك جعلت الدعاء فيها مجاب على ما جاء في الكتاب، وفيما أثروه عن الصحابة أولي الألباب، وقد بين الله لنا هذه الأيام المعلومات؛ لأنها أيام اجتماع وأكل وشرب وبعال، وفضلت تلك المواقيت كما فضل الله فاتحة الكتاب عن آي القرآن وجعل فيها سبع آيات وجعل كعددها سبع سموات وسبعة أيام وسبعة كواكب وهي أرباب لأثني عشر برجاً وجعل البروج على عددها اثني عشر شهراً .

وأما منازل البروج فهي ثماني وعشرون منزلة لكل يوم وليلة ينزل القمر فيها، فإذا كان البدر مسعوداً في تلك المنزلة فاعمل فيها ما نويت، وسافر إلى حيث قصدت، وإن كان منحوساً فاعمل فيها الفرقة ولما أردت هلاكه وضعفه، ولكن لا تكتب إلا ما كان يجوز لأنك مسؤول عنه غداً وعليك بالورع ومحاسبة النفس ولا تكن كلاً على الناس وعليك

بالمطالعة في الآثار في المسائل الشرعية؛ لسلامة دينك ومالك في هذه الدنيا الدنية، وقد نظرت لك الناس قد دخل على قلوبهم الخجل بطول الأمل وضعف العمل، وبعض منهم عمدوا على الجبل فسلمهم الله من العلل والزلل.

قصص فيها عبرة :

وقد حكي لي عن رجل عنده دراهم جعلها للتجارة فجاء عنده رجل وأخذ منه ألف درهم قرضاً ولم يشهد عليه ولا قبض منه صكاً ثم قتل المقترض وخلف أيتاماً فذهبت دراهم القارض.

وآخر أقرض رجلاً دراهم وقبض منه أمانة عن ذهاب ماله ولكنها سرقت الأمانة من بيته ولم يسرق شيئاً غيرها فوقع التنازع بين القارض والمقترض.

وآخر قرض رجلاً وأخذ منه صكاً، وشهد عليه شهوداً، ولكن يده قصيرة على المقترض، وطالت عليها مدة زمانية، ثم رجع المقترض للقارض فذهب أكثرها للزكاة.

وآخر له صديق فكتب إليه صديقه يريد منه أن يشتري له شيئاً معلوماً، وأن يرسل إليه ثمنها متى وصلت إليه فشرى له الحاجة التي طلبها وعلى يد الأمين أرسلها فكسب الأمين، وذهب جميع ما في يده. فبالحكم لزمه الثمن، ولكن لم تسمح نفسه بتسليم الدراهم فذهبت الدراهم على المشتري لأجل الصداقة.

ثم أقبل إلى صاحبي بعد هذا وقال لي: أحذرك إن كان لك عندك

أصولاً فلا تبعها ولا تشتري بثمنها بيعاً خياراً، وإن كان في ملكك أموالاً بالبيع الخيار، فلا تفادي بها وتعطِ عنها رهناً مقبوضاً، وإن كان لك دراهم في رهن مقبوض فلا تجعلها في أيدي الناس بلا رهن، وإن كانت لك دراهم مع رجل موسر وأمر لك بها عند أناس شتى موسرين فلا تقبل من عندهم، وإن كانت لك دراهم متفرقة عند الناس وأمروا لك بها مع موسر فاقبل من عنده خصوصا إذا كانت لك دراهمك في أيدي الفقراء، وأما إن أمر لك الموسر المعسر مع الموسر الغني فاقبل من عنده وإن قبضك الموسر رهناً مقبوضاً بدراهمك فخذ الرهن من عنده، وإن كان لك رهن مقبوض وأراد أن يعطيك عنه مالاً بالبيع الخيار فخذه لأنه أصلح لك، وإن كان لك مال بالبيع الخيار وأراد أن يعطيك عنه مالاً بالأصل فاقبله لأن المال الأصل تصرفه حيث أردت، وكذلك وارثك له أن يتصرف فيه.

واصبر وما صبرك إلا بالله فإن الله يبتلي أولياءه وعباده وإني سأخبرك بقصة عن رجل سافر وقد لزمه فرض الحج وأخذ لصحبته رجلاً أميناً معيناً له، ثم جدّوا في سيرهم حتى دخل عليهم وقت صلاة المغرب فيمموا جمالهم إلى مورد الماء مسرعين، فهربت أغنام عن المورد من الفزع وهي للبداة، فأقبل البداة وضربوا الرجلين بالسياط فمكثا أياماً لا يقدران على النهوض، فلما خفف الله عنهم ركبوا جمالهم وجدّوا في السير في طريقهم، فسقط صاحبه من الجمل لأنه معتاد بعلة الصرع فتكسرت أضلاعه، وقام عليه أياماً ثم قصد إلى البندر وتحصلا في الفلك، ودارت تجري بهم في موج كالجبال حتى أقبل عليهم الظلمة وأخذوا عليهم الخشبة وما فيها، وأنزلوهم في البر وليس عندهم ماء ولا طعام فتكففوا على الناس، ثم ابتلي الرجل الحاج بريح الفالج والخدر، وصاحبه المبتلى

بالصرعة تارة يقيم بصاحبه وتارة تغمى عليه صرعته، ولا يعرف ساعاته من أيامه ولا أيامه من شهره، فمع ذهاب عقله انحط عنه فرض الصوم والصلوات ومع صحته ألزمته ما لم يفت وقتها، وفي حضور صلاة الصبح صحى قبل أن يطلع قرن من الشمس، ولكنه قعد للبول والغائط ونوى التيمم للصلاة ثم قرأ الصلاة وهو مستقبل القبلة ويومئ للركوع والسجود، لأنه قاعد للنجو حتى طلع عليه قرن من الشمس فوقف عن قراءة الصلاة حتى طلع قرنها الثاني، ثم حينئذ أتم صلاته.

انظر في هذا الرجل المبتلى بريح الفالج فإنه لا يقدر على الطهارة ولا الوضوء للصلاة ولا يقدر على التيمم، ولكن عقله عنده يحفظ لقراءة الصلاة وأنه نوى للتيمم وقرأ الصلاة، ولا عذر له هنا بالتكبير لها، وأنه لوكبّر لها وهو قادر على قراءتها لزمته التوبة والكفارة.

ثم بعد أيام أقبلت إليهم الركبان فلما وصلوا إليهم رَوْهما هذا مفلوج والآخر مصروع فنزل الناس إليهم فنظروا صاحب الصرع فرأوه رجلاً كهلاً لا تبالغ فيه الأدوية فتركوه على حاله فلما أفاق لم يلزمهم حمله.

دواء الفالج :

وأما المبتلى بالفالج فقالوا هذه العلة سببها من البلغم المنحدر من الدماغ الصائر إلى مبادر الأعصاب، وعلامته استرخاء جانبي البدن أو بعضه من الحس والحركة لغير سبب من خارج.

علاجه بيدي بمسهل للسوادي: وهو أن يؤخذ ورق العشرق الميبس في الظل مكوك، يغلى بمكوكين ماء حتى ينقص نصف الماء، ثم

يصل، ويحط فيه سكر وتمر صبار منزوع الليف والنوى من كل واحد اثني عشر مثقالاً، ومن الإهليلج الأسود المدقوق اثني عشر مثقالاً، ثم يغلى ثانية حتى ينقص الماء النصف، ثم يّصل، ويشرب ثلاثة أيام أو خمسة أيام، ثم يحبس عن الهواء، ثم يغلى الزيت الطري والسلط ويطرح فيه ثوم وملح ومصطكي على نار لينة حتى يغلي، ثم يدهن به جميع البدن، ويعرك بخرقة عركاً شديداً بكرةً وعشية، ويتغذى بغذاء العمارة الأرز المطبوخ بالحليب البقر ولحم الفراريج والسمن والعسل وهو حار، ثم يتدثر، يفعل ذلك إلى أن يبرأ.

قال فعملوا للمبتلى هذا الدواء فأبرأه الله تعالى، ثم أخذوه في صحبتهم، وتعلم من عند الناس دلائل الكواكب السبعة، مثل زحل له السماء السابع ومن الأيام السبت ومن البروج الجدي والدلو، وهو كوكب ذكر نهاري بارد يابس، ثقيل طبعه طبع الموت يدل على السواد، ومن المعادن له الرصاص الأسود، وله من أعضاء الناس الأذن والطحال والمقعدة، ومن الصور على آدم، فإذا مشى ينكس رأسه ويجمع بين رجليه، قصير مخطف صغير العينين والعارضين، عريض الشفة، ذو مكر وخداع، وزحل إذا كان في البروج الرياحية فمرض القولنج، وإذا كان في البروج المائية فيدل على وجع البطن، وإذا كان في الترابيات فمن يبس، وإذا كان في البروج الناريات فمن الحميات المحرقة .

وأما المشتري فله السماء السادسة، ومن الأيام الخميس، وله من البروج القوس والحوت وهو كوكب ذكر نهاري، ذكر شرقي حار رطب سعد، طبعه طبه الهواء، وله من المعادن الرصاص الأبيض، وله من الإنسان الكبد والمعدة والأذن اليسرى والعضد والبطن وأسفل السرة

والأمعاء، ومن صور الناس على أبيض تعلوه حمرة، عظيم العينين حسين الوجه، ويدل على الدين والعفة، ومن الأمراض يدل على المتولد من فساد الدم بزيادة الكمية التي ليست بمفرطة.

والمريخ له السماء الخامسة، ومن الأيام الثلاثاء، ومن البروج الحمل والعقرب، وهو كوكب ذكر حار يابس، له الحديد والقوة والبطش والدموم، وله المرارة والكليتين والعروق ومجرى النطفة والصلب، ومن صور الناس على أحمر أو أشقر، مدور الوجه، أشهل أصهب كريه المنظر، في رجليه علامة، ومن الأمراض الحميات المحرقة والبرسام الدموي والقروح الدموية والحمرة والبرسام والسعفة والسوس المطبق للحلق إذا كان في البروج الناريات، وإن كان في البروج المائيات فمن الماء الأصفر، وإن كان في البروج الترابيات فمن السل والجذام، وإن كان في الهوائيات فمن الأذيات التي تتأرث من الدموم وأشباهه.

والشمس لها السماء الرابعة، ومن الأيام الأحد، ومن البروج الأسد، ولها الذهب، وهي كوكب ذكر نهاري، حارة يابسة محرقة بالمقارنة، ولها القلب والعين اليمنى للرجال والعين اليسرى للنساء، ولها المخ والفخذين والكلكة في الفم والعين حسنة، وسلطانها في الرأس، ومن صور الناس تدل على آدم، تعلوه الحمرة، والرأس أصلع جعد الشعر حسن الجسم، ومن الأمراض الحارة اليابسة الظاهرة في الأبدان.

والزهرة لها السماء الثالثة، ومن الأيام الجمعة، ومن البروج الثور والميزان، وهي أنثى ليلية طبعها البرودة الرطبة، وما يعرض من آلات النكاح، وتدل على الشحم واللحم والكليتان والفرج والرحم والبطن

والسرة، ومن صور الناس على أبيض تعلوه حمرة حسن الشعر والجسم، مدور الوجه، صغير الحنك حسن العينين والساقين، على وجهه خال، حسن الوجه، سواد عينيه أكثر من قدره.

وعطارد له السماء الأولى، ومن الأيام الأربعاء، ومن البروج الجوزاء والقضيمة، ممازح ذكر مع الذكور وأنثى مع الإناث، وله اللسان والفخذين والسرة والساقان والعصب والعروق، ومن صور الناس على آدم ناتئ الجبهة، في وجهه طول، طويل الأنف، خفيف اللحم، خفيف العارضين، حسن العين، طويل الأصابع، أكحل العينين.

القمر له سماء الدنيا، ومداره عليها وله من الأيام الأثنين، ومن البروج السرطان، وله الفضة، ومن الأمراض الفالج واللقوة، وله الرئة، طبعه البرودة الرطبة البلغمية، يخلع الأعضاء وما يتولد من البلغم، ويدل على العين اليسرى للرجال والعين اليمنى من النساء، ومن صور الناس على أبيض تعلوه حمرة، مقرون الحاجبين، حسن الخلق في عينيه شهولة، مدور الوجه، حسن القامة.

وأما دلائل البروج: أولها الحمل؛ أبيض، وله من الإنسان الرأس، والثور؛ شديد السواد، وله الرقبة، والجوزاء؛ حمراء فيها ظلمة، ولها المنكبين واليدين، والسرطان؛ شديد البياض وله الصدر، والأسد؛ أبيض مشرب بحمرة، وله القلب والبطن، والقضيمة؛ بيضاء خضراء، ولها السرة والأمعاء، والميزان؛ أبيض مشرب بصفرة وله العانة، والعقرب؛ صفراء ولها الفروج، والقوس؛ أبيض، وله الفخذان، والجدي؛ أسود، وله الركبتان والدلو؛ أشد سواداً من الجدي، وله الساقان، والحوت؛ أبيض،

وله القدمان .

قال صاحب الفالج : لما نزلنا بجدة ، رأيت رجلاً عمد إلى الطهارة وتوضأ ، وسمعته يقرأ : البسملة ، وسورة الحمد إلى الضالين ، وصلعم وحوقل [1] ، وقال : اللهم إني أدعوك باسمك الذي دعا به عبد من عبادك قائماً وقاعداً، راكعاً وساجداً ، وفي سبع سموات ، وفي سبع أرضيين ، وفي البر والبحر ، وبين منى وعرفات ، وعند المقام وبيتك الحرام ، وبما دعا به نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، خالياً أو في الملأ الأعلى ، أو في ظلمات الليل ، أو في ضوء النهار ، فسمعت نداءه وكشفت بلاءه ، فإني أدعوك بها يا الله يا الله ، أن تريني حاجتي في هذه الخطوط ، يا حكيم يا حكيم ، يا نور يا باسط السموات والأرض ، يا طاهر يا دليل يا هادي يا خبير يا مُبين ، يا علام الغيوب .

في علم الرمل :

ثم رأيته ضرب الرمل وفي ضميره يريد امرأة ليتزوجها أم لا، فلما بسط رمله طلع الأول والثاني والسابع والثامن أشكال الداخلة السعيدة وحكم له الشكل الخامس العشر بالدخول ثم رأيته ينظر في عدد الأشكال فوجدها السعود الغالب فيها ، ثم نظر إلى الأوتاد فرآها نزلت فيها السعود الأكثر .

ثم نظر إلى أشكال الموازيين فرآها سعيدة وسر السعادة والرجاء مسعود، ثم حسب عدد نقط الأشكال فرآها زادت على التسعين فعلم أن رمله قوي في كلا الوجوه وأن المرأة سيبلغها عن قريب .

ثم قصد إلى الحج ووقف ينظر الركبان حتى رأى المرأة في محمل

(١) صلعم ، أي قال : (صلى الله عليه وسلم) ؛ وحوقل ، أي قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أهل المغرب وأما الرجل وأصله من أرض العراق فصح جمعهم بأرض الحجاز وقصد عند المرأة وخطبها بعدما حلاً من إحرامهما فتزوجها بإذنها وعلى ما أمر به المسلمون من التزويج عند عدم الأولياء ثم دخل عليها ورآها بكراً وهي امرأة قد ذهب نصفها وسألها قالت تركت التزويج لأني ما نظرت في الرجال ممن يسرني ويجلو كربتي وفي هذه السنة نظرت إلى السماء وإلى البروج وأربابها فرأيت فيها الأوتاد مستقيمة؛ لأن الطالع الميزان ورب الطالع ورب الثاني ورب السابع ورب الثامن مقترنان ويتصلان بالمشتري من تثليث وينظران إلى الطالع ورأيت القمر ينظر إلى هذه الأرباب فعرفت بأن أتزوج في هذا الشهر برجل عراقي ثم جئت إلى الحج فألف الله بيني وبينك.

قصة الرجل الزاهد من عُمان :

قال ذو الغبراء: سمعت الوالد سالم بن خميس الشاعر يقول قصة عن رجل زاهد من سكان الرستاق قصد إلى الحج، فلما قضى حجه ونسكه نظر في الحرم كيساً فأخذه بيده، فرأى فيه مائة مشخص، فاحتار دليله حيث لزمته بقبضها، فنادى من ساعته بأعلى صوته أني وجدت ذهيبة من لها من عباد الله ويأتي إلي براهينها، فلم يجبه أحد.

فمكث سنة في مكة منتظراً لرجوع صاحبها وهو ينادي، فأجابه رجل مصري أنا صاحب الذهيبة التي في الكيس وعددها مائة مشخص، ولم أدر بها أين ذهبت علي في العام الماضي.

فقال الزاهد: هذه هي كما قلت ولكني احتجت في هذا العام لأجل وقوفي هنا وأخذت منها ثلاثة مشاخص، وأرجو من الله وثم منك أن

تبريني منها ولك الأجر.

قال المصري: لا يكون مني هذا وأريدها بعينها وأما أنك لتصحبني إلى مصر حتى تخدم وآخذ من عرقك ثمنها. فاحتار الزاهد دليله وصحت الغلبة عليه ومشى في صحبته إلى أن نزلا في مصر، وأدخله في بيته.

وقال له : طب نفساً وقر عينا ، ثم كرّمه وحشّمه وعظّمه وزوجه بابنته، وأمهرها من عنده ووهب له الخدم، وأعطاه من المأكول والملبوس ما تشتهي النفس وتلذ به الأعين، فنسلت المرأة له الأولاد، وقام في مجلسه يذكر لزوجته وطنه، فسمعهم والدها، فأقبل إليهم بالهدايا وحملهم لما يحتاجون إليه في زمانهم، فوادعوه فبلغهم الله إلى وطنه بالرستاق بأمن وأمان وتوفاه الله في داره، وقبره مع أهل الرستاق مشهور يؤتى إليه بالنذور.

حُكم النذر :

والنذر لا يجوز للقبور ولا يجوز النذر إلا لله وما كان داخلاً فيه، وليس فيه شيء لله فلا يلزم ذلك المدخول فيه ويجوز ذلك أن ينذر بشيء لله يأكله من شاء من غني أو فقير مع مسجد أو قبر فلا يلزم مع المسجد ولا القبر، إذ لا يمكن أن يكون في ذلك شيء لله ويلزمه النذر ويطعمه حيث شاء إلا في مواضع خاصة مثل مسجد الحرم ومسجد الجن ومسجد رسول الله ومسجد بيت المقدس معهن لا فيهن قيل أنه يلزمه الوفاء هناك. انتهى كلام الشيخ ناصر.

قصص وحكايات :

وفي قصة أخرى رجل يصنع توريقة لطلب الرزق الحلال فكلما

جاءه مخبر عن شيء سألهم هل هو مبارك فأجابوه ليس فيه بركة، ثم قيل له بعد ذلك إن لك ديواناً مباركاً بمسجد الحرام عند طريق الصفا بين الاسطوانتين المذهبتين ثم سافر الرجل إلى الحج فلما قضى ما عليه من اللوازم نظر إلى الديوان فرآه رجل واقف مع الديوان فلما أراد أخذه قال له الرجل لا تأخذ الديوان لأنه لا يحل لك من أرض الحرم شيئاً، فأجابه أني رزقت بهذا الديوان من وطني وقيل لي أنه مبارك قال له: كيف تقصد إلى هذا الديوان من وطنك وبعد مسافتك وأنا لم أقصد إلى خزينة كثيرة في أرض كذا في بيت فلان بن فلان قال له أنا صاحب البيت الذي ذكرته. فقال له مجيباً لكلامه: خذه الكنز هو لك حلال، فلما رجع الرجل إلى منزله حفر في الأرض فظهر له الكنز ورأى فيه علامة من علائم الجاهلية فأخذ خُمْسَه وأنفقه على فقراء المسلمين بمحضر شاهدين عدلين؛ لأن الإمام ليس موجودا في زمانه فتجر به ونما وظهرت البركة، واحتاجت إليه الناس.

وفي قصة أخرى: رجل قصد إلى الحج بالأجرة ولم يزل يسأل مولاه أن يرزقه زوجة صالحة فجاءه هاتف بين اليقظة والنوم أن زوجتك فلانة بنت فلان الموسر، فلما أخبر بها وصل إليها وخطبها فلم تقنع به لسبب فقره وكان في تلك البلد إذا ابتلى أحد ببلية يتباركون بالحاج ليتخطى المريض ويسأل مولاه له الشفاء فتعقبه العافية فبعد ذلك ابتلت المرأة بعلل شتى ودعت الرجل ليصل عندها فلما وصله المرسول أبى عن الوصول فرجع المرسول إلى المرأة ثم أرسلت إليه بالهدايا فلم يقبلها ثم قالت لأوليائها إن شفاني ربي على يدي الحاج أمرتكم من ساعتي هذه أن تزوجوني به فقصد أولياؤها إلى الحاج فأجابهم، ووصل عند المرأة وقرأ

الفاتحة وتخطاها، وسأل مولاه أن يشفيها، فأقبلت إليها السلامة والشفاء من الله، وزوّجه بها أولياؤها فأغناه الله بعد عسره.

وفي قصة أخرى: رجل سأل مولاه في الملتزم أن يوفق له امرأة حسينة اللون، فسمعه رجل يدعو بذلك، فقال له عليك بنساء زبيد: فقصد الداعي إلى زبيد وأخذ بصلاً ليبيعه في حلتهم، ودخل في حللها وقصورها فنظر امرأة من أحسن نسائها وأخذت بصلاً بالشراء من عنده، فجعل لها حرفا داخل رأس البصل فحين فجشت[1] رأس البصل رأت الحرف فيه فأخذت خاتمها والحرف وجعلته في تمر الصبار وأعطته إياه ليأخذ حقه من ثمن البصل، فوجد الحرف والخاتم داخل التمر، فخرج من الدار ثم رجع على تلك الدار بعد شهرين زمان، وجعل عليه الكساء الحسن والسلاح التام ونزل بمسجد الجامع وسأل عن أمير البلد وأولياء المرأة فخطبها من عندهم فأخبروها بالرجل فلم ترده.

فرجعوا له بقولها فقال لهم: لعل الخجل دخل في قلبها من قبلكم، قال له: لا بأس نحن نرسل إليها النساء فأرسلوا إليها نساءهم فلم تقبل منهن كلاماً فرجعوا عنده وأخبروه بذلك فقال لهم: لعل هذه المرأة عزيزة النفس لا تكشف سرها وأنا معي لكم صفة رضاها، قالوا له: بيّن لنا أمرك فظهر لهم خاتمها فعرفوه وزوجوه بها وأخبروها بذلك فرضيت به ونكست رأسها من الخجل.

والحيل حجة كبيرة مع المسلمين خاصة لإظهار الحق على الباطل وفي طلب الحلال عن الحرام، ولا يطلب الحرام الرجل العاقل لأن من

---

(١) أي : فتحت .

ارتكب الحرام لبس العار .

القصة الأولى :

اعلم أن كل من بدت له حاجة في دنياه وشق عليه أمرها ولم يبلغ مراده فيها، فيعمل لنفسه الحيل ويقصد الحج ويدعو الله بما يريد كما حكي لي عن امرأة متعلمة في الدين فرفعها مولاها في قلوب الناس وصار لها حظ عظيم مع العلماء والأتقياء والملوك، وكان لدى الملك آنذاك والدة حسينة اللون في حسن الشباب ولكن لها رغبة في النكاح الحلال والملك لم تسمح نفسه بتزويج أمه فأرسلت والدة الملك إلى المرأة المتعلمة لتصل عندها، فلما بلغها الرسول أقبلت عند والدة الملك، فلما دخلت إليها رحبت لها وقالت لها: أريد أكشف سري عندك ومرادي أن أتزوج إن كان معك رأي يبلغني إلى ذلك، لأن ولدي لا تسمح نفسه لينكحني برجل وأنا أخبرك لهيب في رحمي، وفي فؤادي وأريد ستر عورتي حتى يستقيم ديني.

فقالت المرأة المتعلمة: الحيلة عليّ أنا ودين الله يسر وإن مع العسر يسرا فالساعة ولدك في جهاد أعدائه وأنت انذري لله إن رجع ولدك سالماً فيكون لازم عليك حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه السلام، فهذا مفتاحك للتزويج؛ لأن ولدك يسره ذلك وفي سفرك لينكحك بعل بالحلال.

قال: فنذرت والدة الملك ورجع ولدها من جهاده سالماً مظفراً على أعدائه فأخبرته أنه وصلني خبر أن عدوك ظفر بك ودخل في قلبي هم شديد، ونذرت لله إن رجعت سالماً فأقصد في هذه السنة إلى الحج وأريد الأهبة للسفر .

فأعجبه الملك كلام والدته فجهز لها ما تحتاج إليه في سفرها وذكر للمرأة المتعلمة أن تكون في صحبة والدته، فقالت المتعلمة: اعلم أيها الملك أن الحج له شروط ويحتاج على علم وعمل وأخاف من قبل أمك أن لاتمتثل لأمري ويصح لها في سفرها العناء والتعب لأن السفر فيه مرض البدن والدين ولم يحصل لها فائدة والسلامة أولى عن المخالفة.

فقال الملك: أنا أشترط على والدتي أن تكون مطيعة لأمرك، فقالت: كذا وكلتني الأمر لجميع ما تحتاج إليه مصالحها في سفرها لدينها ودنياها، قال مجيباً لها: ذلك نعم، فأخذت صكاً بخط يده. ثم أقبل الملك إلى والدته وقال لها: يا أيتها الوالدة ألزمت نفسك السفر وقد جعلت هذه المرأة في صحبتك واستمعي لقولها ولا تخالفي رأيها بما تأمرك به في صلاح دينك ودنياك.

قالت له: سمعت قولك وأحمد رأيك والحمد لله حين سمحت نفسك لي بذلك. ثم شيّع الملك والدته وقال للخدم: كونوا في صحبتها فأخذت والدة الملك أمها وبعض من أرحامها لتتأنس بهم في طريقها ثم نزل بأم الملك وجع البطن المسترسل فقالت لها المرأة المتعلمة: لا يجوز النظر ولا المس من السرة إلى الركبة إلا للزوجين أومع الضرورة للأرحام وللناس وهذا المرض نذير الموت وأحب لك أن تتزوجي برجل عاقل متعلم حتى يكون لباسك ويدعو لك عند صلاة جنازتك ويغسلك ويحنطك وينزلك في قبرك وأعمال الإنسان تمامها في خاتمتها وهذا من أمور المصالح لك وللمك.

ثم أقبلت والدة الملك مع المسلمين وأمرتهم أن يزوجوها برجل

معلوم. قال: فزوّجها المسلمون وعافاها الله من مرضها وهذه حيلة منها ودخل عليها زوجها وحملت منه بليلتها فطاب قلبها وأدت نذرها وولدت ذكراً في سفرها، ثم رجعت إلى وطنها، وأخبرت ولدها وبما لقت من التعب والسقم في سفرها وأخبرته بما أمرتها المتعلمة وهي حاضرة عندها فقالت: نعم وصحيح لأني أمرتها بالحق واتباع السنة، والساعة هذا عمك، والطفل أخيك من الأم، فأحسن إليهما فإن الله يحب المحسنين.

فهذه أم الملك أظهرت لابنها بغير ما أكنته في قلبها.

القصة الثانية :

ومثلها قصة المرأة التي ملكت قومها ولاح في قلبها الزوج وقال كيف الحيلة في قومي وأوليائي من الخجل منهم في قلبي فكاتبت عدوها وهو أمير في عشيرته وأرادها ولكن كتبت له أن لاتجدني إلا بحيلة مني في هذه الأمور فأعجبه رأيها، فأمرت بعض من أصحابها بقتل رجل معلوم من أصحاب عدوها فصاب المأمور وقتله في أمان، فكتب لها العدو أن أحد من أصحابك قتل رجلاً علينا فإن كان عمداً منكم ذا فخذوا حذركم، وإن كان خطأ نريد البيان، فلما وصلها الخط جمعت أصحابها وقالت هم: ما الرأي؟

قالوا لها: فأمرنا عندك. قالت: نحن نصل عنده خير من الحرب إن أمكن هذا الحال فعرفته بالوصول إليه، فأخذت في صحبتها أولياءها وأكابر عشيرتها وقضاتها والفاعل عندها، ثم دخلوا دار العدو فأقبل إليهم عدوهم بالتكريم والتعظيم ثلاثة أيام وهو يجمع قومه عليهم وأحاط بهم، وقال لهم : لا سلامة لكم من القتل إلا بحالة واحدة ، أن تزوجوني بأميرتكم هذه .

فتناظروا هم والمرأة وقالوا لها: لعلك تفدينا من القتل، قالت لهم: الرأي عندكم. قالوا: هذا ما رأينا، فزوّجه بها أولياؤها فدخل عليها وتولى ملكها وهذه حيلة عن العار.

القصة الثالثة :

وعلى مثل هذه قصة الرجل الذي طلب الأمر على أن يتولى على الناس، تعلل في نفسه بالسقم ونذر إن أبرأه الله من ألمه أن يطعم الرجال والنساء في يوم العيد، فسر الناس ذلك حتى أقبل عليهم العيد فجعل الموائد لهم إلا أنه بات يكتب في أوعية الأزورد والصيني يكتبه بالمسك والزعفران وماء الورد العجمي ويجعل فيه الماء ثم يجعل الماء في الطعام الذي يأكلوه الناس.

وهذا مما كتبه لهم : كهيعص ورب التوراة والأنجيل والزبور والفرقان وبطه ويس والصافات عطفت قلوب بني آدم وبنات حواء بالمحبة والطاعة لي قلقون حزينون حتى لا يصبروا عني ساعة واحدة ولا يسمعون ولا يتكلمون إلا بأمري فأعطاهم الطعام فأكلوا وشربوا ما طاب لهم فأعطف الله قلوبهم إليه وولوه نفوسهم فأكن في قلبه ملكهم وأظهر نذره لهم.

القصة الرابعة :

ولا يمكن ظهور الأسرار لأنها لا تصح معه الإجابة وفي إظهاره يلقى الهلاك من الناس؛ كما قيل عن امرأة أرادت أن تتزوج برجل فقربت أولياءها بالعطاء الكثير وأرادت منهم أن يأمروا بتزويجها، فلما بان لهم أمرها أرادوا قتلها فلجّت في الدعاء لله تعالى أن يرزقها بعلاً وأولاداً

وصحة وسعادة فأبلاها ربها بالحمى الدائمة فلم تقدر على الصيام ولا على الصلاة قياماً.

فصنعت الأدوية التي للحمى الموصوفة في كتب الأطباء على معنى الطبائع الأربع فقيل لها إن هذه الحمى وخوفنا عليك من الهلاك بسببها، فأرسلت رسولاً أن يأتي عندها صاحب المعرفة بالطلاسم والفلك، فلما وصل عندها وسألته عن حالها، فأجابها أن سبب هذا دعوة منك وأراد ربك بعد الألم صلاح جسمك، ولكن تسهيلا لأمرك انذري لله تعالى أن تحجي إلى بيت الله الحرام ، وزيارة قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) ، والسلام على صاحبيه أبي بكر وعُمر ، فنذرت من ساعتها .

وكتب لها صلب الحمى وهو هذا: بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله لا إله إلاّ الله ، ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ﴾ ، طيرسوما ، بسم الله لا إله إلاّ الله، ﴿ يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا ﴾، بسم الله لا إله إلا الله ، ﴿ ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ﴾ ، ابرهوما ، ﴿ يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكِتاب ﴾ ، اللهم اشفِ وعافِ فلان ابن فلانة ، أو فلانة بنت فلانة ، من حمى الشتاء والربيع والصيف والخريف ، ومن كل وجع ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ......

قال : فأخذته المرأة وجعلته حرزاً فشفاها الله وقصدت إلى الحج وأخذت المنجم في صحبتها فلما خرجا من أوطانهما وقطعا البحر تزوج المنجّم المرأة بحضرة الشهود فظهرت لها الإجابة من ربها وأوله السبب من مرضها ثم بعده من نذرها وخروجها عن وطنها وأهلها لأنها قد بعدت عن أوليائها ولها العذر وليس أيديهم طائلة لها في أماكن الناس .

قال ذو الغبراء: مما أحبه للرجل أن لا يتزوج امرأة وأهلها كارهون ولو كان الرجل صاحب عز ورفعة عن مثل المرأة المتزوجة بنظر وليها ولكن باقي الأهل والأولياء ليس راضين فقتلوا زوجها ووليها، وامرأة أخرى تزوجت بأمرها وبنظر أحد من أوليائها دون الباقين فأصابها الجراح والسجن ثم بذلت من مالها لقتل المعتدين عليها وطرد أوليائها وبعض منهم قتلوا فذهبوا عن دارها لكن من صنع في دنياه الحيل سلم من المكائد والمكاره في الدنيا، ودين الله يسر خفيف عند المسلمين ثقيل لدى المجرمين، ولا تتزوج امرأة أعلى منك شرفاً لأن رجلاً تزوج امراة وبذل ماله إليها ثم رشت عليه بالقتل فجاءوا ليقتلوه فقتلوا رجلاً غيره يظنوه زوجها فلما بان لزوجها الأمر طلقها، ولا تتزوج امرأة لتسكن بها حيث أرادت هي لأن أمير قوم تزوج امرأة وسكن بها حيث أرادت فجاء إليه أعداؤه فقتلوه في بيتها، وهذا مني لكل مسلم نصيحة.

أحكام شرعية في حج المرأة :

رجعت إلى قصة الرجل الذي ابتلاه الله بالفالج وأبرأه. قال: دخلت المسجد الحرام من باب علي بن أبي طالب، وسمعت رجلاً يذكر نساء في المسجد، وقال في كلامه: إذا كان للمرأة مال ومحرم يحملها ويجيبها(١) إلى ذلك فقد وجب الحج، وإن كان لها محرم ولا مال لها، فلا حج عليها حتى يجتمعا معاً، وإذا كان للمرأة مال فلم تحج حتى ذهب مالها وكان لها أولاد بلغ، فإنهم يؤمرون أن يحجوا بأمهم ولا يجبرون على ذل.

والمرأة إذا كان لها مال كثير وليس لها ولي لم يجب عليها الحج

(١) أي : يأتي بها .

إذا لم تقدر على الخروج إلا بولي وتؤمر أن تطلب ولياً، ويجب عليها أن توصي بالحج والولي حجة للنساء في تأدية فريضة الحج وفي عقد التزويج لا يمكن إلا به إلا أن يأبى الولي أو كانت المرأة في بلد حاربة أو محروبة أو كانت قاطعة البحر ولم تقدر على الوصول مع أوليائها فإذا كان على هذا العذر، فلها أن يزوجها السلطان أو القاضي فإذا عدما فتأمر جماعة المسلمين ليزوجوها بالرجل الذي تريده.

وليس للمرأة أن ترفع صوتها بالتلبية ولكن تسمع نفسها بالتلبية، ولها أن تلبس القطن والكتان والصوف والدرع والسراويل والخمار والمقنعة والخفين والقفازين.

وإذا بلغت المرأة الحدود أحرمت ولو كانت حائضاً ولا تلبس البرقع ولا ثوباً مصبوغاً بشوران أو زعفران أو ورس ولا تلبس الحلي ولا الحرير ولا حلق على النساء إلا أنها تقصر من شعرها بقدر ثلاث أصابع، وإحرام المرأة في وجهها قالت عائشة رضي الله عنها: (كان يمرُّ بنا الراكبُ ونحنُ محرماتٌ فتنشلُ إحدانا الثوبَ على وجهها من غير أن يمسَّ الثوبُ وجهَهَا)، والمرأة الحائض تحرم وتغتسل إن شاءت وتخرج إلى منى وتقف بعرفة والمزدلفة وترمي الجمار وتقصر وتفعل ما يفعل الحاج حتى تحل مثلهم إلا الطواف للزيارة والسعي فإذا طهرت طافت وسعت فحل لها إحرامها، ولا تحج المرأة عن الرجل إلا في كفارة الأيمان كذلك قال محمد بن محبوب رحمه الله، وجائز تحج المرأة عن الرجل في المشي إذا حلف بالمشي إلى بيت الله الحرام في شيء حنث فيه، ويجوز أن تحج امرأتان عن رجل، ولا يجوز أن يحج العبد المملوك عن أحد وإن

قال فيه قائل، قال أبو المؤثر: أقرب إلى الجواز أن تحج المرأة عن الرجل ولا أن يحج العبد بإذن سيده، ويجوز للمرأة أن تحج عن المرأة.

وسألت الشيخ ناصر في مسألة فأجابني على المعنى في المرأة التي لها مال ومنحته زوجها وأولادها فقال: يلزمها الحج لأنها تقدر أن تقيم بنفسها وتأخذ أحداً من أوليائها إذا كانت صحيحة ولا عذر لها بإعطائها أولادها. قال: ولا يجوز التأجير للحج إلا الثقات من رجال ونساء لا فرق بين الرجال والنساء.

رجع إلى القصة الأولى فقال: شوقوا نفوسكم بالأسفار في الليل والنهار وادعوا مولاكم في ساعة الأسحار، أن يسلمكم من وعوثة السفر في البر والبحر لأن التجار والعلماء الأبرار صبروا على هذا مرادهم في سفرهم الفوائد والعلوم والأخبار، وقد رصدوا في أعمالهم بالفلك والرياح والأمطار أعني الإسلام والكفار واستمعوا لقول الشاعر حيث يقول :

تغرب عن الأوطان تكتسب الغنى ... وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفريج هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد
فإن قيل في الأسفار ذل وغربة ... وقطع الفيافي وارتكاب شدائد
فموت الفتى خير له من حياته ... بدار هوان بين واشٍ وحاسد

وقال غيره :

تغرب تكتسب أدباً ومالا ... ولا تذكر إذا ما غبت آلا
فإن العود كان وقود قوم ... فأورثه تغربه جلالا
فصار يعد طيباً أي طيب ... وكان بأرضه حطباً رذالا

وقال الشيخ علي بن ناصر عتاباً لصاحب ذي الغبراء حين قطع الزيارة والمكاتبة عنه عند حضور التزويج فكتب هذه الأبيات شعراً:

عرس هني وإسعاد وأولاد ونعمة برضاء الرب تزداد
يا من أعرفه مما أشرفه وفي المخاطب ترجيع وترداد
ولا جواب لنا فيه ولا صلة تبري بها من اليم الشوق أكياد

وله أيضاً شعراً :

زر من تحب بفرصة أدركتها ودعاك فيها قبل يوم فواتها
فمع الفوات ندامة مقرونة للنفس من ذي الحب طول حياتها

قال صاحب ذي الغبراء : لما وصلتني هذه الأبيات قصدت ذا الغبراء وعرضتها عليه فقال: ما العذر عن الوصال إليه. قلت له: أنا أرجوه للزيارة ويوعدني ولم يصل إلى. فقال لي: أنت المقصر في حقه؛ لأنه أعلم منك بالشريعة وأفصح بالعربية وإنه شيخ، وآباؤه وأجداده أهل أمر ونهي لبعض من أهل الإسلام في هذه الأمة، واستمع لقول الشاعر:

زر من هويت وإن شطت بك الدار وحال من دونه حجب وأستار
لا يمنعنك بعد من زيارته إن المحب لمن يهواه زوار

عن غيره:

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن أحب مطيع

ثم قال لي : ليس لك عذر عن زيارته فإن قلت إن الطريق والدار

ليس بهن أمان قلنا لك فهل سلم أحد من البلاء والشدة لمن طلب العز والنعمة في المأكول والمشروب والمنكوح والملبوس.

انظر لمن طلب العز، أما تذهب فيه الأموال والأرواح، وانظر في حب الوالدات لأولادهن فهل سلمن من التعب والشدة عند الولادة، وانظر في لذة الشهد أما يجد آخذه اللذع، وانظر في لذة آكل الحلاوات أما يحترز الذي يعملها عن النار والحرق في ابتداء عملها وعند نضاجها، وانظر إلى الرطب وثمرة الأشجار أما هو خائف على نفسه أن يسقط منها جانبها، ثم انظر في النساء فما كان منهن أحسن وجوهاً وأملأ أموالاً فتذهب على سببهن الأموال والأنفس وهذا صح في زمانك مما عاينته بنفسك من سفك الدماء والدموم في نواحي كدم وأرض السر، وبعض من النساء يصح التعسير من أوليائهن في نكاحهن بسبب ما عندهن من الأموال فيذهب شبابهن وثمرة بطونهن، وبعض من النساء عرضن في الدنيا كالغريب وليس لهن في الآخرة نصيب، وكثير من النساء والرجال ابتلى وصبر وحمد الله وشكر واعتبر.

وفكر في قصة الرجل الذي أوصى عليه والده أن لا يحلف بالله صادقاً ولاكاذباً فلما مات والده ابتلاه الناس وأرادوا منه اليمين فأبى أن يحلف فذهبت أمواله وركب في الفلك هو وزوجته وأولاده وسارت تجري بهم ثم أقبلت عليهم ريح وموج كالجبال فانكسر المركب في الليل المظلم وذهبت منه الأموال والأنفس فأما الرجل المذكور فقد أنزله الله على ساحل البحر ولم ير في تلك الأمكنة أحداً ورأى ماءً جارياً وأشجاراً مثمرة، فأكل من تلك الأشجار ثم مشى في أثر الماء ونظره يخرج من جبل فرجع ومعه كنوز من الذهب والفضة فرجع إلى الساحل ينظر أهل الخشب ويشري ما

عندهم من السلع ، فأحيا الله على يديه تلك الأرض بالزروع والنخيل والأشجار والعمارات وجعل فيها سوقاً وتجاراً وصنع فيها العدل والأحكام وآوى عنده اليتيم وابن السبيل، وتزوج ونسل ولم يذكر أولاده ولا زوجته وقد دخل في قلبه الإياس منهم، ومن طبعه للنازلين معه أصحاب الخشب جعل لهم بيوتاً وسير من أصحابه لخشبهم أناساً يحرسونها .

وفي بعض الليالي أرسل اثنين من أطراف أصحابه ليحرسوا خشبة، فلما وصلا الرجلان إلى الخشية قص أحدهما على صاحبه قصة بما جرى عليه في زمانه، فقال الثاني: هذه القصة التي ذكرتها جرت علينا، ولعلي أنا أخوك فتبيّن أنهما أخوة وكانت والدتهما تسمع لقولهما في تلك الخشبة التي وجدها أصحاب الخشبة في البحر فحملوها وتباركوا بها في زمانهم ولم ينزلوها منها، فلما أصبح الصباح وجاء إليها أصحاب الخشبة فسلموا عليها فردت عليهم الجواب وأخبرتهم عن الرجلين الحارسين للخشبة أنهم سرقوها وتريد أن تنزل على البر بنفسها تشكو منهم للأمير، قال: فأنزلوها وصحبوها إلى الأمير فلما وصلوا إلى الأمير رأوه في مجلسه والقاضي معه في حكمه .

فأقبلت المرأة إلى الأمير وشكت الرجلين الحارسين للخشبة أنهم سرقوها فأرسل إليهما الأمير وأحضرا إليه فقال القاضي لهما: هذه المرأة تشكو منكما أنكما سرقتموها فقالا: نحن ليس من أهل هذه الدعاوى، فقال لهما القاضي: لا بد لكما من الخلاص. فقالت: اسمع أيها القاضي أنا أشكو من الرجلين من الحديث الذي تحدثا به في الليل. فقال لهما: كيف تحدثتما. قال: تحدثنا بقصة صفتها كذا وكذا من أولها إلى آخرها. فقال الأمير لمن حضر: هؤلاء أولادي وهذه المرأة زوجتي والحمد لله الذي جمع

شملنا بحرمة سيدنا ومولانا محمد سيد الثقلين.

في اللغة والقصيدة القطربية :

فقال الواقف بالحرمين : قصدت إلى باب الوداع فرأيت شيخاً متعلماً ومولعاً بالنحو والفصاحة وسمعته يقول: اللحن في الكلام أقبح من العوار في الثوب النفيس. وقال: ليس للاحنٍ مروؤة، ولا لتارك الإعراب بهاء ولو بلغ يافوخه عنان السماء، انظروا، أيها الناس، في الذي وجدته في الكتب في الذي قال أنا قاتل عَبدَهُ وآخر قال أنا قاتل عبدِهِ فالثاني أضافه لنفسه وانظروا في الذي حلف أن امرأته طالق إن دخلت الدار فهذا حلف على مستقبل فمتى دخلت امرأته الدار حنث، وآخر حلف أنَّ امرأته طالق أن دخلت الدار فهذا علق يمينه بفعل ماضٍ فإن كانت امرأته قد دخلت الدار قبل حلفه فقد طلقت وإن لم تكن دخلت لم تطلق، ثم أخذ في يده كتاباً وقام يقرأ للناس هذه القصيدة القطربية شعراً :

الحمد لله العزيز الباري	الرازق المهيمن الغفار
رب السماء خالق الأشجار	وخالق الأسماع والأبصار
ثم الصلاة بعد والتحية	على النبي سيد البرية
محمد ذي الرتب السنية	خير الأنام صفوة الجبار
وبعد تسليمي على خير نبي	نظمت من مثلثات قطرب
أرجوزة لذيذة في المشرب	تروق في مسامع الحضار
نظمت مفتوح الحروف أولا	وبعده المكسور والضم فلا
تكن لنظمها مولا	فهي التي صحح في الأخبار
يقال للماء الكثير غَمر	والحقد في الصدور فذاك غِمر

والرجل الجاهل ذاك غُمـر ... ليس له خبر من الأخبار
تحية الناس هي السَلام ... والصخر والأحجار فالسِلام
وعرق ظهر الكف فالسُلام ... وأنمل تراد بالأظفار
واللفظ بين الناس فالكَلام ... واسم الجراحات فالكِلام
وأسود الأحجار فالكُلام ... كأنها مطلوة بقار
والجلد إذا يفسد فهو حَلم ... ثم احتمال الشر فهو حِلم
وما يرى في النوم فهو حُلم ... فذلك اسم للخيال الساري
ومقدم الثوب فذاك حَجر ... والعقل للإنسان فهو حِجر
ووالد امرء القيس فهو حُجر ... أعني بذاك آكل المرار
إذا دعوت الله فهو دَعوة ... أو تدعي للإنسان فهو دِعوة
أو تدع للطعام فهي دُعوة ... قوم يفوقون سنا الأقمار
وآخر الأيام فهي السَبت ... وأحمر النعال فهو السِبت
كذاك والخيبر فهو السُبت ... تنبت في مواضع الأمطار
والأرض إذ تصلب فهي الحَرة ... والعطش الشديد يسمى الحِرة
والمرأة الحسناء فهي الحُرة ... تحجب عن مدارك الأبصار
والعطش الشديد فالسَهام ... والنبل إذ يراش فالسِهام
والحر والسموم فالسُهام ... إذا غدا مثل شواظ النار
ومجمع الخمر يسمى شَرب ... والقسم في الماء يقال شِرب
والكرع في الإناء فهو شُرب ... من لبن أو وطف الأمطار
والأرض مهما اتسعت فخَرق ... وواسع الغطاء فهو خِرق
والجاهل الأحمق فهو خُرق ... وذاك من خلائق الأشرار
والمثل والنظير فهو شَكل ... والطرف والدلال فهو شِكل

وجمعك الأشكال فهو شُكل … للخيل إذ تصال للمضمار
والنشر إن طاب فذاك عَرف … والصبر في الشدات فهو عرف
والجود بين الناس فهو عُرف … تلقاه عند السادة الأخيار
ثم أب الأب فذاك جَد … نعم وضد الهزل فهو جِد
والسيل إذ تقدم فهو جُد … تملأ من مواقع الأمطار
وطيب المرعى يسمون كَلاء … والحفظ والإكرام واللطف كِلاء
وكلية الإنسان جمعها كُلا … جاء عن الأعراب في الآثار
والجمع في جارية جَواري … وقربهم في منزلي جِواري
ثم الصياح والندا جُوار … كما أتى في وصف أهل النار
والجلد والإهاب فهو المَسك … والطيب إذ يعرف فهو المِسك
والأكل للحيات فهو المُسك … لأنه ما قل في المقدار
والطائر الهادر فالحَمام … والموت والهلاك فالحِمام
واسم يخص رجلاً حُمام … تذكره الخنساء في الأشعار
والخوف والجنون فهو لَمة … ووفرة الشعر فهي لِمة
ثم جماعات الرجال لُمة … تجمعوا من سادة الأخيار
والصوت والصرير فهو صَل … والحية الصفراء فهي صِل
واللحم إذ يختثر فهو صُل … آكله يخشى من البوار
وجنة الخلود فهي جَنة … ثم الشياطين يقال جِنة
والدرع والترس تسمى جُنة … ولم ترد أسهم المقدار
ومرض الجوع فذاك صَفر … وكل شيء فارغ فصِفر
وبعده النحاس فهو صُفر … فهاكها كالأنجم الدرار
والمبغض المحب فهو قَلب … واسم عصفور صغير قِلب

ثم سوار الفار فهو قُلْب يرى بأيدي الخرد الجوار
وولد الظبية فهو رَشا والحبل يستسقى به فهو رشا
والبذل والعطا جمعه رُشا يطفئ زياد الغيظ وهو وار
والشيء إذ يلقى على الأرض قلا والترك والبغضة سموه قِلا
وجمع قلة مخففة قُلا وبالقلين جاء في الأشعار
ومصدر لمن يقال مَنّة والامتنان والعطاء مِنّة
والنفس إذ تقوى وتودي مُنّة تخفى معانيها عن الأبصار
والنوم إذ يغشى الجفون فالكَرى والدور والدواب تعطى بالكِراء
وكرة اللاعب جمعها كُرا جاء بالكرين في الآثار
ثم لهاة الخلق جمعها لَها ثم الهبات والعطايا فاللِها
والمال يعطي دفعات فاللُهى أي القليل من ذوي الإيسار
ثم نبات الرعد فالكَمات ولابس الدرع فالكِمات
وجمع شجعان هم الكُمات لم يرهبوا جلائل الأخطار
والأرض ذات الرمل فالرَفاق وأثر نصب الماء فالرفاق
والخبز إذا يفرق فالرُفاق من كرم البر التقى المختار
إن طال عمر الخود قيل عَمرت والدار من بعد الخراب عِمرت
والأرض إن تزرع فهي عُمرت من بعد ما استقت البوار الجار
وولد الظبي يسمى بالطَلا والراح إذ يطبخ يسمى بالطِلا
وجمع أعناق الرجال فالطُلا تنقاد في أزمة المقدار
جماعة النساء يقال صَرة والريح ذات البرد فهي صِرة
وخرقة تعقد فهي صُرة توكا على الدرهم والدينار
وسعة الأرض تسمى بالمَلا والملء من كل إناء بالمِلا

ملحفة الكتاب جمعها مُلا تستر جسم الشخص وهو عار
ثم ملاحاة الرجال فاللحا والشعر في الوجه المنير فاللِحى
والعظم إذ ينبت عليه فاللحا كالحنك الأسفل والعذار
والشيخ يبدي العظم فهو أمّة والخصب والنعمة فهي إمّة
وتابع كل نبي أمّة كما تقف لأمّة المختار
والشيء يملأ الفم فهو قمة والرأس والسنام أيضاً قِمة
والبيت ما يكنس فهو قُمة مثل الكناسات أو الأقذار
واحدة السنين عام أو سَنة ومثل النوم القليل فسِنة
ثم جمال الوجه والحسن سُنة يفوق بالحسن على الأقمار
والدور والضياع فالعَقار والخرج إذ يجمع فالعِقار
والخمرة الأسلاف فالعُقار شديدة الإطراب والإسكار
والريق إذ يحكي السلاق ظَلم وذكر النعام أيضاً ظِلم
وأخذ ما لا يستحق ظُلم لأنه يصلى جحيم النار
ثم الخطا والحرب فهو حَرم والجسم والمقدار فهو حِرم
والشين في الوجه يقال حُرم مثل سواد شين باصفرار
وزبد الماء فهو الحَبار جمع وعاء الماء فالحِبار
والحية الرقشاء فالحُبار السم منها قاطع الأعمار
والإبل إذ تسقى من الحوض قبل وطاقة الإنسان للشيء قِبل
فذلك التقبيل في الثغر قُبل يطفئ بهن لواعج الأوزار
والمطر الواقع فهو قَطر ثم النحاس إذ يذاب قِطر
والمندل الرطب فذاك قُطر يفوق بالطيب على الأزهار
والجور في الأحكام فهو قسط والعدل والإحسان فهو قِسط

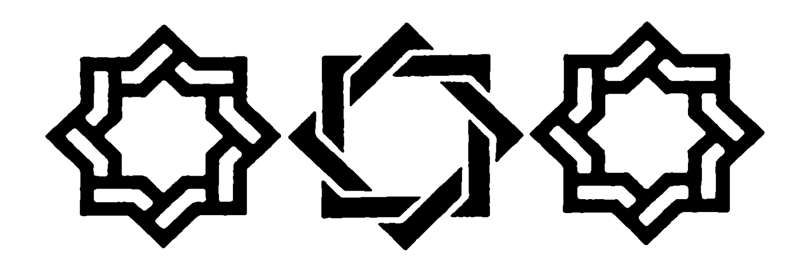
ثم الكبا المعروف فهو قسط ... يفوق طيب نشره في النار
والسير والذهاب فالمَزاح ... والفرس الكهل هي المِزاح
والبذل للانعام فالمُزاح ... للخلق أو للنعم الصغار
وظهر كل حيوان فالقَرى ... نعم وإطعام الضيوف فالقِرى
ثم البلاد الآهلات فالقُرى ... وغير الآهلات فالبرار

وعن غيره :

نسيم جمالكم في الصدر سَقط ... ونفحة هجركم في الصدر سقط
وحب سواكم لا شك سُقط ... حقير يزدري حكماً وذكرا

قال : فنهض ذو الغبراء ، وهمَّ بالرحيل عن حلقة الذِكر ، فقال له رجل : بلغ سلامي بهذا البيت أصحابك :

عليهم من المشتاق ألف تحية ... تخصهم جميعاً بألف سلام



الذكر الخامس والخمسون :

في الساعة والطالع من البروج، وفي الماء والأنهار التي تجري والجارية والراكدة والثابتة والخفيفة، وقصة يذكر فيها ميزان الماء في الأرض، وصفة أعمالها للذي أراد حياتها

في الساعة والطالع من البروج :

قال صاحب ذي الغبراء : قصدت يوماً إلى الفلاة وأجهدني العطش في آخر فصل الربيع وقمت أمشي وأهرول في طلب الماء، فنظرت امرأة مقبلة ذات حسن وجمال ومعها ماشية وأموال، فسلمت عليها وسألتها عن شربة ماء فقالت لي: يا هذا عدم علينا الماء مذ ثلاثة أيام ولكن اقبل مني هذه الإناء واحلب فيها بنفسك من هذه الغنم. ثم قصدت الغنم وأخذت منها بقدر وشربته وقصدت إلى الظل، والمرأة قربت مني وسألتني عن العلماء وعن ينابيع الماء.

فقلت لها : ليس معي لسؤالك جواب ولكن معي صاحب وأنا نظرته يوماً كشف كتاباً فيه يذكر الماء وقال: إذا سألك سائل عن الماء فاعرف الطالع من البروج والساعة التي أنت فيها وهذا ذكر بعض من الصفات في تصحيح الساعة والطالع أرجوزة مشتملة من تأليف أهل المغرب وعمل بها أهل مصر ومكة ، وأكثر رصدهم لطالع الوقت بها شعراً :

فإن أردت ما مضى وما بقي   من النهار بالحساب الأوفق

فاعمد إلى عود بقدر الشبر وانصبه نصباً واستعن بالصبر
ثم ارصد الظل إلى أن ينتهي بالعود قدره على ما ينبغي
فما انتهى ذاك إلى التعديد فرد عليه مثل قدر العود
وألق منه ظل يومكا فإن ذلك كمال شأنكا
وما بقي فاقسم عليه وهنا اثنين مع سبعين حتى يفنى
وافهم إذا قسمت باب المخرج فتلك ساعات صحيح المدرج
وهو إن كان النهار مدبرا فقد بقين آخراً فآخرا

شرح هذه الأبيات ، قوله : (إن أردت ما مضى من النهار) ، أراد به الماضي لأن النهار كله اثنتا عشرة ساعة ؛ وقوله : (فاعمد إلى عود) طوله اثنا عشر أصبعاً ثم إنك تنصبه في مكان مستوٍ فتنظر كم جاء ظل العود ثم تزيد عليه قدر العود وهواثنا عشر أصبعاً وألق من الجميع ظل الزوال وما بقي بعد الإسقاط اقسمه على اثنين وسبعين جزءاً فما خرج معك من الحساب كان كل سهم بساعة، وكل سهمين بساعتين، وكل ثلاثة أسهم بثلاث ساعات، وكل أربعة أسهم بأربع ساعات، وكل خمسة أسهم بخمس ساعات، وكل ستة أسهم بست ساعات، فإذا انتصف النهار دخل الحساب في النصف الأخير من النهار فيكون عملك على حاله في ذرع الظل بالعود والإسقاط، إلا أنك تقول الباقي من النهار كذا وكذا والأول تقول فيه الماضي من النهار كذا وكذا فافهم ذلك وتدبره فإنه لا سبيل بالمبتدئ إلا به، وكل برج له ثلاثة أثلاث كل ثلث منها ظل وكل ثلث منها عشر درج، الحمل أوله عشر منه أربع أصابع، والثاني منه ثلاث أصابع، والثالث أصبعين، والثور أوله أصبع، والثاني منه نصف أصبع، والثالث لا ظل له، الجوزاء أولها لا ظل لها، والثاني لا ظل لها، والثالث لها نصف أصبع، السرطان أوله نصف أصبع، والثاني لا ظل له، والثالث لا ظل له،

الأسد أوله لا ظل له، والثاني لا ظل له، والثالث أصبع، القضيمة أولها اصبعان، والثاني ثلاثة أصابع، والثالث أربعة أصابع، الميزان أوله أربع أصابع ونصف أصبع، والثاني خمس أصابع، والثالث ست أصابع، العقرب أولها سبع أصابع، والثاني ثمان أصابع، والثالث تسع أصابع، القوس أوله عشر أصابع، والثاني إحدى عشر أصبعاً، والثالث اثنتا عشرة أصبعاً، الجدي أوله اثنتا عشرة أصبعاً، والثاني إحدى عشرة أصبعاً، والثالث عشر أصابع، الدلو أوله تسع أصابع، والثاني ثمان أصابع، والثالث سبع أصابع، الحوت أوله ست أصابع، والثاني خمس أصابع، والثالث أربع أصابع ونصف أصبع .

وهاك مثلاً إنك تنصب العود في الشمس في يوم كانت الشمس في أوله برج الحمل، ثم انظر في النهار كم من ساعة الحمل فخرج ظل العود خمسة عشر فرد على اثنتي عشر، فصار الجملة سبع وعشرين أصبعاً فاطرح منها ظل أول البرج من الحمل؛ لأن الشمس فيه وهو ظل نصف النهار أربع فتبقى ثلاثة وعشرون فقسمها على اثنين وسبعين جزءً الذي هو أصل لهذا الحساب، فخرج جزوف ثلاثة أجزاء من اثنين وسبعين جزءً وبقي ثلاثة لأن ثلاثة وعشرين ثلث تسعة وستين، فبقي تمام اثنين وسبعين ثلاثة فقلنا أنه قد مضى من النهار ثلاث ساعات وثمن ساعة لأن الثلاثة الباقية مقسومة على الساعة وكأن الساعة ثلاثة وعشرين جزءً والثلاثة من ثلاثة وعشرين يكون ثمنها، بل أكثر قليلاً فاعلم ذلك هذا إذا كان القياس قبل الزوال .

وإذا أردت أن تعرف الساعات بعد الزوال فاعلم أنما يخرج لك من الساعات والأجزاء المقسومة على اثنين وسبعين جزءً فهو ما بقي من

ساعات النهار مثل ما كان يخرج قبل الزوال فهو ما يبقى فتدبر ذلك وقسمه تظفر إن شاء الله تعالى .

وإذا أردت أن تعرف الظل بالقدم ، فإذا كان الظل ثماني وعشرين قدماً من غير ....[1] .

والاختلاف بين طول النهار وقصر الليل وطول الليل وقصر النهار فهو من البروج إلا أن في الحساب لا ينقص من اثنتي عشرة ساعة .

قال المؤلف : قال ناصر بن أبي نبهان : اختلف العلماء في قسمة الليل والنهار فقيل كل منهما اثنتا عشرة ساعة وبطول الساعات تطول الذي يطول تقصر بالذي يقصر منهما، وقيل وهو الأصح إن الساعة لا تقصر ولا تطول بل كل منهما يأخذ من الآخر وأحكام معرفتها بالساعات المعمولة المحكمة صناعتها وبها يقاس كل من أراد أن يقيس بغيرها، والقياس لا يصح إلا أن تتوسط الشمس في كبد السماء وذلك بالكمال المعمول أو بغيره مقاساً عليه والشمس لها نهاية في سيرها إلى الشمال وفي سيرها إلى الجنوب، وكل موضع من الأرض بحذاء ذلك متى مرت الشمس فيه على الرأس لم يبق للظل بقية في ذلك الموضع لا منه على اليمين ولا على الشمال وإنما يمر ذلك تقريباً على مطلع الشمس فلا يصح أن يخص به برج دون برج، ويمكن أن يكون المرء في الأرض بحذاء أول البرج أو وسطه أو آخره، فلا يكون الحساب على قانون واحد في البروج وما ذكره هذا لا يصح إلا في موضع مخصوص من الأرض والقول المطلق هو ما ذكرناه وقد يتعدى المرء حذاء المنتهى إلى جهة الجاه أو من منتهى الجنوب إلى الجنوب فلا ينعدم وجود الظل بحذاء هذه الأمكنة فاعرف ذلك .

---

(١) نقص في الأصل .

في الماء والأنهار وحسابها بالفلك :

وهاك البيان في الماء والأنهار التي تجري والجارية والراكدة والثابتة والخفيفة، فانظر إلى الأوتاد الأربعة فإذا كان وتد الأرض برج مائي، فكان في ذلك المكان ماء جاري، وإن كان تحت الأرض الأسد كان في تلك الأرض ماء ثابت ولكنه جبل أحمر، وإن كان تحت الأرض القضيمة كان تراب هائل وما فيه شيء من الماء إلا أن يكون فيه إحدى النيرين كان فيه ماء، وإن كان فيه الميزان كانت الأرض مختلفة الوقت تراب وجبل مختلف الوقت وليس فيه شيء من الماء، وإن كان تحت الأرض العقرب كان ماء راكد ولكن جبلاً أبيض، وإن كان تحت الأرض الجدي كان جبل أسود وليس فيه ماء، وكان الدلو كان جبل أسود وفيه جرية ثابتة قوية، وإن كان تحت الأرض الحوت كان ماء ثابت قريب ليس ببعيد، وإن كان تحت الأرض الحمل كان مكاناً يابساً، وإن كان الثور وفيه المريخ كان ماء ثابتً ولكن فيه جبل وما يقدر عليه بشيء، وإن كان فيه إحدى السعدين كان فيه ماء جاري.

وإن كان فيه زحل كان ليس فيه ماء، وإن كان تحت الأرض الجوزاء كان ليس فيه ماء إلا أن يكون فيه إحدى النيرين أو عطارد، وإن كان تحت الأرض السرطان، كان ماء قرب جاري حلو المذاق، وإن كان فيه زحل، كان فيه ماء بارد كريه المذاق، وإذا كان في الرابع برج مائي وفيه شيء من السعود، ففي ذلك المكان ماء كثير، وإن كان برج رياحي وفيه شيء من السعود فإنه فيه ماء متوسط الحال، وإن كان في الرابع برج ترابي وفيه كوكب سعد فماءه قليل. وأما الناريات في الرابع إذا حل فيهن سعد كان فيه ماء وخاصة برج الأسد، وإذا كان الرابع خالياً من الكواكب انظر إلى ربه فإن كان من السعود وحل في برج مائي، فإن في

ذلك المكان ماء ومن تلك الجهة الماء التي حل فيها رب الرابع، وإن نظر رب الرابع كوكب نحس فلا خير في ذلك الماء ولو كان برجاً مائياً، وكذلك إن كان في وباله أو في هبوطه أو في درجة الاحتراق أو كان ساقطاً عن الأوتاد ولا ينظر إلى الطالع أو كان يتصل بكوكب ساقط، وأما إذا كان رب الرابع ساقطاً ويتصل بكوكب وذلك الكوكب ينظر إلى الطالع أو إلى ربه فإن فيه صلاح.

وأما معرفة لون الأرض على لون الكوكب الحال في الرابع وإن لم يكن فيه كوكب، فرب الرابع انظر أين حل، وأما القرب قيل ينظر فيه من العاشر إلى الرابع وإن كان رب الطالع برج السرطان فإن ماءه جاري، وإن كان الطالع العقرب والقمر يناظرهما فإنه ماء عد كثير، وإن كان الطالع الحوت فإنه غزير، وإن كان الطالع إحدى البروج الرياحيات أو الترابيات أو الناريات وكان فيه زحل أو المريخ كان لا تطمع فيه بشيء وخاصة الناريات فيهن جبل ولا فيه نصيب، وإن كان الطالع من بروج الماء وفيه سعد فإن فيه ماء.

وأما إن كان حل فيه نحس فأعرض عنه واصرفهم عنه، وإن كان صاحب الساعة إحدى النيرين وكان تحت الأرض الشمس أو القمر أو كانا جميعاً، كان الماء قوياً غزير الجرية لا يزول ولا يحول، وإن كان رأس الجوزة تحت الأرض كان ماء جاريٍ لا سيما إن كان في برج مائي، وإن كان الذنب فيه كان فيه جرية تجري كريهة المذاق وحيث كان النيرين ولو كانا في برج ناري وتحت الأرض كان فيه ماء لكن فيه جبل، وإن كان في برج رياحي كان في أرض مختلفة الألوان، وإن كانا في برج ترابي كان تراب هائل إلا الجدي فإنه جبل أسود، وإن كان القمر كان في ذلك المكان أشجار مخضرة مثل النخل، وإن كانت الشمس كان مثل شجر الأترج

والخوخ والطلح، وإن كان المشتري في الرابع، كان مثل الجح والرمان والخيار والزيتون والأعناب والفواكه، وإن كانت الزهرة كان كالآس والورد والسفرجل والقطن، وإن كان في زحل كان مثل القرط والأثب، وإن كان في المريخ كان مثل الحرمل وعنب الثعلب والشبت وهي الربود والسلم ، وإن كان عطارد ، كان من الأشجار التي تحشي [1] على وجه الأرض .

ومن كتاب آخر : إذا سئلت عن محلة: أهل فيها ماء أم لا؟ فانظر إلى الطالع فإن كان فيه سعد وربه في مكان جيد من الفلك ورب الرابع في برج مائي، فاحكم أن ذلك المكان فيه ماء ثم انظر إلى رب الرابع في حد من هو من الكواكب وما عدا ذلك فاحكم بقلة الماء، وإن كان في زحل في البرج الرابع، فاحكم ليس هنالك ماء، وإن كان في الرابع نارياً أو ترابياً وربهما في مكان ردئ من الفلك، لم يكن هنالك ما، ثم انظر إذا علمت هنالك ماء وأردت أن تعرف قربه من بعده، فإن كان الدليل الذي هو رب الرابع في الطالع وهو سعد دل على قربه وسرعة وجوده وسهولته، وإن كان رب الرابع في العاشر من الطالع ، كان الماء قريباً جداً ، وإن كان في الرابع كان بعيداً، وإن كان في السابع كان الماء بعيداً جداً، فإن تناظرا رب الرابع ورب الطالع، فإن الطالب سيبلغ وكذلك إن نقل أو جمع بينهما كوكب فإنه سيبلغ الطالب إلى الماء، وحيث اتصلا رب الرابع ورب الطالع بعضهما ببعض فبلوغه في ذلك اليوم، وإن اتصل أحدهما بصاحبه من مكان ردئ فإنه لايتم أمره، ثم اعتبر القيم من الدرج والدقائق والأحادي والعشرات من البروج المتقلبات والثوابت والمجسدات، فإن كان رب الرابع في حد زحل كان حفر الأرض جبل أسود صلب شديد والماء قليل

(١) أي : تنمو على وجه الأرض كالبطيخ .

ويكثر الماء إن كان رب الحد ضعيفاً وإن كان ذلك الحد في الحوت أو في السرطان، وإذا كان في حد المشتري كان الحفر أغبراً وهو إلى البياض أقرب، وإن كان ذلك في حد المريخ كان حصى أحمر شديد الخشونة ثم إن الماء مراً إذا كان المريخ هنالك أو فيه عرق من المرورة، وإن كان في حد الشمس، كان حصى أصفر يعلوه بياض، وإن كان في حد الزهرة وكانت الزهرة هنالك كان حفره أبيض والماء كثير إذا كان عطارد في الجوزاء وضد ذلك إذا كان عطارد في برج القضيمة وما شاكل ذلك، وإن كان في حد القمر، كان الحفر أبيض وفيه سواد .

والماء يكون جدول إلا أن يكون القمر في البروج الناريات أو في البروج المائيات أكثر من ذلك الماء والترابيات والرياحيات في معرفة حكمة الماء حكمهما واحد إلا أن برج الثور فإنه يكون القمر في الدلالة أهون من الترابيات، ثم انظر إلى سهولته وخشونته وتفسيره من الطالع فإن كان رب الطالع في أحد الأوتاد الأربعة وهو مسعود والقمر ينظر إلى الطالع من مكان جيد من الفلك فاحكم بسهولته أولاً وآخراً، وإن كان رب الطالع ساقطاً ولا ينظر إلى الطالع ولا إلى القمر فيكون آخره فيه مشقة وأوله فيه سهولة، وإن نظر رب الطالع إلى الطالع وسقط القمر كان أوله فيه مشقة وتعب وآخره في سهولة، والحذر الحذر أن يكونا زحل والمريخ في وتد السماء مع ابتداء حفر الأنهار والآبار وإن قدرت أن تجعل المشتري أو الزهرة في وتد السماء فذلك حسن وأما زحل فاجعله ينظر إلى الطالع من الثالث أو الخامس وإن لم يتفق فاجعله ينظر من الحادي عشر فذلك حسن .

وينبغي لحفر الآبار والأنهار والقمر في البروج المائية، والدلو جيد، والسرطان لماء المطر، والعقرب للماء الراكد ، والحوت للماء

الجاري ، وهذه الحدود في الجدول على مذهب أهل مصر .

اعلم أن البروج الاثنى عشر مقسومة كلها على أبيات ، وكل واحد منها بين الكواكب الخمسة من دون الشمس والقمر بأعداد مختلفة، وتسمى الحدود على ما في هذا الجدول كما ترى ، وكل كوكب يختص ببرج ، أما من جهة شكله ، أو من جهة جوهره :

البروج	الكواكب	الحدود	الكواكب	الحدود	الكواكب	الحدود	الكواكب	الحدود	الكواكب	الحدود
الحمل	المشتري	٥درجات	الزهرة	٦درجات	عطارد	٨درجات	المريخ	٥درجات	زحل	٦درجات
الثور	الزهرة	٨درجات	عطارد	٦درجات	المشتري	٨درجات	زحل	٥درجات	المريخ	٣درجات
الجوزاء	عطارد	٦درجات	المشتري	٦درجات	الزهرة	٥درجات	المريخ	٧درجات	زحل	٦درجات
السرطان	المريخ	٦درجات	الزهرة	٥درجات	المشتري	٦درجات	عطارد	٨درجات	زحل	٦درجات
الأسد	المشتري	٦درجات	الزهرة	٥درجات	زحل	٧درجات	عطارد	٦درجات	المريخ	٥درجات
القضيمة	عطارد	٧درجات	الزهرة	١٠درجات	المشتري	٤درجات	المريخ	٧درجات	زحل	درجتين
الميزان	زحل	٦درجات	عطارد	٨درجات	المشتري	٧درجات	الزهرة	٧درجات	المريخ	درجتين
العقرب	المريخ	٧درجات	الزهرة	٤درجات	عطارد	٨درجات	المشتري	٥درجات	زحل	٦درجات
القوس	المشتري	١٢درجة	الزهرة	٥درجات	عطارد	٤درجات	المريخ	٥درجات	زحل	٤درجات
الجدي	عطارد	٧درجات	الزهرة	٥درجات	المشتري	٨درجات	زحل	٥درجات	المريخ	٥درجات
الدلو	عطارد	٧درجات	المشتري	٦درجات	الزهرة	٧درجات	المريخ	٥درجات	زحل	٥درجات
الحوت	الزهرة	١٢درجة	المشتري	٤درجات	عطارد	٣درجات	المريخ	٩درجات	زحل	درجتين

وبعض يأخذ بهذا السهم يأخذ من القمر إلى الزهرة الدرج ثم يقسمها لكل برج ثلاثون والابتداء من البرج الطالع فحيث نفذ السهم فهنك دليل الماء في ذلك البرج إن كان فيه كوكب وإلا حيث يكون حل رب ذلك البرج فدليل الماء منه إن كان يدل على الماء وإثباته والله أعلم بغيبه، فإن وفق السهم في الأوتاد فهو قوي وخاصة إذا كان في من بروج الماء وكوكب رطب أو كان إحدى النيرين والسعدين .

قلت للمرأة : هذا بما سمعت به صاحبي ووجدته في كتابي. قالت: بيّن لنا ما يجوز في خدمة الأفلاج وافتح لنا الأبواب ومسالك الماء في الأرض. فأجبتها بقلة المعرفة في هذه المسألة لأن خدمة الأفلاج يحتاج إلى علم من الشريعة، قال فيها صاحبي في الفسح عن الطرق وأموال الناس وأفلاجهم فيه اختلاف وعن المسلمين فمنهم من يرى ذلك بالاعتبار لا بالقياس في القرب والبعد ومنهم يرى أن يفسح عن الأفلاج خمسمائة ذراع إذا كان غيره يتصل بالغيل .

وأما الماء الذي في الأودية كالغيل إن أراد أحد يفتق بأخذ منه فلا يجوز منعه عن ذلك إلا إذا بان نقصان ماء القائلين من أسفله ولا يحدد هذا بالأذرع لأنه مباح هكذا وجدته في الأثر إلا إذا كان الغيل أخذت منه أفلاجاً ومسائل المكر في الأودية، فإن كانت من المسائل التي تخرب ما يقاربها وكان على جهتي الوادي أموال وعليها جدر أو غير جدر، فلا يجوز تقوية الجدر بالصاروج حيث يبلغ أقواها في الغالب دون الحوائج، فإن الحوائج لا يعتبر بها في المنع، ولا يجوز أن يغرس شجر ذو ساق في مسيل المطر ولا بجانب ماله ولا يرمي فيه تراب ولا حطب ولا حصى ولا شئ مما يحيل الماء إلى الجانب المقابل ولو كان ذلك المقابل أسفل منه

بعيداً، ويجوز أن يؤخذ منه مقاليب للأموال وعندي أنه إذا كان المسيل ضعيفاً غير قوي، ولا يضر بالأموال ومن الصلاح للأموال إذا مال إليها المسيل ويرضى بذلك أهل الأموال، فلا يبين لي إلا جواز الفسل في الأودية في المواضع المملوكة منه إذا كان ذلك مما لا يضر بالأموال بل يصلحها إذا مال إليها، ولو لم يستأذنهم أو كانت لأيتام أو وقف أو غائب ولا يصح أن يأخذ منه سواء في الأموال إذا كان غير سالف ذلك ويضر بأهل الأموال المنتفعين بهذا المسيل وينظر في ذلك، وكذلك أخذ التراب من الأموال إذا كان مما يصلحها الآخذ مثلاً أن يكون الفلج أنزل من الأموال والنظر من الصلاح أن ينزل ذلك الماء وفي الاعتبار لهم يتسامحون في الأخذ بغير إذن جاز الأخذ من أموال الوقوفات واليتيم والغائب وإذا كان مما يباح بغير ثمن ، لم يكن عليه ضمان في ذلك ، انتهى كلام ناصر بن أبي نبهان .

وعن الطريق المقفرة أربعون ذراعاً، وعن البئر أربعون ذراعاً وعن أموال الناس ما لا يضرهم، وأما البئر فيحفرها عن أموال الناس وطريق البلد ثلاثة أذرع، وعن طريق الفلاة أربعون ذراعاً وكذلك ولا يحفر قبرُ على الطريق أقل من أربعين ذراعاً في الفسح، وكذلك البحر له حريم أربعون ذراعاً، وأما الحفر في الفلاة والأودية التي ليس فيها ملك فيحفر حيث أراد ولكن لا يشرك اليتيم ولا الموقوف ولا الغائب في حفر الأفلاج لأن أموالهم يمكن أن تذهب في الخدمة ولا يتم العمل. ثم قالت: أنا أخدم هذا الفلج ومن عندي ولكنك انظر لنا الماء في هذه الفلاة، فقلت لها: أنا رجل أروي وأحكي في هذا الفن، عاشق فيه لا عالم به، فأفتي فيه. فقالت: لا أعذرك من البيان. فقلت لها: أنا رجل شبق مولع بحب النساء،

فإن كان ليس لك بعل فأريد أن أنكحك على حكم كتاب الله، فقالت: ليس لي بعل ولكن معي أولياء قد منعوني الأزواج وعن مقاربة الشجعان والفرسان ولم أتزوج برجل لا من حِمْيَر ولا من عدنان ، قلت لها: إن أخذت من حيلي وامتثلت لنصيحتي لأكشف لك البرهان بقدرة الرحمن، وإن شاء الله سأنكحك في هذا المكان، ونجعله لنا من إحدى الأوطان، ونحفر النهر حتى يسقى به النخيل والأشجار والرمان ونشيد القصور بالبنيان. فرأيتها تعتبر وتفكر فقلت في نفسي لعلها أعجبها هذا الرأي لأني لم أرَ عينيها تنظران إلى جسمي فسمعتها تنفست تنفس الصعداء.

فقالت لي: أراك من ذوي الغبراء ولا تقدر على مهري. فقلت لها: إن لم أقدر وإلا جعلت طلاقك في يدك ولكن أريد منك مهلاً في التسليم إلى طلوع الفلج ولكن عقدة النكاح في يومنا هذه. فرأيتها قامت عن المقام وأخبرت أولياءها فأعجبهم قولها لأن الطلاق بيدها ثم أقبلت هي وأولياؤها والشهود وزوجوني بها وهم أكنوا في قلوبهم أن ليس لي قدرة على مهرها؛ لأن أبناء الغبراء ليس في أيديهم أموال، وقالوا أمره في أيدينا ثم وصلوا معي بالأجراء وفي أيديهم الحديد فقلت لهم: على شرط بيني وبينكم أن تكون كسوتي وطعامي على زوجتي ما دمت قائماً على الأجراء فأعجبهم قولي وعاهدوني. فرجعت عند صاحبي وأخبرته بقصتي فسرَّه قولي وقال لي: اعلم بأن عمل الأفلاج يحتاج إلى ميزان وقياس للماء وصفة ذلك أن تأخذ حديدة لتجعلها ميزاناً وهي أن تكون مثل الصحيفة وهي مثلثة مسلوبة من أسفل ويجعل فيها ثقوباً ثلاثة، فالوسطى تجعل فيه خيطاً وفي طرفه رصاصة حتى يكون علماً في الحديدة لينصفها في لسانها، وفي كل الثقبين الآخرين تجعل خيوطاً، كل خيط طوله بقدر

ذراعين واعقد كل واحد في ثقب، ثم خذ حطبتين ليس فيهما اعوجاج، كل حطبة طولها بقدر ثلاث أذرع واعقد كل خيط على رأس كل حطبة وخذ عندك صاحباً حتى يقبض حطبة وأنت في يدك حطبة والميزان يكون بين الحطبتين، فمتى رأيت الخيط انتصف في الحديدة، انقلها وإن لم تنتصف ارفع عليها حطبتها من الأرض واجعل حصاة تحت الحطبة إلى أن يصح الوزن وقسه بخيط إن كان زائداً وإن ارتفع في الأخرى فينحط من القياس بقدر الارتفاع فعلى هذا عملك في قياس الأرض للحفر أو في الهواء إذا أردت أن ترفع ساقية وصفة الحديدة هكذا:

- اليمين واليسار : الخطان فيها الحطب .
- والخيوط من الثقوب إلى الحطب .
- وأما الوسطاني فالشخط [1] الخيط الذي فيه .
- الرصاصة معقود في ثقب الوسطاني .

وأما السواقي وتصريجها [2] فاجعل خشبة طولها بقدر أربعة أذرع، واجعل في وسطها خجاً [3] وفيه ثلاث حفر إحداها في وسط الخشبة، والاثنتين الأخريين كل واحدة في طرفها وحطها، واجعل فيها ماء وفي تمكينها حتى يتزن الماء في الخج كله من الطرف إلى الطرف ثم انقلها في طرفها المقدم واجعل طرفها المؤخر، فعلى هذا ميزانك يكون.

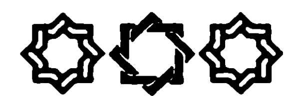
قلت له : أحسنت، فرجعت إليهم وعمدنا في العمل. ومن قبل المرأة رأيت منها غاية الإحسان فجعلت أقعد وأنام في بيتها وأحكي لها من الحديث ما يلين قلبها ويحرك شهوتها في كل يوم ، فطابت ورأيتها

---

(١) أي : الخط .
(٢) أي : عملها بالصاروج ، وهو مادة مثل الاسمنت .
(٣) أي : اخدوداً .

أعضاءها وجوارحها لانت، فقبضتها أوراقها بحضرة رجلين ثقتين ودخلت عليها خفية، فحملت من أول جماع لها ولم يعلم أولياؤها بذلك حتى ظهر الفلج وجرى، فخلعت الطلاق من يدها وأعلمتها بذلك، ثم أقام علي أولياؤها بتسليم الصداق قلت لهم: ليس في يدي شيء فوصلوا معها وأمروها أن تطلق نفسها فامتثلت لقولهم وطلقت نفسها مرة لا ثلاثاً ولا مرسلاً لأن هذه المسألة فيها اختلاف؛ لأنه قيل إذا جعل الزوج طلاق المرأة في يدها وطلقت نفسها بالثلاث فقد تم وإن كان طلقت نفسها مرسلاً ففي قول أنها ثلاثاً وأما إذا حد لها أجل في الطلاق فلا تطلق نفسها بعد الحد، وقول: لها مالم يخلع عنها الحد عن الطلاق والتي ترضى للزوج أن يدخل عليها بقبض أوراقها دون تسليم صداقها ولم تشهد عليه بشيء للتسليم فلا يلزمه في الحكم ليسلمه لها ولا يجبر على طلاقها لأنها رضيت بالدخول.

قال صاحب ذي الغبراء: جعلت لهذه المرأة حيلة للدخول ونزعت الطلاق من يدها بعد انقضاء المحدود لها ثم أتيت بالشاهدين على تسليم الأوراق ونزع الطلاق عند أوليائها فعجزوا عن الجواب، ثم قلت لهم: إني دخلت عليها وهي راضية بذلك ولم تلزمني في شيء ولم تشترط شرطاً بحضرة أحد وهي رضيت لي، وبها الآن حمل مني فلا تعارضوني في زوجتي، وامضوا إلى منازلكم وأنا سددت خلتكم، وسترت عورتكم فلا تلوموني ولوموا أنفسكم، ولو أني أخذت أجرة على النهر لكان كافي للحق ولثمن ما في أيديكم من المواشي، والأرض واسعة لي ولكم، وأسأل ربي لي ولكم أن يجعلنا من الموحدين، ويميتنا مسلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي المصطفى الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .



الذكر السادس والخمسون :

فيه إقبال الدنيا وإدبارها للناس ، وقصة جرت بها ، وذكر اليمين والمعاجين ، والنية للجهاد ، وفي الوصية والملكة ، وقصص جامعة

في إقبال الدنيا وإدبارها :

قال صاحب ذي الغبراء : أقبلت امرأة حزينة يوماً لتسألني فحين ابتدأتني بالمسألة خفت منها فقلت لها أغربي عني ولا أنت ممن يقاربني قد بعثني أصحابك وأولياؤك وتزوجت ببعل لا هو من قرنانك فجعلناه من شانك وهو من أحبانك فاتخذيه في طول زمانك .

فقالت : وسّع لي وتمهّل فارجع البصر كرتين، ولا تأخذني بالغصب وعليك بالرفق لرعية بُهْلا، وإني سأخبرك بأول قصتي فقد جفاني أهلي فتزوجت بذلك البعل وأوليته نفسي ومنحته جميع ما ملكته يدي، فعمد بحسن السيرة لنفسي وإلى أهلي وأولادي وأرحامي وجيراني، ثم رآني قد كبر سني فنبذني وراء ظهره فتزوج فوقي ممن تسوءني فأعجبه رأيها لما فتحت إليه مناسمها وسترته عني بجلبابها فنواني بالجفا، وسبني بالخنا وقطع عني مواصلة أرحامي والقرباء وأكل جازتي بالغداء والعشاء، فصبرت على أذاه أرجو منه الرجوع في دنياه، فلم يزل يبعدني عن أهلي وأمر بقتل أوليائي، ثم عمدت إلى الطهارة بالماء فبال وتغوط فيه، ثم أقبل إلي بوجهه في صلاتي، وفي شهر الصوم في النهار بالكلف جامعني، وفي أوان الحيض أخبرته فاكفتني وكبني فتارة يدخل أيره في

قبلي وتارة في دبري فحين كسر شهوته، ونفرت عنه لحقتي وضربني وكسر جوارحي وأعضائي وبمحضر أصحابه بالثلاث طلقني فقلت: فللنجم من بعد الهبوط استقامة، وللشمس من بعد الأفول ازدحامه، ثم قصدت عندك وأريد من الله ثم منك أن تقيل عثرتي، وتسعى لي عند أهلي بإصلاح حجتي والعفو مرجو منكم .

فقلت لها : أخاف منك أن ترجعي عني ويختلف كلامك عند مسيري وعسى في نفسك تضمري ببعل غيري. فقالت: أقسم لك اليمين بالله الذي لا إله إلا هو العزيز المقتدر ماحي الآثار وباتر الأعمار، وقاصم الجبابرة ومدمر الفراعنة والأكاسرة، الذي يأخذ من حلف باسمه كاذباً أخذ عزيز مقتدر، أني لا أرجع إليه ولا إلى وطنه ولا أعاهد أحداً من أصحابه ولا ممن يشتمل عليه، وإن كنت حانثة في يميني هذه فينتقم الله من الحانثين بنكال الدنيا وعذاب الآخرة، وإني أعاهدك أنت أولاً، ومن والاك ثانياً على ما تحب نفسك ويسخط عدوك. فقلت لها: مرحباً وأهلاً ومن لم يقف على كلامه فقد ندم وأقول من لم يقبل عذر معتذر فليس هو منا ولا نجامعه في شملنا ادخلي في أمرنا وحكمنا ولكن لا تفارقي أصحابنا. فقالت: إن نكحتني وأمهرتني فإني لا أفارقكم طرفة عين. فقلت لها: أتطمعين بهذا وأنت عجوز شمطاء وصبوتك ذهبت مع الأعداء، أما تسمعين قول مولاك: ﴿ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى ﴾[1] ، وإني أراك باردة الرحم منتنة الأنف والفم منحنية الجسم. فقالت: أحسن ظنك في الله وعسى ربنا يحدث بعد ذلك أمرا واسمع لقول الله حين قال لنبيه في سقمه ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾[٤٢] وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي

---

(١) سورة النجم : ٢٤ .

الْأَلْبَابِ {٤٣} وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (١).

وفي قصة امرأة العزيز إنها رجعت إلى الشباب ، والله يخرج الحي من الميت ، ومخرج الميت من الحي .

معرفة المعاجين النافعة :

وأنزل ربنا الداء وجعل لهم في الأرض الدواء وأنا أسير في همة المعاجين التي تطرد كل ريح من الجوف وتقطع الرطوبات الفاسدة وتفتح السدد وتغوص في أعماق العروق وتخرج العلل من أقطارها ولا يستقيم معها داء في البدن مثل صبر اسقطرى، وحب الرشاد والحبة السوداء، وفلفل وزنجبيل وإهليلج أسود أجزاء سواء تدق جميع الأدوية ناعماً وتعجن بعسل منزوع الرغوة وتستعمل على الريق قدر ثلاثة دراهم وعند النوم فهذا الدواء جيد. وإن اعتمد الإنسان في معجون البلاذر وهو يؤكل في جميع الأوقات لأن هذه الأدوية قد رتبها أطباء الروم والعرب والعجم والمصر لأجل الملك الاسكندر الرومي وأطباء العرب يسمون هذه الأدوية لكل العلل التي تكون في بني آدم وهذه صفتها: يؤخذ اهليلج كابلي واهليلج زبيبي واهليلج أصفر واهليلج أسود وأبلج من كل واحد ستة وثلاثون مثقالاً والحبة السوداء أربعة وثلاثون مثقالاً وشادلخ هندي زخيار شنبر من كل واحد تسعة مثاقيل وقرفلة الصفير وهيل وشيطرح هندي وسنبل وأنيسون من كل واحد على حدته وينخل بقطعة حرير أو معتقة حرير وبعد ذلك يؤخذ الفانيد الفرداني الأبيض وعسل النحل الأبيض

---

(١) سورة ص : ٤٢ – ٤٤ .

وزن ستمائة مثقال وتجعله فوق النار ويطرح عليه مقدار رطل دقيق البر وينزله ويبرده ويطرح فيه الأدوية المذكورة وتأخذ المغرفة وتضربه وتحركه حتى يختلط الجميع ويصير مثل الحبر ثم يعجن ويجعل منه مثل الحبوب بعدد سبعمائة وعشرين حبة وفي كل صباح تأخذ وادة وتشرب فوقها الماء الحار فإن ذلك نافع إن شاء الله تعالى، والذي يصلح من المأكولات الخبز الحواري مع لحم الغنم الخصي.

وهذا منفعة الأدوية إذا صار لهذه الأدوية مدة شهر وأكلها الإنسان فإن كل شعر أبيض يكون في جسده ينتثر ويخرج مكانه الشعر الأسود ويسود شعره، فإذا صار للأدوية ثلاثة أشهر وأكله الإنسان مدة ثلاثة أشهر، فإنه يزول عنه الفكر والهم والحزن والغم، وإذا صار للأدوية مدة أربعة أشهر، فإنه يزيد في العقل والفهم والحفظ والذكاء، وإذا صار للأدوية مدة خمسة أشهر يزول عنه برودة المثانية وعلة البواسير وكل علة تكون من الطبائع الأربعة، وإذا صار للأدوية ستة أشهر فإنه يبرئ من جميع الأمراض والأوجاع والعلل إن شاء الله تعالى، وإن أكل من الأدوية ستة أشهر أخر دائمة في كل يوم، فإنه لا يكون معه مرض ولا علل ولا وجع رأس ولا صداع ولا شقيقة إن شاء الله تعالى، فعجبت من قولها فقلت لها: من أوليائك الخالصين الصالحين الذين لا يخافون لومة لائم؟ فقالت: المُجتمع رأيهم، الذين أقاموا بسيفم والغافات، وأما الذين يأمرون بنكاحي فمثل محمد بن خميس القمشوعي البهلوي وعبد الله بن حميد الغافري الساكن بلد الشهوم. فقلت لها: جدّي بنا في المشي إليهم ولكني اخاف منك أن تغدري لأن الله نبهنا فقال: ﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾[1]

---

(١) سورة يوسف : ٢٨ .

فقالت: حاشا وكلا أنا قطعت نفسي عنك في الشباب وجئت معك في الاكتهال ولا أخالف أولياني في مالك، واسلك أمامي في طريقك. فقلت لها: أخبريني عن صداقك وشروطك. فقالت: أن تبيع نفسك لله تعالى وتكون في صحبة القائمين بالغافات (١) .

وأما الشروط فهي أن تبذل مالك والنصيحة لهم بما في قلبك، وأن تعقد النية بلسانك، وقلبك وتقول: اللهم نيتي واعتقادي في خروجي هذا إلى جهاد أعدائك وقتالهم على ما أمرتني به لتكون كلمتك هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى، وللأخذ على أيديهم عن معصيتك وارتكاب نهيك وظلم عبادك والفساد في أرضك، وإني دائن لك في خروجي هذا بجميع ما يلزمني من أداء الواجب علي أن ارتكب نهيك فيه بجهلي من ذهاب نفسي في ذلك وما دونها من الأموال وغيرها ودائن لك بالتوبة من جميع ما ارتكبته من خروجي هذا مما نهيتني عنه بجهلي وبأداء جميع ما يلزمني فيه أداؤه ولو لزمني في ذلك قتل نفسي أو ذهاب مالي وإني راضٍ في ذلك بحكم المسلمين على طاعة لك ولرسولك محمد (صلى الله عليه وسلم) .

نية الجهاد :

وهذه النية من وقف في الزحف لقتال أهل البغي وأهل الشرك وكان عند خروجه مصراً على المعاصي والدماء وغيرها يقول: اللهم إنك تعلم أني قد خرجت مصرّاً على معاصيك، وارتكاب نهيك من الدماء وغيرها وقد وقعت في هذا الموقف ولا يمكنني الفرار لأهلي مدبراً فأنا أستغفرك مما كنت مصراً عليه من معاصيك، وتائب إليك ودائن لك بأداء جميع ما يلزمني من قود في نفسي أو ما دون ذلك من قصاص في بدني

---

(١) إحدى القرى التابعة لولاية بُهلا .

أو فـي مالــي دينونــة صــدق مطهـرة مـن الغـش والمداهنــة طاعـة لله ولرسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) .

ثم قالت: والصواب عندي أن تتأهب للممات وتفك نفسك من جميع الحقوق اللازمات من الديون والقروض والصدقات ومن جميع ما تعلق عليك للعباد من النفقات، وكن متجرداً من الدنيا خفيفاً للقاء هادم اللذات، وتدارك ما ضيعته من الصوم والصلوات والحج والعمرة والزكوات، ومما حنثت فيه من الأيمان المرسلات والمغلظات، ولا تبق شيئاً أبداً بما لزمك من الواجبات فلا ينقص ذلك من رزقك ولا من عمرك أياماً ولا ساعات، وأما وصية الأقربين فأخرها إلى بعد الممات فإذا فهمت ما وصفت لك فانتبه من رقدة الغفلة وتيقظ من سكرة هوى النفس وأحكم الوصية إن عجزت أن تكون وصي نفسك وإلا فكن كما قال القائل - ولله دره – شعراً :

إذا ما كنت متخذاً وصيا فكن فيما فعلت وصي نفسك
ستحصد ما زرعت غداً وتجني إذا وضع الحساب ثمار غرسك

فإذا صرت بهذه المنزلة فإني أسامحك في الصداق الذي لا يحل النكاح إلا به إلى مقدار ما يجوز به النكاح وتسليمه متى ما استطعت والتوفيق بيد الله .

قلت لها : ألم تسمعي بأن أمير بني هناة سار إلى الجهاد والنجم على وجهه، وأسس برجاً بخامس من محرم وبخل بالطعام والشوكة على جيشه، وأخاف الأمر أن ينعكس حتى أكون في نكبته. فقالت: المرء يعبد ربه والمؤمن بسعيه. فقلت لها: إن الدار ماؤها قليل، فقالت : أما روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه كان يتوضأ بربع صاع من الماء

ويغتسل من الجنابة بصاع من الماء والناس يختلفون في الزيادة إلى أكثر من ذلك بمقدار ما يلزمهم في الشرع، وأما من قبل الوصية فرخص بعض من المسلمين للبائع والمشتري للخرج في الصبر القليل من غير وصية ولا شهادة فهذا على العادة ولا يهلك بهذا فاعله لأن الإنسان لا يقدر على الإشهاد في كل بيع ولا يجوز جبر الشهود لتأدية الشهادة من بلد على بلد لأن الشهود شهادتهم بخط أيديهم فلا يقبل العالم هذا ولا يجوز للحاكم أن يحكم بخط على ما سمعت الشيخ ناصر بن أبي نبهان، وكل إنسان أقر بشيء لأحد أو صحت وصية لأحد وحازها الموصى له في حياة الواصي ورضي له بإحرازها في حياته فهو أحق بها وكذلك الذي اشترى أموالاً وكتب له واستوجبها ولم يقر بها لشركائه أو للذين أرسلوه ليشتري بها لهم فهي له .

لفظ عقد الزواج (الملكة) :

قال صاحب ذي الغبراء : فقصدت أنا والمرأة عند أوليائها وقلت لهم: إن هذه المرأة رجعت نفسها واقبلوا عذرها وأنكحوني إياها، ثم أقبلوا إليها بالكلام. فقالت لهم : نجامعكم ولا نتبدل عنكم ما زلتم مجتهدين على قيامي ومصالحي وزوجوني بهذا البعل .

فقال أحدهم : اقرأوا فاتحة الكتاب إلى تمامها ، وقام أحدهم ليخطب فقال لي : أتتزوج بهذه المرأة التي هي عندنا ؟ قلت له : نعم ؛ فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمُتقين ، ولا عدوان إلاَّ على الظالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم عليه وعليهم أجمعين .

ثم إني أشهدكم أيها الجماعة الحاضرون فاشهدوا بأني قد زوجت فلان بن فلان الفلاني هذا ويشير إليه بيده بفلانة بنت فلان الفلانية، زوَّجته إياها بإذن وليها على حكم كتاب الله المنزل وسنة نبيه المرسل وعلى إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وعلى حسن العشرة لها وجميل الصحبة عندها وعلى الإحسان إليها ورفع الإساءة عنها وعلى صداق عاجل وآجل فالعاجل منه كذا وكذا يؤدي ذلك إليها أو إلى من يقوم مقامها والآجل منه كذا وكذا صداقاً آجلاً مؤجلاً ديناً منسياً لها عليه إلى أن تبين منه عن حكم الزوجية بوجه حق زوجته إياها وأملكته عصمة نكاحها بإذن وليها فإن قبلها زوجة له على هذين الصداقين وعلى جميع هذه الشروط المذكورة في هذا العقد فكونوا عليه من الشاهدين .

كذا يا فلان نشهد عليك أنا والجماعة الحاضرون بأنك قد قبلت فلانة بنت فلان زوجة لك على هذا الصداق العاجل والآجل وعلى هذه الشروط المذكورة وقبلت لها على نفسك بجميع ذلك. نعم فإن قال نعم ثم قل له قل قد قبلت فلانة بنت فلان زوجة لي على هذا الصداق والشروط المذكورة وقبلت لها على نفسي بجميع ذلك .

تم التزويج والمسلمون على شروطهم ، فإن لم توفِ بالشروط ، فما عذرك عند الله ، وعند من أخذته بشرط ، وهذه الأشعار من قِبل عبد الله بن حميد :

يا من أراد حلوله في سيفم	فليتركن الدين في وادي العلا
من أجل لا طهر بها لرجالها	ونسائها من دلو بير محملا
والحرب فيها قائم في ساقه	بمدافع وبنادق متعدلا

بتدمر الأفلاج والخشي الـذي ترك البواسق في البوادي منثلا
وبنوا البروج على الشرايع حيث أن الضرب في هام الأعادي والطلا
للـه در النائبـات فإنهـا تلد العجائب يا لها في ذي الملا
كم أقصمت من أسمنت وأهدمت ما قد بنت وفرقت متكملا
فلطالما منحت أناساً درها فأتتهم بفطام مر ما حلا
وبرتهم من حيث كانت ألطفت وتقطع الأسباب دأباً أولا
يا ويح من يأمن مكائد مكرها كالعسل ممتزجاً بسم مقتلا
ارفق بنفسك صاح إنك ميت ومحاسب عن ذرة أو أقللا
واشكر إلهك بكرة وعشية في السر والضراء شكراً أجزلا
واعبده واترك ما سواه فإنه رب تبارك اسم وتجللا
واخش الدسائس من شرور شرارها صاح وخف غضب العلي أن
فحقيق ما شيء علا في سمكه أبداً لغير هبوطه متسفلا
وإذا بليت بريبة فاصبر لها فالعسر ممزوج بيسر معجلا
والحرب صبر كله لا يجتنى ثمراته إلا امرء مترجلا

وله أيضاً :

ثارت جيوش الجوع ترمي سمها فتصيبنا صبحاً بها أو رائح
وكذا البطون كأنها من خبثها عير يشدد رحالها متكالح
صبراً فإن الحرب مر طعمها لن يدرك العليا فتى متمايح
وكذاك أوله فتاة غضة تضني الجهول بحسنها ومدائح
حتى إذا طال المقام به غلا عادت حلاوته عجوز كالح

ولـه أيضاً :

قامت جيوش الأرز لم يوجد لهـا	من عصبـة من آل لحـم والسمـن
وتصادمت جيش العوال وجيشهـا	وتخالفت بهم الضرايـب والطعـن
وأطاع جيش الأرز ملح مجـراش	مع به ماء لا صدا له في ذا الزمن
فتصادم الجيشـان فـي وقت معـاً	وانـهد جيش اللحـم منهزمـاً علـن
وفنـاه رب العرش لـم يوجد لـــه	أثـر بدار الحـرب كن رجل فطـن
وأقام جيش التمـر طالـب ثـــأره	فأبـاد جيش الأرز دوران الـزمـن
وتفـرقت تلـك الجيـوش جميعـهـا	متبـددات فـي الفيـافـي والـحـزن
والحمد لـلـه الـذي أنـجـانـا مـن	شـر أقـوام أبـادهـم الـزمـن

وله أيضاً :

لولا حشيمة شيخنـا وأميرنـــا	مـا شلت القرب ونـحـن نـنظـر
شلـت ولا نـظـــر ولا أمـر لـنـا	وقـلوبـنـا مـن أجلـهـا تـتـفـطـر
لولا لمحسـن شلـهـا عدنـا لــه	بالبيض والسمـر العوالـي تبتـر
لـكـن لـــه فـي القـلـب ود كـامـن	عند الرضـا والسخط لا يـتـغيـر
نـفديـه بـالأمـــات والآبـا مـعـــاً	مـا لاح بـرق أو أطابـت أعصـر

هـذا النـاظم عبـد الله بـن حميـد ، وهـو مشـهور فـي زمانـه بـالقوة والشجاعة والكرامة ، ولـه نظر فـي الرأي والعلوم ، وقـد ذكـر شيخه في الأبيات فمدار أمرهم ورأيهم عليه وهو قادم في الجيش، لسبب حق الجار وعمار الديار ومعزة الأبرار، وأما المذكور محمد بن خميس في النثر لأني رأيته أهلاً للتشمير ولا يخـاف فـي الله لومـة لائـم ومعه دلالـة بعلم الحـرف

والفلك، يقتل عدوه من حيث لا يراه ، وإن قلت هذا رجل قصير القامة لا تدخله في الحقارة ، وانظر إلى قول الشاعر :

لا تحقرن صغيراً عند سطوته إن البعوضة تدمي مقلة الأسد

قصص هادفة :

اعلم أن الصياد يأخذ القليل ولا ينظر إلى الجل الكثير، فخذ من زمانك ما حصل فإن فيه البركة والقوة، وإن طلبت ألف رجل وحصل لك رجل منهم فاتخذه عندك دليلا ونوراً.

وهاك قصة عن أهل بلد سار منها رجالها حيث دعتهم حاجة إلى بلد أخرى فجاء الخصم وهجم على دارهم، وكان قد حضر في دارهم رجلان غريبان فتشمرا للقتال ونصرهم الله على الهاجمين لتلك الدار.

وفي قصة أخرى قوم نزلوا على حلة سكانها قليلون وكان في تلك الحلة من الغرباء ثلاثة رجال فقاتلوا القوم وأخرجوهم من الدار.

وقوم دخلوا قرية فضاربهم رجل مستتر عنهم بتفقهِ وأخرجهم منها وبرح معه القتلى، والسمعة للإنسان عطية من الله لا بقوة الأجسام، فكثير من الناس لهم أجسام قوية، ودخل في قلوبهم العجب كرجل قال لا يقدر عليه أحد فسلبه رجل مثله، ورجل آخر قال يصيب الكسب والتأسير الهبل من الناس فسلط الله عليه قوم وأخذوه أسيراً مرتين. والمرء عليه أن يقتبس بنوره ولا يعمل بقول الناس والملوك، لأنه قيل استفتِ عقلك وإن أفتوك وأفتوك هذا في أهل العلم فكيف المثل في أهل الجهل، لأن كلام المسلمين فيه أمور واحتمالات، فلا تكن كأصحاب الملك الذي سرى

بجيشه وأمر خدمه ليضربوا المتخلف عن قومه فلدغت أفعى رجلاً ولم يقدر أن يمشي فقتله الخدم .

ورجل آخر ابتلي بعاسوق الرأس فقتله الخدم، ورجل آخر انطلق بطنه وقعد للنجو فقتلوه.

ورجل نزل الألم بعينيه فلم ينظر فقتلوه فنظر الملك خصمه وأسرع في السير فنزل القطر عليهم وسال الوادي، فالملك وبعض من أصحابه جاوزوا الوادي وقاتلوا خصمهم فقتل هو ومن معه، وبعض من أصحابه حملهم الوادي، وبعض منهم لم يطيقوا أن يجوزوا الوادي فرجعوا بالجبر.

وملك آخر غضب على قومه وأحضرهم في مجلسه فأقبل عنده رجل من أصحابه يريد أن يخرج من مقامه فلم يعذره فقال الرجل للملك: أعطني أنظر رداءك. فأعطاه إياه ولف به جسمه فبال وتغوط فيه ثم قال للملك: اسمح لي بالخروج حتى أوصل الماء فأرجع. قال له: لا يكون هذا. فاطرح الرداء في حجر الملك ثم أمر الملك بقتل الرجل فجذب الرجل سيفه وقال: رب الملك حط عني الفرائض مع نزول البول والغائط والملك لم يرض بذلك فلا طاعة له عندي على معصية الخالق ثم قتل الملك وقتل الرجل، ورجل دخل السوق فلمسه صبي في عجزه متعمداً فأعطاه درهماً لذلك ففرح الصبي بالعطاء فمس رجلاً آخر في عجزه فقتله.

ورجل آخر اشترى مالاً فحسده رجل فرده عليه ثم قُتل الحاسد فبيع ماله بالنداء فشراه الرجل الأول فنقص نصف ثمنه.

ورجل معه ابنة وأراد أن يزوجها ابن عمه، فلم تمتثل لقول أبيها

فقهرها رجل بالليل برضاها فصاحت البلد عليهم فسجنت وما خرجت من السجن إلا وابن عمها ممتلك بها.

وينبغي لأمير الجيش أن يكون لطيفاً بأصحابه لا يكون كالأمير الذي سرى بجيشه ولم يعذر من تخلف عنه ورجل من أصحابه تقدم على الأعداء وقتل فيهم ولكن في الليل المظلم ضل الطريق ولم يعلم بالملك في أي مكان فرجع إلى داره فأمر الملك بقتله.

ورجل انكسفت رجله ورجع يمشي على يديه ورجليه إلى بيته فأمر الملك بقتله.

ورجل حازه عند القتال أعداؤه فرجع إلى وطنه فأمر الملك بقتله فأعداؤه خير له من أميره.

ورجل رمد فأقام عند أصدقائه فحين برئ رجع إلى بيته فأمر الملك بقتله، وآخر عثرت به ناقته وانكسرت يده فرجع إلى بيته فقتله الملك، ثم كتب الملك لبعض رعاياه أريدكم ناقل السلاح فجاء إليهم كلهم فهجم على دارهم عدوهم وسبى نساءهم، وخرب أفلاجهم وهدم بنيانهم فرجع القوم إلى دارهم ولم ينفعهم أميرهم ولا أخذ لهم بثأرهم، فتباً لمثل هذا الملك وأولى للمرء أن ينتقل من داره عن بلائه وعلى المرء أن ينظر في أموره بعقله لا ببصره كما قال الشاعر:

لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها إذا لم تكن للمبصرين بصائر

ثم قال: لا تبع ثوبك الذي لبسته ولا تفتخر بعيشك الذي أكلته ولا تكفي[1] بالماء الذي في سفرك حملته ولا تعاهد على شيء لم تملكه وتعلو

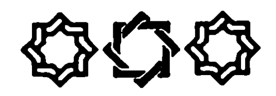
(١) أي : تهرق .

عن منزل أنزلته وأحذرك عن قصة الرجل الذي باع مرجلته (شجاعته) بتشتيت شمله وهلاك قومه وبسبب البيع هلك جيرانه فعمدوا على مؤالفة الأسود فأطعوموها من طعامهم وسقوها من مائهم، فأفرست في خصمهم وأحرست منازلهم كالنجوم تهوي ملئت حرساً شديداً وشهبا والمعتدي إليهم يجد له شهاباً رصدا فمن أسس بنيانه باللعب والكذب انقطعت مفاصله من الركب كرجل قصد إلى أمير وعوراته ليس عليها ستر فأعطاه الأمير الكسوة وحملّه إلى بيته الطعام والدراهم وقال أنه كسبه اللصوص فشهد عليه أصحابه مع أميرهم أنه افترى فلان على الأمير فلان فجلده أميره حتى خر مغشياً عليه.

ورجل آخر اشترى رطلاً من السمن فمكث شهراً يأكل منه فلما طالبه البائعون بالثمن بخل على نفسه أن يؤدي ثمنه فرده إلى أصحابه ما نقص منه أوقيه وهو كثير المال.

وآخر قال لقومه إن حمارته تقطعت في الجبال وماتت وأراد منهم النفع فعمدوا على نفعه فبعد ثلاثة أيام رجعت الحمارة إلى بيته، ومن بخل بماله اشتد حرصه كرجل اشتهى في مرضه تمراً فطلبه وكثير من التمر في بيته خلفه لورثته، ومن قصته شرى شيئاً من الحلوى ومكث سنة فطلب صاحب الحلوى الثمن فرجع إليه بالحلوى بعينها.

وآخر يضرب به المثل في حرصه لماله وفي آخر زمانه جعل وليه في ماله، ووصيه من بعد موته أمير الظلمة فنهبه في حياته وظلم ورثته بعد مماته ، نسأل الله السلامة لنا ولكافة المسلمين .



الذكر السابع والخمسون :

فيه رسالة ونجم بو ذنب ، وفراسة خسوف القمر ، وفي معرفة أهلة الشهر ، وفي البرق والرعد والسيل والسحاب وقوس قزح ونجوم الشهب والوجبة ، وفي القمر والشمس والنجوم والخسوف والكسوف والسموات والأرض ، وفي محل الجنة والنار والرياح وأدلة للحروف والأوفاق ، وعزيمة الزورة ، وتحويرة للذهيبة والمرأة

رسالة من ذي الغبراء :

قال ذو الغبراء : وصلني هذا البيان من بعض الأخوان، وقد كنت أستعين بهم في سابق الزمان، وهذا كلامهم بعد السؤال عن الحال والمال، وأنا لم نزل في الجفاء من أيام أبينا اجتمعن على تقديمه عليكم فنبذتموه وراء ظهوركم، فانتقل من أوطانه إلى الباطنة في دار الغربة فلما خاف على نفسه وأولاده رجع إلى داره وسلمه الله من أعدائه، ثم اعتمدتم وتعاهدتم على قتله هو وولده ولا ذكرتم في إحسانه وقد زوجكم ببناته وبنات أولاده وأنتم تناهيتم عن التزويج عنا في حياته وبعد مماته، فتزوجنا من غير العشيرة وبارك الله في نسلنا وكثرت شوكتنا، فدخل قلوبكم الحسد والعداوة والبغضاء إلينا، فاجتمع رأيكم على قتلنا وهدم بيوتنا وأخرجتمونا عن الأوطان نتردد في البلدان، وكلما تعلقنا بأحد من الناس لينصرنا عليكم ونسلك في طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في دخول بلدنا عن غربتنا توجهتم إلينا بأشد الخصام، أما هذا

عندكم من الظلم والضلال، ودراهم الفقراء التي على أيدينا أخذتموها من يدي الدلال وأمرتم سلطانكم ليجعلنا في الأنكال والأغلال كالأنذال، وقلتم لنا أن تكون منزلتنا كمثلكم فهيهات أن لا يكون منا لكم ما ترجوه لا يكون الجنب اليمين كالشمال ، ولا يكونا الشمس والقمر مثل الكواكب الذي تخنس ، ولا بيت المقدس والكعبة مثل سائر المساجد ، فكيف هذا ؟ وقال ربنا : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[1] ، فأين عقولكم عن الكتاب، فكيف الجواز عند الجمع والحساب فحينئذ : ﴿ لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ ، وعليكم السلام .

فقال : تصفحت هذه الملغزات وهم ابتدأوا بالسلام والرد عليهم فريضة لازمة فيه على الإسلام ولكن هذا بعد التحية والإكرام نقصد في إيجاز الجواب، فوالدكم هو السابق المتقدم بالفضل على الجميع وأنتم بخلاف عن سيرته في حياته وبعد مماته، وفي القصاص أنتم أحق به ولا عليكم مانع فجبنتم وعفوتم وذكرتم أنه نكح بناته بقربانه فذلك متبع لكتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) ، وأما أنتم من بعد والدكم خالفتم الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وقادكم الشيطان على متابعة الهوى والأنفس ، وغرتكم الدنيا حين أمدكم الله بالنعم في الأموال والأنفس ، فبالجار تغشمتم ، وبالأقارب تعسفتم ، وأرحامكم بدمائهم سفكتم ، أما قال ربكم في الذين يسعون في الأرض فساداً : ﴿ أن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2] .

---

(١) سورة النحل : ٧١ .

(٢) سورة المائدة : ٣٣ .

وفي قولكم أنكم تريدون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا تقولون بأفواهكم ما ليس في قلوبكم، لأنكم نزلتم سابقاً في منزلة أهل الأمر فملتم إلى الفساد وظلم العباد،والذين تطمعون منهم وتتعلقون بهم فقلوبهم شتى، والذين تخافون منهم فأمرهم شورى بينهم، وينفقون أموالهم لأبناء السبيل ولضيفهم فأعلى الله كلمتهم وسد خللهم، وأنتم كشفت عوارتكم بهتك أموركم، وأظهرتم الخيانة في الوصية التي أوصى بها والدكم لأولاد أولاده في الماء الذي للفقراء ، أما سمعتم لقول الله تعالى : ﴿ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ﴾ (١) ، ونبذتم الحق وأهله فسلط الله عليكم من لا يرحمكم وما من ظالم إلا سيبلى بظالم ، وما الله بظلام للعبيد ، والمنزلة التي للإمارة وجدناها لغيركم ، وأردنا منكم الاجتماع عن الاشتاع والاتصاع ، فجوابكم لنا : أنكم أهلاً للقوة ولعزة الأنفس لكم تصح بالسيف والخدعة ؛ قلنا لكم : هذا من قول الله تعالى : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ﴾ (٢) ؛ وقلنا لكم بقول الشاعر ، حيث قال في نظمه لهذا المعنى :

إذا أكرم الرحمن عبداً أعزه ... فلن يقدر المخلوق يوماً يهينه
ومن كان مولاه العزيز أهانه ... فلا أحد بالعز يوماً يعينه

فذكرناكم بهذا الكلام فقست قلوبكم عن الموعظة، وكشفنا لكم القريحة فما زادكم إلا نفورا واستكباراً في الأرض، وكل إنسان لم يقبل النصيحة وخالف أهل الحقيقة خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران

(١) سورة البقرة : ١٨١ .
(٢) سورة آل عمران : ١٦٠ .

المبين ومثوى المتكبرين ، وإني أسأل الله السلامة لي ولكافة المسلمين ، آمين يا رب العالمين ، وكتبه صاحب ذي الغبراء ، الذي ذهبت أيامه وقرب أجله .

قال : فلما جن الليل رأيت نجماً في السماء له ذنب فسألت صاحبي عنه قال: اعلم أن حوالي دائرة الشمس كواكب مربوطة تظهر في الدوارنية كل كوكب له صفة ولا تظهر إلا في بعض السنين فإذا ظهرت وكان رأسها إلى جهة من الجهات فيكون في تلك الجهة عمارة وراحة وصلح وخير ونعمة والجهة التي يكون إليها الذنب تكون فيها خراب وشر وفتنة وحدوث أمور ردينة وحدوث موت .

وفيه بيان آخر : أن مع الشمس كواكب لها أذناب بعضها طويل وبعضها قصير فإذا بدا منها كوكب في برج من البروج وقع في أرض ذلك البرج بلاء وشر وخلع الملوك وإذا رأيت الكوكب أحمر معه كواكب صغار تتبعه وهو ليس على مجرى النجوم وينتقل في السماء من مكان إلى إلى مكان وهو ضخم شبه العيوق، فإن ذلك يدل على البلاء والفتن وقتل العظماء والحرب بين الناس والكواكب ليس هي من السبعة الكواكب فإذا طلع ومكث ثلاثين يوماً شعلت الأرض كلها حرب وفتن، وإن مكث خمسة عشر يوماً، فإن ذلك يكون في نصف الأرض، وإن مكث عشر ليال، فإنه يكون في ثلث الأرض وتبدأ الفتن من الوجه الذي يطلع فيه هذا الكوكب، وهو ذو ذنب وهوأعظم نجوم الأذناب .

فراسة خسوف القمر :

قلت له : أخبرني عن فراسة خسوف القمر يرى بالعين لا بالتفسير

فيه على الأشهر ولا على البروج والاتصال والانفصال. فقال: اعلم أن خسوف القمر يكون على كل مائة وسبع وسبعين يوماً أو ثمانية وسبعين يوماً أو تسعة وسبعين يوماً فإن كان خسوفه من الأعلى إلى الأسفل يكون كل شيء غالياً وتكون شدة بين الناس، وإن كان خسوفه من الأسفل على الجاه يكون كل شيء رخيصاً وتكون سنة رخيصة في كل شيء ونعمة ورخاء بين الناس، وإن كان خسوفه من جانب القمر إلى الغربي تكون فتنة عظيمة بين الناس، وإن كان خسوفه من جانب الشرق من القمر تكون حروب عظيمة وعداوة بين الناس، ثم اعرف فراسة الخسوف من تغير ألوان القمر، فإن اسودّ فإنه يكون ظلم كثير ورياح عاصفة وأهوال في الهواء وأمراض يابسة، وتموت الدواب الوحشية ويقع في الناس جوع شديد ومخاوف وأفزاع كثيرة ومكر، وإن اسودّ بخضرة احترقت الزروع ويبست الفلاة وقل الكلأ وأجدب الناس جدباً شديداً ووقعت الحروب وسفكت الدماء وأوجاع قاتلة من الطاعون والودشكين والجدري والحصبة والذبحة، وإن اسودّ بصفرة وقع في الناس الحميات وأوجاع الكبد واليرقان والحرارة وتغيرت السماء واصفرّت الزروع وهلك الطير والماشية، وإن كان أسود بغبرة حدث رياح عارضة ويكثر الهواء والظلم وأفسد التراب والغبار حمل النخل والشجر وفيما بين السماء والأرض غبار متكور ووقع لذلك مرض شديد ووباء مهلك للعامة، وإن كان أغبراً يصير إلى الشيب فإن ذلك يدل على على حدوث قحط مجدب ويبيض الأرض من الثلج الجامد ويقع برد مفرط وتموت الدواب والوحش من اليبس والله أعلم .

اعلم أن القمر إذا خرج من الكسوف وتخلص من طبق الظل والظلم كان كالميت الذي ترد عليه روحه والجنين الذي يخرج من بطن أمه ومن

ظلمة الرحم وضيقه إلى سعة الدنيا وضوء نورها، وأما الشمس فكسوفها على خمس سنين ولا يكون إلا في سبع وعشرين أو ثماني وعشرين أو تسع وعشرين، وأما القمر خسوفه في أيام البيض من الشهر.

وفي كسوف الشمس يصل الناس فرادى وفي خسوف القمر يصلوا الناس جماعة اقتداءً بسُنة [١] رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فإذا رأيت القمر خسف أو الشمس كسفت فلا تعمل في ذلك اليوم عملاً ولا تسافر ولا تقابل الملوك ولا تستفتح فيها عملاً ولا تدبر فيها حرثاً ولا تبن فيها بنياناً فمن تجنب فيها نجا ومن وقع فيها غوى وهلك وتجلب الفقر والبلاء وتذهب الأموال والرجال[٢]، ويصلح وقت الكسوف والخسوف من أعمال الشر كالبغض والتفريق والفتك وعقد اللسان وكل أمر مكروه .

وإن أردت الزيادة في التفسير على الأشهر والبروج فاطلبه من الأثر، وإن أردت تعرف أهلة الأشهر المقبلة فاجعل خامس كل شهر أوله للسنة المقبلة اليوم الذي دخل فيها خامس الشهر هي أوله وهذا أسهل في الحساب. اعلم أن صفر وجمادى الآخر ورجب والقعدة ادخلهن باليوم الثاني التي في شهر المحرم وربيع الأول وشعبان والحج أدخلهن باليوم الرابع من محرم وربيع الآخر ورمضان أدخلهن باليوم السادس من محرم وجمادى الأول وشوال باليوم السابع الذي دخل به محرم انظر في هذا وقد كتبته كما وجدته مؤثرا، والله أعلم بغيبه.

<u>في السحاب والرعد والبرق وقوس قزح والوجبة :</u>

قال: وجدت هذا السؤال فعجبت به وأردت أدخله في هذا الباب وهو

---

(١) بل السنة أن تكون الصلاة جماعة في الكسوف والخسوف بلا فرق بينهما .

(٢) كل ذلك مما لا يصح اعتقاده بل جاء في حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما يرده .

عن الشيخ مسعود بن أحمد الأزكوي نظماً يسأل الشيخ الفقيه خميس بن سعيد الرستاقي ، على سبيل المذاكرة لا على سبيل الامتحان ، قال شعراً :

ماذا يقول الفيلسوف الأكيس ... الزاخر البحر الخضم القلمس
في البرق أما شمته في عارض ... ماذا وماذا الرعد صوت يهجس
والقطر هل في المزن يثري كائناً ... أم لا أفدني منك قولاً يؤنس
وهل السحاب على الهواء مسخر ... وكذاك قوس الله إذ يتقوس
والشهب إذ قال المهيمن أنها ... خلقت رجوماً للذي يتخلس
هل هي ترميه معاً عن نفسها ... وتعود أم منها شهاب يقبس
والوجبة اللاتي تجيء بعيدها ... ما هي ما تأويلها يا فيلس
وكذاك بدر الأفق مع شمس الضحى ... والزاهران أفلن أين المكلس
وكذا الخسوف مع الكسوف أما هما ... رأياً أفدني يستقر الخندس
وإذا اعتلى النقصان بعد وفوره ... بدر الدجى ما هو حيث العسعس
وكذا الطباق السبع مع أضدادها ... هل بينهن تباين وتنافس
والنار والجنات أين محلها ... والذاريات إذا ذرت تتنفس
ماذا جوابك في الذي أمليته ... فاقلع لنا أصلاً له تستغرس
وافض لنا من بحر علمك إذ طمى ... جوداً فأرض الجهل قاع أملس
واغفر عوار النظم جوداً تجتل ... ثمر الغراس إذا استطاب المغرس
وعليك ما ابتلج الهدى تسليم من ... أضحى بفضلك مستقيماً يدرس

الجواب : والله الموفق للصواب ؛ أما المسئول فغير بصير بفنون هذا السؤال وينكل عن شرح بعضه ولكن ترك الجواب مجلبة للعتاب، وأذكر من هذا طرفاً من بعض ما أثره العلماء الأولون والفقهاء

المتقدمون وأسأل الله الإعانة والتيسير لقضاء حاجتك من أخ العجز والتقصير، فأقول والله المستعان والمسؤول ببليغ المقصود والسؤال أما البرق والرعد والسحاب والمطر فقد تكلم فيه بعض الحكماء المتقدمين الذين يقولون بالطبائع وقدم الصنائع، وأرجو أن أكثر ما قاسوا فيه بما يشاهدون ببصائر القلوب واعتبار العقول وما جرت به العادات عند اعتبار المشاهدات إذا أراد الله تعالى تكوين سحاب أو مطر أو ضباب تحركت الحرارة والطبيعة إلى أصول الجبال الشامخات والفيافي الواسعات والغيطان المتتابعات والأنهار الجاريات والأبحر الزاخرات، فثار منها بخار رطب وبخار يابس ثم يرتفع البخاران في الهواء قليلاً قليلا وتدافعه الرياح إلى الجهات، ثم ينتصب أغصان من أعلى الجبال الشامخة إلى أن ينتهي إلى برد الزمهرير والزمهرير في اللغة هو البرد الشديد ويتصل من أسفله مادة البخارين فلا يزال البخاران يكبران ويغلظان ويتداخل أجزاء البخارين بعضهما في بعض حتى يثخن ويكون منه سحاب مؤلف متراكم.

فإن ارتفع السحاب إلى برد الزمهرير أنضجت أجزاء البخار الرطب بعضهما إلى بعض وصار ما كان غالباً عليه اليبس ندياً، ثم تلتئم تلك الأجزاء المائية بعضها إلى بعض وتعلت وجعلت تهوي راجعة من العلو إلى السفل فيحدث حينئذ فيها المطر فإن كان البخار الرطب بالليل والهواء شديد البرد منع أن يصعد ذلك البخار في الهواء وجمد قريباً من وجه الأرض فيصير من ذلك الندى والضباب والطل والقطر الصغار وربما تولد منه الثلج ويكون نزوله إلى الأرض برفق ولم يكن على وجه الأرض وقع شديد لقرب السحاب من الأرض ولعسر تخلله من السحاب كما يكون لغيره من المطر الغزير في الفصول المعتدلة الهواء كأيام الربيع

والخريف، وإن كان الهواء أشد رقة وأصفى جواً كان السحاب أكثر تضعيفاً وأثخن طبقات وارفع انبساطاً إلى أعلى وأغلظ تكايفاً إلى أسفل وربما انصب منه قطر كبار وإن عرض لها برد مفرط في انحدارها جمدت وصارت برداً قبل أن يبلغ الأرض وربما استدلوا على قولهم هذا وقاسوا فيه بتصعيد المياه وتقطيرها كتصعيد الماء ورد والحل [1] وبيوت الحمامات وما شاكل ذلك .

وأما البرق والرعد فإنهما يحدثان في وقت واحد ولكن البرق يسبق إلى الأبصار قبل وصول الصوت إلى المسامع لأن الضوء روحاني والصوت جسماني وعلة حدوثهما ما ذكرنا من صعود البخارين الرطب واليابس إذا اختلطا في الهواء والتقيا واحتوى برد الزمهرير على البخار الرطب إذا اختلفا في الهواء والتقا واحتوى برد الزمهرير على البخار الرطب وطلب المخرج دفعه قبض برد الزمهرير عليهما وضغطهما وانحصر البخار اليابس في جوف البخار الرطب وانخرق البخار الرطب وتفرقع من حرارة الدخان اليابس كما يتفرقع الأشياء الرطبة إذا احتوت عليها النار دفعة واحدة وحدث من ذلك قرع في الهواء واندفع في الجهات وانقدح من خروج ذلك البخار اليابس الدخاني البرق كما يحدث من دخان السراج المطفي إذا أدني من سراج المشتعل ثم يطفئ وربما يذوب ذلك البخار ويصير ريحاً ويدور في جوف السحاب ويطلب الخروج فيسمع له دوي وتقرقر كما يسمع في الجوف المنتفخ ريحاً وربما يشف السحاب دفعة واحدة فيكون من ذلك صوت هائل كما يحدث من الزق المنفوخ إذا وقع عليه حجر ثقيل فشقه .

---

(١) أي : الزيت .

ومن نعم الله ورحمته وألطافه ورأفته وكرمه وحكمته أن جعل حركة البرق وصوت الرعد من شأنهما الصعود إلى فوق ولولا ذلك لأحرق البرق ما على وجه الأرض ولصعق البشر والحيوانات من صوت الرعد ولكن جعل شأنهما طلب العلو وإذا علت تفرقت في الجهات الواسعة وخف وقعها عن الأبصار والأسماع، وإن كان السحاب قريباً من الأرض وبنواحيه جبال ترد انتشار الضوء والصوت وربما حدث منها بعض القوارع والفزع وربما أحرق البرق ما لاقاه من وجه الأرض وربما أضر صوت الرعد ببعض المسامع .

وأما القوس الذي يرى مقابلاً للشمس في طرفي النهار فقالوا: إنه إشراق الشمس على آخر السحاب الرطب الواقف على الهواء، وانعكاس سعله عنها منه إلى ناحية الشمس ومن أجل ذلك لا يكون إلا في الجهة المقابلة للشمس شرقاً كانت أو غرباً ولا يكون القوس إلا منتصباً وأما أصباغه التي ترى فقالوا أنه على كيفية الطبائع الأربع من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وفصول الزمان الأربعة الصيف والخريف والشتاء والربيع والأركان الأربعة الهواء والماء والأرض والنار والمشابهة الأخلاط الأربعة التي هي الصفراء والسوداء والدم والبلغم، وكلما كانت أصباغ القوس أزهر وأبين كانت دلالتها أقوى على ترطيب الهواء وكثرة العشب والكلاء وزيادة ثمرة الشجر وحب الزرع فيكون ظهورها ورؤيتها كأنها بشارة قدمتها الطبيعة للناس والحيوانات لا كما تقول العامة إن الحمرة تدل على إهراق الدم في تلك السنة، والصفرة تدل على الأمراض والزرقة تدل على الجدب والخضرة تدل على الخصب على قلتها وكثرتها يطون دلالتها، وأما ترتيبها الطبيعي فإن الحمرة تكون في

أعلى القوس والصفرة دونها والخضرة دونها والزرقة دون الخضرة فإن جاء مخالفاً لهذا فلعلة حدثت في الكون أو يحدث.

(وأما في قول عبد الرحمن ناصر بن أبي نبهان : إن القوس يكون من مطر خفيف يقابل الشمس من جهة أخرى في وقت يكون في الهواء سحاب مانع أن يتجلى نور الشمس فيه من كل جهة والدليل على ذلك أن تأخذ ماء بفيك وتستقبل الجهةالمقابلة للشمس لا الجهة التي فيها الشمس وتكون أنت في ظل واقفاً قائماً وأمامك نور الشمس ووراء ذلك النور ظل وبينك وبين ذلك الظل ماء فتنفر بذلك الماء بقوة في الهواء أعلى من الماء حيث الشمس فيه بحيث أن يتفرق الماء كالرمل صغاراً فيتصور القوس بجميع ألوانه وقد صح ذلك وجربناه مراراً . انتهى كلامه) (١) .

وأما الشهب التي جعلها الله رجوماً للشياطين ، فما وقفنا لها على أثر في آثار السالفين ، والعلماء المتقدمين القائلين بتأثير الطبائع لأنها لم تكن في زمانهم ، وإنما جعلها الله آية من آياته ، وعلامة لظهور نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ومعجزة من معجزاته ، كما قال الله في سورة الجن : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً {٨} وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً ﴾ (٢)، وسنبين ذلك في موضعه إن شاء الله ، مع قول علماء الإسلام ، وما أثروه في ذلك من الكلام .

رجعنا إلى قول القائلين بالطبائع : وأما الشمس فقد قالوا أنها تضيء على نصف الأرض أبداً حيث كانت ويستتر هذا القطر من الأرض

---

(١) أدرج هنا ذو الغبراء كلام الشيخ ناصر بن أبي نبهان ، وليس هو من أصل جواب العلأمة الشقصي ، وهكذا كل ما يأتي في هذا الجواب ، فهو من إدراجه .
(٢) سورة الجن : ٨ ـ ٩ .

النصف الآخر عن الضوء الذي كانت تشرق على النصف الذي يلي الشمس فتكون ما طلعت عليه الشمس نهاراً وما سترت بقطرها عن نفسها من ضوء الشمس ليلاً فكلما دار النهار دار الليل معه كل واحد منهما ضد صاحبه، فكلما زال واحد، زال الآخر معه فالليل والنهار يبتدئان الإقبال من المشرق إلى المغرب ثم يسيران على مسير الشمس فيسبق طلوع الشمس على أول الأرض طلوعها على آخرها باثنتي عشرة ساعة وكذلك الليل، وأما القمر فلم أجد لهم فيه أثر.

وأما قولهم في علة الكسوف فقالوا إن جرم الأرض وجرم القمر كل واحد منهما أصغر من جرم الشمس صار ظلهما مخروطاً، والمخروط يعنون الذي أصله جسيم غليظ ثم ينخرط قليلاً قليلاً حتى يصير ضئيلاً دقيقاً فظل الأرض تبتدئ من سطحها ويمتد في الهواء منخرطاً حتى يبلغ إلى فلك القمر ويمتد في سمكه حتى يبلغ إلى فلك عطارد مثل قطر الأرض مائة وثلاثون مرة، فيكون في سمك الهواء منه بستة عشر جزءً ونصف وفي سمك القمر مثل ذلك، ويكون قطر هذا الظل حيث يمر القمر في مقابلته للشمس مثل قطر جرم القمر مرتين وثلاثة أخماس، فإذا اتفقا أن تكون الشمس عند إحدى العقدتين اللتين يسميان الرأس والذنب فيكون مرور القمر في سمك الظل كله ممنوعاً عنه نور الشمس فيرى منكسفاً ثم يخرج من الجانب الآخر وينجلي وأما ظل جرم القمر فيبتدئ بسطح جرمه ويمتد منخرطاً في سمك فلك بعضه والباقي في سمك الهواء ويقطعه حتى يصل إلى وجه الأرض، فإن اتفق اجتماعهما عند إحدى العقدتين والقمر محاذٍ لأبصارنا ولجرم الشمس، فمنع عنها نورها فيراها منكسفة إذا كان القمر في غير هذين الموضعين، أعني الاجتماع والاستقبال ولكن يكون

إحدى الموضعين أقرب فإن كان قربه إلى الاجتماع أكثر كان رأس ظله مخروطاً في سمك الهواء وإن كان إلى الاستقبال أقرب كان رأس ظله مخروطاً في سمك فلكه أو في سمك فلك عطارد، وأما رأس مخروط ظل الأرض فإلى درجة المقابلة لدرجة الشمس إن كانت من فوق الأرض فظل الأرض فوقها وإن كانت بالمشرق فظل الأرض إلى ناحية المغرب وإذا صارت بالمغرب صار الظل إلى ناحية المشرق وهذا دأبهما دائماً حول الأرض وهما الليل والنهار فهذا ما قال أهل الطبائع .

وأما نقصان القمر وتمامه فقالوا إن نور القمر هو مكتسب ومجتلب من نور الشمس فإذا كان تحتها لم يبق له شيئاً من النور فإذا انصرف عنها وأخذ في الابتعاد منها يبادر إلى الطلوع عند غروب الشمس فهنالك يتم له النور في نهاية الكمال ثم جعل يقرب قليلاً قليلاً فكلما قرب منها نقص من نوره بقدر ذلك إلى أن ينتهي إلى حد الاختفاء هكذا دأبه في كل شهر .

وأما الجنة فقالوا إنما هي في عالم الأرواح الذي هو كله صور روحانية وحياة محضة وراحة ولذة وسرور وغبطة لا يعرض لها الكون والفساد ولا البلا ولا التغير دار الحيوان والقرار والاستقرار يقصر الوصف عن إدراك معرفة ما فيها من النعيم المقيم .

وأما النار في عالم الأجسام دائم في الكون والفساد والتغير والاستحالة والبلى يقصر عن إدراك وصف عذابها الواصفون .

وأما الرياح فقالوا إنها ليس شيء سوى يموج الهواء بحركته إلى الجهات الست كما أن أمواج البحر ليست شيئاً سوى حركة الماء وتدافع

أجزائه إلى الجهات الأربع؛ لأن الهواء والماء بحران واقفان غير أن أجزاء الماء غليظة ثقيلة الحركة، وقالوا أسباب حركة الهواء هو صعود البخارين إذا مرت الشمس مسامية لبعض البحار والبراري والقفار أثارت من البخار بخاراً رطباً ومن البراري دخاناً يابساً وأصعدتها بحرارتها في الهواء فيدافع الهواء بعضه بعضاً إلى الجهات ليتبع المكان للبخارين الصاعدين إلى أعلى كرة النسيم فإذا انتهت إلى برد الزمهرير بردت ومنعها عن الصعود إلى فوق وعطفت عند ذلك راجعة إلى أسفل وتدافعت إلى الجهات الأربع فكانت منها الرياح المختلفة .

والرياح كثيرة التصاريف في الجهات الست وجملتها أربعة عشر نوعاً وأمهاتها أربع وهي على عدد أركان الكعبة وهي الصبا والدبور والشمال والجنوب فمهب الصبا ما بين مطلع بنات نعش ومطلع سهيل والجنوب، ما بين مطلع سهيل إلى مغيبه، والدبور ما بين مغيب سهيل ومغيب بنات نعش والشمال ما بين مغيب بنات نعش ومطلعها، وأما ما كان يدافعه إلى هذه الجهات تسمى نكبا وهي ثمانية أنواع، وأما التي تهب من فوق على أسفل ومن أسفل إلى فوق فمنها ريح الصرصر وريح الزعزع ومنها الريح العاصف، وأما تصاريفهما في الجهات فمنها ما تسوق الغيم من سواحل البحار إلى البلدان البعيدة والبراري المقصودة بها كما يساق الماء في السواقي من الأنهار إلى المواضع البعيدة، ومنها ما يكون ما يولد الأسقام والأدواء للحيوانات والثمار والنبات ومنها ما يكون لشفاء السقيم من ذلك ومنها ما يكون لإصلاح الكون من الفساد ولها تأثيرات عظيمة يطول بشرحها الكتاب غير أنا قد ذكرنا لك طرفاً من ذلك من غير شرح لعلمنا بفهمك وبقوة درايتك فهذا ما قاله القائلون بتأثير

الطبائع في عناصر العالم .

وأما ما أثره علماء الإسلام المستخرجون للمعاني من آيات القرآن والقائلون بالظاهر فقالوا في البرق اختلاف فقال بعضهم: أنها محاريق من نور بأيدي الملائكة يزجرون به ويؤلفون به بعضه إلى بعض، والرعد زجر الملائكة السحاب كما يؤلف الراعي الغنم بالعصى ويزجرها بالصوت ليجتمع بعضها إلى بعض، وبعض لعله قال إن البرق نور وضياء يصحب السحاب لنديته بغلبته على الماء، وأما الرعد فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، أنه قال : " إن الله ينشئ السحاب فيضحك أحسن الضحك وينطق أحسن النطق وضحكه البرق ونطقه الرعد " ؛ وقال ابن عباس : الرعد اسم ملك ومسكنه السحاب، والصوت المسموع هو صوت تسبيحه " [1] ، كما قال تعالى : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ [2] ، وقيل : الرعد وعيد من الله فإذا سمعتموه بادروا إلى التوبة إلى الله والاستغفار والإقلاع عن المعاصي، وقال بعض المتوهمين أقولاً غير هذه .

وأما القطر من السحاب فبعض قال إن الله جعل السحاب خلقاً مائياً رطباً فإذا أراد الله أن ينزل في موضع من المواضع سخر لهالرياح الأربع لتعصره ليحتال منه الماء ويسقط على الأرض، وبعض يقول يحدث الماء في السحاب حين نزوله لا قبل ذلك كما تحدث النطفة في الفحل حين الجماع لا قبل ذلك يحدثه الله حيث يشاء وليس هو كالحليب يجتمع في الضرع، وفي بعض الأخبار عن وهب بن منبه أن الأرض شكت إلى الله أيام الطوفان الذي أغرق قوم نوح لأن الله أرسل الماء إلى الأرض بغير

(١) أورده القرطبي في تفسيره : ج٩ ، ص٦٧ .
(٢) سورة الرعد : ١٣ .

وزن ولا كيل فخدش الأرض وخددها فقالت يا رب إن الماء خددني وخدشني فأوحى الله إليها أني سأجعل للماء غربالاً والغربال المنخل فلا يخددك ولا يخدشك فجعل السحاب غربالاً للمطر .

والسحاب مسخر بين السماء والأرض جعله الله علامة للغيث يخرج منه الماء كما يخرج الحب من النبات والثمار من الأشجار والنار من الحطب والأولاد من الأرحام حكمة منه ورأفة ورحمة.

(قال عبد الرحمن ناصر بن أبي نبهان : إن قول الحكماء هو القول الأول في تكون السحاب والبرق والرعد والمطر أصح من هذا القول الآخر، والله أعلم) .

انقضاض الشهب :

وأما انقضاض الشهب فيوجد في آثار أصحابنا (رحمهم الله) أن الله خلق النجوم على أربع منازل منها الخنس الجوار الكنس ومنها خلقها الله أعلاماً ليهتدى بها في ظلمات البر والبحر كالثريا والقلب وسهيل والفرقدين وأمثالها قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾[1]، ومنها زينة قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾ [2]، وقال : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ [3] ، فقيل : إن الشياطين كانوا قبل مبعث نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) يصعدون إلى السماء ويخيلون إلى أخدان لهم من الإنس ويخبرونهم بما يسمعون من أخبار السموات فيحدث به الإنس فيكون الأمر مثل ما أخبروا

---

(١) سورة الأنعام : ٩٧ .
(٢) سورة الصافات : ٦ .
(٣) سورة الملك : ٥ .

فيحيل الجهال إلى قول الكهنة ويصدقونهم فلما بعث الله نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) منع الشياطين من الصعود إلى السماء وجعل الله نجوماً رصداً فإذا صعد الشيطان انقض له شهاب من الكواكب ثاقب لا يخطاه أبداً إما أحرقه وإما قتله وإما خبله فلا يعود إلى ذلك أبدا وإنما يعود غيره مع علمهم أنهم لا يصلون إلى بغيتهم بل طمعاً منهم وتسويلاً من أنفسهم لينتقم الله منهم .

الوجبة :

وأما الوجبة التي يسمعها الناس فهو حس الشهاب في الهواء إذا انقض وعلى قدر عظمه يكون الصوت والله أعلم .

البدر :

وأما البدر وما خلق الله فيه من الزيادة والنقصان ، فهو علم جعله الله علماً للعباد ، ليعلموا عدد الأيام والسنين والأشهر لميقات الحج وحلول الدين وانقضاء العدد وأشباه هذا ، ولولا ذلك لالتبس على الخلق كثير من الأمور ولكن الله ذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

الخسوف والكسوف :

وأما خسوف القمر وكسوف الشمس ، فهما آيتان من آيات الله ، كما جاء عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، يوم مات ولده إبراهيم (عليه السلام) ، وكسفت الشمس ، فقال الناس : أصيبت الشمس لموت إبراهيم فروي أنه خطب الناس فقال (صلى الله عليه وسلم) : " إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا يخسفان لأحد من خلقه ، وإنما يُريكم الله من آياته لعلكم تذكرون " [1].

---

(١) البخاري : ١/١٠٠٩ ؛ مُسلم : ٢/٩٠١ ؛ وغيرهما .

السماوات والأرض :

وأما السموات والأرض فإنها سبع سموات طباق بعضها أعلى من بعض لا متحاذيات ولا متجاورات وكذلك الأرضون واقفة على الهواء بما فيها من الجبال والبحار وجميع المخلوقات التي فيها لا صاعدة ولا هابطة بقدرة الله تعالى .

الجنة والنار :

وأما الجنة والنار ففيهما اختلاف بين العلماء :

بعض يقول : أنهما مخلوقتان بما فيهما من أنواع النعيم والعذاب ويفنيان عند فناء الخلق .

وبعض يقول: إن كل شيء وعد الله تكونه فهو كائن لا محالة وكل ما هو كائن اتكانه[1] قد فرغ منه، وأما محلهما ففي أكثر القول إن الجنة في السماء السابعة والنار تحت الأرض السابعة ولهذا اختبار واحتجاجات يطول بشرحها الكتاب .

(قال عبد الرحمن ناصر بن أبي نبهان : إن العلماء اختلفوا في الجنة والنار هل هما الآن كائنتان أم سيكونان وأما أنها الآن في السماء السابعة فلا يصح لأن الجنان فيما يروى أنها ثمان وكل جنة منهن عرضها السموات والأرض أي عرضها جميع عرض السموات والأرض فهذا يدل على فساد ما قاله أنها في السماء السابعة وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾[2] ، وقال : ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ

---

(١) هكذا بالأصل .

(٢) سورة إبراهيم : ٤٨ .

بيَمِينِهِ ﴾[1] ، فدلالة هذه الآية كذلك ، والله على كل شيء قدير ، انتهى ما أخذته من لسانه) .

وأما الريح فلم أقف لها على أثر يستدل له على معرفة ذلك لعله قد غاب عني حفظي لكثرة اشتغالي غير أن الذي أقول من جملة القول من هذه الأشياء المذكورة أن الله تعالى خلق الأشياء بلطيف حكمته وعلمه، وإرادته ليري عباده آياته، ويتفكروا في مصنوعاته ويعلموا أن لها صانعاً صنعها، ومحدثاً أحدثها دليلاً على قدرته وشاهداً على ربوبيته، وحجة على صحة أزليته، فمن تفكر في الخلق عرف الخالق، ومن عرف الخالق أطاع وأناب ورجع إليه وآب وأقلع عن المعاصي وتاب، ومن تاب وأصوب أطاع لله ونجا وصار من أكرم خلق الله وجاراً لأنبيائه ورفيقاً لأوليائه في دار الرضوان التي لا يمسهم فيها نصب ولا لغوب، ومن لم يتفكر في الآيات وما يشاهده من لطيف إحكام المصنوعات، ولم يعرف الصنعة ولا الصانع ولا الحدث من المحدث، فيكفيه أنه بهيمة من البهائم أو سبع ضار غاشم، بل هم أضل وأخسر وأغفل وأجبر .

نسأل الله تعالى ، أن يلهمنا معرفته ولا يسلبنا نعمته، ولا ينسينا ذكره وأن يفتح أبصار قلوبنا إلى معانيه مع منهج رشدنا ولا يحرمنا حلاوة معرفته ولا ينسينا ذكره طرفة عين ولا أقل ولا أكثر إنه القادر على هذا وهو على كل شيء قدير. فإذا قرأت الكتاب فما رأيت فيه من خطأ فأصلحه، وما كان من خلل فاسدده، وما كان من عوار فاستره، وعليك مني وإخوانك أطيب السلام ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) .

---

(١) سورة الزمر : ٦٧ .

رجع : فقال : سمعت الجواب وفهمت فأخبرني عن القسيسين والرهبان ممن هما؟ قال: سمعت أن القسيسين والرهبان من النصارى والأحبار من اليهود.

قصص أخرى مفيدة :

فقلت لصاحبي: أخبرني بشيء من القصص التي تنفعني لإصلاح جسمي وديني، فقال: استمع ما أوعيه لك عن رجل ألبسه الله الهيبة والحشمة والسمعة في هذه الدنية فقيل له: بما بلغت هذه الدرجة وأنت لم تعمل عملاً ولا تعلمت علماً ولا صنعت حرثاً ولا قتلت نفساً ولا أكرمت ضيفاً ولا قاربت سلطاناً ؟

قال: نظرت الأحرف فوجدت عدها ثمانية وعشرين حرفا ففيها ألفة للمتباغضين وعدواة للمتآلفين، وكل حرف منها له ميزان فإذا عرفت موازينها وطبائعها من العناصر الأربعة المجتمعة مثل الإنسان مقسم أقساماً كل قسم منها له سبعة أحرف من الرأس إلى القدم، القسم الأول للرأس وما حوله فله أحرف النارية وهي سبعة : أ هـ ط م ف ش ذ ، وكل حرف منها له منزلة يعرف بذلك الحرف ؛ والقسم الثاني من الوداج إلى رأس الفؤاد وما بينهما سبعة أحرف وكل حرف منهما له منزلة يعرف بذلك الحرف وهي هذه : ج ز ك س ق ث ظ ، هي أحرف رياحية ؛ القسم الثالث من رأس الفؤاد إلى رأس الذكر وما بينهما سبعة أحرف مائية وهي هذه : د ح ل ع ر خ غ ، فكل حرف منها له منزلة يعرف بالحروف ؛ القسم الرابع من المقعدة إلى الأفخاذ والقدمين وما بينهما سبعة أحرف ترابية وهي هذه : ب و ي ن ص ت ض ، كل حرف منها له منزلة يعرف بذلك الحرف .

وأما أعمال الحيوان المختص بالماء جميعها من الأحرف المائية، وأما حيوان الأرض وما يختص بها من الأحرف الترابية، وأما أعمال حيوان الهوام والمواشي مثل السباع والضباع وما شاكلها من الأحرف الرياحية، وأما أعمال حيوان الهواء من الطير والجبال والملائكة جميع ذلك من الحروف النارية والمصادقة الموجودة في الحيوان لبعضها طبع ولكن الظاهر بينهما العدواة، فكان أوجب أن يكون المصادقة أولى فهذه بخلاف الطبع لأن الجميع يحسبهم جنس واحد وهي الحيوانية وذلك من خلاف اسلا[1] حروفهم لأن الأحرف النارية على مصادقة الأحرف الهوائية وكذلك الأحرف المائية على مصادقة الأحرف الترابية وكل من كان من هذه يصادق بعضها بعضا.

وأما المعادات بالعكس والمعادت الموافقة بين الحيوانات من هذه الأوجه والمصادقة، وكل من ظهر في هذا المقام أشرف على هذا النظام وجد هذه الرموز ونال في هذا المدار أوفر نصيب أو سعيد، البعيد والقريب فتارة يكون ملكاً علوياً بالفعل وتارة يصير ملكاً بالقوة، ثم العقل في الوجود ما يريد ويحكم ما يشاء وذلك أن الله تعالى سبوح قدوس مظاهر مطابقة الأحرف بالملائكة والحيوان، فأول ما تذكر ميزان الأحرف النارية والحيوانات المنسوبة إلى هذه فمن مما هو النور الملائكة لأن ألنور أصل النار والنار من النور والنور من النار لأن النور الشعاع بلا إحراق ذات جهات ستة ما ليس له انعكاس، والنار نور معكوس ذات جهات ست فإذا انعكس النور إلى المركز كان فعله ناراً وإذا انبسط على فوق المركز كان فعله نورا، فالنار طبعه الحريق والتسخين والدخان

(١) هكذا بالأصل غير منقوطة . ولم يبن لي معناها ، ولعلها : (أصلاً) .

وطرفها الأعلى نور، والنور طبعه بارد رطب لطيف ذات نور وشعاع يحترق في جميع الكثائف وكذلك السماوية النورانية الروحانية الملائكة الربانية الإلهية فهم سبعة جبرائيل له حرف الألف، ميكائيل له حرف الهاء، إسرافيل له حرف الطاء، عزرائيل له حرف الميم، روقائيل له حرف الفاء، صرفائيل له حرف الشين، سمكيائيل له حرف الذال فهذه الأملاك العلوية.

أقسام أملاك الجن :

وأما مظهر الأملاك السفلية الأرضية الترابية الشيطانية الرحمية الهوائية ملوك الجان وهؤلاء الأول المذهب من الحروف له الألف، برقان له حرف الهاء، الأحمر له حرف الطاء، زوبعة له حرف الميم، شمهروس له حرف الفاء، الأبيض له حرف الشين، ميمون له حرف الذال فهذه أقسام أملاك الجن.

الحيوانات الطائرة :

وأما مظهر الحيوانات الطائرة فالنسر له حرف الجيم، والعقاب له حرف الزاء، والباز له حرف الكاف، والباسق له حرف السين وما عداهم من الطيور له باقي الأحرف، وهي القاف والثاء والظاء تجمع أحرف أي طير شئت وتستخرج حرف الكعب وهو الاستنطاق وتمازج الحرف بالحرف وزناً وكذلك جميع الأسماء كلها يكون عملك ثابت .

حيوانات الماء :

وأما مظهر حيوانات الماء ...... [١] له حرف الدال ، والتمساح له

(١) فراغ بالأصل , مكتوب فوقه : (بياض) .

حرف الحاء ، وكذلك تركيب باقي الحيوانات من باقي الأحرف وهي هذه : د ل ع ر خ غ ، فتلك أقسام الحيوانات المائية .

الحيوانات الأرضية :

وأما مظهر الحيوانات الأرضية السبع له حرف الباء النمر له حرف الواو الذنب له حرف الياء الحية لها حرف النون وكذلك باقي الحيوانات من باقي الأحرف وهي هذه ص ت ض واتخاذ الجمادات من الأحرف الترابية.

وأما مظهر الياقوت له الأحرف الترابية الباء وكذلك باقي الجمادات من باقي الحروف الترابية وهي هذه ن ص ت ض وعليك بذكر الأعمال في موضعها.

وأما مظهر حيوان الإنسان فيضم في نفسه جميع الأحرف من الثمانية والعشرين لأن صورة الإنسان أكمل صورة الحيوانات وأعلاها وأظهرها وأعظمها وأقواها وأقدرا وأحيلها وأمكرها وأخيرها وأدبرها وأعقلها وأرشدها، وأحكمها وأنماها وأرداها هو سلطان العالم بأسرها علويها وسفليها وهو الذي أشرف على ما فوق الفوق وتحت التحت وذلك بإذن الله تعالى فجميع المعاني سائر في الخلق ناقصاً وفي الإنسان كاملاً وذلك كله إكمال الأحرف فيه ويقاسمها على وضع الموازيين الأحرف لأن الأحرف النارية لها ميزان يعرف به كم قوة كل حرف منها حتى يطابق لما فوقه ولما تحته وكذلك المخالفة أيضاً على وزن الأحرف وكل سبعة أحرف منها (١) مرتبة (٢) درجة (٣) دقيقة (٤) ثانية (٥) ثالثة (٦) رابعة (٧) خامسة ، فكل أربعة أحرف قوة تعرف بالجدول ، وهذا جدول

يعرف به كل حرف منها طبيعته وقوته وفعله في القائم العالم ، وهو هذا الاستنطاق :

لا	النارية	الترابية	الهوائية	المائية	الكعب	الاستنطاق
المراتب	أ	ب	ج	د	١٠	ي زحل
درجات	هـ	و	ز	ح	٢٦	كو مشتري
دقائق	ط	ي	ك	ل	٦٩	طس مريخ
ثواني	م	ن	س	ع	٢٢٠	كر شمس
ثوالث	ف	ص	ق	ر	٤٧٠	عت زهرة
روابع	ش	ت	ث	خ	١٨٠٠	غض عطارد
خوامس	ذ	ض	ظ	غ	٣٤٠٠	غغغت قمر

الثاني : يوضع على هذا الوضع وهو بسط : أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و هـ لا ي ، فالأعمال كلها جميعها على المقدم وهو الحرفي والثاني عددي وهو يسمى علم الأوفاق فهو علم عددي جزء من المركز العددي يركب حروفا أعداداً على بعضها، والحرفي هو نوعان نوع قد ذكرنا منه طرفاً كثيرة، ونوع يسمى بسط وتكسير مثال ذلك إذا أردنا عطف بين الذنب والغنم يجعل الذنب طالباً والغنم مطلوباً تبسط عدد حروفها وتأخذ حرفاً من الأول وحرفاً من الآخر تعمل به حتى يفرغ حروف المبسوط، وكذاك يعمل في باقي بسطه، وكذلك الانتهاء إن كنت في آخر السطر من الآخر مثل ما في البسط، وكذلك إذا أردت زجر الحيوانات مثل الحية والعقرب والسبع والذنب وكل ذي حيوان كاسر يؤذي كري اسم الحيوان واسم المنع والزجر وتبسط حروفها حتى

ينتهي البسط وتأخذ زويا البسط ٤ ومن الوسط حرفان، فإن كان البسط وتراً وإن كان شفعاً فمن الوسط حرفان فيجتمع طباعهما في الموافقة يعمل طبعاً موافقاً وفي المخالفة طبعاً مخالفاً مثاله إذا أردت المحبة بين الذنب والغنم يعمل حد ولا يعقله أحرف الثلاثة الأول اسم الذنب الثاني المحبة الثالث الغنم ، على هذا المثال : ذ ي ب م ح ب هـ غ ن م ، فالأحرف المستخرجة من الزوايا والوسط على هذا الجدول المتقدم .

ذ	ي	ب	م	ح	ب	هـ	غ	ن	م
ب	م	ح	ذ	ي	غ	ب	م	ب	هـ
ح	د	ي	ب	م	م	ب	هـ	غ	ن
ي	ب	م	ح	ذ	هـ	غ	ن	م	ب
م	ح	ذ	ي	ب	ب	م	ب	هـ	غ
ذ	ي	م	ح	ب	هـ	غ	ب	ب	م
ب	م	ح	ذ	ي	غ	ب	م	ب	هـ
غ	ذ	م	ب	هـ	ح	ي	ب	م	ب

قال : الوسط ستة أحرف وهي : ذ ذ م ح ب الطبع الأغلب مجملاً ذ ذ خوامس حرارة م م تعالى حرارة وحرف ح درجة برودة من رطوبة وحرف ب مرتبة يبوسة طبع الطبع حار يابس بهذه الهمل ١١٣ الاستنطاق بهذا العدد غقل الملك المتوكل بها غقلانيل البخور عود وفلفل التصرف هذا العمل إنك تعمد إلى لوح نحاس أحمر ترسم في وجه اللوح الرتابية المتقدمة في طالع الحمل والمريخ وفي وجه الآخر صورة ذنب وغنم معتنقان والذيب مسلم الغنم وعلى رأس الذيب مكتوب اسم الملك

غقلانيل وعلى رأس الغنم العدد وهو هذا عدد الغنم ١١٣ وكلاهما في دائرة محيطة بهما وفي جهات الدائرة الأحرف المستخرجة وتدفن اللوح في أرض المرعى الغنم، فإن الذيب والغنم تراهم مجتمعين وكذلك يكون في سائر الأعمال ولكن خذ اسم الذي تريده إن كان لزيادة العقل أو لزيادة نور العين فاجمع اسمك واسم المقصود وتوخ في أعمالك أن تكون الشمس في البروج الهوائية أو النارية فإنه أوفق وأليق .

وأما الضرب الوفق العددي فعلى هذه الصورة، مثال ذلك تريد تزويج واسم الرجل الذي تخطب من عنده اسمه علي والطالب اسمه محمد وتزويج أربعمائة وست وعشرين وعلي عدده مائة وعشرة ومحمد عدده اثنين وتسعون فجملة الجميع ستمائة وثمانية وعشرون ظهر من عدها مرتبة الزوج لا فرداً فرسمها وفقاً رباعياً وإن كان العدد فرد فرسمها وفقاً ثلاثياً أو خماسياً فافهم ذلك .

أول بيت ١٤٩	رابع عشر بيتا ١٦٤	احدى عشر بيتا ١٥٩	ثامن بيت ١٥٦
اثنى عشر بيتا ١٤٠	سابع بيت ١٥٥	ثاني بيت ١٥٠	ثالث عشر بيتا ١٦٣
سادس بيت ١٥٤	تاسع بيت ١٥٧	سادس عشر بيتا ١٦٦	ثالث بيت ١٥١
خامس عشر بيتا ١٦٥	رابع بيت ١٥٢	خامس بيت ١٥٣	عاشر بيت ١٥٨

وهذه كيفية الوفق وصفة عمله وهو رباعي أربعة في أربعة ، فذلك ستة عشر ، فأسقط منها الميزان ويبقى خمسة عشر اضرب في اثنين فتبقى الأربعة أعني نصف قطر الوفق الرباعي فذلك ثلاثون وهو الميزان وجملة عدد الأسماء ستمائة وثمانية وعشرون أسقطنا منها ثلاثين فتبقى ستمائة إلا اثنين قسمناها أربعة أرباع ولو كان الوفق ثلاثياً لقسمناها ثلاثة أثلاث بعد الطرح ولو كان خماسياً لقسمناها بعد الطرح خمسة أخماس ولو كان سداسياً لقسمناها بعد الطرح سداسياً على هذا إلى ما نهاية له فلما قسمناها رباعياً صار مائة وتسعة وأربعون وكسر ثلاثين أصلاً فالوفق رباعي وأدخل فيه بالربع وزده واحداً واحداً إلى أن يتم وأدخل الكسر في بيت الثالث عشر وهذه صورته :

ثم تأخذ من حروف أبجد إلى حرف الطاء ثم تنظمهما وتقسم بالقسم على الخادم ثم إن كان برجك الطالع في ذلك الوقت نارياً كان يدفن في النار وإن كان رياحياً يعلق في الريح وإن كان مائياً يدفن قريب من الماء في كراز أو غيره وإن كان ترابياً يدفن في التراب ثم تمضي في حاجتك تقضى إن شاء الله تعالى عدد بيوت الرباعي أوله الواحد وآخره السادس عشر على الترتيب المتقدم .

اعلم أن الوفق الثلاثي لا يدخل فيه الكسر والرباعي يصح فيه الكسر الواحد والاثنان والثلاثة، فإن صح فيه كسر اثنين وكان في البيت الثاني عشر أربع وعشرين ، وإن كان كسر

البيت الثاني ١٢	البيت التاسع ١٩	البيت الرابع ١٤
البيت السابع ١٧	البيت الخامس ١٥	البيت الثالث ١٣
البيت السادس ١٦	البيت الأول ١١	البيت الثامن ١٨

واحد اكتب فيه ثلاث وعشرين ، وإن كان الكسر ثلاثة اكتب خمس وعشرين في البيت الثالث عشر والكسر يجعل في البيت الثالث عشر فهذا اسم آدم عدد (٤٥٥) وفقه ثلاثي .

الشيخ ناصر وعِلم الأوفاق :

قال صاحب ذي الغبراء : لما قرأت في كتب الأوفاق ورأيت الاختلاف ، قصدت الشيخ العالم الفقيه ناصر عبد الرحمن بن أبي نبهان ، وسألته عن ذلك ، فقال : إن علم الأوفاق بحر عظيم الأكناف ، بعيد الأطراف ، وقد أطنبنا في شرحه في كِتابنا : " مستغرق الأشواق في عِلم الأوفاق " ، وخلصنا اللباب منه في كِتاب وجيز سميناه : " سراج الآفاق في عِلم الأوفاق "، وذكرنا أصول الوضع من أقسامه في كِتابنا : " طرف الألطاف والسر الخفي في شرح مربع شكل القاف الألفي " ؛ ثم نظمنا أرجوزة في عِلم الزيارج ، قسمناها أربعة أجزاء ، فالجُزء الأول منه : "الدر المنظوم في عِلم النجوم " ؛ والجُزء الثاني : " سراج الآفاق في عِلم الأوفاق " ، وهو عوض سراج الآفاق المذكور ؛ والجُزء الثالث كِتاب: " السر في وضع الجفر " ؛ والجُزء الرابع كِتاب : " الزيارج من سفر المعارج " ؛ ومجموع الأجزاء تسمى : "سفر المعارج في عِلم الزيارج " ، وجُزء أوفاق هذا الكِتاب المنظوم ، فمن شاء التبحر في هذا العِلم ، فعليه بهذه الكُتب ، وأما على الاختصار ، فهاك القول فيها :

فالوضع في أشكال الأوفاق على أقسام ، منها تكسيري يكسر في الوفق ما يشاء الواضع من آية أو أسماء ، أو حروف ، وما أشبه ذلك

فيفرقه في السطر الأول ويكرره في السطور فيتفق رسم ذلك من كل ضلع من كل جهة وقطر مثال ذلك في الرباعي كما ترى :

د	ج	ب	أ
أ	ب	ج	د
ج	د	أ	ب
ب	أ	د	ج

والقسم الثاني وضعي وهو الذي يوضع بالعدد وبأشكال الأعداد ويبدأ في كل وفق بالواحد ويمشي فيه بزيادة واحد إلى آخر بيوته وهو الوضع الطبيعي كما ترى :

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

٢	٩	٤
٧	٥	٣
٦	١	٨

فإذا أدرت كل واحد منهما على الجهات الأربع، صار على أربع صور: فما كان أوله في الجهة العليا فناري ؛ وما كان أوله على الجهة اليمنى فهوائي ؛ وما كان أوله في الجهة اليسرى فمائي ؛ وما كان أوله في الجهة السفلى فترابي .

بيان : وإن كان أول الوضع في الزوايا ، فما كان أوله في السطر الأول ، وهي الزاوية الأولى : فناري ؛ وما كان أول وضعه في آخر

السطر ، وهي الزاوية الثانية : فهوائي ؛ وما كان أول وضعه في أول أسفل الأضلاع كلها : فمائي ؛ وما كان في آخر السطر : فترابي ؛ ويصح التخالف بين الهوائي والمائي في الزاوية الثانية والثالثة ، فافهم .

بيان : ومثال الوضع في الوفق الرباعي :

١	١٠	٧	١٦
٨	١٥	٢	٩
١٤	٥	١٢	٣
١١	٤	١٣	٦

بيان : ومثال ذلك في الخماسي الوضعي الطبيعي يكون كما ترى :

١	١٩	١٣	٧
١٤	٨	٢	٢٠
٢٢	١٦	١٥	٣
١٠	٤	٢٣	١١
١٨	١٢	٦	٢٤

بيان : ومثال الخماسي الخالي القلب :

٢٢	٣٠	٩	١٠	١٦
٥	١١	١٧	٢٣	٤
١٨	٢٤		٦	١٢
١	٧	١٣	١٩	٢٠
١٤	١٥	٢١	٢	٨

بيان : وأما الوجه الضربي فهو على وجوه ، أحدها الضرب الطبيعي ويحتاج فيه إلى معرفة ميزان كل وفق ومعرفة ذلك على ثلاثة وجوه وجهان تعرفهما قبل وضعه والثالث بعد الوضع .

بيان : فأما الذي يعرف بعد الوضع فهو أن يجمل أعداد بيوت الضلع الأعلى وغيره من وضعه الطبيعي فما بلغ فأسقط منه عدد بيوت ضلع منه فما بقي فهو الميزان مثال ذلك الثلاثي فالخارج في كل ضلع من وضعه الطبيعي (١٥) ، فإن تطرح منها ثلاثة عدد بيوت ضلع منه يبقى (١٢) ، فهو ميزان الثلاثي في كل عدد .

ومثال الرباعي : فالخارج في كل ضلع منه من وضعه الطبيعي (٣٤) ، فإن تطرح منه عدد بيوت ضلع منه (٤) ، يبقى (٣٠) ، هو ميزان الرباعي .

ومثال الخماسي : فالخارج في كل ضلع منه من وضعه الطبيعي (٦٥) ، فإن تطرح منه عدد بيوت منه (٥) ، يبقى (٦٠) ، وهو ميزان الخماسي ، وعلى هذا فقس في جميع الأوفاق .

بيان : وأما معرفة ميزان كل وفق قبل وضعه ، فهو أن تجمع جميع بيوته ، وتنقص منها واحداً ، وما بقي فاضربه في نصف بيوت ضلع منه ، فما بلغ فهو الميزان ، وإن زدت جملة البيوت واحداً وضربته كذلك ، خرجت جملة طبيعة كل ضلع من وضعه الطبيعي .

مثال ذلك الثلاثي : جملة بيوته تسعة ، فإن تنقص بيتاً تبقى ثمانية ، فإن تضربها في نصف ضلع ، فضلعه (٣) بيوت ، ونصفها بيت ونصف ، فللبيت ثمانية ، وللنصف (٤) ، الجملة (١٢) ، هي ميزان الثلاثي ، وإن زدته واحداً تبلغ (١٠) ، فللبيت عشرة ، وللنصف نصفها (٥) ، تبلغ (١٥) ، هي جملة طبيعته وضعه الطبيعي .

ومثال ذلك الرباعي : جملة بيوته (١٦) ، فإن تنقص واحداً تبقى (١٥) ، وبيوت ضلعه (٤) ، نصفها بيتان ، فأعط كل منهما (١٥) ، تبلغ ثلاثين ، هي ميزان الوفق الرباعي ، وإن زدت إلى بيوته واحداً تبلغ (١٧) ، كل بيت منهما له كذلك تبلغ (٣٤) ، هي جملة طبيعته ووضعه الطبيعي الذي يخرج في كل ضلع منه .

ومثال ذلك في الخماسي : جملة بيوته (٢٥) ، فإن تنقص منها بيتاً تبقى (٢٤) ، ونصف بيوت ضلع منه بيتان ونصف ، فلكل بيت منهما (٢٤) ، تبلغ (٤٨) ، ولنصف البيت نصف (٢٤) ، تبقى (١٢) ، تضاف إلى (٤٨) ، تبلغ (٦٠) ، هي ميزان الخماسي ، ولو زدت جملة بيوته

واحداً بلغت (٢٦) ، فإذا ضربتها في بيتين ونصف ـ كما ذكرنا ـ تبلغ (٦٥) هي طبيعته كل ضلع منه من وضعه الطبيعي ، وعلى هذا فقس في جميع الأوفاق .

بيان : فإذا عرفت ذلك ، وأردت أن تضرب جملة عدد حرف ، أو حروف ، أو أسماء ، أو آيات ، وما أشبه ذلك ، وقد جملته بالجمل الكبير، فاطرح من الجملة أولاً ميزان الوفق الذي تريد أن تضربه فيه في وضعه الطبيعي ، فما بقي فاقسمه أجزاء على عدد بيوت أحد أضلاعه ، فإن كان المراد به في الثلاثي ، فاقسمه ثلاثة أقسام ، وخذ قسماً واحداً وضعه في أول وضعه من وضعه الطبيعي ، ثم امش منه بزيادة واحد في وضعه الطبيعي إلى آخره .

بيان : وإن كان المراد به في الرباعي ، فاقسمه بعد طرح الميزان الذي للرباعي (٤) أقسام ، وخذ قسماً واحداً وامش به من أول وضعه الطبيعي إلى آخر بزيادة واحد .

بيان : وإن كان المراد به في الخماسي ، فاطرح ميزان الخماسي واقسم ما بقي (٥) أقسام ، وخذ قسماً وامش به في وضعه الطبيعي من أوله إلى آخره بزيادة واحد ، وعلى هذا فقسْ في جميع الأوفاق .

٢١	٢٦	١٩
٢	٢٢	٢٤
٢٥	١٨	٢٣

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

بيان : مثال ذلك في الثلاثي في اسمه تعالى الله فعدد حروفه بالجمل الكبير (٦٦) ، فإن تلقي منه الميزان (١٢) ، يبقى (٥٤) ، فإن تقسمها ثلاثة أقسام ، يكون كل قسم (١٨) ، وهي التي تدخل في أول الوضع ، ويمشي فيه بزيادة واحد إلى آخره كما ترى، وهذا وضعه الذي مشينا فيه، وهو المُقدم رسمه في أول الفصل .

ومثال ذلك : في اسمه : عليم ، وعدد حروفه (١٥٠) ، فإن تطرح الميزان (١٢) من ذلك ، يبقى (١٣٨) ، فإن تقسم ذلك ثلاثة أجزاء ، يكون كل جُزء منها (٤٦) ، وهو الثلث ، وهو الذي يدخل في أول الوضع، ويمشي فيه بزيادة واحد كما ترى :

٤٩	٥٤	٤٧
٤٨	٥٠	٥٢
٥٣	٤٦	٥١

بيان : وللثلاثي وجه آخر ، وهو أن تقسم الجملة أولاً ثلاثة أجزاء ، وتأخذ جزءً منها وهو الثلث ، وتطرح منه ثلث الميزان ، وما بقي هو

الذي يدخل به ، فيخرج مثل الأول غير مُختلف .

مثاله : (١٥٠) ، فإن تقسمها ثلاثة أجزاء ، يكون كل جُزء (٤٠) ، فإذا طرحت منها ثلث الميزان (٤) ، تبقى (٤٩) ، وهي التي تدخل في أول الوضع ، على ما ذكرناه وصورناه .

بيان : وله وجه آخر ، لا يحتاج فيه إلى طرح الميزان ، بل تأخذ الجملة وتقسمها على (٣) أجزاء ، وتأخذ جُزءاً وهو الثلث ، وتدخله في القلب وهو الوسط ، وامش به بزيادة ما شئت ، إن كان بواحد أو أكثر ، إلى آخر الوضع ، ثم ارجع إلى الوسط ، وامش منه بالنقصان إلى أول الوضع ، كما مشيت بالزيادة .

مثاله : في اسمه تعالى : عليم (١٥٠) ، فالثلث (٥٠) ، هي التي تجعل في القلب ، فإن تمشي بواحد ، يكون كما ترى :

٤٩	٥٤	٤٧
٤٨	٥٠	٥٢
٥٣	٤٦	٥١

وباثنين يكون كما ترى :

٤٠	٩٠	٢٠
٣٠	٥٠	٧٠
٨٠	١٠	٦٠

وبعشرة يكون كما ترى:

٤٨	٥٨	٤٤
٤٦	٥٠	٥٤
٥٦	٤٢	٥٢

بيان : ولا يصح الكسر في الثلاثي جزماً ، وأما أن يكون مثلث الجهات على هذه الصورة ، فيصح كما ترى :

بيان : فإدخال الكسر في هذا يصح ، ويدخل في البيت الخامس من الوضع ، وتمشي منه بزيادة واحد إلى آخره ، وإذا انتهى الآخر ، يزاد أيضاً واحداً ، إذا كان الكسر الاثنين يدخل بنصفه وهو الواحد ، وأما إن كان واحداً ، فأسقط من الثلث الذي تدخل في أول الوضع واحداً ، وأدخل الكسر باثنين .

مثال ذلك : في عدد اسمه تعالى : ودود ، أو هادي ، أو اسم بدوح ، عدد ذلك (٢٠) فإن تطرح الميزان (١٢) تبقى ثمانية ، لا تنقسم ثلاثة أقسام ، اطرح منها اثنين وهي الكسر ، تبقى (٦) ، ثلثها اثنين ، وهي التي تدخل بها ، ويعمل به على ما وصفناه ، ويخرج كما ترى :

بيان : في اسمه تعالى : واحد (١٩) ، يبقى بعد طرح الميزان منه وهو (١٢) سبعة ، ليس فيها ثلث كسرها واحد ، يبقى ستة ثلثها اثنين ، فإن تطرح منه واحد ـ كما ذكرنا ـ ونضيفه على الكسر ، وتعمل به على ما وصفناه ، يخرج كما ترى ، وعلى هذا فقس كل عدد .

بيان : ومثال ما ذكرناه ، إن كان المراد بالجملة ضربها في الرباعي على ما وصفناه أولاً ؛ فمثاله في اسمه : مجيب (٥٥) ، فإن تطرح من ذلك ميزان الرباعي (٣٠) ، يبقى (٢٥) ، فإن تقسمها أربعة أقسام ، فلا يصح إذ ليس لها ربع ، فاطرح الكسر تجده واحداً ، يبقى (٢٤) ، ربعها ستة ، وهي التي تدخل بها في اول وضع الرباعي ، وتمشي فيه بزيادة واحد ـ كما ترى ـ فانظر فيه ، فإن أدخلنا في بيت الثالث عشر من الوضع الذي أتيناه فيه أولاً ، لأنه كان نصيبه (١٨) ، زدناه واحداً ، فصار (١٩)، وعلى هذا فقس .

٦	١٥	١٢	٢٢
١٣	٢١	٧	١٤
٣٠	١٠	١٧	٨
١٦	٩	١٩	١١

بيان : وللرباعي وجه آخر ، وهو أن تترك نصف وضعه الأول ، وتضرب في نصف وضعه الآخر ، وذلك أن تلقي من جملة العدد (١٦) ، وتدخل فيه بنصف ما بقي من البيت التاسع من الوضع ، وتمشي فيه بزيادة واحد إلى آخره ، وإن لم يكن فيه نصف فاطرح واحداً واقسمه ، وأدخل الواحد في بيت (١٣) ، ثم امش به بزيادة واحد إلى آخره ـ كما وصفناه .

مثال ذلك : في (٥٥) ، فإن تلقي منه (١٦) وهو الميزان النصفي ،

يبقى (٣٩) ، ليس لها نصف كسرها واحد ، يبقى (٣٨) ، نصفها (١٩) ، وهي التي تمشي بها في النصف ، ويدخل الكسر في بيت الثالث عشر ـ كما ترى ـ وعلى هذا فقس ، فيما قل عن طبيعته ، أو أكثر من العدد .

١	٣٠	٧	٢٧
٨	٢٦	٢	١٩
٢٥	٥	٢٢	٣
٢١	٤	٢٤	٦

بيان : ومثال ذلك في الخماسي ، في اسمه تعالى : الله عليم (٢١٦) ، فإن تطرح منها (٦٠) وهي ميزان الخماسي ، تبقى (١٥٦) ، لا تصح قسمها على خمسة أجزاء ، إذ ليس لها خمس كسر واحد اطرحه منه ، يبقى (١٥٥) ، فإن تقسمها خمسة أسهم ، يكن كل جُزء (٣١) ، وهي التي تدخل في أول الوضع من الخماسي ، وامش به منه إلى آخر الوضع بزيادة واحد ، كما ترى :

٣١	٥٦	٤٩	٤٣	٣٧
٤٤	٣٨	٣٢	٥٢	٥٠
٥٣	٤٦	٤٥	٣٩	٣٣
٤٠	٣٤	٥٤	٤٧	٤١
٤٨	٤٢	٣٦	٣٥	٥٥

فانظر فيه ، فإن الكسر أدخلناه في الخمسة البيوت الآخرة من الوضع، كما أنا أدخلنا الكسر في الرباعي في الأربعة البيوت الأخيرة من الوضع ، ولو كان سداسياً لأدخلناه في الستة .

وعلى هذا القياس في كل وفق ، ولكن من شرط البيوت الأخيرة من الوضع ، وهي بيوت الكسر ، إذا تركت وضعها وهي كعدد بيوت ضلع منه ، تجدها في كل ضلع من كل جهة وقطر بيت واحد غير موضوع ، فإذا وضعتهما وأدخلت الكسر فيها ، دخل في كل ضلع من كل جهة وقطر، والمُراد بالقطر هو ضلعه من الزاوية الأولى إلى الزاوية الأخيرة ، وقطر الثاني من الزاوية الثانية إلى الزاوية الثالثة ، وقد مضى تفسير الزاوية عند ذكر بيان طبائع الأوضاع ، فاعرف ذلك .

بيان : وأما الخماسي الخالي القلب ، فهو أن تطرح الجملة (٦٠ ، ٦٠) ، وتأخذ من كل ستين واحداً ، وما اجتمع فهو الذي يدخل به في أول وضعه ، ويمشي منه بزيادة المدخول به أولاً ، إلى بيت العشرين من الوضع ، فإن قد بقي من الجملة أقل من الستين فهو كله كسر ، فأدخله في بيت العشرين فوق نصيبي مما مشيت به ، وامش منه بالزيادة الأولى إلى آخر الوضع .

مثال ذلك : عليم (١٥٠) ، فإن تطرحه (٦٠ ، ٦٠) ، تأخذ من كل ستين واحد يكونا اثنين، ويبقى (٣٠) هو الكسر ، يخرج على ما وضعناه، كما ترى :

٧٤	٦	١٨	٢٠	٣٢
١٠	٢٢	٣٤	٧٦	٨
٣٦	٧٨		١٢	٢٤
٢	١٤	٢٤	٣٨	٧٠
٨	٣٠	٧٢	٤	١٦

فانظر إليه ، فإنّا أدخلنا (٣٠) في البيت العشرين من الوضع الذي أتيناه سابقاً ، وكان نصيبه من المشي (٤٠) ، والكسر (٣٠) ، صارت الجملة (٧٠)، ومشينا منه إلى آخر الوضع باثنين ـ كما سبق ـ فاعرفه، وله ضرب آخر ، يمشي فيه بزيادة واحد، ذكرناه في الكُتب التي ذكرناها .

بيان : والقسم الثاني من الضرب هو الضلعي ، وذلك أن تضع في الضلع الأعلى ما شئت من الحروف والأسماء والآيات ، وتمشي به إلى أول مرتبته بالنقصان ، ومنه إلى أول مرتبته بالزيادة ، ولكن الوفق الثلاثي لا بد وأن يكون الثلث من جملة الموضوع في الضلع الأعلى في القلب ، وإن لم يكن له ثلث لم يصح ، ثم وفقه من الزوايا ، ثم من بيوت الجهات على ما يوافق الجملة .

مثاله : في اسمه تعالى : ا ل ل هـ (٦٦) ، والثلث يخرج كما ترى:

٣٠	٥	٣١
٢٣	٢٢	٢١
١٣	٣٩	١٤

تجد المشي في مراتبه بثمانية، وخرج نارياً، فإن الـ (٥ ، ١٣ ، ٢١)، هي في مرتبة الأولى ، وكل شكل مراتبه على هذه أضلاعه ، وعقود كل مرتبة على عدة أحد بيوت أضلاعه .

مثاله : الثلاثي ، فمن بيته الأولى : (١ ، ٢ ، ٣) ؛ ومرتبته الثانية : (٤ ، ٥ ، ٦) ، ومرتبته الثالثة : (٧ ، ٨ ، ٩) .

بيان : في الرباعي ، فالأولى من (١) إلى (٤) ؛ والثانية من (٥) إلى (٨) ؛ والثالثة من (٦) إلى (١٢) ؛ والأخيرة من (١٣) إلى (١٦) ؛ ومثال ما ذكرناه في اسمه تعالى : عليم ، يكون كما ترى :

٧٠ ع	٣٠ ل	١٠ ي	٤٠ م
١١	٣٩	٧١	٢٩
٣٨	٨	٣٢	٧٣
٣١	٧٣	٣٧	٩

وعلى هذا فقسْ ، فقد كشفت لك ما يصح أن تقيس به في كل وفق ، وفي كل شكل عرفت وضعه أولاً ، ومن كان لا يحيط عِلماً بكيفية الوضع الطبيعي من ذات نفسه ، فلا بد من ضبط حفظه من الكُتب أولاً ، أو يحضره حين الضرب فيه لمن يشاء أن يضرب فيه ما شاء من الأعداد على ما وصفناه ، وإن ترد بقية الأشكال الأصولية كالسداسي، والسباعي، والثماني ، والتساعي ، والعشاري ، بغير شرح ، إذ هي داخلة فيما ذكرناه من الشرح ، فسنرسمها لك آخر الفصل إن شاء الله تعالى .

بيان : وأما إخراج عزائمها وأرواحها ، ففي ذلك طرق شتى ، وكثير

ممن اكتفى بأن يجعله جملة العدد المضروب حروفاً ، ويقدم الأقل على الأكثر عدداً من الحروف حتى ينتهي الألف ، فيقدم الغين المعجمة على رأيٍ من لا يجعل الشين المعجمة ، لأن منهم من زعم ذلك ، وكذلك يقدم على الغين حروف العدد الدالة على جملة الألوف ، ثم للغين ، ثم الأقل بعد الألف مما هو أقل عدداً منها ، ثم الأقل ، ويلحق بآخر اللفظ كلمة انييل ، وهي كلمة عبرانية ومعناها الله بالعربية ، فيكون هو الروحاني الذي تقسم عليه لقضاء الحاجة بالاسم المضروب جملة عدد في الوفق .

مثال ذلك : في عدد فاتحة الكِتاب بغير البسملة (١٠١٤٦) ، وذلك ستة وأربعون ومائة وعشرة آلاف ، فالحرف الدال على عدد جملة الألوف حرف الياء المثناة التحتية ، ثم الغين ، ثم القاف ، ثم الميم ، ثم الواو ، ثم كلمة ايبل ، فيكون : يغقموايبل .

ومثاله : في عدد آية الكرسي (١٣٦٧١) جيغخعاييل ، وإن كان جيغخاعاييل فهو وجه ، ليدخل الألف من العين المهملة ، لئلا لا يدخل مع ايبيل .

ومثال : عدد سورة الإخلاص من غير بسملة (١٠٠٢) ، وذلك ألف واثنان غباييل .

بيان : ومنهم من يلقي من العدد جملة عدد ايبل وذلك (٥١) ، ويلفظ بما بقي .

مثاله : عدد حروف اسمه تعالى الله (٦٦) ، فإن تلق (٥١) ، تبقى (١٥) ، فيكون هباييل ، وعلى هذا فقس .

بيان : وأما السفلي ، فمنهم من يكتفي بالعلوي ، ومنهم من يلحق

بلفظ العدد لفظة طوش ، أو بوش ، أو وش ، أو طبش ، فيكون هو الخادم السفلي ، كما يلحق بلفظة اييل في العلوي ، ومنهم من يسقط عدد كل كلمة من ذلك يريد أن يجعلها هي آخر الاسم ، كما يسقط في العلوي عدد لفظة اييل .

بيان : ومنهم من يسقط (٣٨) عدد كهيج بالياء المثناة التحتية والجيم، ويلحقه بلفظ ما بقي .

مثاله : في (٦٦) ، فإن تلق (٣٨) منه ، تبقى (٢٨) ، فيكون كحكهيج ، وإنما قدمنا الكاف على الحاء ، ليكون أخف في النطق به ، فاعرف ذلك وقس به ، وأما ما لا يحتمل الإسقاط ، فلا يحتاج إلى إسقاط .

طريقة القسم :

بيان : وأما كيفية القسم ، فهو أن تقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم إني أدعوك باسمك الله ، أسألك أن تسخر لي روحانية هذا الاسم ، يقضون حاجتي ، وإني أدعوك أيها الملك الروحاني العلوي النوراني ، الموكل باسم الله الأعظم ، اسمه تعالى الله ، يا هياييل ، أن تجيب دعوتي وتسخر لي الخادم السفلي كحكهيج ، يحضر معي ويقضي حاجتي ، بسر اسم الله الأعظم، اسمه تعالى الله، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، وصلّ اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، ويكرر القسم عدد الاسم (٦٦) مرة ، ويداوم على ذلك مع الدخن بما طاب شذاه وبشروط الرياضة ، حتى ينقضي المطلوب ، والله أعلم وبالله التوفيق .

بيان : وأما رسم ما بقي من الأشكال الأصولية التي ذكرناها ، فها هي

كما ترى ؛ والسداسي كما ترى :

١	٣٤	٢١	٧	٣	٢٥
٣٥	٣٠	٩	٢٨	٧	٢
٢٣	٢٩	٦	٣١	٨	١٤
٢٢	٥	٢٦	١١	٣٢	١٥
١٨	١٠	٣٣	٤	٢٧	١٩
١٢	٣	١٦	٢٠	٢٤	٣٦

والسُباعي كما ترى :

١	٩	١٧	٢٥	٣٣	٤١	٤٩
١٨	٢٦	٣٤	٤٢	٤٣	٢	١٥
٣٥	٣٦	٤٤	٣	١١	١٩	٢٧
٤٥	٤	١٢	٢٠	٢٨	٢٩	٣٧
١٣	٢١	٢٢	٣٠	٣٨	٢٦	٥
٢٣	٣١	٣٩	٤٧	٦	١٤	١٥
٤٠	٤٨	٧	٨	١٦	٢٤	٣٢

والثماني كما ترى :

١٧	١٠	١٥	٢٢	٤٦	٥١	٦٣	٤٥
٣	٢٣	٢٧	٣١	٣٥	٤٠	٣٩	٦٢
١٦	٤١	٥	٥٤	٥٩	١٢	٢٤	٤٩
٤٤	٣٧	٦٠	١١	٦	٣٥	٢٨	٢١
٤٧	٣٦	١٠	٥٧	٥٦	٧	٢٩	١٨
٥٢	٣٢	٥٥	٨	٩	٥٦	٣٣	١٣
٦١	٢٦	٣٨	٣٤	٣٠	٢٥	٤٢	٤
٢٠	٦٤	٥٠	٤٣	١٩	١٤	٢٠	٤٨

والتساعي كما ترى :

١٥	١٠	١٧	٨٠	٧٣	٧٨	٣١	٣٠	٣٥
١٢	١٤	١٢	٧٥	٧٧	٧٩	٣٩	٣٢	٢٨
١١	١٨	١٣	٧٦	٨١	٧٤	٢٩	٣٤	٣٣
٦٠	٦١	٥٤	٤٢	٣٧	٤٤	٢٠	٢٥	٢٤
٥٥	٥٩	٦٣	٤٣	٤١	٣٩	٢٧	٢٣	١٩
٦٢	٥٧	٥٨	٣٨	٤٥	٤٠	٢٢	٢١	٢٦
٥١	٥٢	٤٧	٢	٩	٤	٦٧	٧٢	٦٥
٤٦	٥٠	٥٤	٧	٥	٣	٦٦	٦٨	٧٠
٥٣	٤٨	٤٩	٦	١	٨	٧١	٦٤	٦٩

قد وصفنا كل شكلين من طبع ، وكل منهما على صوب غير صورة وضع قرينه فاعرفه سيلن ؛ وأما العشاري ، فها هو كما ترى :

٨٢	١	١٧	٢١	٢٢	٢٩	٧٤	٧٧	٩٧	٨٥
٣	٣٨	٣٠	٣٦	٤٣	٦١	٦٦	٧٠	٦٠	٩٨
٢٠	٣٢	٥	٩٤	٥٣	٤٩	٤٥	٥٧	٦٩	٨١
٢٥	٣٧	٩٥	٩٠	١٣	١٠	٨٩	٦	٦٤	٧٦
٢٦	٥٩	٥٥	١١	٨٨	٩١	١٢	٤٦	٤٢	٧٥
٧٣	٦٢	٥٤	٨٧	٨	١٥	٩٢	٤٧	٣٩	٢٨
٧٨	٦٧	٥٠	١٤	٩٣	٨٦	٩	٥١	٣٤	٢٣
٨٣	٦٨	٤٤	٧	٤٨	٥٢	٥٤	٩٦	٣٣	١٨
٩٩	٤١	٧١	٧٥	٥٨	٤٠	٣٥	٣١	٦٣	٢

بيان : فهذه الأشكال الأصولية المنسوبة للكواكب السبعة ، واختلف العلماء في نسبها للكواكب، مع اتفاقهم في البداية بأصغرها وهو أعظمها، وهو الوفق الثلاثي ، فمنهم من بدأ بزحل وأدرجها نازلاً فيها إلى القمر فانتهى فيه التساعي ، ورجع بالعشاري إلى الأعلى ؛ وعندي أن هذا رجوع منه عن مذهبه، معي أن الابتداء من القمر بأصغرها ثم صاعداً إلى فلك البروج هو الوجه الصحيح، فيكون الثلاثي للقمر والرباعي لعطارد ؛ وكذلك جاء عن الغزالي في نظم له نسب فيه الرباعي لعطارد ، فكأنه صح مع هذا الوجه ، والخماسي للزهرة ، والسداسي للشمس ، والسباعي للمريخ ، والثماني للمشتري ، والتساعي لزحل ، والعشاري لفلك البروج،

وكل شكل يتصرف به فيما نسب لكوكبه من الآثار والخواص ، وله من البخورات والعزائم والأسماء والآيات ما لكوكبه ، إلى غير ذلك .

بيان : وإن ضربت في وقف أسماء ممزوجة مثل فلان ودود فلان تأخذ حرفاً من المطلوب وحرفاً من الأسم وحرفاً من الطالب كذلك حتى يتم المزج وإن قصر أحد الأسماء عن الآخر فلا بأس وانظمه كل ثلاثة أحرف اسماً وزد آخره لفظة يال اوال وإن لم تزده فلا بأس فتكون هي العزيمة والمزج يكفي عن التكسير وإن كسرته بغير مزج مرة أو مرتين ونظمت أحد السطور كذلك جاز وأجمل جملة الأسماء بالجمل وامزج منها ملكاً علوياً على ما وصفناه، وأخرج منه خادماً سفلياً على ما قدمنا ذكره، في هذا الفصل ومعي أن البرهتية تكفي لجميع الأوفاق ولعلها أن تقرأ مع إخراج كل روحاني وخادم وعزيمة من الوفق تكون الحج وقد ذكرت لنا أنك تريد رسمه في هذا الفصل وهذا هو كما ترى .

وعن غيره تحويرة :

من أخذ خمس حصيات صغار بيضات، ويكتب في كل حصاة: اجهزط ، ثم يأخذ أربع حصايات خضرات ، ويكتب في كل حصاة : بدوح ، ثم يقرأ : ﴿ والسماء والطارق ﴾ ، إلى قوله تعالى : ﴿ إنه على رجعه لقادر ﴾ ، أربعين مرة ، ويقول في كل مرة : اللهم ارجعه إنك على رجعه لقادر ، وكرر القراءة في كل يوم إلى أن يرجع .

قسَم البرهتية :

بيان : وأما قسَم البرهتية الذي أردت رسمه في هذا الفصل لك ، فهو قسم عظيم ؛ قيل : أنه أنزله الملك زريائيل (عليه السلام) ، لآدم (عليه

السلام) ، في كِتابه : " سفر الحقائق " ، الذي أنزله الله عليه ، فيه جميع العلوم التي أردا الله إنزالها عليه فيه ، فكان مما فيه : هذا القسم والوفق الثلاثي الطبيعي: بطرزهج راح، وهو قسمه وعزيمته وسره وبه إظهار خواصه وآثاره وأسراره وهو المنزل من الأوفاق ورسمه ووضعه وهو أول الأوفاق ورئيسها وسيدها وأفضلها لأنه تنزيلي وما بعده من الأوفاق ومالها من الأوضاع فمستخرجة من وضعه بالقياس حتى صار علماً كثيراً وكل ذلك فكأنه كالشرح له فاعرفه وهذا القسم مصحّف بين الناس كثيرا حتى صار على نسخ كثيرة كلها باطلة؛ لأن الحق واحد وقيل إن أصحه هو ما رتبه الشيخ ابن جليل في منظومته التي أولها :

ألا أيها الأخ الذي ضل وابتلى بعلم هديت الآن بي فتأملا

وهي قصيدة طويلة تركتها وأخذت القسم منها وهو هذا أربع وعشرون كلمة كما ترى: برهتية كرير تفليه طوران مرجل بزجل ترقب برهش غلمش جوطير فلتهود برشان نموشلخ برهيولا كخطير بشكيلخ فرمز انغل ليط غياها كيد هولاء شمخاهير شمهاهير، تمت.

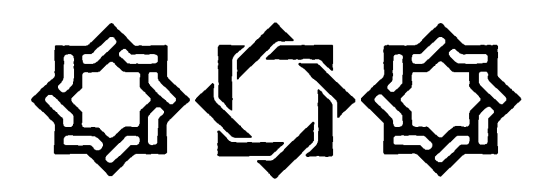
وقد وجدناها أيضاً على هذه الصفة في كتاب مقيد إعرابها وكثرة أحرف كل كلمة بالمفاعيل وزناً لها بها ثم يقيد بيان كل كلمة حرفاً حرفاً أنه مهمل أو معجم وقد تركت جميع الشرح وخلاصته أنه على هذه الصفة التي رسمناه لك ما لم يغيره أحد عن رسمنا بتناقل النسخ والله أعلم.

عزيمة الزورة :

بيان : وعنه في عزيمة الزورة ؛ تأخذ زورة من نخلة فحل ، طولها

قدر ذراع أو أكثر ، ويكتب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها {١} وأخرجت الأرض أثقالها {٢} وقال الإنسان مالها {٣} يومئذ تحدث أخبارها {٤} بأن ربك أوحى لها ﴾ ، أوحى لها ، أوحى لها ، أوحى لها ، أوحى لها ، أوحى لها ، أوحى لها ؛ وإن كُتب : ﴿ والطور ﴾ ، إلى : ﴿ وتسير الجبال سيراً ﴾ ، فهو أحسن ، وإن لم يكتب فجائز ؛ وإن كتب جميع ما ذكرنا ، يُكتب مفرداً حرفاً حرفاً ، وإن كتب بمداد أو بسكين جاز ، وإن كتب بغير بسملة : ﴿ والطور ﴾ ، جاز ، إلى : ﴿ وتسير الجبال سيراً ﴾ ، سيري أيتها العزيمة ، إلى سارق متاع فلان بن فلان ، ويكتب في طرف الزورة : إسرافيل وعزرائيل ، ويكتب عند قرب المقبض : جبرائيل وميكائيل ، ويعزم عليها بسورة يس ، إلى تمام : ﴿ وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ ، يعود يقرأها كذلك ، ويقول : سيري أيتها الجريدة إلى سارق متاع فلان بن فلان ، ولا تزال تكرر ذلك حتى تسير ، وفي أول الأمر تسير بغير قوة ، وتنتهي آخر الأمر تسير بقوة ، ومن حين يأمرها تسير حتى بغير قراءة ولا كتابة ، والله أعلم .

وعند كثير من الناس ، في أول الأمر يحتاج إلى أيام ، وعند بعضهم تسير معه في يوم واحدة ، أو أقل أو أكثر ، فاعرف ذلك ، وبالله التوفيق ، ونقلته من خط يده .



الذكر التاسع والخمسون :

فيه وصيته وإقراره بما في يده وذكر كنيته ونسبه، وفيه قصيدة من كتاب جامع التقسيم وكامل التفهيم في علة الجذام نعوذ منه بالملك العلام

رسالته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى حضرة أحبائنا الأعزاء ، من العمومة والأخوال ، وكافة النساء والرجال ، أعني بني عبرة وبني هطال، سلمكما الله من الآفات ، وأحلكم برضوى من الجبال الشامخات ، بمنّه وفضله من إحدى الكرامات ، التي هي في المقامات من أعلى الدرجات، فهنيناً لكم بالنهر الذي من بين الحجرين المخلوقات ، كأنهن آية من الآيات المعجزات، فما أحسن ذلك المكان للطهارات وغسل النجاسات، وبعد :

فإن سألتم عن محبكم، فقلبه متشوق إليكم وبالنظر إلى بلدكم، واليوم وصل إلى رسولكم، وأخبرني بالمرأة التي في بلدكم وأنها من أجمل نسائكم ولا بعل عندها وأنها تسمح بمالها لمن أراد أن يتزوجها، فأنا أريد أن أكون لباسها فالمراد منكم أن تؤلفوا بيننا عسى ربنا يتم علينا نعمتنا لراحة جسومنا وقلوبنا في آخر زماننا، وعليكم السلام من محبكم ذي الغبراء الذي سكن الحمراء وانتسب من بني عبرا وكتبه في الجمعة الزهراء في أول يوم من العشر الأخرى من جمادى الأول وخمس وخمسين ومائتين وألف من الهجرة .

الجواب :

فتقول : بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى أولياء الله ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فيا ذا الغبراء، وصل تعريفك وسرنا قولك وأخبرنا المرأة بكتابك وقلنا لها إن هذا من العمومة ويريد منا القربة وفي قلبه الرحمة، وعلى وجهه الهيبة والكآبة وشغله في طلب النعمة والراحة بالديانة وله رغبة في النساء بالمودة الكاملة الشبقية ونريد منك له تمام الكلام حتى نسره به بعد السلام فقالت الأمر إليكم وأنا مطيعة إلى رأيكم ولكني سأرجع البصر، وإن لي أختاً لأشاورها في هذا النظر ثم أقبلت عندنا أختها ورجعنا الأمر إليها وقالت في أول جوابها أما نظرتم إلى هذا الرجل بأنه كهل وعليه عيلة ومعه أولاد عليهم فظٌ غليظ القلب وإني رأيته قد ضاقت عليه الأرض ولا قدر على تأدية ما لزمه من الفرض، ورهن جسمه للدين والقرض فكيف وهو لا يملك محمدية ولا معه جلبة ولا نخلة وفي هذا القيظ قيل لي ليس عنده رطبة ولكن معه جيران وأخوان وأصحاب عطفوا عليه وعلى أولاده وتصدقوا عليهم مما يتفكهون به ويأكلون وكسوهم مما به يكتسون ومن هكذا خلله مستورة وفي قولكم أنه شبقي فيدل على سوء فهمه من كثرة شعره الذي في صدره وبطنه .

وأما قولكم كلمته مقبولة فجعلها أميره له من أجل كبر سنه لا من قوة ملكه، وأما التعظيم له والحشمة فسبب ذلك من رهطه وأنتم في ظنكم أن ذلك من معرفته، وأما كرامته لضيفه فهو كل فيه على أرحامه وأنتم تظنوه العيش[١] يخرج من بيته، وأما الهيبة في وجهه فمن شيونة[٢]

---

(١) أي : الأرز .

(٢) من الشين ، أي : الدمامة .

جبهته وكثرة ذنوبه ولو كانت هذه الهيبة من شجاعته لشهرت بذلك أعداءه وتلطفه للناس من حاجته لا هي من حسن خلقه وأخلاقه وقلتم اختاره لوكالة الفلج من قبل أمانته فيا عجباً منكم أما تنظرون إلى هؤلاء الأصحاب قد جعلوا الحداد صالحاً وكيلاً في مساجدهم أنزلوه مثله والحداد سيء الأخلاق .

فإن قلتم أنه فلكي وتصل إليه الناس تسأله في حوانجهم فقد سمعنا بذلك وإنه يسأل الصبيان المتعلمين عن أيام الجمعة في كل مسألة تحدث له، فالرجل العارف تكفيه الإشارة عن البحث والسؤال، ثم تصل إليه الخلق تسأله عن مسائل الشرع الذين عموا عنها فيجيبهم فيها، وقد أخبرني عنه أحد من العلماء أنه سأله عن مسألة وكررها ألف مرة ثم راجعه العالم وقال له كيف صفة المسألة التي علمتك إياها فجبن عن الجواب من قلة حفظه ، لا من كثرة ورعه، وأما بيته، فالغرفة بناها ولده، والكتب التي في الروازن[١] هي موقوفة والتي له سطورها كالدفاتر والخطبة المنقوشة المشهورة ليوم العيد بالزينة فإني سأخبركم عن نسخها وقرطاسها مع شيخه والصانع لها علي بن ناصر في جبل الكبير[٢] مع كثير من الإخوان المساعدين إليه وهو ضيف للناس، وأما رأس المال الذي في يده فأكثره لصهرته وابنها قد باعت بيتها وأعطته ليربح منها، فإن قيل أنه سعى في سداد العباد مراده ترك الفساد فأقول هذا من حسن سيرة أهل البلاد لما ذكر لهم إن ربك لبالمرصاد، فهذه تذكرة منا لكم وأخبروه به لئلا يراجعكم واذكروا له أن يبلغ سلامكم سيف اليعربي

(١) جمع روزنة : وهي الكوة في الجدار لوضع الأشياء .
(٢) أي : الجبل الأخضر .

الذي طلب الأمارة ونحن وإياه نلتقي في الأنساب اليمنية على ما قال في شعره الشيخ عمر بن مسعود بن ساعد المنذري ، في نسب الأزد بن الغوث شعراً :

تلتقي آل يعرب في بني عبرة ... بالأزد وابنا كركر
وبنو نبهان وابنا قيلة ... وبنو دوس وآل المنذر
وبنو الريس من نصر معا ... وبنو غسان زاد المقتر
وبنو الحارث يا ذا منهم ... وبنو الأيهم أهل المفخر
وكثير من بطون لهم ... وفخوذ منهم لم أذكر
كلهم بيت فخار وعلا ... ونجار في الورى مشتهر

وأما نسب معولة بن شمس بن عمر بن غانم بن عثمان بن نصر بن زهران وعبرة بن زهران الذي قال فيه الشيخ خلف بن عبدالله بن وادي الجعفري العبري رحمه الله تعالى في بيان النسب شعراً:

ومستخبر عنا وعن أصل فرعنا ... ومنبته قلنا له الحق أنور
مناسبنا كالشمس نوراً فعبرة ... ابن زهران يا ذا جدنا حين يذكر
وزهران يا هذا ابن كعب ابن حارث ... ابن كعب ابن عبد الله كالبدر زاهر
ووالد عبد الله ذو المجد مالك ... ابن نصر بن زهران أزد من سني الفخر
ووالده الغوث ابن نبت ابن مالك ... ابن زيد ابن كهلان بهم نحن نفخر
ووالد كهلان سبا نجل يشجب ... ابن يعرب قحطان أبوه الموقر
ووالد قحطان فهود ابن شالخ ... وهو نبي الله والله أكبر
فما غير هذا من حواب لسائل ... لدينا وهل يخفى الصباح المنور

وشبلا سبا كهلان يا ذا وحميـر　　أخو المجد بل كهلان في السن أصغر
فليس لـذي فضـل على ذا ولا يـد　　ولا باع ذا عن ذاك في المجد يقصر
ويلقى بنـو نبهان أبنــاء عبــرة　　بأزد ابن غوث من ندى الغيث أطهر
فـدونـك في أنســاب عبـرة درة　　تـكشـف أستـار الـفخـار وتـظـهـر

فلمـا وصـل عنـدنا هـذا الجـواب والأشـعار، قـرأه اليعربـي وأراد الانصراف والكف عن ذي الغبراء لأنه متزي بزي الرهبان وقد وقف عن كثيـر مـن المسـائل بـالتي عمـل بهـا العلمـاء، وأراد الـدخول فـي الأمـور الدنياوية وفنهاه المسلمون عن ذلك وطعن في العلمـاء، حيث لـم يروا في ذلك اليوم سبيلا فقلنا له أحسن الظن فينا وكل كلمة لها جواب عندنا، اعلم أن الإنسـان إذا كبـر، سنه قـل حظـه وظهـرت للنـاس عيوبـه والشـيب لـه رائحـة كمـا حكـي لنـا عن رجـل دخـل فـي مجلس النسـاء فـي الليـل فقالـت امرأة: أيها النساء عندنا شيخ وأتين نـاراً فلما وصلت النـار نظرن الشـايب في مجلسهن وكما قيل عن التاجر الذي هجا العجوز بالشعر وقال :

عجوز تـرجـي أن تـكـون فـتـيــة　　وقد لحب اللحيان واحدودب الظهـر
تـدس إلـى العطـار سـلـعـة بيتهـا　　وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

فأجابته ببيتين شعراً :

تعيرنـي بالطيـب والطيب طيـب　　وأطيب ما في بيتك الروث والبعر
ألـم تـر أن الـنـاب يجـلـب غـلـبـة　　ويترك فحل لا ضراب ولا ظهـر

وعن غيره :

إذا شاب رأس المـرء أو قل مالـه　　فليس لـه فـي ودهـن نـصيـــب

وقال رجل حين كبر سنه وقلت أمواله :

ختم التكاثر دهري كان يعطيني ... واليوم أضحى بدو الرعد يسقيني
والله إن صغرت شكواي أو كبرت ... ليس إلا أخير العصر يشفيني

وقال محمد بن إدريس الشافعي :

أأنعم عيشاً بعدما حل عارضي ... طلائع شيبٍ ليس يفنى خضابها
إذا اصفر لون المرء وابيض شعره ... تنغص من أيامه مستطابها
ولذة عمر المرء قبل مشيبه ... وقد فنيت نفس تولى شبابها
أيا بومة قد عشت فوق هامتي ... على الرغم مني حين طار غرابها
رأيت خراب العمر مني فزرتني ... ومأواك من كل الديار خرابها
فدع عنك فضلات الأمور فإنها ... حرام على الحر النقي ارتكابها
ولا تمشين في منكب الأرض فاخراً ... فعما قليل يحتويك ترابها
وأد زكاة الجاه واعلم بأنها ... كمثل زكاة المال تم نصابها
وأحسن إلى الأحرار تملك رقابهم ... فخير تجارات الكريم اكتسابها
وأقبل عن الأشرار سمعك معرضاً ... وإن كان لا يعتاد عنها جوابها
ومن يذق الدنيا فإني طعمتها ... وسيق إلينا عذبها وعذابها
فلم أرها إلا غروراً وباطلاً ... كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
وما هي إلا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتك كلابها
إذا انسد باب عنك من دون حاجة ... فدعه لأخرى ينفتح لك بابها
فإن قراب البطن يكفيك ملوه ... ويكفيك سوءات الأمور اجتنابها

ولا تـك مبذالاً لعرضك واجتنـب ركوب المعاصـي يجتنبك عقابهـا
فطوبى لنفس أوطنت قعر دارهـا مغلقة الأبـواب مرخـي حجـابهـا
فيا رب هيئ لي توبـة قبل مهلكي أبادر بهـا من قبـل يغلق بـابـهـا
فما تخـرب الدنيا بموت شرارهـا ولكـن بمـوت الأكرميـن خـرابهـا

وأما الفقر مع الناس فهو شين ؛ وقال بعض الشعراء في هذا المعنى :

إن الـغـنـي إذا تـكـلـم بـالـخـطـا قـالـوا صـدقـت وصـدقـوا ما قـالا
وإذا الـفـقـيـر أصـاب قـالـوا كـلـهـم أخـطـأت يـا هـذا وقـلـت مـحـالا
إن الدراهم فـي المـواطـن كـلـهـا تـكـسـو الـرجـال مهـابـة وجـلالا
مـن كـان يمـلك درهمـيـن تعلمـت شـفـتـاه أنـواع الـكـلام فـقـالا
وصغى لـه الأقـوام واستمعوا لـه ورأيـتـه بـيـن الـورى مـخـتـالا
لـولا دراهـمـه الـتـي فـي كـفـه لـرأيـتـه أسـوا الـبـريـة حـالا
فـهـي الجمال لمـن أراد تـكـلـمـاً وهـي الـسـلاح لمـن أراد قـتـالا

فقد صدق الشاعر ، ونحن أبناء الغبراء ليس لنا حيلة إلاَّ التضرع إلى الله بالدعاء والنحيب والبكاء ، ونقتفي بقول شيخنا ناصر ، حيث قال شعراً :

إذا قل رزق المرء فـليدع ربـه بقلب نقـي خالص الحب صـادق
ويلهـج بيـا وهـاب بـاسط واسـع غنـي وفـتـاح لـبـاب المـغـالـق
كـريـم جـواد مـع لـطيف وبـعده كـفـيـل مقيت عنـد الطـول رازق
ومبلـغ هذا الـذكـر منهـا كـعدهـا بـجـمـلـهـم وافـهـم مـقـالـة وامـق
وبسمل وحوقل ثم صلعـم بأول وآخر مـا تـدعـوه رب الخلائـق

وادعو باسم نصفه ثلث لـــه وذلك اسم اللـه رب المشـارق

وهذا البيت له أيضاً :

ولن يبلغ الغايات إلا مشمراً وليس ينال السر من ليس يصبر

وأما قولها : إن الناس يظنوننا أهل علم ويسألوننا ، وأنه ليس فينا حفظ ، فنحن نترك جواب ما نحفظه .

قصيدة في علة الجذام :

قال سائل : قد دعتنا حاجة إلى السؤال ، إن كان لك فيه حفظ ، فأجبنا يرحمك الله ؛ قلت : سل ؛ قال : يا ذا الغبراء ، كيف السبب في الجسد عند ابتداء علة الجذام ؟ فقال : ستجد ما تريده في كِتاب : " جامع التقسيم وكامل التفهيم " ، شعراً ، وهو :

فيفسد الأربعة الأخلاط من احتراق فعله إفراط
وعند ذا ترجع للسوداء من شدة العفن باستتلاء
فيعتري الجذام حين يعفن وأصله السوداء إذ يمتحن
فإن غدا الجذام من فساد دم لطول الاحتراق الساد
كان دليل ذاك في الأجسام القوبا وكثرة الأورام
وحمرة ظاهرة في البدن والدم والقيح مع التعفن
وإن غدا الجذام من صفراء ذات احتراق كلظى الرمضاء
كان الدليل صفرة في اللون والشق في اليدين والرجلين
وقحل الجسم ويبس الصدر ويظهر الداء ويبدو الضر

شيئاً فشيئاً وقليلا فقليل — في مدة من الزمان فيها طويل
فإن غدت حرارة الصفراء — من يبسها أغلب في ذا الداء
كان لذاك عفن المفاصل — عند سقوط اللحم والنزايل
ورقة الشعر وانتشاره — فلا ترى بشعر أشفاره
ولا ترى في حاجبيه شعر — وكل ما في جسمه ينتثر
وذا يسمونه بالقراض — وهو أشد هذه الأعراض
وإن غدا اليبس عليها أغلبا — من حرها كان الدليل أقربا
كالعرق القليل غير الشايع — في الجسم مع تشنج الأصابع
وإن غدا الجذام من سوداء — قد حقنت في جملة الأعضاء
من شدة احتراقها كان الدليل — سواد ما تراه من لون العليل
والقوبا وغلظ في الحاجبين — مع شقاق ظاهر على اليدين
ومع حسا سائر الأعضاء — وعدم الحس مع الحشاء
حتى إذا ما غرزت بالإبر — بقوة وشدة لم يشعر
ويعتري بقبض الأصابع — من غير مرض والحسام قاطع
وإن غدا الجذام من تمكن — بلغمة المحترق المعفن
كان الدليل بياض اللون — والماء بالكثرة في العينين
ويظهر البرص فيه والبهق — مجتمعين فيه أوِ كيف اتفق
وقلة الشقاق في اليدين — كذاك أيضاً وفي الرجلين
ويعتري رخاوة الأعضاء — مع الرطوبة والامتلاء
فهذه جوامع الأقسام — في العرض المعروف بالجذام
والفصد في العلاج في جسم المادة — وقطعها وهي الطرق الجادة
فإن رأيت أنه من الدم — بادرت بالفصد بلا تلوم

في عرقة الأكحل إن لم ينقطع عن فصده شيء ولم يمتنع
في كل شهر من لكل سقيه وليكن الفصد للأكحلية
وقدم اليمين في ابتدائه فإنه أعدل في استوائه
من غير إكثار ولا إسراف لكن على القصد بلا إجحاف
وافصده إن خشيت أن محتنقا في ودجيه بعد أن يستوثقا
وفصده في العرقين خلف الأذنين من بعد أن تفصده في الودجين
وافصده في العرق من الجبين ليسلم الوجه من التعفين
واسقه المسهل كل سابع ما يخرج السوداء بالتتابع
وأعطه الأدوية المخلوطة ومرة أدوية بسيطة
كالحرف الأسود والسبايج والأسود الهندي والأبالج
والآزود فائق أرعيني والمنتقى من الأفيثموني
وأسطو حروش يابس وأخضر إن كانت السوداء ذا الضرر
فإن غدا يميل للصفراء فاستعمل الصبر في الدواء
وأصفر الهليلج المتين وشحم جوف الحنظل السمين
والسقمونيا وقثا الحمار مفردة أفركتها باختياري
أو فاعطه المركبات الجامعة وهي التي في نفع هذا شائعة
مثل أيارخ نرار نطوس أو هرمس أو حب جالنيوس
أو كبنادق الرضي اسحاق الفاضل المشهور باستحقاق
مع شراب اليثمون الأحمر فإن ذا مستأصل للضرر
يأخذها ذا بماء الجبن فإن مصلحة للبدن
ويأكل اللحوم من حملان ومن جداء أرخضة سمان
وأسقه الشراب ريحانيا مروقاً ممتزجاً مائيا

ويأخذ الحمام كل يوم ... بعد يسير الأكل دون صوم

والزم به الشرب بماء الجبن ... فإنه يغسل ثقل البدن

وأسقه اللبن من اللقاح ... فإنه مجالف الصلاح

وأسقه أيضاً حليب الضأن ... ساعة يحلب بلا زمان

وأعطه الدجاج والبط السمين ... يطبخها اسعيديا حاجتي تبين

وأعطه السمك رضواضيا ... يأكل اسعديا حاضريا

أو فيغلي بدهن اللوز الطري ... ثم أنله فستقاً بسكر

وأعطه من لبن حساء ... مع لباب حنطة ولاء

وسكر منتخب طبرزد ... ودهن اللوز الطري الجيد

واللبن الحليب حين تحلب ... في أول الأمر علاج منجب

حتى إذا سكنت الأعراض ... فاقطعه عنه فهنا اعتراض

أو غرغر الحلق إذا كان ابح ... بلبن النساء حتى ينصلح

مع دهن اللوز وإن كان الزمان ... صيفاً فواظبه بقي في الأوان

بالفجل والملح مع الجرجير ... وكل حريف بلا تقصير

وأسقه في الجبن بعد القيء ... شراب أفستنون دون لي

وليكن الهواء في مثواه ... معتدلاً يأمن من عدواه

لا يابساً حاراً ولا بالبارد ... مثل الجبال والهواء الفاسد

واسلك به الرياضة المعتدلة ... قبل الغدا لا تكن متصلة

ومره أن يلتزم الحماما ... مواظباً ويصل الدواما

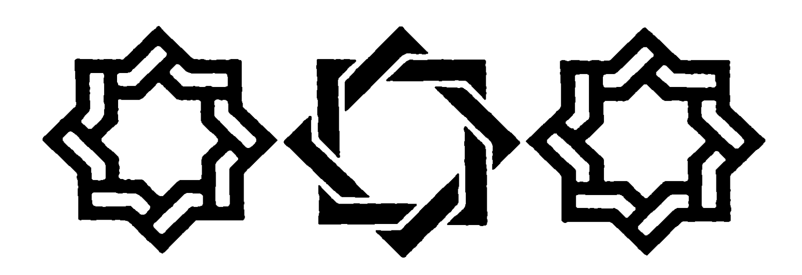
ويدلك البدن بالدقيق ... خبز وبورق حمص سحيق

أو برماد خشب التين وما ... بابونج يفعله ملتزما

وبد ذا يدهنه بدهن ... بنفسج أقرع مستحسن

ومرة بالسعوط في الشفتين　　مواظباً بهذه الدهنين
ومرة بانغماسه في الماءِ　　معتدل الحر على الولاء
لكي يلين صدره وبدنه　　فإنه بمثل ذا يحسنه

تمت الأبيات ، من عقد النظام في علة الجذام ، نعوذ منه بالملك العلام .



الذكر الحادي والستون :

فيه ذكر الأيام واختبار الأعمال فيها ، وفيه مما يدل على حزم الأنفس ، وفيه مسائل ما يلزم الضمان ، ودواء للغشاوة في العين ، وفيه عن حصن يبرين وحُسن بنائه ، وفيه في الطب قصيدة ابن هاشم ، ثم كسر العظام وتجبيرها ودواؤها ، ثم الوسم من أوله إلى آخره ، ثم تفسير الاختلاجات

فضائل الأيام ومواعظ متفرقة :

قال ذو الغبراء : فلما أصبح علينا الصباح في يوم السبت ، قلت لصاحبي : كيف الأحسن في هذا اليوم من أسباب الرزق ؟

قال في جوابه : اعلم يا أخي أن السبت لطلب الصيد، والأحد لابتداء البنيان والأثنين للسفر، والثلاثاء لإخراج الدم والقتال وتنظيف الصبيان، والأربعاء لأعمال الأدوية وشربها، والخميس لأفعال الخير وقضاء الحوائج ولبس الثياب، والجمعة للتزويج والدخول على النساء، وقرانات الكواكب في البروج فيها أدلة على الصلاح وعلى الفساد في الأرض وإن أعطاك الله علماً وفهماً فالزم نفسك وقس بعقلك لأن الناس أشد عداوة للعالم والمتعلم وإبليس وأعوانه لا يغفلون عنك طرفة عين، وإن أردت السلامة لنفسك ومالك، فلا تتعرض للجن والشياطين ولا الظالمين والسارقين لأنهم ينظرونك وأنت أعمى عن أمرهم، وإن دعتك الحاجة إلى أمر فعليك بالحجب في الليل والنهار بالسر والعلانية، وأما

العزيمة في السرقة فهي تبلى فما أصاب الناس من الابتلاء والظلم، فأنت الضامن وكذلك إن أقرضت أحداً من الأمانة فما لم ترجع الأمانة كما كانت في الأحراز وإلا فأنت الضامن وكذلك إن لزمك ضمان لليتيم ولم يكن له وكيل أمين فخلاصك أن تطعمه أو تكسون كسوة مما تنظره يلبسها وإلا فلا خلاص من الضمان، وإن أكلت من التمر الذي جعل للصائم وجمعت طعاماً إليه من عندك وشربت ماءً ثم رجعت تأكل فعليك ضمان ما أكلت وفيه رخصة إن أخذت تمراً وغمسته في الماء وشربت الماء والتمر إن كنت ظمآناً فهذا فيه وجه، وأما الذي جعل بنظر الجماعة فلا بأس فيه، وإن تزوجت بالخطأ في النسب والرضاع وقد كنت دخلت بالمرأة فعليك الضمان في الصداق وكذلك على العمد في الحيض والنفاس فقد وقع الإحرام وأنظر أخي فيما يحل ويحرم وتدبر ذلك من آثار المسلمين وهو الصراط المستقيم وسمى كتاب شيخنا العالم عامر بن علي الصراط المستقيم.

وبعد هذا لا تسلم على عبادّة الأوثان ولا على النائمين والقائمين في الصلاة وكذلك إن وجدت أصحاب المعاصي المرتكبين فيها والقاعدين في الطريق وهم المتعرضون لفعل الشر والنساء، فلا تسلم عليهم.

دواء للغشاوة في العين :

وبعد هذا أرى غشاءة لابسة على عينك فخذ جزء توت، وجزء زعفران قانبي وجزء من لب القطن وجزء حرض وجزء عفيون ثم اسحق الجميع سحقاً ناعماً واكتحل به في وقت المساء والصباح فإن الغشاوة تذهب من العين بعد تمام حدها لأن كل شيء له حد وعد ولا تقل في شيء

يكون ولا تقل في شيء لا يكون واستمع لقول الشاعر:

ما لا يكون فلا يكون بحيلة　　　أبداً وما هو كائن سيكون
سيكون ما هو كائن في وقته　　　وأخو الجهالة متعب محزون

حصن جبرين :

وقد أخذ حصن يبرين على آل يعرب في سنة ست وثلاثين ومائة وألف وأخذوه آل يعرب في سنة سبع وخمسين ومائتين وألف سنة هو يبرين بحسنه.

مما يدبر ربنا من أمره　　　سبحانه في أرضه وسمائه
رد الملوك إلى محل قرارهم　　　مستبشرين بفضله وعطائه

وقائع حدثت في زمانه :

ثم سألت ذا الغبراء ، قلت له : نظرت في كتابك دليلاً في الطب ولم نكتفي به للجسد كله ولعلك تبين لنا شيئاً من الآثار في ذلك، فأجبته: أبيّن فيه قصيدة ابن هاشم وأقفيها بجبر كسر العظام وبالوسم الذي فيه شفاء الأجسام وتفسير الاختلاجات مما عم في الأجسام وآخر الذكر آثار من تفسير الأحلام ، نسأل الله التوفيق من الملك العلام .

قال ذو الغبراء : نهضت من نومي في الثلث الأخير من ليلة ست وعشرين من شهر ربيع الآخر من شهور سنة إحدى وستين ومائتين وألف من الهجرة الإسلامية وقرأت جهراً ما شاء الله من الآيات والأسماء والصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم نظرت شعلة نار ارتفعت

إلى الهواء من الحلة حتى ذهبت عن بصري .

ثم في هذه السنة اقترنا زحل والمريخ والقمر في برج الدلو وخسف القمر في برج العقرب وبعد ذلك سمع الناس وجبة في أول النصف الآخر من ليلة السبت.

فالدليل في ذلك علا ما نظرناه في الأثر أن يكون في الأرض الجدب والحرب والفتن والاختلاف والفسق والغلاء والبلاء والابتلاء، ثم ظهر في عمان الجور والظلم والطغيان وكثر في النساء السحق وعلة الأنبة في الغلمان والولدان وأنزل الله عليهم العلل والآفات وقرض الفار والجراد، وأبلاهم الله بنقص الأموال والأنفس والثمرات، وهذا في عصر العالم الرباني عبد الرحمن ناصر بن أبي نبهان الخروصي والفصيح العالم سعيد بن خلفان الخليلي والصابر الشاكر هاشل بن عمران الهاشمي وهو الذي أجرى فلج الجيلى وجعله للناس مورداً ومأوى، وذلك في زمن السيد المعتصم سعيد بن سلطان البوسعيدي، وهذا السيد كل من دخل من الناس في ملكه وبنادره ليس عليه خوف ولا رعب من أحد، ولكنه لا يبالي بالحرب في قتل أصحابه .

وأما ابن عمه السيد حمود بن عزان فقد جاهد واجتهد في إصلاح رعيته، وبذل نفسه وماله عنهم حتى نزل به الابتلاء فترك الإمارة والسبب ظهور سعيد بن مطلق المطيري على عمان ومعه أقوام أولوا بأس شديد واستكانت له قبائل عمان وجعل على سبلها الأمان ولكنه بدل عن سيرة أبيه فقد كان والده يأخذ الزكاة والطاعة وهذا جعل على الخلق آلافاً مؤلفة بغير حجة نكالاً للناس حتى وصل أحد من عماله إلى الوالي

الذي حسن خلقه وأخلاقه للناس محمد بن سليمان اليعربي البهلوي وأخذ من بهلا ألفي قرش وبلد بُهْلا في أيامنا عبرة لمن اعتبر مما فيها من الابتلاء وكانوا يتصلون بصاحب الفهم العقلي الذكي الشيخ محسن بن زهران الذي أتفقت له الأمور مع الصفين والأميرين والخصمين فدلهم على التقية لسلامة نفوسهم وبلدهم فلم يحمدوه على ذلك الرأي، لأنهم نظروا إلى الشيخ سيف بن سليمان النبهاني التنوفي قد أعزه الله وأعطاه في جسمه القوة والشجاعة وسلك مسالك الكرام وخوله الله من الملك والأموال والأنعام وأنزل الله القطر على أوطانه، فبالنبات الأرض مخضرة والنخيل باسقة والأشجار قطوفها دانية والرعية شاكرة، ولكن آل سعد أرفع منه بدرجة لأنهم طلبوا العلم وعملوا به وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وانتهوا عنه فصاروا حكاماً على أنفسهم وطلعوا زكاة أموالهم وأبدانهم لفقرانهم ، وقال فيهم الشيخ علي بن ناصر شعراً :

لآل سعد سعود ما لها قمر ... بطالع النحس منحوس كما ذكروا
لهم طوالع سعد بالتقى شهب ... ترمي عدوهم من رجمها شرر
أضحت بيوتهم حقاً مساجدهم ... عمارها منهم التسبيح
هم هم عصبة في الله قائمة ... على العصاة فما خانوا ولا غدروا
طوبى لهم بالذي كانوا عليه من ... الدين القويم وبشرى للذي صبروا
قاموا بنا أمة يدعو إلى طرق ... الحق المبين فما انفكوا ولا عذروا
لم يسبهم رونق الدنيا كمن جهلوا ... تجاهلاً ولهم في غيرها نظر
ماهمهم غير علم الدين قاطبة ... من كان ذا كبر أو من به صغر
وإنهم عملوا بالحق إذ علموا ... يقودهم أثر يهديهم بصر

يا قوم لا تعدلوا عن رشد من عدلوا ... في كل ما عملوا والدين قد نصروا
كونوا لهم تبعاً فيما إليه دعـــوا ... وظـاهر الحق يـا زيـد ويا عُمر
من قبل أن تجتنوا ثمر الضلالة من ... كف الندامة إذ تهوي بكم سقر
فحين لا تنفـع الطـاغيـن دعوتهـم ... ولا بكاء ولا ينـجيـهم عذر
فما على النار أهل النار أصبرهـــم ... وكيـف عن جنة الـفـردوس مصطبر
وعن جـوار نبـي اللـه صفوتـــه ... من الأنـام بـدار الـخـلد فاعتبر
دار السـلام ففـي دار السلام تـرى ... ما لـيس في جملة الأحمال ينحصر
وليس تعلـم نـفـس مـا أعد لـهـا ... من قرة العين في جنات من شكروا
قـصـورهـم خلقت من فضة ومــن ... الإبريز والعسجد النوري فادكروا
وبعضهـا خلقت مـن لـؤلـؤ ومـن ... الابـربـر والـفضة البيضا لها سرر
سمت بقـدرة بـاريهـا فبـاطـنـهـا ... وظـاهـر تـره شفافة زهر
علـى رفـارف خضر متكئين بهـا ... من عـبـقري حسان أهلها النظر
متوجيـن بتيجـان الكرامـة فـــي ... دار الإقامة عز كلهم غرر
من سندس أخضر فيها لباسهـــم ... من فـوق استبـرق خصتهم الخبر
وكل حـسـن وإحـســان ومــائــدة ... من كل نوع ونعمى ما بها غير
لهـم عرائس أبكـار الحسـان لـهـا ... الحسن البديـع لـديـه يـقصر النظر
لو أن حورية عن وجهها سفـرت ... لما سفرن لـديهـا الشـمـس والقمر
ولـم تكن كسـواهـا بهجـة وعلـى ... الـدنـيـا فـلا ظـلمـة تـبـقـى ولا نذر
هنـا ذوائـب حسـن طيبـهن فلول ... إلى الدنا نـسـمـة منهن ينتشر
لطـاب كـل اريـج الأرض قـاطبـة ... إلى الـسـمـاء وحيت أمواتاً ودروا
حسنى امـرؤ عمر الدنيا وما يـره ... من الـمـتـاعـب في هـذا لمحتقر
وكـلـه مـا يكـافـي نـظـرة يـرهـا ... بـالـقـاصـرات ولا من نسمة عمر

قوموا إلى مثل هذا واعملوا وصلوا ... أيامكم بالليالي أيها الزمر
وسارعوا في الذي يرضاه ربكم ... من قبل أن تغلق الأبواب وانتصروا
بنصرة الله مهما ينصروه يكن ... نصره لكم وبه التوفيق والظفر
ولا يكن نصره إلا بنصرته ... بمحكم الذكر جاءت له السور
كفاكم هادياً ما في كتابكم ... وما عن المصطفى وافى به الخبر
فيما به امتحن الهادي ومن نصروا ... وهاجروا إلى أوطانهم هجروا
ما زادهم غير إيمان بربهم ... وبالنبي امتحاناً بالذي كفروا
يا قومنا أين أنتم عن أوائلكم ... مع النبي وأتباع لهم ذكروا
هيهات أن تظفروا مثل الذي ظفروا ... من قبل ان تصبروا مثل الذي صبروا
أم قد رضيتم بجد ناكص أبداً ... وبعتم الدين بالدنيا كمن خسروا
فتعرض الذكر صفحاً كالذي حملوا ... إلى المقابر عند من قبروا
ويسعد الدين من سعد العشيرة لا ... قحطان من دونهم معنى ولا نصروا
هذا حمود بن عزان العميد لنا ... وهو العماد له الأيام تأتمر
شدوا به الأزر بل سدوا بدولته ... الأمر الذي أفلت أبراجه الزهر
حاشاه أن يترك الإسلام منطمس ... الأعلام وهو الحسام القسور الذمر
ما عذركم في تروك الأمر لا عدد ... فيكم ولا عدد يثنى ولا عسر
هل دينكم دين عمار ونصرته ... المرداس ابن حدير والذي نصروا
فما نرى غيركم قوماً نرغبهم ... ولا نخوفهم عقبى فيدكروا
إذ كل شخص من نفس جوهره ... مرآة خبر ....
جاءت إليكم على نوق السرور بكم ... ومن مدائحكم تزهو بها درر
فما استعارت لكم من مجد غيركم ... مجداً ولكن لها من مجدكم غبر
هنيتم وبكم يهنا بها وبها ... حسناكم حسنها والدل والخفر

فلما انتهى من نظم هذه القصيدة ، قلت له : استشيرك في أمر بدا لي ومما تراه أصلح فأشر به علي، قال: وما حاجتك؟ قلت له: ما تقول في أمور شامس بن سعيد زوجني بأخته واعتبرت في زماني أموره قد سلك مسالك طلاب الدنيا واحترز في غلل أموال والدته وجرها لنفسه وشرى بها الأموال وبخس أخته في زمانه ووالدته تخبرني بالظلم منه لها ثم في أيامه جرت الفتن وسفك الدماء، ونهب الأموال من عمومته وبنو عمه لأمرائهم، فاستغاثوا عليهم بقوم وأخرجوهم من أوطانهم وأخذوا منهم القصاص وأورثهم الله أموالهم وبيوتهم .

وأنا لقيت الأمان والإحسان والعفة عن المال والغر والوصول إلى البلد لصهري شامس بن سعيد من شيخنا محسن بن زهران، فقلبه سمح لي بذلك، ثم قبضت من ماله الغلل ، وتجرت في دراهمه، وشريت له الماء من البلد بالحيل، ولم يسمح بذلك شيخنا لنا ولا لغيرنا أن يشري لهم شيئاً فتيلاً ولا قطميرا، ثم توفت والدته في هذا العام وأرادني واسطة أن أكون لأخته في قسمة الأموال، فلما وصلت عنده لم يرضَ بحضور جباة البلد ولا بالأمير، وحضر رجل ممن لا عقل له ولا تمييز وقسم قسمة ضيزى.

ثم بعد ذلك ظهر لي أنهم صنعوا في هذه القسمة عهد بخدع ومكر، وسألته مما يكون له فيه صلاحاً في خصلة واحدة، فقلت له: إن الناس يعفون لمسيئهم في الأنفس والأموال، وأنت لم تسمح نفسك بكلمة طيبة وقد فعلت لك من الإحسان آلافاً مؤلفة، وأنا في ضرورة من أصحابي، والناس والأمراء لم أفعل حسنة فيهم وهم يقبلون قولي، ويشتهون سؤلي، فلم تستمع قولي، فقلت كما قال الشاعر :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته   وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

فقلت في نفسي إن أخته جعلتني أميناً في القسمة، وأنا غبي بذلك ولم يحضر أحد في القسمة ممن يؤتمن به، ولا أحد ممن له تدبير وتمييز، فعرفته قد رجعنا عن القسمة لأنا لا نعرف حدودها ولا طرفها ولا ثمنها، ومشينا بجهل في ذلك، والمراد منكما الوقوف عن التبديل والتغيير في الأموال، ومتى أردت القسمة فارضَ بقول الأمراء ومحضر جباة البلد، وإن لم تستطع إلى هؤلاء فجميع ما كان في أيدينا لنقاصصك به على ما ظهر منك من الظلم لأمك في حياتها وبما ظلمت به أختك من حقها، والحجة الواضحة في أيدينا في برزخ فأحطنا عليك بسور، وجعلنا على السور الأبواب ثم أغلقناها بالأقفال من حيث لا تدري، فلا حيلة لك للخروج من السور ولا ينفعك شفيع، إلا إذا رجعت أو استكنت فيفتح لك غلق الأبواب ويكن لك مالنا وعليك ما علينا .

وأعجب من هذا قصة صاحب المركب حين صح منه التقصير والإساءة لمعلم المركب، فقال المعلم لقاهر السكان فامتثل لأمره واحتال المركب فغاب عن طريق المعتادة مسير الأيام والأشهر والسنين .

وعلى هذه القصة قصة الرجل الذي أراد حفر النهر وجعل وكيلاً على الأجراء فقصر الرجل في إكرام الوكيل، فقال الوكيل للذين يخدمون في النحوت: أحيلوا النحوت من مسالكها فامتثلوا لقوله فذهبت الأموال الجزيلة عليه .

وكذلك قصة العليل فدعى بالطبيب فلم يكرمه فبقي في علته كل يوم

في زيادة إلى أن توفاه الله .

وعلى مثل هذا أمير الجيش لما قصر في الدليل أعوجه عن الطريق فلحقهم القوم الجوع والعطش والتعب حتى انتهوا إلى الهلاك .

ومثل هذا قصة صباغ النيل لما بخل على بشكاره عمد البشكار إلى تغيير الأدوية فضعف النيل وخسر الصباغ أموالاً جزيلة .

وكثير من القصص لم نأت بذكرها لقلة القرطاس، ثم قال لي صاحبي: أما سمعت بحكم شيخنا في الرجلين الذين تزاوجا ثم اختصما بعد ذلك وأرادا ان تقع فتنة بينهما فقلت له: وما صنع بهما ؟

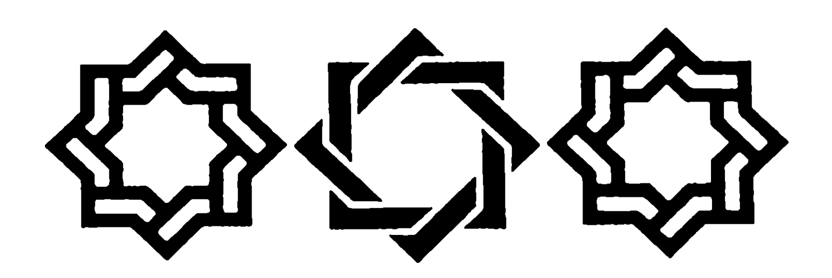
قال : جعلهما في قيد واحد وطمر المرأة الذي لم ترد زوجها ثم ندما عن أمرهما، وفوضا أمرهما شيخنا، فقال: كل من لفى المرأة فعليه الجزاء إلى أن تصل بيت زوجها، فقصدت المرأة بيت الزوج .

وعلى هذه القصة زوجت يتيمة برجل، فنحسها أحد أرحامها ألا تريده، فلما بان هذا الأمر للأمير رفق عن أحد يأويها، فرحمها رجل وأدخلها بيته، فعلم الأمير به فقيّده، ثم رجعت اليتيمة إلى بيت زوجها وسكنت إلى أن بلغت وغيّرت، فقال لها وليها: سأزوجك بخادمي وأما أن ترجعي فتقبلي ابن عمك، فرجعت إليه المرأة وسكنت وأتت له بالأولاد .

فقلت لصاحبي لعلك تصحبني مع شيخنا وأفتي له أمري فقال: لا ينفعك الصاحب، ولا تجعل رسولك غير نفسك فإنك تجد مطلوبك منه ويعطيك على ما يهوى قلبك من الآراء. فعمدت قاصداً إليه شيخنا فوجدته جالساً فرداً بنفسه وتلوت إليه الكلام، فقال: طب نفساً وقر عيناً ولك مني ما تهوى نفسك، ولكن أنت اوصل مع الشيخ سيف بن سليمان وأخبره بما

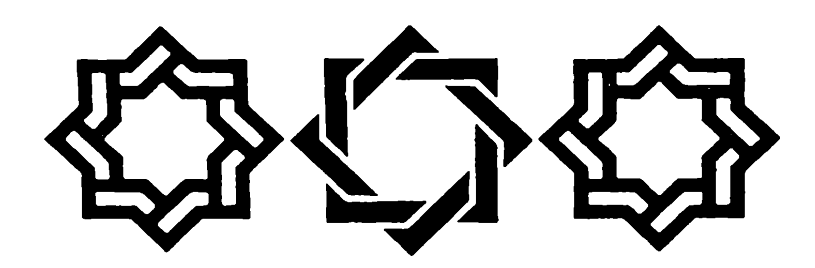
في قلبك، فإن امتثل لقولك فالمرجو منه ذلك وهو أهل لذلك لأن الحق أحق أن يتبع وما بعد الحق إلا الضلال .

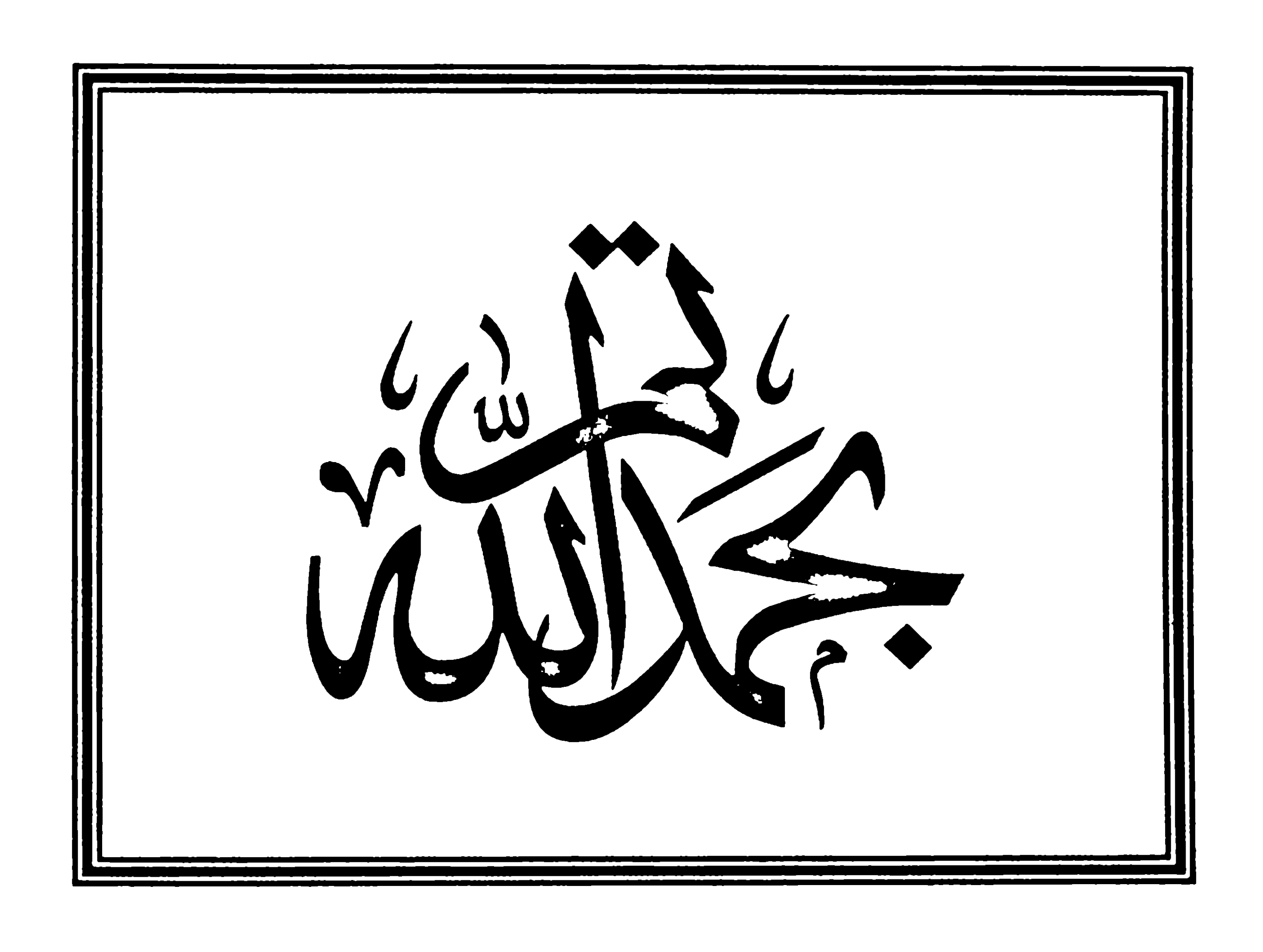
فلما تم من كلامه وادعته ورجعت مع صاحبي بالكلام، فقلت له: أوصني، قال: متى أردت السفر التمس الرفيق قبل الطريق؛ لأن الطريق فيها حوادث وتعويق وخذ راحلة لطريقك لتحملك أنت وزادك وماءك، وقل لجيرانك وإخوانك والأرامل والفقراء واليتامى والمساكين إن كانت لهم حاجة فكن ممتثلاً لقولهم فلك الأجر، والساعي في حوائج الناس من أفضل العبادات في النوافل، فقلت له هذا قولك حق وهو أثر، ولكن لكل مسئلة جواب، ولكل زمان خطاب ؛ أما الرفيق إن صحبته وأنا ضعيف ، فيملني في الطريق ، وإن هو قضى حوائجه قبلي ، ولم يكن معه سعة ، أو كان معه شغل ، وعليه فيه ضرر ، إما يسأم بوقوفه معي إلى أن أقضي أنا حوائجي ...... (١) .



(١) نقص في الأصل ، وأيضاً نقص في هذه النسخة ، الذكران الأخيران : الثاني والستون ، والثالث والستون ؛ وقد تم بحمد الله .

الفهرس




محمد رسول الله

رقم الإيداع : ١٥١/ ٢٠١٠ م